



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان  
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com  
WWW. **Ghaemiyeh** .org  
WWW. **Ghaemiyeh** .net  
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

السيرة

نفسية القليل

للمعلمة تريا الشيد محمد حسين الطيب البستاني

المجلد التاسع عشر

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بغداد - العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الميزان في تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبائي

نشرت في الطباعة:

علامه طباطبائي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٤	تفسیر المیزان المجلد ١٩
١٤	اشاره
١٤	اشاره
١٨	(٥٢) (سوره الطور مکيه، و هي تسع و أربعون آيه)(٤٩)
١٨	[سوره الطور (٥٢): الآيات ١ الى ١٠]
١٨	اشاره
١٨	(بيان)
٢١	(بحث روائی)
٢١	[سوره الطور (٥٢): الآيات ١١ الى ٢٨]
٢١	اشاره
٢٢	(بيان)
٢٨	(بحث روائی)
٣٠	[سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٤]
٣٠	اشاره
٣١	(بيان)
٣٥	[سوره الطور (٥٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]
٣٥	اشاره
٣٦	(بيان)
٣٨	(بحث روائی)
٣٨	(٥٣) (سوره النجم مکيه و هي اثنان و ستون آيه)(٦٢)
٣٨	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٨]
٣٨	اشاره
٣٩	(بيان)

٤٥	(بحث روائى)
٥٠	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١٩ الى ٣٢]
٥٠	اشاره
٥١	(بيان)
٥٧	[سوره النجم (٥٣): الآيات ٣٣ الى ٦٢]
٥٧	اشاره
٥٩	(بيان)
٦٦	(بحث روائى)
٧٠	(٥٤) سوره القمر مكيه و هي خمس و خمسون آيه (٥٥)
٧٠	[سوره القمر (٥٤): الآيات ١ الى ٨]
٧٠	اشاره
٧١	(بيان)
٧٤	(بحث روائى)
٧٦	(كلام فيه إجمال القول فى شق القمر)
٨١	[سوره القمر (٥٤): الآيات ٩ الى ٤٢]
٨١	اشاره
٨٣	(بيان)
٨٧	(كلام فى سعادته الأيام و نحوستها و الطيره و الفأل فى فصول)
٨٧	١- فى سعادته الأيام و نحوستها:
٩١	٢- فى سعادته الكواكب و نحوستها
٩٣	٣- فى التفاؤل و التطير
٩٦	[بيان]
٩٩	(بحث روائى)
٩٩	[سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]
٩٩	اشاره
١٠٠	(بيان)

- ١٠٦----- (بحث روائى)-----
- ١٠٧----- (كلام فى القدر)-----
- ١٠٩----- (٥٥) (سوره الرحمن مكيه أو مدنيه و هى ثمان و سبعون آيه)(٧٨)-----
- ١٠٩----- [سوره الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ٣٠]-----
- ١٠٩----- اشاره-----
- ١١٠----- (بيان)-----
- ١٢٠----- (بحث روائى)-----
- ١٢١----- [سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٧٨]-----
- ١٢١----- اشاره-----
- ١٢٣----- (بيان)-----
- ١٢٩----- (بحث روائى)-----
- ١٣٢----- (٥٦) (سوره الواقعه مكيه و هى ست و تسعون آيه)(٩٦)-----
- ١٣٢----- [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١ الى ١٠]-----
- ١٣٢----- اشاره-----
- ١٣٤----- (بيان)-----
- ١٣٦----- (بحث روائى)-----
- ١٣٨----- [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١١ الى ٥٦]-----
- ١٣٨----- اشاره-----
- ١٣٩----- (بيان)-----
- ١٤٥----- (بحث روائى)-----
- ١٤٨----- [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٩٦]-----
- ١٤٨----- اشاره-----
- ١٥١----- (بيان)-----
- ١٦٠----- (بحث روائى)-----
- ١٦٣----- (٥٧)(سوره الحديد مدنيه و هى تسع و عشرون آيه)(٢٩)-----
- ١٦٣----- [سوره الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦]-----

- ١٦٣ ..... اشارة
- ١٦٥ ..... (بيان)
- ١٦٩ ..... (بحث روائى)
- ١٧١ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٥]
- ١٧١ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... (بيان)
- ١٨١ ..... (بحث روائى)
- ١٨٢ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٤]
- ١٨٢ ..... اشارة
- ١٨٤ ..... (بيان)
- ١٩٢ ..... (بحث روائى)
- ١٩٤ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٢٥ الى ٢٩]
- ١٩٤ ..... اشارة
- ١٩٤ ..... (بيان)
- ١٩٩ ..... (بحث روائى)
- ٢٠٠ ..... (٥٨) (سوره المجادله مدنيه، و هى اثنتان و عشرون آيه) (٢٢)
- ٢٠٠ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١ الى ٦]
- ٢٠٠ ..... اشارة
- ٢٠١ ..... بيان
- ٢٠٥ ..... (بحث روائى)
- ٢٠٦ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ٧ الى ١٣]
- ٢٠٦ ..... اشارة
- ٢٠٩ ..... (بيان)
- ٢١٥ ..... (بحث روائى)
- ٢١٦ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١٤ الى ٢٢]
- ٢١٦ ..... اشارة



- ٢١٨ ..... (بيان)
- ٢٢٤ ..... (بحث روائي)
- ٢٢٥ ..... (سوره الحشر مدنيه و هي أربع و عشرون آيه)(٢٤)
- ٢٢٥ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ١٠]
- ٢٢٥ ..... اشاره
- ٢٢٧ ..... (بيان)
- ٢٣٣ ..... (بحث روائي)
- ٢٣٤ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٧]
- ٢٣٤ ..... اشاره
- ٢٣٧ ..... (بيان)
- ٢٤٠ ..... (بحث روائي)
- ٢٤١ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٨ الى ٢٤]
- ٢٤١ ..... اشاره
- ٢٤٢ ..... (بيان)
- ٢٥٠ ..... (بحث روائي)
- ٢٥١ ..... (٦٠) (سوره الممتحنه مدنيه و هي ثلاث عشره آيه)(١٣)
- ٢٥١ ..... [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٩]
- ٢٥١ ..... اشاره
- ٢٥٢ ..... (بيان)
- ٢٦١ ..... (بحث روائي)
- ٢٦٦ ..... [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١٣]
- ٢٦٦ ..... اشاره
- ٢٦٧ ..... (بيان)
- ٢٧٠ ..... (بحث روائي)
- ٢٧٤ ..... (٦١) (سوره الصف مدنيه و هي أربع عشره آيه)(١٤)
- ٢٧٤ ..... [سوره الصف (٦١): الآيات ١ الى ٩]

- ٢٧٤ ..... اشاره
- ٢٧٥ ..... (بيان)
- ٢٨٤ ..... (بحث روائى)
- ٢٨٥ ..... [سوره الصف (٦١): الآيات ١٠ الى ١٤] .....
- ٢٨٥ ..... اشاره
- ٢٨٦ ..... (بيان)
- ٢٨٩ ..... (بحث روائى)
- ٢٩٠ ..... (٦٢)سوره الجمعه مدنيه و هى إحدى عشره آيه(١١) .....
- ٢٩٠ ..... [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ٨] .....
- ٢٩٠ ..... اشاره
- ٢٩١ ..... (بيان)
- ٢٩٦ ..... (بحث روائى)
- ٢٩٧ ..... كلام فى معنى تعليم الحكمه .....
- ٣٠١ ..... [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ٩ الى ١١] .....
- ٣٠١ ..... اشاره
- ٣٠١ ..... بيان
- ٣٠٣ ..... بحث روائى
- ٣٠٥ ..... (٦٣)سوره المنافقون مدنيه ، و هى إحدى عشره آيه(١١) .....
- ٣٠٥ ..... [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ١ الى ٨] .....
- ٣٠٥ ..... اشاره
- ٣٠٧ ..... بيان
- ٣١٢ ..... بحث روائى
- ٣١٦ ..... كلام حول النفاق فى صدر الإسلام .....
- ٣١٩ ..... [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ٩ الى ١١] .....
- ٣١٩ ..... اشاره
- ٣٢٠ ..... بيان

- ٣٢١ ..... بحث روائى
- ٣٢٢ ..... (٦٤) سورة التغابن مدنيه و هى ثمانى عشره آيه (١٨) ..... [سوره التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ١٠]
- ٣٢٢ ..... اشاره
- ٣٢٣ ..... بيان
- ٣٣٠ ..... بحث روائى
- ٣٣١ ..... [سوره التغابن (٦٤): الآيات ١١ الى ١٨]
- ٣٣١ ..... اشاره
- ٣٣٢ ..... بيان
- ٣٣٨ ..... بحث روائى
- ٣٤٠ ..... (٦٥) سورة الطلاق مدنيه و هى اثنتا عشره آيه (١٢) ..... [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ١ الى ٧]
- ٣٤٠ ..... اشاره
- ٣٤١ ..... بيان
- ٣٤٧ ..... بحث روائى
- ٣٥١ ..... [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ٨ الى ١٢]
- ٣٥١ ..... اشاره
- ٣٥٢ ..... بيان
- ٣٥٦ ..... بحث روائى
- ٣٥٧ ..... (٦٦) سورة التحريم مدنيه و هى اثنتا عشره آيه (١٢) ..... [سوره التحريم (٦٦): الآيات ١ الى ٩]
- ٣٥٧ ..... اشاره
- ٣٥٨ ..... بيان
- ٣٦٦ ..... بحث روائى
- ٣٧١ ..... [سوره التحريم (٦٦): الآيات ١٠ الى ١٢]
- ٣٧١ ..... اشاره

- ٣٧١ ..... بيان
- ٣٧٥ ..... بحث روائى
- ٣٧٦ ..... (٦٧) سورة الملك مكيه و هى ثلاثون آيه (٣٠) -
- ٣٧٦ ..... [سوره الملك (٦٧): الآيات ١ الى ١٤]
- ٣٧٦ ..... اشاره
- ٣٧٧ ..... بيان
- ٣٨٤ ..... بحث روائى
- ٣٨٥ ..... [سوره الملك (٦٧): الآيات ١٥ الى ٢٢]
- ٣٨٥ ..... اشاره
- ٣٨٦ ..... بيان
- ٣٩٠ ..... بحث روائى
- ٣٩١ ..... [سوره الملك (٦٧): الآيات ٢٣ الى ٣٠]
- ٣٩١ ..... اشاره
- ٣٩١ ..... بيان
- ٣٩٥ ..... (٦٨) سورة القلم مكيه و هى اثنتان و خمسون آيه (٥٢) -
- ٣٩٥ ..... [سوره القلم (٦٨): الآيات ١ الى ٣٣]
- ٣٩٥ ..... اشاره
- ٣٩٦ ..... بيان
- ٤٠٥ ..... بحث روائى
- ٤٠٨ ..... [سوره القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٥٢]
- ٤٠٨ ..... اشاره
- ٤٠٩ ..... بيان
- ٤١٨ ..... بحث روائى
- ٤٢٠ ..... (٦٩) سورة الحاقه مكيه و هى اثنتان و خمسون آيه (٥٢) -
- ٤٢٠ ..... [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١ الى ١٢]
- ٤٢٠ ..... اشاره

٤٢٠ ..... بيان

٤٢٤ ..... بحث روائى

٤٢٥ ..... [سوره الحاقه (٤٩): الآيات ١٣ الى ٣٧]

٤٢٥ ..... اشاره

٤٢٤ ..... بيان

٤٣٠ ..... بحث روائى

٤٣١ ..... [سوره الحاقه (٤٩): الآيات ٣٨ الى ٥٢]

٤٣١ ..... اشاره

٤٣٢ ..... بيان

٤٣٨ ..... تعريف مركز

سرشناسه : طباطبائی، سید محمد حسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدید آور : تفسیر المیزان / محمد حسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجاء: امیر کبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ ریال (دوره کامل)

یادداشت : جلد ۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمد باقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج. ۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج. ۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵ م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص : ۱









## (٥٢) (سوره الطور مكيه، و هي تسع و أربعون آيه) (٤٩)

[سوره الطور (٥٢): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الطُّورِ (١) وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)

(بيان)

غرض السوره إنذار أهل التكذيب و العناد من الكفار بالعذاب الذى أعد لهم يوم القيامة فتبدأ بالإنباء عن وقوع العذاب الذى أنذروا به و تحققه يوم القيامة بأقسام مؤكده و أيمان مغلظه، و أنه غير تاركهم يومئذ حتى يقع بهم و لا مناص.

ثم تذكر نبذه من صفه هذا العذاب و الويل الذى يعمهم و لا يفارقهم ثم تقابل ذلك بشمه من نعيم أهل النعيم يومئذ و هم المتقون الذين كانوا فى الدنيا مشفقين فى أهلهم يدعون الله مؤمنين به موحدين له.

ثم تأخذ فى توبيخ المكذبين على ما كانوا يرمون النبى ص و ما أنزل عليه من القرآن و ما أتى به من الدين الحق.

ص: ٥

و تختتم الكلام بتكرار التهديد و الوعيد و أمر النبي ص بتسييح ربه. و السوره مكيه كما يشهد بذلك سياق آياتها.

قوله تعالى: «وَ الطُّورِ» قيل: الطور مطلق الجبل و قد غلب استعماله فى الجبل الذى كلم الله عليه موسى (ع)، و الأنسب أن يكون المراد به فى الآيه جبل موسى (ع) أقسم الله تعالى به لما قدسه و بارك فيه كما أقسم به فى قوله: «وَ طُورِ سَيْنِينَ»: التين: ٢، و قال: «وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ»: مريم: ٥٢، و قال فى خطابه لموسى (ع):

«فَمَا خَلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِإِلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُورِي» طه: ١٢، و قال: «نُودِيَ مِنْ شِاطِئِ الْعَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ»: القصص: ٣٠.

و قيل: المراد مطلق الجبل أقسم الله تعالى به لما أودع فيه من أنواع نعمه قال تعالى: «وَ جَعَلَ فِيهَا رُؤَسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا»: حم السجده: ١٠.

قوله تعالى: «وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ» قيل: الرق مطلق ما يكتب فيه و قيل: هو الورق، و قيل: الورق المأخوذ من الجلد، و النشر هو البسط، و التفريق.

و المراد بهذا الكتاب قيل: هو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن تقرؤه ملائكه السماء، و قيل: المراد به صحائف الأعمال تقرؤه حفظه الأعمال من الملائكه، و قيل: هو القرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ، و قيل: هو التوراه و كانت تكتب فى الرق و تنشر للقراء.

و الأنسب بالنظر إلى الآيه السابقه هو القول الأخير.

قوله تعالى: «وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» قيل: المراد به الكعبه المشرفه فإنها أول بيت وضع للناس و لم يزل معمورا منذ وضع إلى يومنا هذا قال تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ»: آل عمران: ٩٦.

و فى الروايات المأثوره أن البيت المعمور بيت فى السماء بحذاء الكعبه تزوره الملائكه.

و تنكير «كِتَابٍ» للإيماء إلى استغناؤه عن التعريف فهو تنكير يفيد التعريف و يستلزمه.

قوله تعالى: «وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» هو السماء.

قوله تعالى: «وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» قال الراغب: السجر تهيج النار، و في المجمع:

المسجور المملوء يقال: سجرت التنور أى ملأتها نارا، و قد فسرت الآية بكل من المعنين و يؤيد المعنى الأول قوله: «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»: التكوير: ٤٠، أى سمرت و قد ورد في الحديث أن البحار تسعر نارا يوم القيامة، و قيل: المراد أنها تغيض مياهها بتسجير النار فيها.

قوله تعالى: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ» جواب القسم السابق و المراد بالعذاب المخبر بوقوعه عذاب يوم القيامة الذى أوعده الله به الكفار المكذبين كما تشير إليه الآية التالیه، و فى قوله: «مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ» دلالة على أنه من القضاء المحتوم الذى لا محيص عن وقوعه قال تعالى: «وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ»: الحج: ٧.

و فى قوله: «عَذَابَ رَبِّكَ» بنسبه العذاب إلى الرب المضاف إلى ضمير الخطاب دون أن يقال: عذاب الله تأييد للنبي ص على مكذبي دعوته و تطيب لنفسه أن ربه لا يخزيه يومئذ كما قال: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»: التحريم: ٨.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» ظرف لقوله: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ».

و المور -على ما فى المجمع- تردد الشئ بالذهاب و المجرى كما يتردد الدخان ثم يضمحل، و يقرب منه قول الراغب: إنه الجريان السريع.

و على أى حال فيه إشاره إلى انطواء العالم السماوى كما يذكره تعالى فى مواضع من كلامه كقوله: «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكُوكُوبُ انْتَثَرَتْ»: الانفطار: ٢، و قوله:

«يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ»: الأنبياء: ١٠٤، و قوله: «وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»: الزمر: ٦٧.

كما أن قوله: «وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» إشاره إلى زلزه الساعه فى الأرض التى يذكرها تعالى فى مواضع من كلامه كقوله: «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَ بَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا»: الواقعة: ٤٠، و قوله: «وَ سِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا»: النبأ: ٢٠.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَ الطُّورِ وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ» قال: الطور جبل بطور سيناء.

و فى المجمع، "وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ" و هو بيت فى السماء الرابعه بحيال الكعبه-يعمره الملائكه بما يكون منها فيه من العباده".: عن ابن عباس و مجاهد،

و روى أيضا عن أمير المؤمنين (ع) قال: و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا.

أقول: كون البيت المعمور بيتا فى السماء يطوف عليه الملائكه واقع فى عده أحاديث من طرق الفريقين غير أنها مختلفه فى محله ففى أكثرها أنه فى السماء الرابعه و فى بعضها أنه فى السماء الأولى، و فى بعضها السابعه.

و فيه،: «وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» و هو السماء عن على (ع).

و فى تفسير القمى، "وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ" قال: السماء، «وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» قال:

تسجر يوم القيامة.

و فى المجمع، "وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ" أى المملوء. عن قتاده، و قيل: هو الموقد المحمى بمنزله التنور. عن مجاهد و الضحاك و الأخفش و ابن زيد. ثم قيل: إنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا-ثم تفجر بعضها فى بعض ثم تفجر إلى النار".: ورد به الحديث.

## [سوره الطور (٥٢): الآيات ١١ الى ٢٨]

### اشاره

فَوَيْلٌ لِلْمُصَدِّقِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَمْ فَسَحَّرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اضْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ (١٧) فَآكِهِمْ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوَ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيهِمْ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

تذكر الآيات من يقع عليهم هذا العذاب الذى لا ريب فى تحققه و وقوعه، و تصف حالهم إذ ذاك، و هذا هو الغرض الأصيل فى السوره كما تقدمت الإشارة إليه و أما ما وقع فى الآيات من وصف حال المتقين يومئذ فهو من باب التطفل لتأكيد الإنذار المقصود.

قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُكذِّبِينَ» تفریع على ما دلت عليه الآيات السابقه من تحقق وقوع العذاب يوم القيامة أى إذا كان الأمر كما ذكر و لم يكن محيىص عن وقوع العذاب فويل لمن يقع عليه و هم المكذبون لا محاله فالجمله تدل على كون المعذبين هم المكذبين بالاستلزام و على تعلق الويل بهم بالمطابقه.

أو التقدير إذا كان العذاب واقعا لا محاله و لا محاله لا يقع إلا على المكذبين لأنهم الكافرون بالله المكذبون ليوم القيامة فويل يومئذ لهم، فالدال على تعلق العذاب بالمكذبين

هو قوله: «عَذَابَ رَبِّكَ» لأن عذاب الله إنما يقع على من دعاه فلم يجبه و كذب دعوته.

قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ» الخوض هو الدخول في باطل القول قال الراغب: الخوض هو الشروع في الماء و المرور فيه، و يستعار في الأمور و أكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه انتهى، و تنوين التنكير في «خَوْضٍ» يدل على صفة محذوفه أى في خوض عجيب.

و لما كان الاشتغال بباطل القول لا يفيد نتيجة حقه إلا نتيجة خياليه يزينها الوهم للخائض سماه لعباً و اللعب من الأفعال ما ليس له إلا الأثر الخيالي.-

و المعنى: الذين هم مستمرين في خوض عجيب يلعبون بالمجادله في آيات الله و إنكارها و الاستهزاء بها.

قوله تعالى: «يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا» الدع هو الدفع الشديد، و الظاهر أن «يَوْمَ» بيان لقوله: «يَوْمَئِذٍ».

قوله تعالى: «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ» أى يقال لهم: هذه النار التى كنتم بها تكذبون، و المراد بالتكذيب بالنار التكذيب بما أخبر به الأنبياء (ع) بوحي من الله من وجود هذه النار و أنه سيعذب بها المجرمون و محصل المعنى هذه مصداق ما أخبر به الأنبياء فكذبتم به.

قوله تعالى: «أَفَسِعَ حَرُّ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ» تفرغ على قوله: «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ» و الاستفهام للإنكار تفرغاً لهم أى إذا كانت هذه هى تلك النار التى كنتم تكذبون بها فليس هذا سحراً كما كنتم ترمون إخبار الأنبياء بها أنه سحر و ليس هذا أمراً موهوماً خرافياً كما كنتم تتفوهون به بل أمر مبصر معين لكم فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ» :الأحقاف: ٣٤.

و بما مر من المعنى يظهر أن «أَمْ» فى قوله: «أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ» متصله و قيل:

منقطعه و لا يخلو من بعد.

قوله تعالى: «إِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»، الصلى بالفتح فالسكون مقاساه حراره النار فمعنى اصلوها قاسوا حراره نار جهنم.

و قوله: «فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا» تفرّيع على الأمر بالمقاساه، والترديد بين الأمر والنهي كناية عن مساواة الفعل والترك، ولذا أتبعه بقوله: «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» أى هذه المقاساه لازمه لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخففه ولا الجزع و ترك الصبر ينفع لكم شيئاً.

و قوله: «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» خبر مبتدأ محذوف أى هما سواء و أفراد «سَوَاءٌ» لكونه مصدراً فى الأصل.

و قوله: «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى مقام التعليل لما ذكر من ملازمه العذاب و مساواة الصبر و الجزع.

و المعنى: إنما يلازمكم هذا الجزاء السيئ و لا يفارقكم لأنكم تجزون بأعمالكم التى كنتم تعملونها و لا تسلب نسبة العمل عن عامله فالعذاب يلازمكم أو إنما تجزون بتبعات ما كنتم تعملون و جزائه.

قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ» الجنة البستان تجنيه الأشجار و تستره، و النعيم النعمة الكثيره أى إن المتصفين بتقوى الله يومئذ فى جنات يسكنون فيها و نعمه كثيره تحيط بهم.

قوله تعالى: «فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمُ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ» الفاكهه مطلق الثمره، و قيل: هى الثمره غير العنب و الرمان، و يقال: تفكه و فكه إذا تعاطى الفكاكه، و تفكه و فكه إذا تناول الفكاكه، و قد فسرت الآيه بكل من المعنيين فقيل:

المعنى: يتحدثون بما آتاهم ربهم من النعيم، و قيل: المعنى: يتناولون الفواكه و الثمار التى آتاهم ربهم، و قيل: المعنى: يتلذذون بإحسان ربهم و مرجعه إلى المعنى الأول، و قيل:

معناه فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم، و لعل مرجعه إلى المعنى الثانى.

و تكرار «رَبُّهُمُ» فى قوله: «وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ» لإفاده مزيد العناية بهم.

قوله تعالى: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يقال لهم: كلوا و اشربوا أكلا و شرباً هنيئاً أو طعاماً و شراباً هنيئاً، فهنيئاً و صف قائم مقام مفعول مطلق أو مفعول به.

و قوله: «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» متعلق بقوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أو بقوله: «هَنِيئًا».



قوله تعالى: «مُنَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ» الاتكاء الاعتماد على الوساده و نحوها،و السرر جمع سرير،و مصفوفه من الصف أى مصطفه موصوله بعضها ببعض،و المعنى:متكئين على الوسائد و النمارق قاعدين على سرر مصطفه.

و قوله: «وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ» المراد بالتزويج القرن أى قرناهم بهن دون النكاح بالعقد،و الدليل عليه تعديه بالباء فإن التزويج بمعنى النكاح بالعقد متعد بنفسها، قال تعالى: «وَزَوَّجْنَا كَهَا»: الأحزاب: ٣٧ كذا قيل.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» إلخ، قيل: الفرق بين الاتباع و اللحق مع اعتبار التقدم و التأخر فيهما جميعا أنه يعتبر فى الاتباع اشتراك بين التابع و المتبوع فى مورد الاتباع بخلاف اللحق فاللاحق لا يشارك الملحق فى ما لحق به فيه.

ولات و آلات بمعنى نقص فمعنى ما ألتناهم ما نقصناهم شيئا من عملهم بالإلحاق.

و ظاهر الآيه أنها فى مقام الامتنان فهو سبحانه يمتن على الذين آمنوا أنه سيلحق بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان فتقر بذلك أعينهم،و هذا هو القرينه على أن التنوين فى «بِإِيمَانٍ» للتكثير دون التعظيم.

و المعنى:اتبعوهم بنوع من الإيمان و إن قصر عن درجه إيمان آبائهم إذ لا- امتنان لو كان إيمانهم أكمل من إيمان آبائهم أو مساويا له.

و إطلاق الاتباع فى الإيمان منصرف إلى اتباع من يصح منه فى نفسه الإيمان ببلوغه حدا يكلف به فالمراد بالذريه الأولاد الكبار المكلفون بالإيمان فالآيه لا تشمل الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ،و لا ينافى ذلك كون صغار أولاد المؤمنين محكومين بالإيمان شرعا.

اللهم إلا- أن يستفاد العموم من تنكير الإيمان و يكون المعنى:و اتبعتم ذريتهم بإيمان ما سواء كان إيماننا فى نفسه أو إيماننا بحسب حكم الشرع.

و كذا الامتنان قرينه على أن الضمير فى قوله: «وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» للذين آمنوا كالضميرين فى قوله: «وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ» إذ قوله: «وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» مسوق حينئذ لدفع توهم ورود النقص فى الثواب على تقرير الإلحاق و هو ينافى

الامتنان و من المعلوم أن الذى ينافى الامتنان هو النقص فى ثواب الآباء الملحق بهم دون الذريه.

فتحصل أن قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» إلخ، استئناف يمتن تعالى فيه على الذين آمنوا بأنه سيلحق بهم أولادهم الذين اتبعوهم بنوع من الإيمان و إن كان قاصرا عن درجه إيمانهم لتقر به أعينهم، و لا ينقص مع ذلك من ثواب عمل الآباء بالإلحاق شىء بل يؤتيهم مثل ما آتاهم أو بنحو لا تراحم فيه على ما هو أعلم به.

و فى معنى الآيه أقوال آخر لا- تخلو من سخافه كقول بعضهم إن قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» معطوف على «بِحُورٍ عِينٍ» و المعنى: و زوجناهم بحور عين و بالذين آمنوا يتمتعون من الحور العين بالنكاح و بالذين آمنوا بالرفاقه و الصحبه، و قول بعضهم: إن المراد بالذريه صغار الأولاد فقط، و قول بعضهم: إن الضميرين فى «وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» للذريه و المعنى: و ما نقصنا الذريه من عملهم شيئا بسبب إلحاقهم بأبائهم بل نوفيهم أعمالهم من خير أو شر ثم نلحقهم بأبائهم.

و قوله: «كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» تعليل لقوله: «وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» على ما يفيداه السياق، و الرهن و الرهين و المرهون ما يوضع وثيقه للدين على ما ذكره الراغب قال: و لما كان الرهن يتصور منه حبسه أستعير ذلك لحبس أى شىء كان. انتهى.

و لعل هذا المعنى الاستعارى هو المراد فى الآيه و المرء رهن مقبوض و محفوظ عند الله سبحانه بما كسبه من خير أو شر حتى يوفيه جزاء ما عمله من ثواب أو عقاب فلو نقص شيئا من عمله و لم يوفه ذلك لم يكن رهين ما كسب بل رهين بعض ما عمل و امتلك بعضه الآخر غيره كذريته الملحقين به.

و أما قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ»: المدثر: ٣٩، فالمراد كونها رهينه العذاب يوم القيامة كما يشهد به سياق ما بعده من قوله: «فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ»: المدثر: ٤١.

و قيل: المراد كون المرء رهين عمله السيئ كما تدل عليه آيه سوره المدثر المذكوره آنفا بشهاده استثناء أصحاب اليمين، و الآيه أعنى قوله: «كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» جمله معترضه من صفات أهل النار اعترضت فى صفات أهل الجنة.

و حمل صاحب الكشاف الآيه على نوع من الاستعاره فرفع به التنافى بين الآيتين قال: كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكها وخلصها و إلا أوبقها. انتهى.

و أنت خبير بأن مجرد ما ذكره لا يوجه اتصال الجملة أعنى قوله: «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» بما قبلها.

قوله تعالى: «وَأَمَدَدْنَا لَهُم بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» بيان لبعض تتماتهم و تمتعاتهم فى الجنه المذكوره إجمالا فى قوله السابق: «كُلُّوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا» إلخ.

و الإمداد الإتيان بالشئ وقتا بعد وقت و يستعمل فى الخير كما أن المد يستعمل فى الشر قال تعالى: «وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا»  
:مریم: ۷۹.

و المعنى: أنا نرزقهم بالفاكهه و ما يشتهونه من اللحم رزقا بعد رزق و وقتا بعد وقت من غير انقطاع.

قوله تعالى: «يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْثِيمٌ» التنازع فى الكأس تعاطيها و الاجتماع على تناولها، و الكأس القدح و لا يطلق الكأس إلا فيما كان فيها الشراب.

و المراد باللغو لغو القول الذى يصدر من شاربى الخمر فى الدنيا، و التأثيم جعل الشخص ذا إثم و هو أيضا من آثار الخمر فى الدنيا، و نفى اللغو و التأثيم هو القرينه على أن المراد بالكأس التى يتنازعون فيها كأس الخمر.

قوله تعالى: «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ» المراد به طوافهم عليهم للخدمه قال بعضهم: قيل: «غِلْمَانٌ لَهُمْ» بالتنكير و لم يقل: غلمانهم لثلاثه أسباب أولها أن المراد بهم غلمانهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فهم كالحور من مخلوقات الجنه كأنهم لؤلؤ مكنون مخزون فى الحسن و الصباحه و الصفا.

قوله تعالى: «وَ أَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أى يسأل كل منهم غيره عن حاله فى الدنيا و ما الذى ساقه إلى الجنه و النعيم؟.

قوله تعالى: «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» قال الراغب: و الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه و يخاف ما يلحقه قال تعالى: «وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ»

مُشْفِقُونَ» فإذا عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدى بفي فمعنى العناية فيه أظهر قال تعالى: «إِذَا كُذِّبَ قَيْلٌ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» انتهى.

فالمعنى: أنا كنا في الدنيا ذوى إشفاق فى أهلنا نعتنى بسعادتهم و نجاتهم من مهلكه الضلال فنعاشرهم بجميل المعاشرة و نسير فيهم ببث النصيحة و الدعوه إلى الحق.

قوله تعالى: «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ» المن على ما ذكره الراغب الإنعام بالنعمة الثقيله و يكون بالفعل و هو حسن، و بالقول و هو قبيح من غيره تعالى، قال تعالى: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: الحجرات: ١٧.

و منه تعالى على أهل الجنة إسعاده إياهم لدخولها بالرحمه و تمامه بوقايتهم عذاب السموم.

و السموم -على ما ذكره الطبرسى- الحر الذى يدخل فى مسام البدن يتألم به و منه ريح السموم.

قوله تعالى: «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» تعلق لبقوله: «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا» إلخ، كما أن قوله: «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» تعلق له.

و تفيد هذه الآيه مع الآيتين قبلها أن هؤلاء كانوا فى الدنيا يدعون الله بتوحيده للعباده و التسليم لأمره و كانوا مشفقين فى أهلهم يقربونهم من الحق و يجنبونهم الباطل فكان ذلك سببا لمن الله عليهم بالجنة و وقايتهم من عذاب السموم، و إنما كان ذلك سببا لذلك لأنه تعالى بر رحيم فيحسن لمن دعاه و يرحمه.

فآيات الثلاث فى معنى قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» العصر: ٣.

و البر من أسماء الله تعالى الحسنى، و هو من البر بمعنى الإحسان، و فسر بعضهم باللطيف.

### (بحث روائى)

فى الكافى، بإسناده عن أبى بكر عن أبى عبد الله (ع): فى قول الله عز و جل:

« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ - أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ » قال: فقال: قصرت الأبناء

عن عمل الآباء-فألحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك أعينهم.:

أقول: ورواه أيضا في التوحيد، بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي عنه (ع).

و في تفسير القمي، حدثني أبي عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيتهم فاطمه (ع)، وقوله: «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» قال: يهدون إلى آباءهم يوم القيامة.:

أقول: وروى في المجمع، ذيل الحديث عنه (ع) مرسلا.

و في التوحيد، بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين-نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض-ألا إن فلان بن فلان قد مات-فإن كان قد مات والداه أو أحدهما-أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمه تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما-أو بعض أهل بيته من المؤمنين فيدفعه إليه.

و في الفقيه، وفي روايه الحسن بن محبوب عن علي عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال: إن الله تبارك وتعالى كفل إبراهيم و ساره-أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجره في الجنة- لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من دره-فاذا كان يوم القيامة ألبسوا-و طيبوا و أهدوا إلى آباءهم-فهم ملوك في الجنة مع آباءهم، وهذا قول الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ».

و في المجمع، روى زاذان عن علي (ع) قال: قال رسول الله ص: إن المؤمنين و أولادهم في الجنة، ثم قرأ هذه الآية.

و في الدر المنثور، أخرج البزار و ابن مردويه عن ابن عباس رفعه إلى النبي ص قال: إن الله يرفع ذريه المؤمن إليه في درجته-و إن كانوا دونه في العمل-ثم قرأ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» قال:

و ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء.

و فيه، أخرج الطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ص قال: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه و ذريته و ولده- فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك و عملك-فيقول:

يا رب قد عملت لي و لهم فيؤمر بإلحاقهم به-و قرأ ابن عباس: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ» الآية.

أقول: والآية لا- تشمل الآباء المذكورين في الحديث، والأنسب للدلالة عليه ما ذكره تعالى في دعاء الملائكة «رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» X الآية X: المؤمن: ٨.

و في تفسير القمي، "قوله: «لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْتِي» قال: ليس في الجنة غناء ولا فحش، ويشرب المؤمن ولا يأثم» وَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ قَالَ: في الجنة.

## [سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٤]

### اشاره

فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سِلْسِلَةٌ يُتَمَعُونَ فِيهَا فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)

لما أخبر عن العذاب الواقع يوم القيامة و أنه سيصيب المكذبين، و المتقون في جنات و نعيم قريره العيون أمر النبي ص أن يمضى في دعوته و تذكرته مشيرا إلى أنه صالح لإقامه الدعوه الحقه، و لا عذر لهؤلاء المكذبين في تكذيبه و رد دعوته.

فنفى جميع الأعذار المتصوره لهم و هى ستة عشر أمرا شطر منها راجع إلى النبي ص لو تحقق شىء منه فيه سلب صلاحيته للاتباع و كان مانعا عن قبول قوله ككونه كاهنا أو مجنونا أو شاعرا أو متقولا مفتريا على الله و كسؤاله الأجر على دعوته و شطر منها راجع إلى المكذبين أنفسهم مثل كونهم خلقوا من غير شىء أو كونهم الخالقين أو أمر عقولهم بالتكذيب إلى غير ذلك و لا تخلو الآيات مع ذلك عن توبيخهم الشديد على التكذيب.

قوله تعالى: «فَذَكِّرْهُمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لَأَمْجُنُونٍ» تفريع على ما مر من الإخبار المؤكد بوقوع العذاب الإلهى يوم القيامة، و أنه سيغشى المكذبين و المتقون في وقايه منه متلدزون بنعيم الجنه.

فالآيه فى معنى أن يقال: إذا كان هذا حقا فذكر فإنما تذكر و تنذر بالحق و لست كما يرمونك كاهنا أو مجنونا.

و تقييد النفى بقوله: «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» يفيد معنى الامتنان على النبي ص خاصة و ليس هذا الامتنان الخاص من جهه مجرد انتفاء الكهانه و الجنون فأكثر الناس على هذه الصفه بل من وجهه تلبسه (ص) بالنعمة الخاصه به المانع من عروض هذه الصفات عليه من كهانه أو جنون و غير ذلك.

قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» أم منقطعه، و التربص

الانتظار، و في مجمع البيان: التربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها و المنون المنيه و الموت، و الريب القلق و الاضطراب. فريب المنون قلق الموت.

و محصل المعنى: بل يقولون هو أي النبي ص شاعر ننتظر به الموت حتى يموت و يخمد ذكره و ينسى رسمه فنستريح منه.

قوله تعالى: « قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » أمر النبي ص أن يأمرهم بالتربص كما رضوا لأنفسهم ذلك، و هو أمر تهديدي أي تربصوا كما ترون لأنفسكم ذلك فإن هناك أمر من حقه أن ينتظر وقوعه، و أنا أنتظره مثلكم لكنه عليكم لا لكم و هو هلاككم و وقوع العذاب عليكم.

قوله تعالى: « أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا » الأحلام جمع حلم و هو العقل، و أم منقطعه و الكلام بتقدير الاستفهام و الإشاره بهذا إلى ما يقولونه للنبي ص و يتربصون به.

و المعنى: بل أ تأمرهم عقولهم أن يقولوا هذا الذي يقولونه و يتربصوا به الموت؟ فأى عقل يدفع الحق بمثل هذه الأباطيل؟.

قوله تعالى: « أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ » أي إن عقولهم لم تأمرهم بهذا بل هم طاغون حملهم على هذا طغيانهم.

قوله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ » قال في المجمع: التقول تكلف القول و لا يقال ذلك إلا في الكذب، و المعنى بل يقولون: افتعل القرآن و نسبه إلى الله كذبا و افتراء. لا بل لا يؤمنون فيرمونه بهذه الفريه.

قوله تعالى: « فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ » جواب عن قولهم: « تَقَوَّلَهُ » بأنه لو كان كلاما للنبي ص كان كلاما بشريا مماثلا لسائر الكلام و يماثله سائر الكلام فكان يمكنهم أن يأتوا بحديث مثله فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في دعواهم التقول بل هو كلام إلهي لا تحفه عليه دلائل الإعجاز يعجز البشر عن إتيان مثله، و قد تقدم الكلام في وجوه إعجاز القرآن في تفسير سورة البقره الآيه ٢٣ تفصيلا.

و يمكن أن تؤخذ الآيه ردا لجميع ما تقدم من قولهم المحكى إنه كاهن أو مجنون أو



شاعر أو متقول لأن عجز البشر عن الإتيان بمثله يأبى إلا أن يكون كلام الله سبحانه لكن الأظهر ما تقدم.

قوله تعالى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» إتيان «شَيْءٍ» منكرًا بتقدير صفه تناسب المقام و التقدير من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر.

و المعنى: بل أخلق هؤلاء المكذبون من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر فصلح لإرسال الرسول و الدعوه إلى الحق و التلبس بعبوديته تعالى فهؤلاء لا يتعلق بهم تكليف و لا يتوجه إليهم أمر و لا نهى و لا تستتبع أعمالهم ثوابا و لا عقابا لكونهم مخلوقين من غير ما خلق منه غيرهم.

و فى معنى الجملة أقوال آخر.

فقيل: المراد أم أحدثوا و قدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر و خالق فلا حاجه لهم إلى خالق يدبر أمرهم.

و قيل: المراد أم خلقوا من غير شيء حتى فهم لا يؤمرون و لا ينهون كالجمادات.

و قيل: المعنى أم خلقوا من غير عله و لا لغايه ثواب و عقاب فهم لذلك لا يسمعون.

و قيل: المعنى أم خلقوا باطلا لا يحاسبون و لا يؤمرون و لا ينهون.

و ما قدمناه من المعنى أقرب إلى لفظ الآية و أشمل.

و قوله: «أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» أى لأنفسهم فليسوا مخلوقين لله سبحانه حتى يربهم و يدبر أمرهم بالأمر و النهى.

قوله تعالى: «أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» أى أم أخلقوا العالم حتى يكونوا أربابا آلهه و يجلوا من أن يستعبدوا و يكلفوا بتكليف العبوديه بل هم قوم لا يوقنون.

قوله تعالى: «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ» أى بل أ عندهم خزائن ربك حتى يرزقوا النبوه من شاءوا و يمسكوها عن شاءوا فيمنعوك النبوه و الرساله.

و قوله: «أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ» السيطره - و ربما يقلب سينها صادًا- الغلبه و القهر و المعنى: بل أ هم الغالبون القاهرون على الله سبحانه حتى يسلبوا عنك ما رزقك الله من النبوه و الرساله.

قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسِيئَتَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» السلم المرقاه ذات الدرج التي يتوسل بالصعود فيه إلى الأمكنه العالیه، والاستماع مضمن معنى الصعود، والسلطان الحجج و البرهان.

و المعنى: بل أ عندهم سلم يصعدون فيه إلى السماء فيستمعون بالصعود فيه الوحي فيأخذون ما يوحى إليهم و يردون غيره؟ فليأت مستمعهم أى المدعى للاستماع منهم بحججه ظاهره.

قوله تعالى: «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ» قيل: فيه تسفيه لعقولهم حيث نسبوا إليه تعالى ما أنفوا منه.

قوله تعالى: «أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» قال الراغب: الغرم -بالضم فالسكون- ما ينوب الإنسان فى ماله من ضرر لغير جنايه منه أو خيانه انتهى و الإثقال تحميل الثقل و هو كناية عن المشقه.

و المعنى: بل أ تسألهم أجرا على تبليغ رسالتك فهم يتخرجون عن تحمل الغرم الذى ينوبهم بتأديه الأجر؟.

قوله تعالى: «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» ذكر بعضهم أن المراد بالغيب اللوح المحفوظ المكتوب فيه الغيوب و المعنى: بل أ عندهم اللوح المحفوظ يكتبون منه و يخبرون به الناس فما أخبروا به عنك من الغيب الذى لا ريب فيه.

و قيل: المراد بالغيب علم الغيب، و بالكتابة الإثبات و المعنى: بل أ عندهم علم الغيب فهم يثبتون ما علموه شرعا للناس عليهم أن يطيعوهم فيما أثبتوا، و قيل: يكتبون بمعنى يحكمون.

قوله تعالى: «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ» الكيد ضرب من الاحتيال على ما ذكره الراغب، و فى المجمع: الكيد هو المكر، و قيل: هو فعل ما يوجب الغيظ فى خفيه. انتهى.

ظاهر السياق أن المراد بكيدهم هو مكرهم بالنبي ص بما رموه به من الكهانه و الجنون و الشعر و التقول ليعرض عنه الناس و يتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته و ينطفئ نوره، و هذا كيد منهم و مكر بأنفسهم حيث يحرمون لها السعاده الخالده و الركوب على

صراط الحق بذلك بل كيد من الله بقطع التوفيق عنهم و الطبع على قلوبهم.

وقيل: المراد بالكيد الذى يريدونه هو ما كان منهم فى حقه (ص) فى دار الندوه و المراد بالذين كفروا المذكورون من المكذبين و هم أصحاب دار الندوه، و قد قلب الله كيدهم إلى أنفسهم فقتلهم يوم بدر، و الكلام على هذا من الإخبار بالغيب لنزول السوره قبل ذلك بكثير، و هو بعيد من السياق.

قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» فإنهم إذا كان لهم إله غير الله كان هو الخالق لهم و المدبر لأمرهم فاستغنوا بذلك عن الله سبحانه و استجابته دعوه رسوله و نصرهم إلههم و دفع عنهم عذاب الله الذى أوعده به المكذبين و أنذرهم به رسوله.

و قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» تنزيه له تعالى أن يكون له شريك كما يدعون، و ما فى قوله: «عَمَّا يُشْرِكُونَ» مصدرية أى سبحانه عن شركهم.

قوله تعالى: «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ» الكسف بالكسر فالسكون القطعه، و الماركوم المتراكم الواقع بعضه على بعض.

و المعنى: أن كفرهم و إصرارهم على تكذيب الدعوه الحقه بلغ إلى حيث لو رأوا قطعه من السماء ساقطاً عليهم لقالوا سحاب متراكم ليست من آيه العذاب فى شىء فهو كقوله: «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ أَبْصَارُنَا» الحجر: ١٥.

## [سوره الطور (٥٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

### إشارة

فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَإِصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

الآيات تختم السوره و تأمر النبي ص أن يترك أولئك المكذبين و شأنهم و لا يتعرض لحالهم، و أن يصبر لحكم ربه و يسبح بحمده، و فى خلالها مع ذلك تكرر إيعادهم بما أوعدهم به فى أول السوره من عذاب واقع ليس له من دافع، و تضيف إليه الإيعاد بعذاب آخر دون ذلك للذين ظلموا.

قوله تعالى: «فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» ذرهم أمر بمعنى اتركهم و هو فعل لم يستعمل من تصريفاته إلا المستقبل و الأمر، و «يصعقون» من الإصعاق بمعنى الإماتة و قيل: من الصعق بمعنى الإماتة.

لما أنذر سبحانه المكذبين لدعوته بعذاب واقع لا ريب فيه ثم رد جميع ما تعلق به أو يفرض أن يتعلل به أولئك المكذبون، و ذكر أنهم فى الإصرار على الباطل بحيث لو عاينوا أوضح آيه للحق أولوه و ردوه، أمر نبيه ص أن يتركهم و شأنهم، و هو تهديد كئانى بشمول العذاب لهم و حالهم هذه الحال.

و المراد باليوم الذى فيه يصعقون يوم نفخ الصور الذى يصعق فيه من فى السماوات و الأرض و هو من أشرط الساعة قال تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ»: الزمر: ٦٨.

و يؤيد هذا المعنى قوله فى الآيه التاليه: «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» فإن انتفاء إغناء الكيد و النصر من خواص يوم القيامة الذى يسقط فيه عامه الأسباب و الأمر يومئذ لله.

و استشكل بأنه لا يصعق يوم النفخ إلا من كان حيا و هؤلاء ليسوا بأحياء يومئذ و الجواب أنه يصعق فيه جميع من فى الدنيا من الأحياء و من فى البرزخ من الأموات و هؤلاء إن لم يكونوا فى الدنيا ففى البرزخ.

على أنه يمكن أن يكون ضمير «يُصْعَقُونَ» راجعا إلى الأحياء يومئذ، و التهديد إنما هو بالعذاب الواقع فى هذا اليوم لا بالصعقه التى فيه.

و قيل: المراد به يوم بدر و هو بعيد، و قيل: المراد به يوم الموت، و فيه أنه لا

يلتئم السياق الظاهر فى التهديد بما وقع فى أول السوره و هو عذاب يوم القيامة لا عذاب يوم الموت.

قوله تعالى: «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» لا يبعد أن يكون المراد به عذاب القبر، وقوله: «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» مشعر بأن فيهم من يعلم ذلك لكنه يصر على كفره و تكذيبه عنادا و قيل: المراد به يوم بدر لكن ذيل الآيه لا يلائمه تلك الملاءمه.

قوله تعالى: «وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» عطف على قوله: «فَدَرْهُمْ» و ظاهر السياق أن المراد بالحكم حكمه تعالى فى المكذبين بالإمهال و الإملاء و الطبع على قلوبهم، و فى النبى ص أن يدعو إلى الحق بما فيه من الأذى فى جنب الله فالمراد بقوله: «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» إنك بمرأى منا نراك بحيث لا- يخفى علينا شىء من حالك و لا نغفل عنك ففى تعليل الصبر بهذه الجملة تأكيد للأمر بالصبر و تشديد للخطاب.

و قيل: المراد بقوله: «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» إنك فى حفظنا و حراستنا فالعين مجاز عن الحفظ، و لعل المعنى المتقدم أنسب للسياق.

قوله تعالى: «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَ مِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِذْ بَارَ النُّجُومِ» الباء فى «بِحَمْدِ» للمصاحبه أى سبح ربك و نزهه حال كونه مقارنا لحمده.

و المراد بقوله: «حِينَ تَقُومُ» قيل هو القيام من النوم، و قيل: هو القيام من القائله، فهو صلاه الظهر، و قيل: هو القيام من المجلس، و قيل: هو كل قيام، و قيل:

هو القيام إلى الفريضة و قيل: هو القيام إلى كل صلاه، و قيل: هو الركعتان قبل فريضة الصبح سبعة أقوال كما ذكره الطبرسى.

و قوله: «وَ مِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ» أى من الليل فسبح ربك فيه، و المراد به صلاه الليل، و قيل: المراد صلاتا المغرب و العشاء الآخره.

و قوله: «وَ إِذْ بَارَ النُّجُومِ» قيل: المراد به وقت إدبار النجوم و هو اختفاؤها بضوء الصبح، و هو الركعتان قبل فريضة الصبح، و قيل: المراد فريضة الصبح، و قيل:

المراد تسيحه تعالى صباحا و مساء من غير غفله عن ذكره.

فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « وَ سَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ » قال: لصلاه الليل « فَسَبَّحْهُ » قال: صلاه الليل .:

أقول: وروى هذا المعنى فى مجمع البيان، عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع) .

وفيه، بإسناده عن الرضا (ع) قال: أدبار السجود أربع ركعات بعد المغرب- و إدبار النجوم ركعتان قبل صلاه الصبح .:

أقول: وروى ذيله فى المجمع، عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع)، و القمى، بإسناده عن زراره عن أبى جعفر (ع) .

وقد ورد من طرق أهل السنه فى عده من الروايات: أن النبى ص كان إذا قام من مجلسه- سبح الله و حمده- و يقول: إنه كفاره المجلس لكنها غير ظاهره فى كونها تفسيراً للآيه.

### (٥٣) سورة النجم مكيه و هى اثنان و ستون آيه (٦٢)

[سورة النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٨]

#### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُنْمِزُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَىٰ (١٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَعْشَىٰ الْسُدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)

غرض السوره تذڪير الأصول الثلاثة: وحدانيته تعالى في ربوبيته و المعاد و النبوه فتبدأ بالنبوه فتصدق الوحي إلى النبي ص و تصفه ثم تتعرض للوحدانيه فتفتي الأوثان و الشركاء أبلغ النفي ثم تصف انتهاء الخلق و التدبير إليه تعالى من إحياء و إماته و إضحاك و إبكاء و إغناء و إقناء و إهلاك و تعذيب و دعوه و إنذار، و تختتم الكلام بالإشاره إلى المعاد و الأمر بالسجده و العباده.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها و لا يصغى إلى قول بعضهم بكون بعض آياتها أو كلها مدنيه، و قد قيل: إنها أول سوره أعلن النبي ص بقراءتها فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعاً، و من غرر الآيات فيها قوله تعالى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ» و قوله:

«وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ.»

و ما أوردناه من الآيات هي الفصل الأول من فصول السوره الثلاثة و هي الآيات اللاتي تصدق الوحي إلى النبي ص و تصفه، لكن هناك روايات مستفيضه عن أئمه أهل البيت (ع) ناصه على أن المراد بالآيات ليس بيان صفه كل وحى بل بيان وحى المشافهه الذي أوحاه الله سبحانه إلى نبيه ص ليله المعراج فالآيات متضمنه لقصه المعراج و ظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات و هو المستفاد أيضاً من أقوال بعض الصحابه كابن عباس و أنس و أبي سعيد الخدرى و غيرهم على ما روى عنهم و على ذلك جرى كلام المفسرين و إن اشتد الخلاف بينهم في تفسير مفرداتها و جملها.

قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ» ظاهر الآيه أن المراد بالنجم هو مطلق الجرم

السماوى المضىء و قد أقسم الله فى كتابه بكثير من خلقه و منها عده من الأجرام السماويه كالشمس و القمر و سائر السيارات، و على هذا فالمراد بهوى النجم سقوطه للغروب.

و قيل: المراد بالنجم القرآن لنزوله نجومًا، و قيل: الثريا، و قيل: الشعري، و قيل: الشهاب الذى يرمى به شياطين الجن لأن العرب تسميه نجما، و للهوى ما يناسب لكل من هذه الأقوال من المعنى، لكن لفظ الآيه لا يساعد على شىء من هذه المعانى.

قوله تعالى: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ» الضلال الخروج و الانحراف عن الصراط المستقيم، و الغى خلاف الرشده الذى هو إصابه الواقع، قال الراغب: الغى جهل من اعتقاد فاسد، و ذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا- فاسدا و قد يكون من اعتقاد شىء فاسد، و هذا النحو الثانى يقال له غى، قال تعالى: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ». انتهى. و المراد بالصاحب هو النبى ص.

و المعنى: ما خرج صاحبكم عن الطريق الموصول إلى الغايه المطلوبه و لا أخطأ فى اعتقاده و رأيه فيها، و يرجع المعنى إلى أنه لم يخطئ لا فى الغايه المطلوبه التى هى السعاده الإنسانيه و هو عبوديته تعالى، و لا فى طريقها التى تنتهى إليها.

قوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» المراد بالهوى هوى النفس و رأيها، و النطق و إن كان مطلقا ورد عليه النفسى و كان مقتضاه نفى الهوى عن مطلق نطقه (ص) لكنه لما كان خطابا للمشركين و هم يرمونه فى دعوته و ما يتلو عليهم من القرآن بأنه كاذب متقول مفتر على الله سبحانه كان المراد بقرينه المقام أنه (ص) ما ينطق فيما يدعوكم إلى الله أو فيما يتلوه عليكم من القرآن عن هوى نفسه و رأيه بل ليس ذلك إلا وحيا يوحى إليه من الله سبحانه.

قوله تعالى: «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ» ضمير «عَلَّمَهُ» للنبى ص أو للقرآن بما هو وحي أو لمطلق الوحي و المفعول الآخر لعلمه محذوف على أى حال و التقدير علم النبى الوحي أو علم القرآن أو الوحي إياه.

و المراد بشديد القوى- على ما قالوا- جبريل و قد وصفه الله بالقوه فى قوله:

«ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ»: التكوير: ٢٠، و قيل: المراد به هو الله سبحانه.

قوله تعالى: «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ» المره بكسر الميم الشده، و حصافه العقل



و الرأى و بناء نوع عن المرور و قد فسرت المره فى الآيه بكل من المعانى الثلاثه مع القول بأن المراد بذى مره جبريل، و المعنى: هو أى جبريل ذو شده فى جنب الله أو هو ذو حصافه فى عقله و رأيه، أو هو ذو نوع من المرور بالنبى ص و هو فى الهواء.

و قيل: المراد بذى مره النبى ص فهو ذو شده فى جنب الله أو ذو حصافه فى عقله و رأيه أو ذو نوع من المرور عرج فيه إلى السماوات.

و قوله: «فَاسْتَوَىٰ» بمعنى استقام أو استولى و ضمير الفاعل راجع إلى جبريل و المعنى: فاستقام جبريل على صورته الأصلية التى خلق عليها على ما روى أن جبريل كان ينزل على النبى ص فى صور مختلفه، و إنما ظهر له فى صورته الأصلية مرتين أو المعنى: فاستولى جبريل بقوته على ما جعل له من الأمر.

و إن كان الضمير للنبى ص فالمعنى فاستقام و استقر.

قوله تعالى: «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ» الأفق الناحيه قيل: المراد بالأفق الأعلى ناحيه الشرق من السماء لأن أفق المشرق فوق المغرب فى صعيد الأرض لا فى الهواء و هو كما ترى و الظاهر أن المراد به أفق أعلى من السماء من غير اعتبار كونه أفقا شرقيا.

و ضمير هو فى الآيه راجع إلى جبريل أو إلى النبى ص، و الجملة حال من ضمير «فَاسْتَوَىٰ».

قوله تعالى: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ» الدنو القرب، و التدلى التعلق بالشىء و يکنى به عن شده القرب، و قيل: الامتداد إلى جهه السفلى مأخوذ من الدلو.

و المعنى: على تقدير رجوع الضميرين لجبريل: ثم قرب جبريل فتعلق بالنبى ص ليعرج به إلى السماوات، و قيل: ثم تدلى جبريل من الأفق الأعلى فدنا من النبى ص ليعرج به.

و المعنى: على تقدير رجوع الضميرين إلى النبى ص: ثم قرب النبى من الله سبحانه و زاد فى القرب.

قوله تعالى: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ» قال فى المجمع: القاب و القيب و القاد و القيد عباره عن مقدار الشىء انتهى. و القوس معروفه و هى آله الرمى، و يقال قوس على الذراع فى لغه أهل الحجاز على ما قيل.

و المعنى: فكان البعد قدر قوسين أو قدر ذراعين أو أقرب من ذلك.

و قيل: القاب ما بين مقبض القوس و سيتها فى الكلام قلب و المعنى: فكان قابى قوس، و اعترض عليه بأن قابى قوس و قاب قوسين واحد فلا موجب للقلب.

قوله تعالى: « فَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا عَبْدِهِ مَا أَنزَلْنَا » ضمير أوحى فى الموضوعين لجبريل على تقدير رجوع الضمائر السابقه إلى جبريل، و المعنى: فأوحى جبريل إلى عبد الله و هو النبى ص ما أوحى، قيل: و لا ضمير فى رجوع الضمير إليه تعالى من عدم سبق الذكر لكونه فى غايه الوضوح. أو الضمائر الثلاث لله و المعنى: فأوحى الله بتوسط جبريل إلى عبده ما أوحى أو الضمير الأول لجبريل و الثانى و الثالث لله و المعنى فأوحى جبريل ما أوحى الله إليه إلى عبد الله.

و الضمائر الثلاث كلها لله على تقدير رجوع الضمائر السابقه إلى النبى ص و المعنى:

فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، و هذا المعنى أقرب إلى الذهن من المعنى السابق الذى لا- يرتضيه الذوق السليم و إن كان صحيحا.

قوله تعالى: « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ » الكذب خلاف الصدق يقال: كذب فلان فى حديثه، و يقال: كذبه الحديث بالتعدى إلى مفعولين أى حدثه كذبا، و الكذب كما يطلق على القول و الحديث الذى يلفظه اللسان كذلك يطلق على خطأ القوه المدركه يقال: كذبتة عينه أى أخطأت فى رؤيتها.

و نفى الكذب عن الفؤاد إنما هو بهذا المعنى سواء أخذ الكذب لازما و التقدير ما كذب الفؤاد فيما رأى أو متعديا إلى مفعولين، و التقدير ما كذب الفؤاد-فؤاد النبى- النبى ما رآه أى إن رؤيه فؤاده فيما رآه رؤيه صادقه.

و على هذا فالمراد بالفؤاد فؤاد النبى ص، و ضمير الفاعل فى « مَا رَأَىٰ » راجع إلى الفؤاد و الرؤيه رؤيته.

و لا بدع فى نسبة الرؤيه و هى مشاهده العيان إلى الفؤاد فإن للإنسان نوعا من الإدراك الشهودى وراء الإدراك ياحدى الحواس الظاهره و التخيل و التفكير بالقوى الباطنه كما إننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى و ليست هذه المشاهده العيانيه إبصارا بالبصر و لا معلوما بفكر، و كذا نرى من أنفسنا أننا نسمع و نشم و نذوق و نلمس و نشاهد أننا

نتخيل و نتفكر و ليست هذه الرؤيه ببصر أو بشىء من الحواس الظاهره أو الباطنه فإننا كما نشاهد مدركات كل واحده من هذه القوى بنفس تلك القوه كذلك نشاهد إدراك كل منا لمدرکها و ليس هذه المشاهده بنفس تلك القوه بل بأنفسنا المعبر عنها بالفؤاد.

و ليس فى الآيه ما يدل على أن متعلق الرؤيه هو الله سبحانه و أنه لمرى له (ص) بل المرئى هو الأفق الأعلى و الدنو و التدلى و أنه أوحى إليه فهذه هى المذكوره فى الآيات السابقه و هى آيات له تعالى، و يؤيد ذلك ما ذكره تعالى فى النزله الأخرى من قوله: «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى».

على أنها لو دلت على تعلق الرؤيه به تعالى لم يكن به بأس فإنها رؤيه القلب و رؤيه القلب غير رؤيه البصر الحسيه التى تتعلق بالأجسام و يستحيل تعلقها به تعالى و قد قدمنا كلاما فى رؤيه القلب فى تفسير سوره الأعراف الآيه ١٤٣.

و ما قيل: إن ضمير «مَا رَأَى» للنبى ص و المعنى: ما قال فؤاده (ص) لما رآه ببصره لم أعرفك و لو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، و محصله أن فؤاده صدق بصره فيما رآه.

و كذا ما قيل: إن المعنى أن فؤاده لم يكذب بصره فيما رآه بل صدقه و اعتقد به، و يؤيده قراءه من قرأ «مَا كَذَبَ» بتشديد الذال.

ففيه أن الذى يعطيه سياق الآيات تأييده تعالى صدق النبى ص فيما يدعيه من الوحي و رؤيه آيات الله الكبرى، و لو كان ضمير «مَا رَأَى» للنبى ص كان محصل معنى الآيه الاحتجاج على صدق رؤيته باعتقاده ذلك بفؤاده و هو بعيد من دأب القرآن و هذا بخلاف ما لو رجع ضمير «مَا رَأَى» إلى الفؤاد فإن محصل معناه تصديقه تعالى لفؤاده فيما رآه و يجرى الكلام على السياق السابق الأخذ من قوله: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْوَحَىٰ» إلخ.

فإن قلت: إنه تعالى يحتج فى الآيه التاليه «أَفْتَمَّازُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ» برؤيته (ص) على صدقه فيما يدعيه فليكن مثله الاحتجاج باعتقاد فؤاده بما يراه بعينه.

قلت: ليس قوله: «أَفْتَمَّازُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ» مسوقا للاحتجاج برؤيته على صدقه بل توبيخ على مماراتهم إياه (ص) على أمر يراه و يبصره و مجادلتهم إياه فيه، و المماراه و المجادله

إنما تصح-لو صحت-فى الآراء النظرية و الاعتقادات الفكرية و أما فيما يرى و يشاهد عيانا فلا معنى للمماراه و المجادله فيه، و هو(ص)إنما كان يخبرهم بما يشاهده عيانا لا عن فكر و تعقل.

قوله تعالى: « أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ » الاستفهام للتوبيخ و الخطاب للمشركين و الضمير للنبي ص، و المماراه الإصرار على المجادله، و المعنى: أففتصرون فى جدالكم على النبي ص أن يدعن بخلاف ما يدعيه و يخبركم به و هو يشاهد ذلك عيانا.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ » النزله بناء مره من النزول فمعناه نزول واحد، و تدل الآيه على أن هذه قصه رؤيه فى نزول آخر و الآيات السابقه تقص نزولا آخر غيره.

و قد قالوا: إن ضمير الفاعل المستكن فى قوله « رَأَاهُ » للنبي ص، و ضمير المفعول لجبريل، و على هذا فالنزله نزول جبريل عليه(ص) ليعرج به إلى السماوات، و قوله: « عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنتَهَىٰ » ظرف للرؤيه لا- للنزله، و المراد برؤيته رؤيته و هو فى صورته الأصلية.

و المعنى: أنه نزل عليه(ص) نزله أخرى و عرج به إلى السماوات و تراءى له(ص) عند سدره المنتهى و هو فى صورته الأصلية.

و قد ظهر مما تقدم صحه إرجاع ضمير المفعول إليه تعالى و المراد بالرؤيه رؤيه القلب و المراد بنزله أخرى نزله النبي ص عند سدره المنتهى فى عروجه إلى السماوات فالمفاد أنه(ص) نزل نزله أخرى أثناء معراجه عند سدره المنتهى فرآه بقلبه كما رآه فى النزله الأولى.

قوله تعالى: « عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ » السدر شجر معروف و التاء للوحده و المنتهى- كأنه- اسم مكان و لعل المراد به منتهى السماوات بدليل كون الجنة عندها و الجنة فى السماء، قال تعالى: « وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ »: الذاريات: ٢٢.

و لا يوجد فى كلامه تعالى ما يفسر هذه الشجره، و كان البناء على الإبهام كما يؤيده قوله بعد: « إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ » و قد فسر فى الروايات أيضا بأنها شجره فوق السماء السابعة إليها تنتهى أعمال بنى آدم و ستمر ببعض هذه الروايات.

و قوله: « عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ » أى الجنة التى يأوى إليها المؤمنون و هى جنة الآخرة فإن جنة البرزخ جنة معجله محدوده بالبعث، قال تعالى: « فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ »

نُزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» :السجده: ١٩، وقوله: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ -X إلى أن قال X- فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» :النازعات: ٤١ و هي في السماء على ما يدل عليه قوله تعالى: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» :الذاريات: ٢٢ وقيل: المراد بها جنه البرزخ.

وقوله: «إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ» غشيان الشيء الإحاطه به، و«مَا» موصوله والمعنى: إذ يحيط بالسدره ما يحيط بها، و قد أبهم تعالى هذا الذي يعشى السدره و لم يبين ما هو كما تقدمت الإشارة إليه.

قوله تعالى: «مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَغَىٰ» الزيغ الميل عن الاستقامه، و الطغيان تجاوز الحد في العمل، و زيغ البصر إدراكه المبصر على غير ما هو عليه، و طغيانه إدراكه ما لا حقيقه له، و المراد بالبصر بصر النبي ص.

و المعنى: أنه (ص) لم يبصر ما أبصره على غير صفته الحقيقيه و لا أبصر ما لا حقيقه له بل أبصر غير خاطئ في إبصاره.

و المراد بالإبصار رؤيته (ص) بقلبه لا- بجارحه العين فإن المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله: «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ» المشير إلى مماثله هذه الرؤيه لرؤيه النزله الأولى التي يشير إليها بقوله: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتِمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ» فافهم و لا تغفل.

قوله تعالى: «لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ» «مِنْ» للتبويض، و المعنى:

أقسم لقد شاهد بعض الآيات الكبرى لربه، و بذلك تم مشاهدته بقلبه فإن مشاهدته تعالى بالقلب إنما هي بمشاهده آياته بما هي آياته فإن الآيه بما هي آيه لا تحكى إلا ذا الآيه و لا تحكى عن نفسه شيئاً و إلا لم تكن من تلك الجهة آيه.

و أما مشاهده ذاته المتعالیه من غير توسط آيه و تخلل حجاب فمن المستحيل ذلك قال تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» :طه: ١١٠.

### (بحث روائي)

في تفسير القمي، في قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ» قال: النجم رسول الله ص - «إِذَا هَوَىٰ» لما أسرى به إلى السماء و هو في الهوى.

أقول: و روى تسميته (ص) بالنجم بإسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا (ع)، و هو من البطن.

و فى الكافى، عن القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى جعفر (ع): قول الله عز و جل: «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ» وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ» و ما أشبه ذلك؟ قال: إن الله عز و جل أن يقسم من خلقه بما شاء، و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به.:

أقول: و فى الفقيه، عن على بن مهزيار عن أبى جعفر الثانى: مثله .

و فى المجمع، و روت العامه عن جعفر الصادق أنه قال: إن محمدا ص نزل من السماء السابعه ليله المعراج- و لما نزلت السوره أخبر بذلك عتبه بن أبى لهب- فجاء إلى النبى ص و طلق ابنته و تفل فى وجهه و قال: كفرت بالنجم و رب النجم، فدعا (ص) عليه و قال:

اللهم سلط عليه كلبا من كلابك.

فخرج عتبه إلى الشام فنزل فى بعض الطريق- و ألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه- أنيمونى بينكم ليلا ففعلوا- فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

أقول: ثم أورد الطبرسى شعر حسان فى ذلك، و روى فى الدر المنثور، القصة بطرق مختلفه.

و فى الكافى، بإسناده إلى هشام و حماد و غيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول:

حديثى حديث أبى و حديث أبى حديث جدى- و حديث جدى حديث الحسين- و حديث الحسين حديث الحسن- و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين- و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ص- و حديث رسول الله ص قول الله عز و جل.

و فى تفسير القمى، بإسناده إلى ابن سنان فى حديث: قال أبو عبد الله (ع): و ذلك أنه يعنى النبى ص أقرب الخلق إلى الله تعالى- و كان بالمكان الذى- قال له جبرئيل لما أسرى به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطأت موطنًا- لم يطأه ملك مقرب و لا نبى مرسل، و لو لا- أن روحه و نفسه- كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، و كان من الله عز و جل كما قال الله عز و جل: «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ» أى بل أدنى.

و فى الاحتجاج، عن على بن الحسين (ع) فى حديث طويل: أنا ابن من علا فاستعلى فجاز صدره المنتهى- فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

أقول: وقد ورد هذا المعنى فى كثير من روايات أئمه أهل البيت (ع).

وفى الدر المنثور، أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال: "لما أسرى بالنبى ص اقترب من ربه- فكان قاب قوسين أو أدنى. قال: ألم تهب إلى القوس ما أقربها من الوتر؟ وفيه، أخرج ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عباس: "فى قوله: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» قال: هو محمد ص دنا فتدلى إلى ربه عز و جل.

وفى المجمع، و روى مرفوعا عن أنس قال: قال رسول الله ص: فى قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قال: قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين.

وفى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ عَبْدُهُ مَا أَوْحَىٰ» قال: وحي مشافهه.

وفى التوحيد، بإسناده إلى محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن (ع) هل رأى رسول الله ص ربه عز و جل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما ما سمعت الله عز و جل يقول:

«مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ»؟ لم يره بالبصر و لكن رآه بالفؤاد.

وفى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى عن بعض أصحاب النبى ص قال: قالوا: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال:

لم أره بعينى و رأيت به فؤادى مرتين- ثم تلا «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى».

أقول: و روى هذا المعنى النسائى عن أبى ذر- على ما فى الدر المنثور، - و لفظه:

رأى رسول الله ص ربه بقلبه و لم يره ببصره.

و عن صحيح مسلم، و الترمذى و ابن مردويه عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ص:

هل رأيت ربك؟ فقال: نورانى أراه.

أقول: «نورانى» منسوب إلى النور على خلاف القياس كجسمانى فى النسبه إلى جسم، و قرئ «نور إنى أراه» بتنوين الراء و كسر الهمزة و تشديد النون ثم ياء المتكلم، و الظاهر أنه تصحيف و إن أيد بروايه أخرى

عن مسلم فى صحيحه و ابن مردويه عن أبى ذر:

أنه سأل رسول الله ص: هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نورا.

و كيف كان فالمراد بالرؤية رؤيه القلب فلا الرؤيه رؤيه حسيه و لا النور نور حسى.

و فى الكافى، ياسناده عن صفوان بن يحيى قال: سألتنى أبو قره المحدث أن أدخله إلى

ص: ٣٤



أبى الحسن الرضا(ع)-فاستأذنته فى ذلك فأذن لى-فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام.إلى قوله:قال أبو قره:فإنه يقول:« وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى » فقال أبو الحسن (ع):إن بعد هذه الآيه ما يدل على ما رأى حيث قال:« مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » يقول:ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه-ثم أخبر بما رأى فقال:« لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى »و آيات الله غير الله.

أقول:الظاهر أن كلامه(ع)مسوق لإلزام أبى قره حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسيه فألزمه بأن الرؤيه إنما تعلقت بالآيات و آيات الله غير الله و لا-ينافى ذلك كون رؤيه الآيات بما هى آياته رؤيته و إن كانت آياته غيره،و هذه الرؤيه إنما كانت بالقلب كما مرت عدة من الروايات فى هذا المعنى.

و فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن ابن أبى عمير عن هشام عن أبى عبد الله(ع) قال:قال النبى ص: انتهيت إلى صدره المنتهى-و إذا الورقه منها تظل أمه من الأمم-فكنت من ربهى كقاب قوسين أو أدنى.

و فى الدر المنثور،أخرج أحمد و ابن جرير عن أنس قال:قال رسول الله ص:

انتهيت إلى الصدره فإذا نبقها مثل الجراد،و إذا ورقها مثل آذان الفيله-فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتا-و زمردا و نحو ذلك.

و فى تفسير القمى،ياسناده إلى إسماعيل الجعفى عن أبى جعفر(ع)فى حديث طويل: فلما انتهى به إلى صدره المنتهى تخلف عنه جبرئيل-فقال رسول الله ص:فى هذا الموضع تخذلى؟فقال:تقدم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغا-لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك-فرايت من نور ربهى و حال بينى و بينه السبحه.

قلت:و ما السبحه جعلت فداك؟فأومى بوجهه إلى الأرض و أومأ بيده إلى السماء-و هو يقول:جلال ربهى جلال ربهى ثلاث مرات.

أقول:السبحه الجلال كما فسر فى الروايه،و السبحه ما يدل على تنزهه تعالى من خلقه و مرجعه إلى المعنى الأول،و محصل ذيل الروايه أنه(ص)رأى ربه برؤيه آياته.

وفيه،": فى قوله تعالى:« وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى - عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنتَهَى »قال:فى السماء السابعه.

وفيه، " في قوله تعالى: «إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى» قال: لما رفع الحجاب بينه وبين رسول الله ص -غشى نور السدره.

أقول: وفي المعاني السابقه روايات أخرى وقد تقدم في أول تفسير سورة الإسراء روايات جامعها لقصه معراج (ص).

وقد نقلنا هناك في ذيل الروايات الاختلاف في كيفية معراج (ص) أنه كان في المنام أو في اليقظه و على الثاني بجسمه و روحه معا أو بروحه فحسب، ونقلنا عن صاحب المناقب أن الإماميه ترى أن إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان بالروح و الجسم معا على ما تدل عليه آيه الإسراء، و أما من المسجد الأقصى إلى السماوات فقد قال قوم بكونه بالروح و الجسم معا أيضا و وافقهم كثير من الشيعة و مال بعضهم إلى كونه بالروح و مال إليه بعض المتأخرين.

ولا -ضير في القول به لو أيدته القرائن الحافه بالآيات و الروايات غير أن من الواجب حينئذ أن يحمل قوله تعالى: «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» على جنه البرزخ ليحمل كونها عندها على نحو من التعلق كما ورد أن القبر إما روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النار، أو توجه الآيه بما لا ينافي كون العروج في السماوات روحيا.

و أما كون الإسراء في المنام فقد تقدم في تفسير آيه الإسراء أنه مما لا ينبغي أن يلتفت إليه.

و أما تطبيق الإسراء إلى السماوات على تسييره (ص) ليلا في الكواكب الأخرى غير الأرض من منظومتنا الشمسيه أو في منظومات أخرى غير منظومتنا أو في مجرات أخرى غير مجرتنا فمما لا -يلائمه الأخبار الوارده في تفصيل القصه البته بل و لا -محصل مضامين الآيات المتقدمه.

## [سوره النجم (٥٣): الآيات ١٩ الى ٣٢]

### اشاره

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَذَاهَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمْ الذَّكْرَ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلنَّاسِ إِيْمَانٌ مَا تَمَنَىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَىٰ (٢٥) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَىٰ (٢٦) إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسَّيْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْيِيمَ الْأُنثَىٰ (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ بِكِبَائِرِ الْبَاثِمِ وَ الْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢)

شطر من آيات الفصل الثاني من الفصول الثلاثة في السوره تتعرض لأمر الأوثان و عبادتها بدعوى أنها ستشفع لهم و الرد عليهم أبلغ الرد، و فيها إشاره إلى أمر المعاد و هو مقصد الفصل الثالث.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» لما سجل في الآيات السابقة صدق النبي ص و أنه وحى يوحى إليه و ترتب عليه حقيه النبوه المبنيه على التوحيد و نفى الشركاء، فرع عليه الكلام في الأوثان: اللات و العزى و مناه و هى عند المشركين تماثيل للملائكة بدعوى أنهم إناث أو بعضها للملائكة و بعضها للإنسان كما قاله بعضهم و نفى ربوبيتها و ألوهيتها و استقلال الملائكة الذين هم أرباب الأصنام فى الشفاعة و أنوثيتهم و أشار إلى حقائق أخرى تنتج المعاد و جزاء الأعمال.

و اللات و العزى و مناه أصنام ثلاث كانت معبوده لعرب الجاهلية، و قد اختلفوا فى وصف صورها، و فى موضعها الذى كانت منصوبه عليه، و فى من يعبدها من العرب، و فى الأسباب التى أوجبت عبادتهم لها، و هى أقوال متدافعه لا سبيل إلى الاعتماد على شىء منها، و المتيقن منها ما أوردناه.

و المعنى: إذا كان الأمر على ما ذكرناه من حقيه الدعوه و صدق النبى ص فى دعوى الوحى و الرساله من عند الله سبحانه فأخبرونى عن اللات و العزى و مناه التى هى ثالثه الصنمين و غيرها- و هى التى تدعون أنها أصنام الملائكة الذين هم بنات الله على زعمكم-.

قوله تعالى: «أَلَكُمْ الذَّكَرَ وَ لَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ» استفهام إنكارى مشوب بالاستهزاء، و قسمه ضيزى أى جائره غير عادله.

و المعنى: إذا كان كذلك و كانت أرباب هذه الأصنام من الملائكة بنات الله، و أنتم لا ترضون لأنفسكم إلا الذكر من الأولاد فهل لكم الذكر و لله سبحانه الأنثى من الأولاد؟ تلك القسمة إذا قسمه جائره غير عادله- استهزاء-.

قوله تعالى: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا» للاث و العزى و مناه أو لها بما هى أصنام، و ضمير «سَمَّيْتُمُوهَا» للأسماء و تسميه الأسماء جعلها أسماء، و المراد بالسلطان البرهان.

و المعنى: ليست هذه الأصنام الآلهة إلا أسماء جعلتموها أسماء لها أنتم و آباؤكم ليست لهذه الأسماء وراءها مصاديق و مسميات ما أنزل الله معها برهاننا يستدل به على ربوبيتها و ألوهيتها.

و محصل الآيه الرد على المشركين بعدم الدليل على ألوهيه آلهتهم.

و قوله: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» ما موصوله و الضمير العائد

إليها محذوف أى الذى تهواه النفس، وقيل: مصدرية و التقدير هوى النفس و الهوى الميل الشهوانى للنفس و الجملة مسوقه لدمهم فى اتباع الباطل و تأكيد لما تقدم من أنه لا برهان لهم على ذلك.

و يؤكد قوله: «و لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى» و الجملة حالیه.

و المعنى: إن يتبع هؤلاء المشركون فى أمر آلهتهم إلا الظن و ما يميل إليه أنفسهم شهوه يتبعون ذلك و الحال أنه قد جاءهم من الله و هو ربهم الهدى و هى الدعوه الحقه أو القرآن الذى يهديهم إلى الحق.

و الالتفات فى الآيه من الخطاب إلى الغيبه للإشعار بأنهم أخط فهمًا من أن يخاطبوا بهذا الكلام على أنهم غير مستعدين لأن يخاطبوا بكلام برهانى و هم أتباع الظن و الهوى.

قوله تعالى: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» أم منقطعه و الاستفهام إنكارى، و الكلام مسوق لنفى أن يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد أنه يتمناه أى ليس يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد أنه يتمناه حتى يملك المشركون ما يتمنونه بهوى أنفسهم من شفاعه الملائكه الذين هم أرباب أصنامهم و بنات لله بزعمهم أو يملكوا ألوهيه آلهتهم بمجرد التمنى.

و فى الكلام تلويح إلى أنهم ليس لهم للدلاله على صحه ألوهيه آلهتهم أو شفاعتهم إلا التمنى، و لا يملك شىء بالتمنى.

قوله تعالى: «فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى» تفريعه على سابقه من تفريع العله للمعلول للدلاله على التعلق و الارتباط ففیه تعليل للجملة السابقه، و المعنى: ليس يملك الإنسان ما تمناه بمجرد التمنى لأن الآخره و الأولى لله سبحانه و لا شريك له فى ملكه.

قوله تعالى: «و كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى» الفرق بين الإذن و الرضا أن الإذن إعلام ارتفاع المانع من قبل الآذن، و الرضا ملاءمه نفس الراضى للشىء و عدم امتناعها فربما تحقق الإذن بشىء مع عدم الرضا و لا يتحقق رضا إلا مع الإذن بالفعل أو بالقوه.

و الآيه مسوقه لنفى أن يملك الملائكه من أنفسهم الشفاعه مستغنين فى ذلك عن الله سبحانه كما يروم إليه عبده الأصنام فإن الأمر مطلقا إلى الله تعالى فإنما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى له فى الشفاعه و رضاه بها.

و على هذا فالمراد بقوله: «لِمَنْ يَشَاءُ» الملائكه، و معنى الآيه: و كثير من الملائكه

فى السماوات لا تؤثر شفاعتهم أثرا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء منهم أى من الملائكة و يرضى بشفاعته.

وقيل: المراد بمن يشاء و يرضى الإنسان، والمعنى: إلا من بعد أن يأذن الله فى شفاعه من يشاء أن يشفع له من الإنسان و يرضى، و كيف يأذن و يرضى بشفاعه من كفر به و عبد غيره؟.

و الآيه تثبت الشفاعه للملائكة فى الجملة، و تقيد شفاعتهم بالإذن و الرضا من الله سبحانه.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى» رد لقولهم بأنوثه الملائكة بعد رد قولهم بشفاعتهم.

و المراد بتسميتهم الملائكة تسميه الأنثى قولهم: إن الملائكة بنات الله فالمراد بالأنثى الجنس أعم من الواحد و الكثير.

وقيل: إن الملائكة فى معنى استغراق المفرد فىكون التقدير لیسمون كل واحد من الملائكة تسميه الأنثى أى يسمونه بنتا فالكلام على وزان كسانا الأمير حله أى كسا كل واحد منا حله.

قال بعضهم: فى تعليق التسميه بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها فى الشناعه و الفظاعه و استتباع العقوبه فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلا من لا يؤمن بها رأسا. انتهى.

قوله تعالى: «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» العلم هو التصديق المانع من النقيض، و الظن هو التصديق الراجح و يسمى المرجوح وهما، و قولهم بأنوثه الملائكة كما لم يكن معلوما لهم كذلك لم يكن مظنونا إذ لا- سبيل إلى ترجيح القول به على خلافه لكنه لما كان عن هوى أنفسهم أثبتة الهوى فى أنفسهم و زينه لهم فلم يلتفتوا إلى خلافه، و كلما لاح لهم لائح خلافه أعرضوا عنه و تعلقوا بما يهوونه، و بهذه العناية سمى ظنا و هو فى الحقيقة تصور فقط.

و بهذا يظهر استقامه قول من قال: إن الظن فى هذه الآيه و فى قوله السابق: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» بمعنى التوهم دون الاعتقاد الراجح و أيد بما يظهر من كلام الراجب: إن الظن ربما يطلق على التوهم.

و قوله: «إِنَّ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» الحق ما هو عليه الشىء و ظاهر أنه لا يدرك إلا بالعلم الذى هو الاعتقاد المانع من النقيض لا غير و أما غير العلم مما فيه احتمال

الخلايف فلا- يتعين فيه المدرك على ما هو عليه فى الواقع فلا مجوز لأن يعتمد عليه فى الحقائق قال تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»: إسرائ: ٣٦.

و أما العمل بالظن فى الأحكام العملية فإنما هو لقيام دليل عليه يقيد به إطلاق الآيه، و تبقى الأمور الاعتقادية تحت إطلاق الآيه.

قال بعضهم: وضع الظاهر موضع المضمرة فى قوله: «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي» ليجرى الكلام مجرى المثل.

قوله تعالى: «فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» تفرغ على اتباعهم الظن و هوى الأنفس، فقوله: «فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ» إلخ، أمر بالإعراض عنهم و إنما لم يقل: فأعرض عنهم، و وضع قوله: «مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا» إلخ، موضع الضمير للدلاله على عله الأمر بالإعراض كأنه قيل: إن هؤلاء يتركون العلم و يتبعون الظن و ما تهوى الأنفس و إنما فعلوا ذلك لأنهم تولوا عن الذكر و أرادوا الحياه الدنيا فلا هم لهم إلا الدنيا فهى مبلغهم من العلم، و إذا كان كذلك فأعرض عنهم لأنهم فى ضلال.

و المراد بالذكر إما القرآن الذى يهذى متبعيه إلى الحق الصريح و يرشدهم إلى سعادته الدار الآخرة التى وراء الدنيا بالحجج القاطعه و البراهين الساطعه التى لا تبقى معها و صمه شك.

و أما ذكر الله بالمعنى المقابل للغفله فإن ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعالیه من الأسماء و الصفات يهذى إلى سائر الحقائق العلميه فى المبدأ و المعاد هدايه علميه لا ريب معها.

قوله تعالى: «ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى» الإشاره بذلك إلى أمر الدنيا و هو معلوم من الآيه السابقه و كونه مبلغ علمهم من قبيل الاستعاره كان العلم يسير إلى المعلوم و ينتهى إليه و علمهم انتهى فى مسيره إلى الدنيا و بلغها و وقف عندها و لم يتجاوزها، و لازم ذلك أن تكون الدنيا متعلق إرادتهم و طلبهم، و موطن همهم، و غايه آمالهم لا يطمنون إلى غيرها و لا يقبلون إلا عليها.

و قوله: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ» إلخ، تأكيد لمضمون الجملة السابقه و شهاده منه تعالى عليه.

قوله تعالى: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» يمكن أن يكون صدر الآيه حالا من فاعل «أَعْلَمُ» فى الآيه السابقه و الواو للحال، و المعنى: أن ربك هو أعلم بالفريقين الضالين و المهتدين و الحال أنه يملك ما فى السماوات و ما فى الأرض فكيف يمكن أن لا يعلم بهم و هو مالكمهم؟.

و على هذا فالظاهر تعلق قوله: «لِيَجْزِيَ» إلخ، بقوله السابق: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى» إلخ، والمعنى: أعرض عنهم و كل أمرهم إلى الله ليجزيهم كذا و كذا و يجزيك و يجزي المحسنين كذا و كذا.

و يمكن أن يكون قوله: «و لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» إلخ، كلاما مستأنفا للدلالة على أن الأمر بالإعراض عنهم لا لإهمالهم و تركهم سدى بل الله سبحانه يجزي كلا- بعمله إن سيئا و إن حسنا، و وضع اسم الجلاله و هو ظاهر موضع الضمير للدلالة على كمال العظمة.

و قوله: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» إشاره إلى ملكه تعالى للكل و معناه قيام الأشياء به تعالى لكونه خالقهم الموجد لهم فالملك ناشئ من الخلق و هو مع ذلك منشأ للتدبير فالجمله داله على الخلق و التدبير كأنه قيل: و لله الخلق و التدبير.

و بهذا المعنى يتعلق قوله: «لِيَجْزِيَ» إلخ، و اللام للغايه، و المعنى: له الخلق و التدبير و غايه ذلك و الغرض منه أن يجزي الذين أساءوا إلخ، و المراد بالجزاء ما يخبر عنه الكتاب من شئون يوم القيامة، و المراد بالإساءه و الإحسان المعصيه و الطاعه، و المراد بما عملوا جزاء ما عملوا أو نفس ما عملوا، و بالحسنى المثوبه الحسنى.

و المعنى: ليجزي الله الذين عصوا بمعصيتهم أو بجزاء معصيتهم و يجزي الذين أطاعوا بالمثوبه الحسنى، و قد أوردوا فى الآيه احتمالات أخرى و ما قدمناه هو أظهرها.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» إلخ، الإثم هو الذنب و أصله- كما ذكره الراغب- الفعل المبطئ عن الثواب و الخير، و كبائر الإثم المعاصى الكبيره و هو على ما فى الروايه (١) ما أوعد الله عليه النار، و قد تقدم البحث عنها فى تفسير قوله تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»، X الآيه X: النساء: ٣١.

و الفواحش الذنوب الشنيعه الفظيحه، و قد عد تعالى فى كلامه الزنا و اللواط من الفواحش و لا يبعد أن يستظهر من الآيه اتحادها مع الكبائر.

و أما اللمم فقد اختلفوا فى معناه فقيل: هو الصغيره من المعاصى، و عليه فالاستثناء منقطع، و قيل: هو أن يلم بالمعصيه و يقصدها و لا يفعل و الاستثناء أيضا منقطع، و قيل:

ص: ٤٢

١- (١) رواها فى ثواب الأعمال عن عباد بن كثير النوا عن أبى جعفر عليه السلام.



هو المعصية حيناً بعد حين من غير عادة أى المعصية على سبيل الاتفاق فيكون أعم من الصغيره و الكبيره و ينطبق مضمون الآيه على معنى قوله تعالى فى وصف المتقين المحسنين:

«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» :آل عمران:١٣٥.

و قد فسر فى روايات أئمه أهل البيت(ع) بثالث المعانى (١).

و الآيه تفسر ما فى الآيه السابقه من قوله: «الَّذِينَ أَحْسَنُوا» فهم الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش و من الجائر أن يقع منهم لم.

و فى قوله: «إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» تطميعهم فى التوبه رجاء المغفره.

و قوله: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» قال الراغب: النشء و النشأه إحداث الشىء و تربيته. انتهى. فأنشئوهم من الأرض ما جرى عليهم فى بدء خلقهم طورا بعد طور من أخذهم من المواد العنصريه إلى أن يتكونوا فى صوره المنى و يردوا الأرحام.

و قوله: «وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» الأ-جنه جمع جنين، و الكلام معطوف على «إِذْ» السابق أى و هو أعلم بكم إذ كنتم أجنه فى أرحام أمهاتكم يعلم ما حقيقتكم و ما أنتم عليه من الحال و ما فى سركم و إلى ما يثول أمركم.

و قوله: «فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ» تفریع على العلم أى إذا كان الله أعلم من أول أمر فلا تزكوا أنفسكم بنسبتها إلى الطهاره هو أعلم بمن اتقى.

## [سوره النجم (٥٣): الآيات ٣٣ الى ٦٢]

### اشاره

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَهْرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى (٣٧) أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى (٣٨) وَ أَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِيْلَآ مَا سَعَى (٣٩) وَ أَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَ أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى (٤٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا (٤٤) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى (٤٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَ أَقْنَى (٤٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى (٤٩) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْتَقَى (٥١) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى (٥٢) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَاهَا مَا غَشَى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى (٥٦) أَرْفَتِ الْمَآزِفَةَ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ (٥٩) وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَتَكُونُونَ (٦٠) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (٦٢)

١-١) ففى أصول الكافى عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام: اللهم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه، و فيه ياسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: هو الذنب يلم به الرجل فيمكث ما شاء الله ثم يلم به بعد، و فيه ياسناده عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام عليه قتة الذى يلم بالذنب بعد الذنب ليس من سليقتة أى من طبعه.

سياق التسع آيات الواقعة في صدر هذا الفصل يصدق ما ورد في أسباب النزول أن رجلا من المسلمين كان ينفق من ماله في سبيل الله فلامه بعض الناس على كثرة الإنفاق و حذره و خوفه بنفاد المال و الفقر و ضمن حمل خطاياہ و ذنوبه فأمسك عن الإنفاق فنزلت الآيات.

أشار سبحانه بالتعرض لهذه القصة و نقل ما نقل من صحف إبراهيم و موسى (ع)

إلى بيان وجه الحق فيها، و إلى ما هو الحق الصريح فيما تعرض له الفصل السابق من أباطيل المشركين من أنهم إنما يعبدون الأصنام لأنها تماثل الملائكة الذين هم بنات الله يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله سبحانه و قد أبطلتها الآيات السابقة أوضح الإبطال.

و قد أوضحت هذه الآيات ما هو وجه الحق في الربوبية و الألوهية و هو أن الخلق و التدبير لله سبحانه، إليه ينتهي كل ذلك، و أنه خلق ما خلق و دبر ما دبر خلقا و تدبيرا يستعقب نشأه أخرى فيها جزاء الكافر و المؤمن و المجرم و المتقى و من لوازمه تشريع الدين و توجيه التكاليف و قد فعل، و من شواهد إهلاكك من أهلكك من الأمم الدارجه الطاغية كقوم نوح و عاد و ثمود و المؤمن تفكحه.

ثم عقب سبحانه هذا الذي نقله عن صحف النبيين الكريمين بالتنبيه على أن هذا النذير من النذر الأولى الخالية و أن الساعه قريبه، و خاطبهم بالأمر بالسجود لله و العباده، و بذلك تختتم السوره.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْذَبَى» التولى هو الإعراض و المراد به بقريته الآيه التاليه الإعراض عن الإنفاق في سبيل الله، و الإعطاء الإنفاق و الإكداء قطع العطاء، و التفريع الذى فى قوله: «أَفَرَأَيْتَ» مبنى على ما قدمنا من تفرع مضمون هذه الآيات على ما قبلها.

و المعنى: فأخبرنى عنم أعرض عن الإنفاق و أعطى قليلا من المال و أمسك بعد ذلك أشد الإمساك.

قوله تعالى: «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى» الضمائر لمن تولى و الاستفهام للإنكار و المعنى:

أ يعلم الغيب فيترتب عليه أن يعلم أن صاحبه يتحمل عنه ذنوبه و يعذب مكانه يوم القيامة لو استحق العذاب. كذا فسروا.

و الظاهر أن المراد نفى علمه بما غاب عنه من مستقبل حاله فى الدنيا و المعنى: أ يعلم الغيب فهو يعلم أنه لو أنفق و دام على الإنفاق نفذ ماله و ابتلى بالفقر و أما تحمل الذنوب و العذاب فالمعرض له قوله الآتى: «أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى».

قوله تعالى: «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى» صحف موسى التوراه، و صحف إبراهيم. ما نزل عليه من الكتاب و الجمع للإشارة إلى كثرته بكثره أجزاءه.

و التوفيه تأديه الحق بتمامه و كماله، و توفيته (ع) تأديته ما عليه من الحق فى العبوديه

أتم التأديبه و أبلغها قال تعالى: «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» :البقره:١٢٤.

و ما نقله الله سبحانه في الآيات التاليه من صحف إبراهيم و موسى(ع)و إن لم يذكر في القرآن بعنوان أنه من صحفهما قبل هذه الآيات لكنه مذكور بعنوان الحكم و المواعظ و القصص و العبر فمعنى الآيتين: أم لم ينبأ بهذه الأمور و هي في صحف إبراهيم و موسى.

قوله تعالى: «أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» الوزر الثقل و كثر استعماله في الإثم، و الوازره النفس التي من شأنها أن تحمل الإثم، و الآيه بيان ما في صحف إبراهيم و موسى (ع)، و كذا سائر الآيات المصدره بأن و أن إلى تمام سبع عشره آيه.

و المعنى: ما في صحفهما هو أنه لا تحمل نفس إثم نفس أخرى أى لا تتأثم نفس بما لنفس أخرى من الإثم فلا تؤاخذ نفس بإثم نفس أخرى.

قوله تعالى: «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ» قال الراغب: السعى المشى السريع و هو دون العدو، و يستعمل للجد في الأمر خيرا كان أو شرا قال تعالى: «وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا» انتهى و استعماله في الجد في الفعل استعمال استعارى.

و معنى اللام في قوله: «لِلْإِنْسَانِ» الملك الحقيقى الذى يقوم بصاحبه قياما باقيا ببقائه يلازمه و لا يفارقه بالطبع و هو الذى يكتسبه الإنسان بصالح العمل أو طالحه من خير أو شر، و أما ما يراه الإنسان مملوكا لنفسه و هو فى ظرف الاجتماع من مال و بنين و جاه و غير ذلك من زخارف الحياه الدنيا و زينتها فكل ذلك من الملك الاعتبارى الوهمى الذى يصاحب الإنسان ما دام فى دار الغرور و يودعه عند ما أراد الانتقال إلى دار الخلود و عالم الآخره.

فالمعنى: و أنه لا يملك الإنسان ملكا يعود إليه أثره من خير أو شر أو نفع أو ضرر حقيقه إلا ما جد فيه من عمل فله ما قام بفعله بنفسه و أما ما قام به غيره من عمل فلا يلحق بالإنسان أثره خيرا أو شرا.

و أما الانتفاع من شفاعه الشفعاء يوم القيامه لأهل الكبائر فلهم فى ذلك سعى جميل حيث دخلوا فى حضيره الإيمان بالله و آياته، و كذا استفاده المؤمن بعد موته من استغفار المؤمنين له، و الأعمال الصالحه التي تهدى إليه مثوباتها هي مرتبطه بسعيه فى الدخول فى زمرة المؤمنين و تكثير سوادهم و تأييد إيمانهم الذى من آثاره ما يأتون به من الأعمال الصالحه.

و كذا من سن سنه حسنه فله ثوابها و ثواب من عمل بها، و من سن سنه سيئه كان له وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن له سعيًا في عملهم حيث سن السنه و توسل بها إلى أعمالهم كما تقدم في تفسير قوله تعالى: «و نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ» يس: ١٢، و قد تقدم في تفسير قوله: «و لِيُخَشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّهُ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ» النساء: ٩، و تفسير قوله: «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» الأنفال: ٣٧، كلام نافع في هذا المقام.

قوله تعالى: «وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» المراد بالسعى ما سعى فيه من العمل و بالرؤيه المشاهده، و ظرف المشاهده يوم القيامة بدليل تعقيبه بالجزاء فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» آل عمران: ٣٠، و قوله: «يَوْمَئِذٍ يَصِيدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» الزلزال: ٨.

و إتيان قوله: «سَوْفَ يُرَى» مبنيًا للمفعول لا يخلو من إشعار بأن هناك من يشاهد العمل غير عامله.

قوله تعالى: «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» الوفاء بمعنى التمام لأن الشيء التام يفى بجميع ما يطلب من صفاته، و الجزاء الأوفى الجزاء الأتم.

و ضمير «يُجْزَاهُ» للسعى الذى هو العمل و المعنى: ثم يجزى الإنسان عمله أى بعمله أتم الجزاء.

قوله تعالى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى» المنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء و قد أطلق إطلاقًا فيفيد مطلق الانتهاء، فما فى الوجود من شىء موجود إلا و ينتهى فى وجوده و آثار وجوده إلى الله سبحانه بلا واسطه أو مع الواسطه، و لا فيه أمر من التدبير و النظام الجارى جزئيا أو كليًا إلا و ينتهى إليه سبحانه إذ ليس التدبير الجارى بين الأشياء إلا الروابط الجاربه بينها القائمه بها و موجد الأشياء هو الموجد لروابطها المجرى لها بينها فالمنتهى المطلق لكل شىء هو الله سبحانه.

قال تعالى: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الزمر: ٦٣، و قال: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» الأعراف: ٥٤.

و الآيه تثبت الربوبيه المطلقه لله سبحانه بإنهاء كل تدبير و كل التدبير إليه و تشمل

انتهاء الأشياء إليه من حيث البدء و هو الفطر، و انتهاءها إليه من حيث العود و الرجوع و هو الحشر.

و مما تقدم يظهر ضعف ما قيل فى تفسير الآيه أن المراد بذلك رجوع الخلق إليه سبحانه يوم القيامة، و كذا ما قيل: إن المعنى أن إلى ثواب ربك و عقابه آخر الأمر، و كذا ما قيل: المعنى أن إلى حساب ربك منتهاهم، و كذا ما قيل: إليه سبحانه ينتهى الأفكار و تقف دونه، ففى جميع هذه التفاسير تقييد الآيه من غير مقيد.

قوله تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَيْكَ» الآيه و ما يتلوها إلى تمام اثنتى عشره آيه بيان لموارد من انتهاء الخلق و التدبير إلى الله سبحانه.

و السياق فى جميع هذه الآيات سياق الحصر، و تفيد انحصار الربوبية فيه تعالى و انتفاء الشريك، و لا ينافى ما فى هذه الموارد من الحصر توسط أسباب آخر طبيعیه أو غير طبيعیه فيها كتوسط السرور و الحزن و أعضاء الضحك و البكاء من الإنسان فى تحقق الضحك و البكاء، و كذا توسط الأسباب المناسبه الطبيعیه و غير الطبيعیه فى الإحياء و الإماتة و خلق الزوجين و الغنى و القنى و إهلاك الأمم الهالكه و ذلك أنها لما كانت مسخره لأمر الله غير مستقلة فى نفسها و لا منقطعه عما فوقها كانت وجوداتها و آثار وجوداتها و ما يترتب عليها لله وحده لا يشاركه فى ذلك أحد.

فمعنى قوله: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَيْكَ» إنه تعالى هو أوجد الضحك فى الضاحك و أوجد البكاء فى الباكي لا غيره تعالى:

و لا- منافاه بين انتهاء الضحك و البكاء فى وجودهما إلى الله سبحانه و بين انتسابهما إلى الإنسان و تلبسه بهما لأن نسبه الفعل إلى الإنسان بقيامه به و نسبه الفعل إليه تعالى بالإيجاد و كم بينهما من فرق.

و لا أن تعلق الإراده الإلهيه بضحك الإنسان مثلا يوجب بطلان إرادته الإنسان للضحك و سقوطها عن التأثير لأن الإراده الإلهيه لم تعلق بمطلق الضحك كيفما كان و إنما تعلق بالضحك الإرادى الاختيارى من حيث إنه صادر عن إرادته الإنسان و اختياره فإرادته الإنسان سبب لضحكه فى طول إرادته الله سبحانه لا فى عرضها حتى تتراحم و لا تجتمعا معا فنضطر إلى القول بأن أفعال الإنسان الاختياريه مخلوقه لله و لا- صنع للإنسان فيها كما يقوله الجبرى أو أنها مخلوقه للإنسان و لا صنع لله سبحانه فيها كما يقوله المعتزلى.

و مما تقدم يظهر فساد قول بعضهم: إن معنى الآية أنه خلق قوتى الضحك و البكاء، و قول آخرين: إن المعنى أنه خلق السرور و الحزن، و قول آخرين: إن المعنى أنه أضحك الأرض بالنبات و أبكى السماء بالمطر، و قول آخرين: إن المعنى أنه أضحك أهل الجنة و أبكى أهل النار.

قوله تعالى: « وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَ أَحْيَا » الكلام فى انتساب الموت و الحياه إلى أسباب أخر طبيعیه و غير طبيعیه كالملائكه كالكلام فى انتساب الضحك و البكاء إلى غيره تعالى مع انحصار الإيجاد فيه تعالى، و كذا الكلام فى الأمور المذكوره فى الآيات التاليه.

قوله تعالى: « وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى » النطفه ماء الرجل و المرأه الذى يخلق منه الولد، و أمنى الرجل أى صب المنى، و قيل: معناه التقدير، و قوله: « الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى » بيان للزوجين.

قيل: لم يذكر الضمير فى الآية على طرز ما تقدم- أنه هو- لأنه لا يتصور نسبه خلق الزوجين إلى غيره تعالى.

قوله تعالى: « وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى » النشأه الأخرى الخلقه الأخرى الثانيه و هى الدار الآخره التى فيها جزاء، و كون ذلك عليه تعالى قضاؤه قضاء حتم و قد وعد به و وصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد.

قوله تعالى: « وَ أَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَ أَقْنَى » أى أعطى الغنى و أعطى القنيه، و القنيه ما يدوم من الأموال و يبقى ببقاء نفسه كالدار و البستان و الحيوان، و على هذا فذكر « أَقْنَى » بعد « أَعْنَى » من التعرض للخاص بعد العام لنفاسته و شرفه.

و قيل: الإغناء التمويل و الإقناء الإرضاء بذلك، و قال بعضهم: معنى الآية أنه هو أغنى و أفقر.

قوله تعالى: « وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى » كان المراد بالشعرى الشعري اليمانيه و هى كوكبه مضيئه من الثوابت شرقى صوره الجبار فى السماء.

قيل: كانت الخزاعه و حمير تعبد هذه الكوكبه، و ممن كان يعبده أبو كبشه أحد أجداد النبى ص من جهه أمه، و كان المشركون يسمونه (ص) ابن أبى كبشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه قومه فى عباده الشعرى.



قوله تعالى: « وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ لِعَادًا أُولَى » و هم قوم هود النبي (ع) و وصفوا بالأولى لأن هناك عادا ثانيه هم بعد عاد الأولى.

قوله تعالى: « وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » و هم قوم صالح النبي (ع) أهلكت الله الكفار منهم عن آخرهم، و هو المراد من قوله: « فَمَا أَبْقَى » و إلا فهو سبحانه نجى المؤمنين منهم من الهلاك كما قال: « وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ »: فصلت: ١٨.

قوله تعالى: « وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى » عطف كسابقه على قوله:

« عَادًا » و الإصرار بالتأكيد على كونهم أظلم و أطغى، أى من القومين عاد و ثمود على ما يعطيه السياق لأنهم لم يجيبوا دعوه نوح (ع) و لم يتعظوا بموعظته فيما يقرب من ألف سنه و لم يؤمن منهم معه إلا أقل قليل.

قوله تعالى: « وَ الْمُرُوتِفِكَهَ أَهْرُوى فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى » قيل: إن المؤتفكه قرى قوم لوط اتنفكت بأهلها أى انقلبت و الائتفك الانقلاب، و الأهواء الإسقاط.

و المعنى: و أسقط القرى المؤتفكه إلى الأرض بقلبها و خسفها فشملمها و أحاط بها من العذاب ما شملها و أحاط بها.

و احتمال أن يكون المراد بالمؤتفكه ما هو أعم من قرى قوم لوط و هى كل قريه نزل عليها العذاب فباد أهلها فبقيت خربه دائره معالمها حاويه على عروشها.

قوله تعالى: « فَبَأَى آلاءِ رَبِّكَ تَمَارَى » الآلاء جمع إلى بمعنى النعمه، و التمارى التشكك، و الجملة متفرعه على ما تقدم ذكره مما ينسب إليه تعالى من الأفعال.

و المعنى: إذا كان الله سبحانه هو الذى نظم هذا النظام البديع من صنع و تدبير بالإضحاك و الإبكاء و الإمامته و الإحياء و الخلق و الإهلاك إلى آخر ما قيل فبأى نعم ربك تتشكك و فى أيها تريب؟.

و عد مثل الإبكاء و الإمامته و إهلاك الأمم الطاغيه نعم الله سبحانه لما فيها من الدخل فى تكون النظام الأتم الذى يجرى فى العالم و تنساق به الأمور فى مرحله استكمال الخلق و رجوع الكل إلى الله سبحانه.

و الخطاب فى الآيه للذى تولى و أعطى قليلا و أكدى أو للنبي ص من باب إياك أعنى و اسمعى يا جاره، و الاستفهام للإنكار.

قوله تعالى: «لَهُذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى» قيل: النذير يأتي مصدرا بمعنى الإنذار ووصفا بمعنى المنذر و يجمع على النذر بضمتين على كلا المعنيين و الإشارة بهذا إلى القرآن أو النبي ص.

قوله تعالى: «أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ» أى قربت القيامة و الأزفة من أسماء القيامة قال تعالى:

«وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ»: المؤمن: ١٨.

قوله تعالى: «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ» أى نفس كاشفه و المراد بالكشف إزالة ما فيها من الشدائد و الأهوال، و المعنى: ليس نفس تقدر على إزالة ما فيها من الشدائد و الأهوال إلا أن يكشفها الله سبحانه.

قوله تعالى: «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَتَكَبَّرُونَ» الإشاره بهذا الحديث إلى ما تقدم من البيان، و السمود للهو، و الآيه متفرعه على ما تقدم من البيان، و الاستفهام للتوبيخ.

و المعنى: إذا كان الله هو ربكم الذى ينتهى إليه كل أمر و عليه النشأ الأخرى و كانت القيامة قريبه و ليس لها من دون الله كاشفه كان عليكم أن تبكوا لما فرطتم فى جنب الله، و تعرضتم للشقاء الدائم أفمن هذا البيان الذى يدعوكم إلى النجاه تعجبون إنكارا و تضحكون استهزاء و لا تبكون؟.

قوله تعالى: «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا» تفریع آخر على ما تقدم من البيان و المعنى:

إذا كان كذلك فعليكم أن تسجدوا لله و تعبدوه ليكشف عنكم ما ليس له من دونه كاشفه.

### (بحث روائى)

فى الكشاف، "فى قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى» إلخ، روى أن عثمان كان يعطى ماله فى الخير-فقال له عبد الله بن سعد بن أبى سرح-و هو أخوه من الرضاعة: يوشك أن لا يبقى لك شىء-فقال عثمان: إن لى ذنوبا و خطايا، و إنى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى و أرجو عفوه-فقال عبد الله: أعطنى ناقتك برحلهـ و أنا أتحمل عنك ذنوبك كلها-فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن العطاء فنزلت، و معنى: «تَوَلَّى» ترك المركز يوم أحد-فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك و أجمل.

أقول: و أورد القصه فى مجمع البيان و نسبها إلى ابن عباس و السدى و الكلبي و جماعه من المفسرين، و فى انطباق «تولى» على تركه المركز يوم أحد نظر و الآيات مكيه.

و فى الدر المنثور، أخرج الفارياى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن مجاهد: " فى قوله: « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى » قال: الوليد بن المغيره كان يأتى النبى ص و أبابكر - فسمع ما يقولان و ذلك ما أعطى من نفسه، أعطى الاستماع » وَ أَكْدَى » قال:

انقطع عطاؤه نزل فى ذلك « أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ » قال: الغيب القرآن - أ رأى فيه باطلا أنفذه ببصره - إذ كان يختلف إلى النبى ص و أبى بكر.

أقول: و أنت خبير بأن الآيات بظاهرها لا تنطبق على ما ذكره.

و روى: " أنها نزلت فى العاص بن وائل، و روى أنها نزلت فى رجل لم يذكر اسمه.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى » قال: وفى بما أمره الله به من الأمر و النهى و ذبح ابنه.

و فى الكافى، بإسناده عن إسحاق بن عمار عن أبى إبراهيم (ع) قال: سألته عن الرجل يحج فيجعل حجته و عمرته - أو بعض طوافه لبعض أهله - و هو عنه غائب فى بلد آخر؟ قال:

قلت: فينتقص ذلك من أجره؟ قال: هى له و لصاحبه و له أجر سوى ذلك بما وصل.

قلت: و هو ميت أ يدخل ذلك عليه؟ قال: نعم حتى يكون مسخوطا عليه فيغفر له - أو يكون مضيقا عليه فيوسع له. قلت: فيعلم هو فى مكانه أنه عمل ذلك لحقه؟ قال: نعم.

قلت: و إن كان ناصبا ينفعه ذلك؟ قال: نعم يخفف عنه.

أقول: مورد الروايه إهداء ثواب العمل دون العمل نيابه عن الميت.

و فيه، بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (ع) قال: قال رسول الله ص:

يقول الله عز و جل للملك الموكل بالمؤمن إذا مرض: اكتب له ما كنت تكتب له فى صحته - فإنى أنا الذى صيرته فى حبالى

(1)

و فى الخصال، عن أبى عبد الله (ع) قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقه أجزاها فى حياته - فهى تجرى بعد موته إلى يوم القيامة - صدقه



موقفه لا تورث، و سنه هدى سنها-و كان يعمل بها و عمل بها من بعده غيره، و ولد صالح يستغفر له.

أقول: و هذه الروايات الثلاث- و فى معناها روايات كثيره جدا عن أئمة أهل البيت (ع)-توسع معنى السعى فى قوله تعالى: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» و قد تقدمت إشاره إليها.

و فى أصول الكافى، بإسناده إلى سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله (ع): «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى» فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسَكُوا.

أقول: و هو من التوسع فى معنى الانتهاء.

و فيه، بإسناده إلى أبى عبيده الحذاء قال: قال أبو جعفر (ع): يا زياد إياك و الخصومات فإنها تورث الشك، و تحبط العمل، و تردى صاحبها، و عسى أن يتكلم بالشىء فلا يغفر له.

أنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما و كلوا به، و طلبوا علم ما كفوه حتى انتهى كلامهم إلى الله-فتحيروا حتى كان الرجل يدعى من بين يديه-فيجيب من خلفه، و يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه. قال: و فى روايه أخرى: حتى تاهوا فى الأرض.

و فى الدر المنثور، أخرج أبو الشيخ عن أبى ذر قال: قال رسول الله ص: تفكروا فى خلق الله و لا تفكروا فى الله فتهلكوا.

أقول: و فى النهى عن التفكير فى الله سبحانه روايات كثيره أخر مودعه فى جوامع الفريقين، و النهى إرشادى متعلق بمن لا يحسن الورود فى المسائل العقلية العميقه فيكون خوضه فيها تعرضا للهلاك الدائم.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَيْكَ» قال: أبكى السماء بالمطر، و أضحك الأرض بالنبات.

أقول: هو من التوسع فى معنى الإبكاء و الإضحاك.

و فى المعانى، بإسناده إلى السكونى عن جعفر بن محمد عن آباءهم (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع): فى قول الله عز و جل: «وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَ أَقْنَىٰ» قال: أغنى كل إنسان بمعيشته، و أرضاه بكسب يده.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى» قال: النجم فى السماء يسمى الشعرى كانت قريش و قوم من العرب يعبدونه، و هو نجم يطلع فى آخر الليل.

أقول:الظاهر أن قوله:و هو نجم يطلع في آخر الليل تعريف له بحسب زمان صدور الحديث و كان في الصيف و إلا فهو يستوفى في مجموع السنه جميع ساعات الليل و النهار.

و فيه، "في قوله تعالى: «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ» قال قربت القيامة.

و في المجمع، "في قوله تعالى: «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ» يعنى بالحديث ما تقدم من الأخبار.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآيه على النبي ص «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ» فما رثى النبي بعدها ضاحكا حتى ذهب من الدنيا.

## (٥٤) سورة القمر مكيه و هي خمس و خمسون آيه (٥٥)

### [سورة القمر (٥٤): الآيات ١ الى ٨]

#### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ اِنْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَ اِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا اَهْوَاءَهُمْ وَ كُلُّ امْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْاَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْاَنْدُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ اِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُسَعًا اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ اِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)

ص: ٥٤

سوره ممحضه فى الإنذار و التحويف إلا آيتين من آخرها تبشران المتقين بالجنة و الحضور عند ربهم.

تبدأ السوره بالإشاره إلى آيه شق القمر التى أتى بها رسول الله ص عن اقتراح من قومه، و تذكر رميهم له بالسحر و تكذيبهم به و اتباعهم الأهواء مع ما جاءهم أنباء زاجره من أنباء يوم القيامة و أنباء الأمم الماضين الهالكين ثم يعيد تعالى عليهم نبذه من تلك الأنباء إعادته ساخط معاتب فيذكر سيئ حالهم يوم القيامة عند خروجهم من الأجداث و حضورهم للحساب.

ثم تشير إلى قصص قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون و ما نزل بهم من أليم العذاب إثر تكذيبهم بالنذر و ليس قوم النبى ص بأعز عند الله منهم و ما هم بمعجزين، و تختتم السوره ببشرى للمتقين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها، و لا يعاب بما قيل: إنها نزلت بيدى، و كذا بما قيل: إن بعض آياتها مدنيه، و من غرر آياتها ما فى آخرها من آيات القدر.

قوله تعالى: «إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ» الاقتراب زياده فى القرب فقوله:

«إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أى قربت جدا، و الساعه هى الظرف الذى تقوم فيه القيامة.

و قوله: «وَ انشَقَّ الْقَمَرُ» أى انفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين تشير الآيه إلى آيه شق القمر التى أجزاها الله تعالى على يد النبى ص بمكه قبل الهجره إثر سؤال المشركين من أهل مكه، و قد استفاضت الروايات على ذلك، و اتفق أهل الحديث و المفسرون على قبولها كما قيل. و لم يخالف فيه منهم إلا الحسن و عطاء و البلخى حيث قالوا: معنى قوله: «إِنْشَقَّ الْقَمَرُ» سينشق القمر عند قيام الساعه و إنما عبر بلفظ الماضى لتحقق الوقوع.

و هو مزيف مدفوع بدلاله الآيه التالیه «وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» فإن سياقها أوضح شاهد على أن قوله «آيَةً» مطلق شامل لانشقاق القمر فعند وقوعه إعراضهم و قولهم: سحر مستمر و من المعلوم أن يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق و يلجئون فيه إلى المعرفه، و لا معنى حينئذ لقولهم فى آيه ظاهره: أنها سحر مستمر فليس إلا أنها

آيه قد وقعت للدلاله على الحق و الصدق و تأتي لهم أن يرموها عنادا بأنها سحر.

و مثله فى السقوط ما قيل: إن الآيه إشاره إلى ما ذهب إليه الرياضيون أخيرا أن القمر قطعه من الأرض كما أن الأرض جزء منفصل من الشمس فقوله: « وَ أَنْشَقَّ الْقَمَرَ » إشاره إلى حقيقه علميه لم ينكشف يوم النزول بعد.

و ذلك أن هذه النظرية على تقدير صحتها لا يلائمها قوله: « وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ » إذ لم ينقل عن أحد أنه قال للقمر: هو سحر مستمر.

على أن انفصال القمر عن الأرض اشتقاق و الذى فى الآيه الكريمه انشقاق، و لا يطلق الانشقاق إلا على تقطع الشئ فى نفسه قطعتين دون انفصاله من شئ بعد ما كان جزء منه.

و مثله فى السقوط ما قيل: إن معنى انشقاق القمر انكشاف الظلمه عند طلوعه و كذا ما قيل: إن انشقاق القمر كناية عن ظهور الأمر و وضوح الحق.

و الآيه لا تخلو من إشعار بأن انشقاق القمر من لوازم اقتراب الساعه.

قوله تعالى: « وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ » الاستمرار من الشئ مرور منه بعد مرور مره بعد مره، و لذا يطلق على الدوام و الاطراد فقولهم: سحر مستمر أى سحر بعد سحر مداوما.

و قوله: « آيَةً » نكره فى سياق الشرط فتفيد العموم، و المعنى و كل آيه يشاهدونها يقولون فيها أنها سحر بعد سحر، و فسر بعضهم المستمر بالمحكم الموثق، و بعضهم بالذاهب الزائل، و بعضهم بالمستبشع المنفور، و هى معان بعيده.

قوله تعالى: « وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ كُلٌّ أَمْرٌ مُّسْتَقِرٌّ » متعلق التكذيب بقرينه ذيل الآيه هو النبى ص و ما أتى به من الآيات أى و كذبوا بالنبى ص و ما أتى به من الآيات و الحال أن كل أمر مستقر سيستقر فى مستقره فيعلم أنه حق أو باطل و صدق أو كذب فسيعلمون أن النبى ص صادق أو كاذب، على الحق أو لا فقوله: « وَ كُلٌّ أَمْرٌ مُّسْتَقِرٌّ » فى معنى قوله: « وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »  
:ص: ٨٨.

و قيل متعلق التكذيب انشقاق القمر و المعنى: و كذبوا بانشقاق القمر و اتبعوا أهواءهم، و جمله « وَ كُلٌّ أَمْرٌ مُّسْتَقِرٌّ » لا تلائمها تلك الملاءمه.

قوله تعالى: « لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ » المزدرج مصدر ميمى و هو الاعتاظ، و قوله: « مِنَ الْأَنْبَاءِ » بيان لما فيه مزدرج، و المراد بالأنباء أخبار الأمم



الدارجة الهالكه أو أخبار يوم القيامة وقد احتمل كل منهما، والظاهر من تعقيب الآيه بأنباء يوم القيامة ثم بأنباء عده من الأمم الهالكه أن المراد بالأنباء التي فيها مزدجر جميع ذلك.

قوله تعالى: «حِكْمَةٌ بِاللَّغَةِ فَلَمَّا تَغْنِ النَّذْرُ» الحكمة كلمة الحق التي ينتفع بها، والبلوغ وصول الشيء إلى ما تنتهي إليه المسافة و يمكنى به عن تمام الشيء و كماله فالحكمة البالغة هي الحكمة التامة الكاملة التي لا نقص فيها من حيث نفسها و من حيث أثرها.

وقوله: «فَلَمَّا تَغْنِ النَّذْرُ» الفاء فيه فصيحة تفسح عن جملة مقدره تترتب عليها الكلام، والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو بمعنى الإنذار و الكل صحيح و إن كان الأول أقرب إلى الفهم.

و المعنى: هذا القرآن أو الذى يدعون إليه حكمه بالغه كذبوا بها و اتبعوا أهواءهم فما تغنى المنذرون أو الإنذارات؟.

قوله تعالى: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» التولى الإعراض و الفاء فى «فَتَوَلَّ» لتفريع الأمر بالتولى على ما تقدمه من وصف حالهم أى إذا كانوا مكذبين بك متبعين أهواءهم لا يغنى فيهم النذر و لا تؤثر فيهم الزواجر فتول عنهم و لا تلتح عليهم بالدعوه.

وقوله: «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» قال الراغب: الإنكار ضد العرفان يقال:

أنكرت كذا و نكرت، و أصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، و ذلك ضرب من الجهل قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ» قال: و النكر الدهاء و الأمر الصعب الذى لا يعرف. انتهى.

و قد تم الكلام فى قوله: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» ببيان حالهم تجاه الحكمة البالغة التى ألقيت إليهم و الزواجر التى ذكروا بها على سبيل الإنذار، ثم أعاد سبحانه نبذه من تلك الزواجر التى هى أنباء من حالهم يوم القيامة و من عاقبه حال الأمم المكذبين من الماضين فى لحن العتاب و التوبيخ الشديد الذى تهز قلوبهم للانتباه و تقطع منابت أعدارهم فى الإعراض.

فقوله: «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ» إلخ، كلام مفصول عما قبله لذكر الزواجر التى أشير إليها سابقا فى مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه لما قال: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» سئل فقيل: فى أى م يثول أمرهم؟ فقيل: «يَوْمَ يَدْعُ» إلخ، أى هذه حال آخرتهم و تلك عاقبه دنيا أشياعهم و أمثالهم من قوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم، و ليسوا خيرا منهم.

و على هذا فالظرف فى «يَوْمَ يَدْعُ» متعلق بما سيأتى من قوله: «يَخْرُجُونَ» و المعنى:

يخرجون من الأجدات يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر، إلخ و إما متعلق بمحذوف، و التقدير اذكر يوم يدعو الداعي، و المحصل اذكر ذاك اليوم و حالهم فيه، و الآيه فى معنى قوله: «هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ»: الزخرف: ٦٦، و قوله: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ»: يونس: ١٠٢.

و لم يسم سبحانه هذا الداعي من هو؟ و قد نسب الدعوه فى موضع من كلامه إلى نفسه فقال: «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» :إسراء: ٥٢.

و إنما أورد من أنباء القيامة نبأ دعوتهم للخروج من الأجدات و الحضور لفصل القضاء و خروجهم منها خشعا أبصارهم مهطعين إلى الداعي ليحاذى به دعوتهم فى الدنيا إلى الإيمان بالآيات و إعراضهم و قولهم: سحر مستمر.

و معنى الآيه: اذكر يوم يدعو الداعي إلى أمر صعب عليهم و هو القضاء و الجزاء.

قوله تعالى: «خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ» الخشع جمع خاشع و الخشوع نوع من الذله و نسب إلى الأبصار لأن ظهوره فيها أتم.

و الأجدات جمع جدث و هو القبر، و الجراد حيوان معروف، و تشبيههم فى الخروج من القبور بالجراد المنتشر من حيث إن الجراد فى انتشاره يدخل البعض منه فى البعض و يختلط البعض ببعض فى جهات مختلفه فكذلك هؤلاء فى خروجهم من القبور، قال تعالى:

«يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ»: المعارج: ٤٤.

قوله تعالى: «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ» أى حال كونهم مسرعين إلى الداعي مطيعين مستجيبين دعوته يقول الكافرون: هذا يوم عسر أى صعب شديد.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، "«إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» قال: اقتربت القيامة- فلا يكون بعد رسول الله ص إلا القيامة- و قد انقضت النبوه و الرساله.

و قوله: «وَ انشَقَّ الْقَمَرُ» فإن قريشا سألت رسول الله ص أن يريهم آيه- فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم- فقالوا: هذا سحر مستمر أى صحيح.

و فى أمالى الشيخ، بإسناده عن عبيد الله بن على عن الرضا عن آباءه عن على (ع) قال: انشق القمر بمكة فلقطين-فقال رسول الله ص: اشهدوا اشهدوا.

أقول: ورد انشقاق القمر لرسول الله ص فى روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت (ع) كثيرا وقد تسلمه محدثوهم و العلماء من غير توقف.

و فى الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حميد و مسلم و ابن جرير و ابن المنذر و الترمذى و ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل عن أنس قال: "سأل أهل مكة النبى ص آيه فانشق القمر بمكة فرقتين-فنزلت «إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» إلى قوله: «سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» أى ذاهب.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و أبو نعيم و البيهقى و كلاهما فى الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: "انشق القمر على عهد النبى ص فقال قریش:

هذا سحر ابن أبى كبشه-فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار-فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم-فجاء السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا-فأنزل الله «إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ».

و فيه، أخرج مسلم و الترمذى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و الحاكم و البيهقى و أبو نعيم فى الدلائل من طريق مجاهد عن ابن عمر: "فى قوله: «إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» قال: كان ذلك على عهد رسول الله ص-انشق فرقتين: فرقه من دون الجبل و فرقه خلفه-فقال النبى ص: اللهم اشهد.

و فيه، أخرج أحمد و عبد بن حميد و الترمذى و ابن جرير و الحاكم و أبو نعيم و البيهقى عن جبير بن مطعم: "فى قوله: «وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» قال: انشق القمر و نحن بمكة على عهد رسول الله ص-حتى صار فرقتين: فرقه على هذا الجبل-و فرقه على هذا الجبل-فقال الناس:

سحرنا محمد فقال رجل: إن كان سحركم فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن مردويه و أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس: "فى قوله:

«إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» قال: قد مضى ذلك قبل الهجرة-انشق القمر حتى رأوا شقيه.

و فيه، أخرج ابن أبى شيبه و عبد بن حميد و عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد و ابن جرير و ابن مردويه و أبو نعيم عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: "خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن-

فحمد الله و أثنى عليه. ثم قال: اقتربت الساعة و انشق القمر-ألا و إن الساعة قد اقتربت.

ألا و إن القمر قد انشق على عهد رسول الله ص. ألا و إن الدنيا قد آذنت بفراق. ألا و إن اليوم المضمار و غدا السباق.

أقول: و قد روى انشقاق القمر بدعاء النبي ص بطرق مختلفه كثيره عن هؤلاء النفر من الصحابه و هم أنس، و عبد الله بن مسعود، و ابن عمر، و جبير بن مطعم، و ابن عباس، و حذيفه بن اليمان، و عد في روح المعاني ممن روى عنه الحديث من الصحابه عليا (ع) ثم نقل عن السيد الشريف في شرح المواقف و عن ابن السبكي في شرح المختصر أن الحديث متواتر لا- يمتري في تواتره. هذه حال الحديث عند أهل السنه و قد عرفت حاله عند الشيعة.

### (كلام فيه إجمال القول في شق القمر)

آيه شق القمر بيد النبي ص بمكة قبل الهجره باقتراح من المشركين مما تسلمها المسلمون بلا ارتياب منهم.

و يدل عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهره قوله تعالى: «اقتربت الساعة و انشق القمر و إن يروا آية يُعرضوا و يقولوا سحرٌ مستمرٌ» القمر: ٢، فالآيه الثانيه تأبى إلا- أن يكون مدلول قوله: «و انشق القمر» آيه واقعه قريبه من زمان النزول أعرض عنها المشركون كسائر الآيات التي أعرضوا عنها و قالوا: سحر مستمر.

و يدل عليها من الحديث روايات مستفيضه متكاثره رواها الفريقان و تسلمها المحدثون، و قد تقدمت نماذج منها في البحث الروائي.

فالكتاب و السنه يدلان عليها و انشقاق كره من الكرات الجويه ممكن في نفسه لا دليل على استحالته العقليه، و وقوع الحوادث الخارقه للعاده- منها الآيات المعجزات- جائز و قد قدمنا في الجزء الأول من الكتاب تفصيل الكلام فيها إمكانا و وقوعا و من أوضح الشواهد عليه القرآن الكريم فمن الواجب قبول هذه الآيه و إن لم يكن من ضروريات الدين.

و اعترض عليها بأن صدور الآيه المعجزه منه (ص) باقتراح من الناس ينافى قوله تعالى:

«و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون و آتينا ثمود الناقة مبصره فظلموا بها و ما

نُرْسَلُ بِالْآيَاتِ الْخَوِيفَاءِ: إسرء: ٥٩ فإن مفاد الآيه إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمة لأن الأمم السابقيه كذبوا بها و هؤلاء يماثلونهم فى طباعهم فيكذبون بها، و لا فائده فى الإرسال مع عدم ترتب أثر عليه أو المفاد أنا لا نرسل بها لأننا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها فعذبوا و أهلكوا و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها و عذبوا عذاب الاستئصال لكننا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب، و على أى حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة كما كانت ترسل إلى الأمم الدارجه.

نعم هذا فى الآيات المرسله باقتراح من الناس دون الآيات التى تؤيد بها الرساله كالقرآن المؤيد لرساله النبى ص و كآيتى العصا و اليد لموسى (ع) و آيه إحياء الموتى و غيرها لعيسى (ع)، و كذا الآيات النازله لطفًا منه سبحانه كالخوارق الصادره عن النبى ص لا عن اقتراح منهم.

و مثل الآيه السابقيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا إِلَى أَنْ قَالَ - قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾: إسرء: ٩٣ و غير ذلك من الآيات.

و الجواب عن هذا الاعتراض يحتاج إلى تقديم مقدمه هى أن النبى ص بعث رسولا إلى أهل الدنيا كافه بنبوه خاتمه كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: الأعراف: ١٥٨، و قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ﴾: الأنعام: ١٩، و قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: الأحزاب: ٤٠ إلى غير ذلك من الآيات.

و قد بدأ (ص) و هو بمكه بدعوه قومه من أهل مكه و حواليتها فقابلوه بما استطاعوا من الشقاق و الإيذاء و الاستهزاء و هموا بإخراجه أو إثباته أو قتله حتى أمره ربه بالهجره غير أنه آمن به و هو بمكه جمع كثير منهم و إن كانت عامتهم على الكفر و المؤمنون و إن كانوا قليلين بالنسبه إلى المشركين مضطهدين مفتنين لكنهم كانوا فى أنفسهم جمعا ذا عدد كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: النساء: ٧٧ فقد استجازوا النبى ص أن يقاتلوا المشركين فلم يأذن الله لهم فى ذلك على ما روى فى سبب نزول الآيه و هذا يدل على أنهم كانوا ذوى عدده و عدده فى الجملة و لم يزالوا يزيدون جمعا.

ثم هاجر (ص) إلى المدينة و بسط هنالك الدعوه و نشر الإسلام فيها و فى حواليتها و فى القبائل و فى اليمن و سائر أقطار الجزيره ما عدا مكه و حواليتها ثم بسط الدعوه على غير الجزيره فكاتب الملوک و العظماء من فارس و الروم و مصر سنه ست من الهجره ثم فتح مكه سنه ثمان من الهجره و قد أسلم ما بين الهجره و الفتح جمع من أهلها و حواليتها.

ثم ارتحل (ص) و كان من انتشار الإسلام ما كان، و لم يزل الإسلام يزيد جمعا و يتتشر صيتا إلى يومنا هذا و قد بلغوا خمس أهل الأرض عددا.

إذا تمهد هذا فنقول: كانت آيه انشقاق القمر آيه اقتراحيه تستعقب العذاب لو كذبوا بها و قد كذبوا و قالوا سحر مستمر و ما كان الله ليهلك بها جميع من أرسل إليهم النبى ص و هم أهل الأرض جميعا لعدم تمام الحجه عليهم يومئذ و قد كان الانشقاق سنه خمس قبل الهجره، و قد قال تعالى: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ»: الأنفال: ٤٢.

و ما كان الله ليهلك جميع أهل مكه و حواليتها خاصه و بينهم جمع من المسلمين كما قال تعالى:

«وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُم فَتَضَيَّبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»: الفتح: ٢٥.

و ما كان الله سبحانه لينجى المؤمنين و يهلك كفارهم و قد آمن جمع كثير منهم فيما بين سنه خمس قبل الهجره و سنه ثمان بعد الهجره عام فتح مكه ثم آمنت عامتهم يوم الفتح و الإسلام كان يكتفى منهم بظاهر الشهادتين.

و لم تكن عامه أهل مكه و حواليتها أهل عناد و جحود و إنما كان أهل الجحود و العناد عظاموهم و صناديدهم المستهزئين بالنبى ص المعذبين للمؤمنين، المقترحين عليه بالآيات و هم الذين يقول تعالى فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: البقره: ٦، و قد أوعد الله هؤلاء الجاحدين المقترحين بتحريم الإيمان و الهلاك فى مواضع من كلامه فلم يؤمنوا و أهلكتهم الله يوم بدر و تمت كلمه الرب صدقا و عدلا.

و أما التمسك لنفى إرسال الآيات مطلقا بقوله تعالى: «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» فالآيه لا تشمل قطعا الآيات المؤيده للرساله كالقرآن المؤيد لرساله النبى ص، و كذا الآيات النازله لطفًا كالخوارق الصادره عن النبى ص من الإخبار بالمغيبات و شفاء المرضى بدعائه و غير ذلك.

فلو كانت مطلقه فإنما تشمل الآيات الاقتراحيه و تفيد أن الله سبحانه لم يرسل الآيات

التي اقترحتها قريش-أو لم (١) يرسل النبي ص بالآيات التي اقترحوها-لأن الأسم السابقة كذبوا بها و طباع هؤلاء المقترحين طابعهم يكذبون بها و لازمها نزول العذاب و الله لا يريد أن يعذبهم عاجلا.

و قد أوضح سبحانه سبب عدم معاجلتهم بالعذاب بقوله: «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ» : الأنفال: ٣٣، و استبان بذلك أن المانع من عذابهم وجود الرسول فيهم كما يفيد أيضا قوله تعالى: «وَ إِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» :إسراء: ٧٦.

ثم قال تعالى: «وَ مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَ مَا كَانَ صِدْقَهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاةً وَ تَصْدِيهً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» : الأنفال: ٣٥ و الآيات نزلت عقيب غزوه بدر.

و الآيات تبين أنه لم يكن من قبلهم مانع من نزول العذاب غير وجود النبي ص بينهم فإذا زال المانع بخروجه من بينهم فليذوقوا العذاب و هو ما أصابهم في وقعه بدر من القتل الذريع.

و بالجملة كان المانع من إرسال الآيات تكذيب الأولين و مماثلتهم لهم في خصيصه التكذيب و وجود النبي ص بينهم المانع من معاجله العذاب فإذا وجد مقتض للعذاب كالصد و المكاء و التصديه و زال أحد ركني المانع و هو كونه(ص)فيهم فلا مانع من العذاب و لا مانع من نزول الآيه و إرسالها ليحق عليهم القول فيعذبوا بسبب تكذيبهم لها و بسبب مقتضيات آخر كالصد و نحوه.

فتحصل أن قوله تعالى: «وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ» إلخ، إنما يفيد الإمساك عن إرسال الآيات ما دام النبي ص فيهم و أما إرسالها و تأخير العذاب إلى خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه و قد صرح سبحانه بأن وقعه بدر كانت آيه و ما أصابهم فيها كان عذابا، و كذا لو كان مفاد الآيه هو الامتناع عن الإرسال لكونه لغوا بسبب كونهم مجبولين على التكذيب فإن إرسالها مع تأخير العذاب و النكال إلى خروج النبي ص من

ص: ٦٣

(١ - ١) أول شقى التريديد مبنى على كون الباء في قوله: «نرسل بالآيات» زائده و الآيات مفعول نرسل، و الثاني مبنى على كونها بمعنى المصاحبه و المفعول محذوفا.

بينهم من الفائده ليحق الله الحق و يبطل الباطل فلتكن آيه انشقاق القمر من الآيات النازله التي من فائدتها نزول العذاب عليهم بعد خروج النبي ص من بينهم.

و أما قوله تعالى: «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» فليس مدلوله نفى تأييد النبي ص بالآيات المعجزه و إنكار نزولها من أصلها كيف؟ و هو ينفىها عن نفسه بما أنه بشر رسول، و لو كان المراد ذلك لأفاد إنكار معجزات الأنبياء جميعا لكون كل منهم بشرا رسولا، و صريح القرآن فيما حدث من قصص الأنبياء و أخبر عن آياتهم يناقض ذلك، و أوضح من الجميع في مناقضه ذلك نفس الآيه التي هي من القرآن المتحدى بالإعجاز.

بل مدلوله أن النبي ص بشر رسول غير قادر من حيث نفسه على شيء من الآيات التي يقترحون عليه، و إنما الأمر إلى الله سبحانه إن شاء أنزلها و إن لم يشأ لم يفعل قال تعالى: «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ»: الأنعام: ١٠٩، و قال حاكيا عن قوم نوح: «قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّكُمْ يَا أَيُّكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ»: هود: ٣٣، و قال: «وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»: المؤمن:

٧٨، و الآيات في هذا المعنى كثيره.

و من الاعتراض على آيه الانشقاق ما قيل: إن القمر لو انشق كما يقال لرآه جميع الناس و لضبطه أهل الأرصاد في الشرق و الغرب لكونه من أعجب الآيات السماويه و لم يعهد فيما بلغ إلينا من التاريخ و الكتب الباحثه عن الأوضاح السماويه له نظير و الدواعى متوفره على استماعه و نقله.

و أجيب بما حاصله أن من الممكن أولا: أن يغفل عنه فلا دليل على كون كل حادث أرضى أو سماوى معلوما للناس محفوظا عندهم يرثه خلف عن سلف.

و ثانيا: أن الحجاز و ما حولها من البلاد العربيه و غيرها لم يكن بها مرصد للأوضاع السماويه، و إنما كان ما كان من المراصد بالهند و المغرب من الروم و اليونان و غيرها و لم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت— و هو على ما فى بعض الروايات أول الليله الرابعه عشره من ذى الحجه سنه خمس قبل الهجره—.

على أن بلاد الغرب التي كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكه من اختلاف الأفق ما



يوجب فضلا زمانيا معتادا به و قد كان القمر-على ما فى بعض الروايات-بدرا و انشق فى حوالى غروب الشمس حين طلوعه و لم يبق على الانشقاق إلا زمانا يسيرا ثم التأم فيقع طلوعه على بلاد الغرب و هو ملتئم ثانيا.

على أنا نتهم غير المسلمين من أتباع الكنيسة و الوثنيه فى الأمور الدينيه التى لها مساس نفع بالإسلام.

و من الاعتراض عليها ما قيل: إن الانشقاق لا يقع إلا ببطلان التجاذب بين الشقتين و حينئذ يستحيل الائتيم فلو كان منشقا لم يلتئم أبدا.

و الجواب عنه أن الاستحاله العقليه ممنوعه، و الاستحاله العاديه بمعنى اختراق العاده لو منعت عن الائتيم بعد الانشقاق لمنعت أولا عن الانشقاق بعد الائتيم و لم تمنع و أصل الكلام مبنى على جواز خرق العاده.

### [سوره القمر (٥٤): الآيات ١٩ الى ٤٢]

#### اشاره

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْتَهَمٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِيرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا إِنَّا بُرْسًا وَمِنَّا وَاحِدًا نَنْتَعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْتَرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْتَرِ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَتَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبُهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبَّهَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَذَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَهُ وَاحِدَهُ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَحْذَى عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)



إشاره إلى بعض ما فيه مزدجر من أنباء الأمم الدارجه خص بالذكر من بينهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون فذكرهم بأبائهم و أعاد عليهم إجمال ما قص عليهم سابقا من قصصهم و ما آل إليه تكذيبهم بآيات الله و رسله من أليم العذاب و هائل العقاب تقريرا لقوله: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ».

و لتوكيد التقرير و تمثيل ما فى هذه القصص الزاجره من الزجر القارع للقلوب عقب كل واحده من القصص بقوله خطابا لهم: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذْرِي» ثم ثناه بذكر الغرض من الإنذار و التخويف فقال: «وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ».

قوله تعالى: «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ اَزْدُجِرَ» التأكيد الأول منزل منزله اللازم أى فعلت التأكيد، و قوله: «فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» الخ، تفسيره كما فى قوله: «وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ» X الخ X: هو د: ٤٥.

و قيل: المراد بالتكذيب الأول التكذيب المطلق و هو تكذبيهم بالرسول و بالثانى التأكيد بنوح خاصه كقوله فى سورة الشعراء: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ»: الشعراء: ١٠٥، و المعنى: كذبت قوم نوح المرسلين فترتب عليه تكذبيهم لنوح، و هو وجه حسن.

و قيل: المراد بتفريع التكذب على التأكيد الإشاره إلى كونه تكذيبا إثر تكذيب بطول زمان دعوته فكلما انقضى قرن منهم مكذب جاء بعدهم قرن آخر مكذب، و هو معنى بعيد.

و مثله قول بعضهم: إن المراد بالتكذيب الأول قصده و بالثانى فعله.

و قوله: «فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» فى التعبير عن نوح (ع) بقوله: «عَبْدَنَا» فى مثل المقام تجليل لمقامه و تعظيم لأمره و إشاره إلى أن تكذبيهم له يرجع إليه تعالى لأنه عبد لا يملك شيئا و ما له فهو لله.

و قوله: «وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ اَزْدُجِرَ» المراد بالازدجار زجر الجن له أثر الجنون، و المعنى:

و لم يقتصر على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون و ازدجره الجن فلا يتكلم إلا عن زجر و ليس كلامه من الوحي السماوى فى شىء.

وقيل: الفاعل المحذوف للازدجار هو القوم، والمعنى: وازدجره القوم عن الدعوه و التبليغ بأنواع الإيذاء و التخويف، و لعل المعنى الأول أظهر.

قوله تعالى: «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ» الانتصار الانتقام، وقوله: «أَنِّي مَغْلُوبٌ» أى بالقهر و التحكم دون الحجبه، و هذا الدعاء تلخيص لتفصيل دعائه، و تفصيل دعائه مذكور فى سورة نوح و تفصيل حججه فى سورة هود و غيرها.

قوله تعالى: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» قال فى المجمع: الهمر صب الدمع و الماء بشده، و الانهمار الانصباب، انتهى. و فتح أبواب السماء و هى الجو بماء منصب استعاره تمثليه عن شده انصباب الماء و جريان المطر متواليا كأنه مدخر وراء باب مسدود يمنع عن انصبابه ففتح الباب فانصب أشد ما يكون.

قوله تعالى: «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَيَّ أَمْرٌ قَدْ قُدِرَ» قال فى المجمع: التفجير تشقيق الأرض عن الماء، و العيون جمع عين الماء و هو ما يفور من الأرض مستديرا كاستداره عين الحيوان. انتهى.

و المعنى: جعلنا الأرض عيوننا منفجره عن الماء تجرى جريانا متوافقا متتابعا.

و قوله: «فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَيَّ أَمْرٌ قَدْ قُدِرَ» أى فاللقى الماء ان ماء السماء و ماء الأرض مستقرا على أمر قدره الله تعالى أى حسب ما قدر من غير نقيصه و لا زياده و لا عجل و لا مهل.

فالماء اسم جنس أريد به ماء السماء و ماء الأرض و لذلك لم يثن، و المراد بأمر قدر الصفه التى قدرها الله لهذا الطوفان.

قوله تعالى: «وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَ دُسِيرٍ» المراد بذات الألواح و الدسر السفينه، و الألواح جمع لوح و هو الخشب التى يركب بعضها على بعض فى السفينه، و الدسر جمع دسار و دسر و هو المسمار الذى تشد بها الألواح فى السفينه، و قيل فيه معان أخر لا تلائم الآيه تلك الملاءمه.

قوله تعالى: «تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا» أى تجرى السفينه على الماء المحيط بالأرض بأنواع من مراقبتنا و حفظنا و حراستنا، و قيل: المراد تجرى بأعين أوليائنا و من و كلناه بها من الملائكه.

و قوله: «جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا» أى جريان السفينه كذلك و فيه نجاه من فيها من الهلاك ليكون جزاء لمن كان كفر به و هو نوح(ع) كفر به و بدعوته قوم، فالآيه فى معنى

قوله: «وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ -X إلى أن قال X- إِنَّا كَذَلِكِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»: الصفات: ٨٠.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» ضمير «تَرَكْنَاهَا» للسفينه على ما يفيد السياق و اللام للقسم، و المعنى: أقسم لقد أبقينا تلك السفينه التي نجينا بها نوحا و الذين معه، و جعلناها آيه يعتبر بها من اعتبر فهل من متذكر يتذكر بها وحدانيته تعالى و أن دعوه أنبيائه حق، و أن أخذه أليم شديد؟ و لازم هذا المعنى بقاء السفينه إلى حين نزول هذه الآيات علامه داله على واقعه الطوفان مذكوره لها، و قد قال بعضهم فى تفسير الآيه على ما نقل: أبقى الله سفينه نوح على الجودى حتى أدركها أوائل هذه الأمه (١)، انتهى. و قد أوردنا فى تفسير سوره هود فى آخر الأبحاث حول قصه نوح خبر أنهم عثروا فى بعض قلل جبل آراراط و هو الجودى قطعات أخشاب من سفينه متلاشيه وقعت هناك، فراجع.

و قيل: ضمير «تَرَكْنَاهَا» لما مر من القصه بما أنها فعله.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» النذر جمع نذير بمعنى الإنذار، و قيل:

مصدر بمعنى الإنذار. و الظاهر أن «كَانَ» ناقصه و اسمها «عَذَابِي» و خبرها «فَكَيْفَ»، و يمكن أن تكون تامه فاعلها قوله: «عَذَابِي» و قوله: «فَكَيْفَ» حالا منه.

و كيف كان فالاستفهام للتحويل يسجل به شده العذاب و صدق الإنذار.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» التيسير التسهيل و تيسير القرآن للذكر هو إلقاءه على نحو يسهل فهم مقاصده للعامى و الخاصى و الأفهام البسيطة و المتعمقه كل على مقدار فهمه.

و يمكن أن يراد به تنزيل حقائقه العاليه و مقاصده المرتفعه عن أفق الأفهام العاديه إلى مرحله التكليم العربى تناله عامه الأفهام كما يستفاد من قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ»: الزخرف: ٤.

و المراد بالذكر ذكره تعالى بأسمائه أو صفاته أو أفعاله، قال فى المفردات: الذكر تاره يقال و يراد به هيئه للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفه و هو كالحفظ

ص: ٦٩

إلا- أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره و تاره يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل:الذكر ذكران:ذكر بالقلب و ذكر باللسان و كل واحد منهما ضربان:ذكر عن نسيان و ذكر لا- عن نسيان بل عن إدامه الحفظ، و كل قول يقال له ذكر.انتهى.

و معنى الآية:و أقسم لقد سهلنا القرآن لأن يتذكر به، فيذكر الله تعالى و شئونه، فهل من متذكر يتذكر به فيؤمن بالله و يدين بما يدعو إليه من الدين الحق؟.

فالآية دعوه عامه إلى التذكر بالقرآن بعد تسجيل صدق الإنذار و شدة العذاب الذى أنذر به.

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» شروع فى قصه أخرى من القصص التى فيها الازدجار و لم يعطف على ما قبلها- و مثلها القصص الآتية-لأن كل واحد من هذه القصص مستقلة كافيه فى الزجر و الردع و العظة لو اتعظوا بها.

و قوله: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» مسوق لتوجيه قلوب السامعين إلى ما يلقي إليهم من كيفية العذاب الهائل بقوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ وَ لُوطَ وَ يُونُسَ لِنُذِرَ قَوْمَهُمْ أَنْ يَطَّوَّفُوا بِالْأَشْجَارِ إِلَّا هَذِهِ وَ أَنْ يَسْتَعْجِلَ سُلَيْمَانَ آيَاتِنَا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ إِنِّى نَزَّلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتُ شَجَرَةً عَلَيْهِمْ ظِلٌّ وَ مِنْ تَحْتِهِ مَاءٌ فَاسْتَبَقُوا الشَّجَرَةَ الْمَتَى وَ هُوَ يُصْرَعُونَ» الخ، و ليس مسوقاً للتحويل و تسجيل شدة العذاب و صدق الإنذار كسابقه و إلا لتكرر قوله بعد: «فَكَيْفَ كَانَ» الخ، كذا قيل و هو وجه حسن.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِيراً فِى يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ» بيان لما استفهم عنه فى قوله: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» و الصرصر -على ما فى المجمع-،الريح الشديدة الهبوب، و النحس بالفتح فالسكون مصدر كالنحوسه بمعنى الشؤم، و مُسْتَمِرٌّ صفة لنحس، و معنى إرسال الريح فى يوم نحس مستمر إرسالها فى يوم متلبس بالنحوسه و الشأمة بالنسبة إليهم المستمره عليهم لا يرجى فيه خير لهم و لا نجاه.

و المراد باليوم قطعه من الزمان لا اليوم الذى يساوى سبع الأسبوع لقوله تعالى فى موضع آخر من كلامه: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِيراً فِى أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ»: حم السجده ١٦، و فى موضع آخر: «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً»: الحاقه: ٧.

و فسر بعضهم النحس بالبرد.

قوله تعالى: «تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ» فاعل «تَنْزِعُ» ضمير راجع إلى

الرياح أى تنزع الريح الناس من الأرض، وأعجاز النخل أسافله، والمنقعر المقلوع من أصله، والمعنى ظاهر، وفي الآية إشعار ببسطه القوم أجساماً.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي -إلى قوله- مُدَكِّرٍ» تقدم تفسير الآيتين.

### (كلام فى سعادة الأيام ونحوستها و الطيره و الفأل فى فصول)

#### ١- فى سعادة الأيام ونحوستها:

نحوسه اليوم أو أى مقدار من الزمان أن لا يعقب الحوادث الواقعة فيه إلا الشر و لا يكون الأعمال أو نوع خاص من الأعمال فيه مباركة لعاملها، وسعادته خلافه.

ولا- سبيل لنا إلى إقامة البرهان على سعادة يوم من الأيام أو زمان من الأزمنة و لا نحوسته و طبيعه الزمان المقداريه متشابهه الأجزاء و الأبعاد، و لا إحاطه لنا بالعلل و الأسباب الفاعله المؤثره فى حدوث الحوادث و كينونه الأعمال حتى يظهر لنا دوران اليوم أو القطعه من الزمان من علل و أسباب تقتضى سعادته أو نحوسته، و لذلك كانت التجربه الكافيه غير متأنيه لتوقفها على مجرد الموضوع لأثره حتى يعلم أن الأثر أثره و هو غير معلوم فى المقام.

و لما مر بعينه لم يكن لنا سبيل إلى إقامة البرهان على نفى السعادة و النحوسه كما لم يكن سبيل إلى الإثبات و إن كان الثبوت بعيداً فالبعد غير الاستحاله. هذا بحسب النظر العقلى.

و أما بحسب النظر الشرعى ففى الكتاب ذكر من النحوسه و ما يقابلها، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

القمر: ١٩، و قال: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ»: حم السجده: ١٦، لكن لا- يظهر من سياق القصة و دلالة الآيتين أزيد من كون النحوسه و الشؤم خاصه بنفس الزمان الذى كانت تهب عليهم فيه الريح عذاباً و هو سبع ليال و ثمانيه أيام متواليه يستمر عليهم فيها العذاب من غير أن تدور بدوران الأسابيع و هو ظاهر و إلا كان جميع الزمان نحساً، و لا بدوران الشهور و السنين.

و قال تعالى: «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ»: الدخان: ٣، و المراد بها ليله القدر التى يصفها الله تعالى بقوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»: القدر: ٣، و ظاهر

أن مباركه هذه الليله و سعادتها إنما هي بمقارنتها نوعا من المقارنه لأمر عظام من الإفاضات الباطنيه الإلهيه و أفاعيل معنويه كإبرام القضاء و نزول الملائكه و الروح و كونها سلاما، قال تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»: الدخان: ٤، و قال: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ»: القدر: ٥.

و يثول معنى مباركتها و سعادتها إلى فضل العباده و النسك فيها و غزاره ثوابها و قرب العنايه الإلهيه فيها من المتوجهين إلى ساحه العزه و الكبرياء.

و أما السنه فهناك روايات كثيره جدا فى السعد و النحس من أيام الأسبوع و من أيام الشهور العربيه و من أيام شهور الفرس و من أيام الشهور الروميه، و هى روايات بالغه فى الكثره مودعه فى جوامع الحديث (١) أكثرها ضعاف من مراسيل و مرفوعات و إن كان فيها ما لا يخلو من اعتبار من حيث إسنادها.

أما الروايات العاده للأيام النحسه كيوم الأربعاء و الأربعاء لا تدور (٢) و سبعة أيام من كل شهر عربى و يومين من كل شهر رومى و نحو ذلك، ففى كثير منها و خاصه فيما يتعرض لنحوسه أيام الأسبوع و أيام الشهور العربيه تعليل نحوسه اليوم بوقوع حوادث مره غير مطلوبه بحسب المذاق الدينى كرحله النبى ص و شهاده الحسين (ع) و إلقاء إبراهيم (ع) فى النار و نزول العذاب بأمه كذا و خلق النار و غير ذلك.

و معلوم أن فى عدها نحسه مشئومه و تجنب اقتراب الأمور المطلوبه و طلب الحوائج التى يلتذ الإنسان بالحصول عليها فيها تحكيما للتقوى و تقويه للروح الدينيه و فى عدم الاعتناء و الاهتمام بها و الاسترسال فى الاشتغال بالسعى فى كل ما تهواه النفس فى أى وقت كان إضرابا عن الحق و هتكا لحرمة الدين و إزرء لأوليائه فتثول نحوسه هذه الأيام إلى جهات من الشقاء المعنوى منبعته عن علل و أسباب اعتباريه مرتبطه نوعا من الارتباط بهذه الأيام تفيد نوعا من الشقاء الدينى على من لا يعتنى بأمرها.

و أيضا قد ورد فى عده من هذه الروايات الاعتصام بالله بصدقه أو صوم أو دعاء أو قراءه شىء من القرآن أو غير ذلك لدفع نحوسه هذه الأيام كما

عن مجالس ابن الشيخ، بإسناده

ص: ٧٢

١- ١) أوردت منها فى الجزء الرابع عشر من كتاب البحار أحاديث جمه.

٢- ٢) الأربعاء لا تدور هى آخر أربعاء فى الشهر.



عن سهل بن يعقوب الملقب بأبي نواس عن العسكري (ع) في حديث: قلت: يا سيدي في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد-لما ذكر فيها من النحس و المخاوف-فتدلني على الاحتراز من المخاوف فيها-فإنما تدعوني الضرورة إلى التوجه في الحوائج فيها؟ فقال لي: يا سهل إن لشيئنا بولايتنا لعصمه-لو سلكوا بها في لجه البحار الغامرة-و سباسب (1) البيداء الغائره بين سباع و ذئاب-و أعادى الجن و الإنس-لآمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عز و جل و أخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين-و توجه حيث شئت و اقصد ما شئت. الحديث.

ثم أمره (ع) بشيء من القرآن و الدعاء أن يقرأه-و يدفع به النحوسه و الشأمه و يقصد ما شاء.

و في الخصال، بإسناده عن محمد بن رباح الفلاح قال: رأيت أبا إبراهيم (ع) يحتجم يوم الجمعة-فقلت: جعلت فداك تحتجم يوم الجمعة؟ قال: أقرأ آيه الكرسي- فإذا هاج بك الدم ليلا كان أو نهارا-فاقرأ آيه الكرسي و احتجم.

و في الخصال، أيضا بإسناده عن محمد بن أحمد الدقاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثاني (ع)-أسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا تدور، فكتب (ع): من خرج يوم الأربعاء لا- تدور-خلافًا على أهل الطيره-وقى من كل آفه و عوفى من كل عاهه-و قضى الله له حاجته.

و كتب إليه مره أخرى يسأله-عن الحجامة يوم الأربعاء لا تدور، فكتب (ع): من احتجم في يوم الأربعاء لا تدور-خلافًا على أهل الطيره عوفى من كل آفه، و وقى من كل عاهه، و لم (2) تخضر محاجمه.

و في معناها ما في تحف العقول: قال الحسين بن مسعود: دخلت على أبي الحسن على بن محمد (ع)-و قد نكبت إصبعي و تلقاني راكب و صدم كتفي، و دخلت في زحمه فخرقوا على بعض ثيابي-فقلت: كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك. فقال (ع) لي:

يا حسن هذا-و أنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له؟.

قال الحسن: فأثاب إلى عقلي و تبينت خطئي-فقلت: يا مولاي أستغفر الله. فقال:

ص: ٧٣

١-١) السباسب جمع سبب: المفازة.

٢-٢) هذه الجملة إشاره إلى نفي ما في عده من الروايات أن من احتجم في يوم الأربعاء أو يوم الأربعاء لا تدور اخضرت محاجمه، و في بعضها خيف عليه أن تخضر محاجمه.

يا حسن ما ذنب الأيام-حتى صرتم تتشاءمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟قال الحسن:

أنا أستغفر الله أبدا،و هي توبتي يا بن رسول الله.

قال:ما ينفعكم و لكن الله يعاقبكم بدمها-على ما لا ذم عليها فيه.أ ما علمت يا حسن- أن الله هو المشيب و المعاقب و المجازى- بالأعمال عاجلا و آجلا؟قلت:بلى يا مولاي.قال:

لا تعد-و لا تجعل للأيام صنعا في حكم الله.قال الحسن:بلى يا مولاي.

و الروايات السابقة-و لها نظائر في معناها-يستفاد منها أن الملاك في نحوسه هذه الأيام النحسات هو تطير عامه الناس بها و للتطير تأثير نفساني كما سيأتي،و هذه الروايات تعالج نحوستها التي تأتيها من قبل الطيره بصرف النفس عن الطيره إن قوى الإنسان على ذلك،و بالالتجاء إلى الله سبحانه و الاعتصام به بقرآن يتلوه أو دعاء يدعو به إن لم يقو عليه بنفسه.

و حمل بعضهم هذه الروايات المسلمه لنحوسه بعض الأيام على التقيه،و ليس بذاك البعيد فإن التشاؤم و التفاؤل بالأزمه و الأمكنه و الأوضاع و الأحوال من خصائص العامه يوجد منه عندهم شئ كثير عند الأمم و الطوائف المختلفه على تشتهم و تفرقهم منذ القديم إلى يومنا و كان بين الناس حتى خواصهم في الصدر الأول في ذلك روايات دائره يسندونها إلى النبي ص لا يسع لأحد أن يردّها

كما في كتاب المسلسلات،ياسناده عن الفضل بن الربيع قال: كنت يوما مع مولاي المأمون-فأردنا الخروج يوم الأربعاء فقال المأمون:يوم مكروه سمعت أبي الرشيد يقول:سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول:سمعت أبي محمد بن علي يقول:سمعت أبي عليا يقول:سمعت أبي عبد الله بن عباس يقول:سمعت رسول الله ص يقول:إن آخر الأربعاء في الشهر يوم نحس مستمر.

و أما الروايات الداله على الأيام السعيده من الأسبوع و غيرها فالوجه فيها نظير ما تقدمت إليه الإشاره في الأخبار الداله على نحوستها من الوجه الأول فإن في هذه الأخبار تعليل بركه ما عده من الأيام السعيده بوقوع حوادث متبركه عظيمه في نظر الدين كولاده النبي ص و بعثته

و كما ورد: أنه(ص)دعا فقال:اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم سبتها و خميسها ،

و ما ورد: أن الله ألان الحديد لدود(ع)يوم الثلاثاء،و أن النبي ص كان يخرج للسفر يوم الجمعة،و أن الأحد من أسماء الله تعالى.

فتبين مما تقدم على طوله أن الأخبار الوارده في سعادة الأيام و نحوستها لا تدل على أزيد

من ابتنائهما على حوادث مرتبطه بالدين توجب حسنا و قبحا بحسب الذوق الدينى أو بحسب تأثير النفوس، و أما اتصاف اليوم أو أى قطعه من الزمان بصفه الميمنه أو المشأمه و اختصاصه بخواص تكوينيه عن علل و أسباب طبيعيه تكوينيه فلا، و ما كان من الأخبار ظاهرا فى خلاف ذلك فإما محمول على التقيه أو لا اعتماد عليه.

## ٢- فى سعادته الكواكب و نحوستها

و تأثير الأوضاع السماويه فى الحوادث الأرضيه سعادته و نحوسه. الكلام فى ذلك من حيث النظر العقلى كالكلام فى سعادته الأيام و نحوستها فلا سبيل إلى إقامه البرهان على شىء من ذلك كسعادته الشمس و المشتري و قران السعدين و نحوسه المريخ و قران النحسين و القمر فى العقرب.

نعم كان القدماء من منجمى الهند يرون للحوادث الأرضيه ارتباطا بالأوضاع السماويه مطلقا أعم من أوضاع الثوابت و السيارات، و غيرهم يرى ذلك بين الحوادث و بين أوضاع السيارات السبع دون الثوابت و أوردوا لأوضاعها المختلفه خواص و آثارا تسمى بأحكام النجوم يرون عند تحقق كل وضع أنه يعقب وقوع آثاره.

و القوم بين قائل بأن الأجرام الكوكبيه موجودات ذوات نفوس حيه مريده تفعل أفعالها بالعليه الفاعليه، و قائل بأنها أجرام غير ذات نفس تؤثر أثرها بالعليه الفاعليه، أو هى معدات لفعله تعالى و هو الفاعل للحوادث أو أن الكواكب و أوضاعها علامات للحوادث من غير فاعليه و لا إعداد، أو أنه لا شىء من هذه الارتباطات بينها و بين الحوادث حتى على نحو العلاميه و إنما جرت عادته الله على أن يحدث حادثه كذا عند وضع سماوى، كذا.

و شىء من هذه الأحكام ليس بدائمي مطرد بحيث يلزم حكم كذا و ضعا كذا فربما تصدق و ربما تكذب لكن الذى بلغنا من عجائب القصص و الحكايات فى استخراجاتهم يعطى أن بين الأوضاع السماويه و الحوادث الأرضيه ارتباطا ما إلا أنه فى الجمله لا بالجمله كما أن بعض الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (ع) يصدق ذلك كذلك.

و على هذا لا- يمكن الحكم البتى بكون كوكب كذا أو وضع كذا سعدا أو نحسا و أما أصل ارتباط الحوادث و الأوضاع السماويه و الأرضيه بعضها ببعض فليس فى وسع الباحث الناقد إنكار ذلك.

و أما القول بكون الكواكب أو الأوضاع السماويه ذوات تأثير فيما دونها سواء قيل

بكونها ذوات نفوس ناطقه أو لم يقل فليس مما يخالف شيئا من ضروريات الدين إلا أن يقال بكونها خالقه موجد له لما دونها من غير أن ينتهي ذلك إليه تعالى فيكون شركا لكنه لا قائل به حتى من وثنيه الصابئه التي تعبد الكواكب، أو أن يقال بكونها مدبره للنظام الكوني مستقلة في التدبير فيكون ربوبيه تستعقب المعبوديه فيكون شركا كما عليه الصابئه عبده الكواكب.

و أما الروايات الواردة في تأثير النجوم سعادا و نحسا و تصديقا و تكذيبا فهي كثيره جدا على أقسام:

منها: ما يدل بظاهره على تسليم السعاده و النحوسه فيها

كما في الرساله الذهبيه، عن الرضا (ع): اعلم أن جماعهن و القمر في برج الحمل-أو الدلو من البروج أفضل-و خير من ذلك أن يكون في برج الثور-لكونه شرف القمر.

و في البحار، عن النوادر بإسناده عن حمران عن أبي عبد الله (ع) قال: من سافر أو تزوج و القمر في العقرب لم ير الحسنى الخبر،

و في كتاب النجوم، لابن طاووس عن علي (ع): يكره أن يسافر الرجل في محاق الشهر-و إذا كان القمر في العقرب.

و يمكن حمل أمثال هذه الروايات على التقيه على ما قيل، أو على مقارنه الطيره العامه كما ربما يشعر به ما في عده من الروايات من الأمر بالصدقه لدفع النحوسه

كما في نوادر الراوندى، بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده في حديث: إذا أصبحت فتصدق بصدقه تذهب عنك نحس ذلك اليوم، و إذا أمسيت فتصدق بصدقه-تذهب عنك نحس تلك الليله الخبر، و يمكن أن يكون ذلك لارتباط خاص بين الوضع السماوى و الحادثه الأرضيه بنحو الاقتضاء.

و منها: ما يدل على تكذيب تأثيرات النجوم في الحوادث و النهى الشديد عن الاعتقاد بها و الاشتغال بعلمها

كما في نهج البلاغه: المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر-و الساحر كالكافر و الكافر في النار. و يظهر من أخبار آخر تصدقها و تجوز النظر فيها أن النهى عن الاشتغال بها و البناء عليها إنما هو فيما اعتقد لها استقلال في التأثير لتأديته إلى الشرك كما تقدم.

و منها: ما يدل على كونه حقا في نفسه غير أن قليله لا ينفع و كثيره لا يدرك كما في

الكافي، بإسناده عن عبد الرحمن بن سيابه قال: قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك

إن الناس يقولون: إن النجوم لا- يحل النظر فيها و هو يعجبنى-فإن كانت تضر بديني فلا حاجه لى فى شىء يضر بديني،و إن كانت لا تضر بديني-فو الله إنى لأشتهيها و أشتهى النظر فيها.فقال:ليس كما يقولون لا يضر بدينك-ثم قال:إنكم تنظرون فى شىء منها-كثيره لا يدرك و قليله لا ينتفع به. الخبر.

و فى البحار،عن كتاب النجوم لابن طاووس عن معاويه بن حكيم عن محمد بن زياد عن محمد بن يحيى الخثعمى قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن النجوم حق هى؟قال لى:نعم- فقلت له:و فى الأرض من يعلمها؟قال:نعم و فى الأرض من يعلمها،و فى عده من الروايات:

ما يعلمها إلا أهل بيت من الهند-و أهل بيت من العرب:و فى بعضها:من قریش.

و هذه الروايات تؤيد ما قدمناه من أن بين الأوضاع و الأحكام ارتباطا ما فى الجملة.

نعم

ورد فى بعض هذه الروايات: أن الله أنزل المشتري على الأرض فى صورته رجل-فلقى رجلا من العجم-فعلمه النجوم حتى ظن أنه بلغ-ثم قال له انظر أين المشتري؟فقال:ما أراه فى الفلك و ما أدرى أين هو؟فحاه و أخذ بيد رجل من الهند-فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ و قال:انظر إلى المشتري أين هو؟فقال:إن حسابى ليدل على أنك أنت المشتري- قال:فشهق شهقه فمات و ورث علمه أهله-فالعالم هناك. الخبر،و هو أشبه بالموضوع.

### ٣- فى التفاؤل و التطير

و هما الاستدلال بحادث من الحوادث على الخير و ترقبه و هو التفاؤل أو على الشر و هو التطير و كثيرا ما يؤثران و يقع ما يترقب منهما من خير أو شر و خاصه فى الشر و ذلك تأثير نفسانى.

و قد فرق الإسلام بين التفاؤل و التطير فأمر بالتفاؤل و نهى عن التطير،و فى ذلك تصديق لكون ما فيهما من التأثير تأثيرا نفسانيا.

أما التفاؤل ففيما روى

عن النبى ص: تفاءلوا بالخير تجدوه، و كان(ص)كثير التفاؤل نقل عنه ذلك فى كثير من مواقفه (١).

و أما التطير فقد ورد فى مواضع من الكتاب نقله عن أمم الأنبياء فى دعواتهم لهم حيث كانوا يظهرون لأنبيائهم أنهم اطيروا بهم فلا يؤمنون،و أجاب عن ذلك أنبيأؤهم

ص: ٧٧



الى خسرو برويز يدعوه الى الإسلام فمزق كتابه و أرسل إليه قبضه من تراب فتفاءل صلى الله عليه و آله منه أن المؤمنين  
سيملكون أرضهم.

بما حاصله أن التطير لا يقبل الحق باطلا ولا الباطل حقا، وأن الأمر إلى الله سبحانه لا إلى الطائر الذي لا يملك لنفسه شيئا فضلا عن أن يملك لغيره الخير والشر والسعادة والشقاء قال تعالى: «قَالُوا إِذَا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» :يس: ١٩، أى ما يجر إليكم الشر هو معكم لا- معنا، وقال: «قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ» :النمل: ٤٧، أى الذى يأتيكم به الخير أو الشر عند الله فهو الذى يقدر فيكم ما يقدر لا أنا و من معى فليس لنا من الأمر شيء.

وقد وردت أخبار كثيرة فى النهى عن الطيره و فى دفع شؤمها بعدم الاعتناء أو بالتوكل و الدعاء، و هى تؤيد ما قدمناه من أن تأثيرها من التأثيرات النفسانيه

ففى الكافى، بإسناده عن عمرو بن حريث قال: قال أبو عبد الله (ع): الطيره على ما تجعلها إن هونها تهونت، و إن شددتها تشددت، و إن لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا. و دلالة الحديث على كون تأثيرها من التأثيرات النفسانيه ظاهره، و مثله الحديث المروى من طرق أهل السنه:

ثلاث لا- يسلم منها أحد: الطيره و الحسد و الظن. قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ، و إذا ظننت فلا تحقق.

و فى معناه ما فى الكافى، عن القمى عن أبيه عن النوفلى عن السكونى عن أبى عبد الله (ع) قال: قال رسول الله ص: كفاره الطيره التوكل. الخبر و ذلك أن فى التوكل إرجاع أمر التأثير إلى الله تعالى، فلا يبقى للشئ أثر حتى يتضرر به، و فى معناه ما ورد من طرق أهل السنه

على ما فى نهايه ابن الأثير: الطيره شرك و ما منا إلا و لكن الله يذهب بالتوكل.

و فى المعنى السابق ما روى عن موسى بن جعفر (ع) أنه قال: الشؤم للمسافر فى طريقه سبعة أشياء: الغراب الناعق عن يمينه، و الكلب الناشر لذنبه، و الذئب العاوى الذى يعوى فى وجه الرجل - و هو مقع على ذنبه ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثا، و الطبى السانح عن يمين إلى شمال، و البومه الصارخه، و المرأه الشمطاء تلقى فرجها، و الأتان العضبان يعنى الجدعاء، فمن أوجس فى نفسه منهن شيئا فليقل: اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد فى نفسى - فيعصم من ذلك.

(١)

ص: ٧٨

و يلحق بهذا البحث الكلامى فى نحوسه سائر الأمور المعدوده عند العامه مشئومه نحسه كالعطاس مره واحده عند العزم على أمر وغير ذلك و قد وردت فى النهى عن التطير بها و التوكل عند ذلك روايات فى أبواب متفرقه،

و فى النبوى المروى من طرق الفريقين:

لا عدوى (١)، و لا طيره، و لا هامه، و لا شؤم، و لا صفر، و لا رضاع بعد فصال، و لا تعرب بعد هجره، و لا صمت يوما إلى الليل، و لا طلاق قبل نكاح، و لا عتق قبل ملك، و لا يتم بعد إدراك.

## [بيان]

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ» النذر إما مصدر كما قيل و المعنى: كذبت ثمود بإنذار نبيهم صالح (ع)، و إما جمع نذير بمعنى المنذر، و المعنى: كذبت ثمود بالأنبياء لأن تكذيبهم بالواحد منهم تكذيب منهم بالجميع لأن رسالتهم واحده لا اختلاف فيها فيكون فى معنى قوله: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ»: الشعراء: ١٤١، و إما جمع نذير بمعنى الإنذار و مرجعه إلى أحد المعنيين السابقين.

قوله تعالى: «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّثْلًا وَإِحْدًا نَّبَعُهُ إِذَا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ» تفريع على التكذيب و السعر جمع سعير بمعنى النار المشتعله، و احتمال أن يكون بمعنى الجنون و هو أنسب للسياق، و الظاهر أن المراد بالواحد الواحد العددى، و المعنى: كذبوا به فقالوا:

أ بشرًا من نوعنا و هو شخص واحد لا عدده له و لا جموع معه نتبعه إنا إذا مستقرون فى ضلال عجيب و جنون.

فيكون هذا القول توجيهها منهم لعدم اتباعهم لصالح لفقده العده و القوه و هم قد اعتادوا على اتباع من عنده ذلك كالمملوك و العظماء و قد كان صالح (ع) يدعوهم إلى طاعه نفسه و رفض طاعه عظمائهم كما يحكيه الله سبحانه عنه بقوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا أَوْلِيَّ اللَّهِ وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ»: الشعراء: ١٥١.

ص: ٧٩

١ - ١) العدوى مصدر كالأعداء بمعنى تجاوز مرض المريض منه الى غيره كما يقال فى الجرب و البواء و الجدرى و غيرها، و المراد بنفى العدوى كما يفيد مود الروايه أن يكون العدوى مقتضى المرض من غير انتساب الى مشيه الله تعالى، و الهامه ما كان أهل الجاهليه يزعمون أن روح القتل تصير طائرًا يأوى الى قبره و يصيح و يشتكى العطش حتى يؤخذ بثأره، و الصفر هو التصغير عند سقايه الحيوان و غيره.



و لو أخذ الواحد واحدا نوعيا كان المعنى: أ بشرا هو واحد منا أى هو مثلنا و من نوعنا نتبعه؟ و كانت الآيه التاليه مفسره لها.

قوله تعالى: «أَأَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ» الاستفهام كسابقه للإنتكار و المعنى: أ أنزل الوحي عليه و اختص به من بيننا و لا فضل له علينا؟ لا يكون ذلك أبدا، و التعبير بالإلقاء دون الإنزال و نحوه للإشعار بالعجله كما قيل.

و من المحتمل أن يكون المراد نفى أن يختص بإلقاء الذكر من بينهم و هو بشر مثلهم فلو كان الوحي حقا و جاز أن ينزل على البشر لنزل على البشر كلهم فما باله اختص بما من شأنه أن يرزقه الجميع؟ فتكون الآيه فى معنى قولهم له كما فى سوره الشعراء: «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا»: الشعراء: ١٥٤.

و قوله: «بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ» أى شديد البطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بهذا الطريق.

قوله تعالى: «سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِ» حكاية قوله سبحانه لصالح (ع) كالأيتين بعدها.

و المراد بالغد العاقبه من قولهم: إن مع اليوم غدا، يشير سبحانه به إلى ما سينزل عليهم من العذاب فيعلمون عند ذلك علم عيان من هو الكذاب الأشر صالح أو هم؟.

قوله تعالى: «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاصْطَبِرْ» فى مقام التعليل لما أخبر من أنهم سينزل عليهم العذاب و المفاد أنهم سينزل عليهم العذاب لأننا فاعلون كذا و كذا، و الفتنه الامتحان و الابتلاء، و المعنى: أنا مرسلون-على طريق الإعجاز-الناقه التى يسألونها امتحانا لهم فانتظرهم و اصبر على أذاهم.

قوله تعالى: «وَبَبَّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ» ضمير الجمع الأول للقوم و الثانى للقوم و الناقه على سبيل التغليب، و القسمه بمعنى المقسوم، و الشرب النصيب من شرب الماء، و المعنى: و خبرهم بعد إرسال الناقه أن الماء مقسوم بين القوم و بين الناقه كل نصيب من الشرب يحضر عنده صاحبه فيحضر القوم عند شربهم و الناقه عند شربها قال تعالى: «قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ»: الشعراء: ١٥٥.

قوله تعالى: «فَذَادُوا صَدَأِجَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ» المراد بصاحبهم عاقر الناقه، و التعاطى التناول و المعنى: فنأدى القوم عاقر الناقه لعقرها فتناول عقرها فعقرها و قتلها.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَهُ وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ» المحتظر صاحب الحظيره و هي كالحائط يعمل ليجعل فيه الماشيه، و هشيم المحتظر الشجر اليابس و نحوه يجمعه صاحب الحظيره لماشيته، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا» إلخ تقدم تفسيره.

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ» تقدم تفسيره في نظيره.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَيِّحِرٍ» الحاصب الريح التي تأتي بالحجاره و الحصباء، و المراد بها الريح التي أرسلت فرمتهم بسجيل منضود.

و قال في مجمع البيان: سحر إذا كان نكره يراد به سحر من الأسحار يقال: رأيت زيدا سحرا من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت: أتيت به سحر- بالفتح- و أتيت به سحر- من غير تنوين- انتهى، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ» «نِعْمَةٌ» مفعول له من «نَجَّيْنَاهُمْ» أى نجيناهم ليكون نعمه من عندنا نخصهم بها لأنهم كانوا شاكرين لنا و جزاء الشكر لنا النجاه.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ» ضمير الفاعل فى «أَنْذَرَهُمْ» للوط(ع)، و البطشه الأخذه الشديده بالعذاب، و التمارى الإصرار على الجدال و إلقاء الشك، و النذر الإنذار، و المعنى: أقسم لقد خوفهم لوط أخذنا الشديد فجادلوا فى إنذاره و تخويفه.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَأَوْهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي» مرادته عن ضيفه طلبهم منه أن يسلم إليهم أضيافه و هم الملائكه، و طمس أعينهم محوها، و قوله:

«فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي» التفات إلى خطابهم تشديدا و تقريعا، و النذر مصدر أريد به ما يتعلق به الإنذار و هو العذاب، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ» قال فى مجمع البيان: و قوله:

«بُكْرَةً» ظرف زمان فإذا كان معرفه بأن تريد بكرة يومك تقول: أتيت به بكرة و غدوه لم تصرفهما فبكرة هنا- و قد نون-نكره، و المراد باستقرار العذاب حلوله بهم و عدم تخلفه عنهم.

قوله تعالى: «فَذُوقُوا عَذَابِي - إلى قوله - مِنْ مُدَّكِرٍ» تقدم تفسيره.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ» المراد بالنذر الإنذار، وقوله: «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» مفصول من غير عطف لكونه جوابا لسؤال مقدر كأنه لما قيل: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ» قيل: فما فعلوا؟ فأجيب بقوله: «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا»، و فرع عليه قوله: «فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ».

### (بحث روائي)

في روح المعاني، "في قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» "أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "لو لا أن الله يسره على لسان الآدميين - ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى".

قال: و أخرج الديلمي مرفوعا عن أنس مثله. ثم قال: ولعل خبر أنس إن صح ليس تفسيراً للآية.

أقول: و ليس من البعيد أن يكون المراد المعنى الثاني الذي قدمناه في تفسير الآية.

و في تفسير القمي، في قوله: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» قال: صب بلا قطر - «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ» قال: ماء السماء و ماء الأرض «عَلَى أَمْرٍ قَدِ قَدِرَ وَ حَمَلْنَا» يعني نوحاً «عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ وَ دُسِرٍ» قال: الألواح السفينة و الدسر المسامير.

و فيه، "في قوله تعالى: «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ» قال: قدار الذي عقر الناقة، وقوله: «كَهَشِيمٍ» قال: الحشيش و النبات.

و في الكافي، بإسناده عن أبي يزيد عن أبي عبد الله (ع): في حديث يذكر فيه قصه قوم لوط قال: فكابروه يعني لوطا حتى دخلوا البيت - فصاح به جبرئيل فقال: يا لوط دعهم - فلما دخلوا أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم - فذهبت أعينهم و هو قول الله عز و جل: «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ».

### [سورة القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]

#### إشارة

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَ كُلُّ صَیْغٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَتَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)

الآيات فى معنى أخذ النتيجة مما أعيد ذكره من الأنباء التى فيها مزدجر و هى نبأ الساعه المذكور أولا ثم أنباء الأمم الهالكه المذكوره ثانيا فهى تنعطف أولا على أنباء الأمم الهالكه فتخاطب قوم النبى ص أن كفاركم ليسوا خيرا من أولئك الأمم الطاغيه الجباره وقد أهلكهم الله على أذل وجه و أهونه و لا- لكم براهه مكتوبه من عذاب الله، و لا- أن جمعكم ينفعكم فى الذب عن العقاب. ثم تنعطف إلى ما مر من نبأ الساعه بأنها موعدهم الصعب أن أكرموا و كذبوا و الساعه أدهى و أمر، ثم تشير إلى موطن المتقين يومئذ و عند ذلك تختتم السوره.

قوله تعالى: « أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ » الظاهر أنه خطاب لقوم النبى ص من مسلم و كافر على ما تشعر به الإضافه فى « كُفَّارُكُمْ » و الخيره هى الخيره فى زينه الدنيا و زخارف حياتها كالمال و البنين أو من جهه الأخلاق العامه فى مجتمعهم كالسخاء

و الشجاعه و الشفقه على الضعفاء، و الإشاره بأولئكم إلى الأقسام المذكوره أنباؤهم: قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون، و الاستفهام للإنكار.

و المعنى: ليس الذين كفروا منكم خيرا من أولئكم الأمم المهلكين المعذبين حتى يشملهم العذاب دونكم.

و يمكن أن يكون خطاب « أَكْفَارُكُمْ » لخصوص الكفار بعنايه أنهم قوم النبی ص و فيهم كفار و هم هم.

و قوله: « أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ » ظاهره أيضا عموم الخطاب، و الزبر جمع زبور و هو الكتاب، و قد ذكروا أن المراد بالزبر الكتب السماويه المنزله على الأنبياء، و المعنى: بل أ لكم براءه فى الكتب السماويه التى نزلت من عند الله أنكم فى أمن من العذاب و المؤاخذه و إن كفرتم و أجرتم و اقترتم ما شئتم من الذنوب.

قوله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ » الجميع المجموع و المراد به وحده مجتمعهم من حيث الإراده و العمل، و الانتصار الانتقام أو التناصر كما فى خطابات يوم القيامة:

« مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ »: الصافات: ٢٥، و المعنى: بل أ يقولون أى الكفار نحن قوم مجتمعون متحدون ننتقم ممن أرادنا بسوء أو ينصر بعضنا بعضا فلا ننهمز.

قوله تعالى: « سَيُيْهِزُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ » اللام فى « الْجَمْعُ » للعهد الذكري و فى « الدُّبُرُ » للجنس، و تولى الدبر الإدبار، و المعنى: سيهزم الجمع الذى يتبجحون به و يولون الأدبار و يفرون.

و فى الآيه إخبار عن مغلوبيه و انهزام لجمعهم، و دلاله على أن هذه المغلوبيه انهزام منهم فى حرب سيقدمون عليها، و قد وقع ذلك فى غزاه بدر، و هذا من ملاحم القرآن الكريم.

قوله تعالى: « بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَ أَمْرٌ » اسم تفضيل من الدهاء و هو عظم البليه المنكره التى ليس إلى التخلص منها سبيل، و « أَمْرٌ » اسم تفضيل من المراره ضد الحلاوه، و فى الآيه إضراب عن إيعادهم بالانهزام و العذاب الدنيوى إلى إيعادهم بما سيجرى عليهم فى الساعه و قد أشير إلى نبئها فى أول الأنبياء الزاجره، و الكلام يفيد الترقى.

و المعنى: و ليس الانهزام و العذاب الدنيوى مقام عقوبتهم بل الساعه التى أشرنا إلى نبئها هى موعدهم و الساعه أدهى من كل داهيه و أمر من كل مر.

قوله تعالى: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ» جمع سعي و هي النار المسعرة و في الآيه تعليل لما قبلها من قوله: «وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَ أَمْرٌ» و المعنى: إنما كانت الساعه أدهى و أمر لهم لأنهم مجرمون و المجرمون في ضلال عن موطن السعاده و هو الجنه و نيران مسعره.

قوله تعالى: «يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي الدَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ» السحب جر الإنسان على وجهه، و «يَوْمَ» ظرف لقوله: «فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ» و «سَقَرَ» من أسماء جهنم و مسها هو إصابتها لهم بحرها و عذابها.

و المعنى: كونهم في ضلال و سحر في يوم يجرون في النار على وجوههم يقال لهم:

ذوقوا ما تصيبكم جهنم بحرها و عذابها.

قوله تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» «كُلَّ شَيْءٍ» منصوب بفعل مقدر يدل عليه «خَلَقْنَاهُ» و التقدير خلقنا كل شيء خلقناه، و «بِقَدَرٍ» متعلق بقوله: «خَلَقْنَاهُ» و الباء للمصاحبه، و المعنى: أنا خلقنا كل شيء مصاحبا لقدر.

و قدر الشيء هو المقدار الذي لا يتعداه و الحد و الهندسه التي لا يتجاوزها في شيء من جانبى الزيادة و النقصه، قال تعالى: «وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» الحجر: ٢١، فلكل شيء حد محدود في خلقه لا يتعداه و صراط ممدود في وجوده يسلكه و لا يتخطاه.

و الآيه في مقام التعليل لما في الآيتين السابقتين من عذاب المجرمين يوم القيامة كأنه قيل:

لما ذا جوزى المجرمون بالضللال و السحر يوم القيامة و أذيقوا مس سقر؟ فأجيب بقوله:

«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» و محصله أن لكل شيء قدرا و من القدر في الإنسان أن الله سبحانه خلقه نوعا متكاثر الأفراد بالتناسل اجتماعيا في حياته الدنيا يتزود من حياته الدنيا لداثره لحياته الآخرة الباقية، و قدر أن يرسل إليهم رسولا يدعوهم إلى سعاده الدنيا و الآخرة فمن استجاب الدعوه فاز بالسعاده و دخل الجنه و جاور ربه، و من ردها و أجرم فهو في ضلال و سحر.

و من الخطأ أن يقال: إن الجواب عن السؤال بهذا النحو من المصادر الممنوعه في الاحتجاج فإن السؤال عن مجازاته تعالى إياهم بالنار لإجرامهم في معنى السؤال عن تقديره ذلك، فمعنى السؤال: لم قدر الله للمجرمين المجازاه بالنار؟ و معنى الجواب: أن الله قدر للمجرمين المجازاه بالنار، أو معنى السؤال: لم يدخلهم الله النار؟ و معنى الجواب: أن

الله يدخلهم النار و ذلك مصادره بينه.

و ذلك لأن بين فعلنا و بين فعله تعالى فرقا فإننا نتبع فى أفعالنا القوانين و الأصول الكليه المأخوذه من الكون الخارجى و الوجود العينى، و هى الحاكمه علينا فى إرادتنا و أفعالنا، فإذا أكلنا لجوع أو شربنا لعطش فإنما نريد بذلك الشبع و الرى لما حصلنا من الكون الخارجى أن الأكل يفيد الشبع و الشرب يفيد الرى و هو الجواب لو سئلنا عن الفعل.

و بالجمله أفعالنا تابعه للقواعد الكليه و الضوابط العامه المنتزعه عن الوجود العينى المتفرعه عليه، و أما فعله تعالى فهو نفس الوجود العينى، و الأصول العقليه الكليه مأخوذه منه متأخره عنه محكوممه له فلا تكون حاكمه فيه متقدمه عليه، قال تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ»: الأنبياء: ٢٣، و قال: «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»: الحج: ١٨، و قال:

«الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ»: آل عمران: ٦٠.

فلا- سؤال عن فعله تعالى بلم بمعنى السؤال عن السبب الخارجى إذ لا سبب دونه يعينه فى فعله، و لا بمعنى السؤال عن الأصل الكلى العقلى الذى يصحح فعله إذ الأصول العقليه منتزعه عن فعله متأخره عنه.

نعم وقع فى كلامه سبحانه تعليل الفعل بأحد ثلاثه أوجه:

أحدها: تعليل الفعل بما يترتب عليه من الغايات و الفوائد العائده إلى الخلق لا إليه، لكنه تعليل للفعل لا لكونه فعلا له سبحانه بل لكونه أمرا واقعا فى صف الأسباب و المسببات كما فى قوله تعالى: «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَ زُهَبَانَا وَ أَنَّهُمْ لَا يَشِيءُ تَكْبِيرُونَ»: المائدة: ٨٢، و قال: «وَ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةَ وَ الْمَسْكَنَةَ X- إلى أن قال X- ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ»: البقره: ٦١.

الثانى: تعليل فعله تعالى بشىء من أسمائه و صفاته المناسبه له كتعليله تعالى مضامين كثير من الآيات فى كلامه بمثل قوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» إلى غير ذلك و هو شائع فى القرآن الكريم، و إذا أجدت التأمل فى موارد وجدتها من تعليل الفعل بما له من صفة خاصه بصفه عامه لفعله تعالى فإن أسماءه تعالى الفعليه منتزعه عن فعله العام فتعليل فعل خاص بصفه من صفاته و اسم من أسمائه تعليل الوجه الخاص فى الفعل بالوجه العام فيه كقوله تعالى: «وَ كَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»: العنكبوت: ٦٠، يعلل قضاء حاجه الدواب

و الإنسان إلى الرزق المسئول بلسان حاجتها بأنه سميع عليم أى أنه خلق كل شىء و الحال أن مسائلهم مسموعه له و أحوالهم معلومه عنده و هما صفتا فعله العام، و قوله: «فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» البقره: ٣٧، يعلل توبته على آدم بأنه تواب رحيم أى صفه فعله هى التوبه و الرحمه.

الثالث: تعليل فعله الخاص بفعله العام و مرجعه فى الحقيقه إلى الوجه الثانى كقوله:

«إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ - إلى أن قال - إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» فإن القدر و هو كون الشىء محدودا لا يتخطى حده فى مسير وجوده فعل عام له تعالى لا يخلو عنه شىء من الخلق فتعليل العذاب بالقدر من تعليل فعله الخاص بفعله العام و بيان أنه مصداق من مصاديق القدر إذ كان من المقدر فى الإنسان أن لو أجرم برد دعوه النبوه عذب و دخل النار يوم القيامه، و كقوله: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» مريم:

٧١، يعلل الورود بالقضاء و هو فعل له عام و الورود خاص بالنسبه إليه.

فتبين أن ما فى كلامه من تعليل فعل من أفعاله إنما هو من تعليل الفعل الخاص بصفته العامه و العله عله للإثبات لا للثبوت، و ليس من المصادره فى شىء.

قوله تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» قال فى المجمع: اللمح النظر بالعجله و هو خطف البصر. انتهى.

و المراد بالأمر ما يقابل النهى لكنه الأمر التكوينى بإرادته وجود الشىء، قال تعالى:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» يس: ٨٢ فهو كلمه كن و لعله لكونه كلمه اعتبر الخبر مؤنثا فقيل: «إِلَّا وَاحِدَةٌ».

و الذى يفيد السياق أن المراد بكون الأمر واحده أنه لا يحتاج فى مضيه و تحقق متعلقه إلى تعدد و تكرار بل أمر واحد بإلقاء كلمه كن يتحقق به المتعلق المراد كلمح بالبصر من غير تأن و مهل حتى يحتاج إلى الأمر ثانيا و ثالثا.

و تشبيه الأمر من حيث تحقق متعلقه بلمح بالبصر لا لإفاده أن زمان تأثيره قصير كزمان تحقق اللمح بالبصر بل لإفاده أنه لا يحتاج فى تأثيره إلى مضى زمان و لو كان قصيرا فإن التشبيه باللمح بالبصر فى الكلام يبنى به عن ذلك، فأمره تعالى و هو إيجاد و إرادته وجوده لا- يحتاج فى تحققه إلى زمان و لا مكان و لا حركه كيف لا؟ و نفس الزمان و المكان و الحركه إنما تحققت بأمره تعالى.



و الآيه و إن كانت بحسب مؤداها فى نفسها تعطى حقيقه عامه فى خلق الأشياء و أن وجودها من حيث إنه فعل الله سبحانه كلمح بالبصر و إن كان من حيث إنه وجود لشيء كذا تدريجيا حاصلًا شيئًا فشيئًا.

إلا أنها بحسب وقوعها فى سياق إبعاد الكفار بعذاب يوم القيامة ناظره إلى إتيان الساعه و أن أمرا واحدا منه تعالى يكفى فى قيام الساعه و تجديد الخلق بالبعث و النشور فتكون متممه لما أقيم من الحججه بقوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

فيكون مفاد الآيه الأولى أن عذابهم بالنار على وفق الحكمه و لا محيص عنه بحسب الإراده الإلهيه لأنه من القدر، و مفاد هذه الآيه أن تحقق الساعه التى يعذبون فيها بمضى هذه الإراده و تحقق متعلقها لا مثنونه فيه عليه سبحانه لأنه يكفى فيه أمر واحد منه تعالى كلمح بالبصر.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» الأشياع جمع شيعه و المراد - كما قيل - الأشباه و الأمثال فى الكفر و تكذيب الأنبياء من الأمم الماضيه.

و المراد بالآيه و الآيتين بعدها تأكيد الحججه السابقه التى أقيمت على شمول العذاب لهم لا محاله.

و محصل المعنى: أن ليس ما أنذرناكم به من عذاب الدنيا و عذاب الساعه مجرد خير أخبرناكم به و لا قول ألقيناه إليكم فهذه أشياعكم من الأمم الماضيه شرع فيهم بذلك فقد أهلكتناهم و هو عذابهم فى الدنيا و سيلقون عذاب الآخره فإن أعمالهم مكتوبه مضبوطه فى كتب محفوظه عندنا سنحاسبهم بها و نجازيهم بما عملوا.

قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ» الزبر كتب الأعمال و تفسيره باللوح المحفوظ سخيف، و المراد بالصغير و الكبير صغير الأعمال و كبيرها على ما يفيد السباق.

قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ» أى فى جنات عظيمه الشأن بالغه الوصف و نهر كذلك، قيل: المراد بالنهر الجنس، و قيل: النهر بمعنى السعه.

قوله تعالى: «فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» المقعد المجلس، المليك صيغه مبالغه للملك على ما قيل، و ليس من إشباع كسر لام الملك، و المقتدر القادر العظيم القدره و هو الله سبحانه.

و المراد بالصدق صدق المتقين في إيمانهم و عملهم أضيف إليه المقعد لملاسه ما و يمكن أن يراد به كون مقامهم و ما لهم فيه صدقا لا يشوبه كذب فلهم حضور لا غيبه معه، و قرب لا بعد معه، و نعمه لا نغمه معها، و سرور لا غم معه، و بقاء لا فناء معه.

و يمكن أن يراد به صدق هذا الخبر من حيث إنه تبشير و وعد جميل للمتقين، و على هذا ففيه نوع مقابله بين وصف عاقبه المتقين و المجرمين حيث أوعد المجرمون بالعذاب و الضلال و قرر ذلك بأنه من القدر و لن يتخلف، و وعد المتقون بالثواب و الحضور عند ربهم المليك المقتدر و قرر ذلك بأنه صدق لا كذب فيه.

### (بحث روائي)

في كمال الدين، بإسناده إلى علي بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال: سألته عن الرقى أ تدفع من القدر شيئا؟ فقال: هي من القدر.

و قال: إن القدرية مجوس هذه الأمة- و هم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله- فأخرجوه من سلطانه و فيهم نزلت هذه الآية: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ- ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

أقول: المراد بالقدرية النافون للقدر و هم المعتزلة القائلون بالتفويض، و قوله: إنهم مجوس هذه الأمة ذلك لقولهم: إن خالق الأفعال الاختيارية هو الإنسان و الله خالق لما وراء ذلك فأثبتوا إلهين اثنين كما أثبتت المجوس إلهين اثنين: خالق الخير و خالق الشر.

و قوله: أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه، و ذلك أنهم قالوا بخلق الإنسان لأفعاله فرارا عن القول بالجبر المنافي للعدل فأخرجوا الله من سلطانه على أعمال عباده بقطع نسبتها عنه تعالى.

و قوله: و فيهم نزلت هذه الآية، إلخ، المراد به جرى الآيات فيهم دون كونهم سببا للنزول و موردا له لما عرفت في تفسير الآيات من كونها عامه بحسب السياق، و في نزول الآيات فيهم روايات أخرى مرويه عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع)، و من طرق أهل السنه أيضا روايات في هذا المعنى عن ابن عباس و ابن عمر و محمد بن كعب و غيرهم.

و في الدر المنثور، أخرج أحمد عن حذيفه بن اليمان قال: قال رسول الله ص: إن لكل أمه مجوسا- و إن مجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر. الخبر.

أقول: ورواه في ثواب الأعمال، بإسناده عن الصادق عن آبائه عن علي (ع) ولفظه:

لكل أمه مجوس -و مجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر.

وفيه، أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص: النهر الفضاء والسعه ليس بنهر جار.

وفيه، أخرج أبو نعيم عن جابر قال: بينا رسول الله ص يوما في مسجد المدينة -فذكر بعض أصحابه الجنة -فقال النبي ص: يا أبا دجانة -أ ما علمت أن من أحبنا وابتلى بمحبتنا -أسكنه الله تعالى معنا؟ ثم تلا «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ».

و في روح المعاني،: في قوله: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ» الآية، و:

قال جعفر الصادق رضي الله عنه:

مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

### (كلام في القدر)

القدر وهو هندسه الشيء و حد وجوده مما تكرر ذكره في كلامه تعالى فيما تكلم فيه في أمر الخلقه، قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» الحجر: ٢١، و ظاهره أن القدر ملازم للإنزال من الخزائن الموجوده عنده تعالى، و أما نفس الخزائن و هي من إبداعه تعالى لا محاله فهي غير مقدره بهذا القدر الذي يلزم الإنزال و الإنزال إصداره إلى هذا العالم المشهود كما يفيدته قوله: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»: الحديد: ٢٥، و قوله: «وَ أَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ»: الزمر: ٦.

و يؤيد ذلك ما ورد من تفسير القدر بمثل العرض و الطول و سائر الحدود و الخصوصيات الطبيعیه الجسمانيه

كما في المحاسن، عن أبيه عن يونس عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: لا يكون إلا ما شاء الله و أراد و قدر و قضى. قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل.

قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه. قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله و عرضه. قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مرد له.

و روى هذا المعنى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن إسحاق عن الرضا (ع) في خبر مفصل و فيه: فقال: أ و تدرى ما قدر؟ قال: لا، قال: هو الهندسه من الطول و العرض و البقاء. الخبر.

و من هنا يظهر أن المراد بكل شىء فى قوله: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»: الفرقان: ٣، وقوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» القمر: ٤٩، وقوله: «وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ»: الرعد: ٨، وقوله: «الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ»: طه: ٥٠، الأشياء الواقعة فى عالمنا المشهود، من الطبيعىات الواقعة تحت الخلق و التركيب، أو أن للتقدير مرتبتين: مرتبه تعم جميع ما سوى الله و هى تحديد أصل الوجود بالإمكان و الحاجه و هذا يعم جميع الموجودات ما خلا- الله سبحانه، قال تعالى: «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا» النساء: ١٢٤.

و مرتبه تخص عالمنا المشهود و هى تحديد وجود الأشياء الموجوده فيه من حيث وجودها و آثار وجودها و خصوصيات كونها بما أنها متعلقه الوجود و الآثار بأمر خارج من العلل و الشرائط فيختلف وجودها و أحوالها باختلاف عللها و شرائطها فهى مقلوبه بقوالب من داخل و خارج تعين لها من العرض و الطول و الشكل و الهيئه و سائر الأحوال و الأفعال ما يناسبها.

فالتقدير يهدى هذا النوع من الموجودات إلى ما قدر لها فى مسير وجودها، قال تعالى:

«الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ»: الأعلى: ٣، أى هدى ما خلقه إلى ما قدر له، ثم أتم ذلك بامضاء القضاء، و فى معناه قوله فى الإنسان: «مَنْ نُطِفِهِ خَلْقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ»: عبس: ٢٠، و يشير بقوله: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ» إلى أن التقدير لا ينافى اختياريه أفعاله الاختياريه.

و هذا النوع من القدر فى نفسه غير القضاء الذى هو الحكم البنى منه تعالى بوجوده «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ»: الرعد: ٤١، فربما قدر و لم يعقبه القضاء كالقدر الذى يقتضيه بعض العلل و الشرائط الخارجه ثم يبطل لمانع أو باستخلاف سبب آخر، قال تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ»: الرعد: ٣٩، و قال: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا»: البقره: ١٠٦، و ربما قدر و تبعه القضاء كما إذا قدر من جميع الجهات باجتماع جميع علله و شرائطه و ارتفاع موانعه.

و إلى ذلك يشير قوله (ع) فى خبر المحاسن السابق: إذا قضى أمضاه فذلك الذى لا مرد له، و قريب منه ما فى عده من أخبار القضاء و القدر ما معناه أن القدر يمكن أن يتخلف و أما القضاء فلا يرد.

و عن علي (ع) بطرق مختلفه كما فى التوحيد، بإسناده عن ابن نباته: أن أمير المؤمنين (ع) عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر - فقيل له: يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل.

و أما النوع الأول من الموجودات الذى قدره حد وجوده من إمكانه و حاجته فحسب فالقدر و القضاء فيه واحد و لا يتخلف القدر فيه عن التحقق البته.

و البحث العقلى يؤيد ما تقدم فإن الأمور التى لها علل مركبه من فاعل و ماده و شرائط و معدات و موانع فإن لكل منها تأثيرا فى الشىء بما يسانخه فهو كالقالب الذى يقرب به الشىء فىأخذ لنفسه هيئه قلبه و خصوصيته و هذا هو قدره ثم العله التامه إذا اجتمعت أجزاءه أعطته ضروره الوجود، و هذه هى القضاء الذى لا - مرد له، و قد تقدم فى تفسير أول سوره الإسراء كلام فى القضاء لا يخلو من نفع فى هذا البحث، فليرجع إليه.

### (٥٥) (سوره الرحمن مكيه أو مدنيه و هى ثمان و سبعون آيه) (٧٨)

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ٣٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالزَّيْتُونَ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)

ص: ٩٢

تتضمن السوره الإشاره إلى خلقه تعالى العالم بأجزائه من سماء و أرض و بر و بحر و إنس و جن و نظم أجزائه نظما ينتفع به الثقلان الإنس و الجن فى حياتهما و ينقسم بذلك العالم إلى نشأتين:نشأه دنيا ستفنى بفناء أهلها، و نشأه أخرى باقيه تتميز فيها السعاده من الشقاء و النعمه من النقمه.

و بذلك يظهر أن دار الوجود من دنياها و آخرتها ذات نظام واحد مؤتلف الأجزاء مرتبط الأبعاض قويم الأركان يصلح بعضه ببعض و يتم شطر منه بشطر.

فما فيه من عين و أثر، من نعمه تعالى و آلائه، و لذا يستفهمهم مره بعد مره استفهاما مشوبا بعتاب بقوله: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فقد كررت الآية فى السوره إحدى و ثلاثين مره.

و لذلك افتتحت السوره بذكره تعالى بصفه رحمته العامه الشامله للمؤمن و الكافر و الدنيا و الآخره و اختتمت بالثناء عليه بقوله: «**لَبَّارِكْ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

و السوره يحتمل كونها مكيه أو مدنيه و إن كان سياقها بالسياق المكي أشبه و هي السوره الوحيدة في القرآن افتتحت بعد البسملة باسم من أسماء الله عز اسمه،

و في المجمع، عن موسى بن جعفر عن آبائه (ع) عن النبي ص قال: لكل شيء عروس -و عروس القرآن سوره الرحمن جل ذكره: و رواه في الدر المنثور، عن البيهقي عن علي (ع) عن النبي ص .

قوله تعالى: «**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ**» الرحمن كما تقدم في تفسير سوره الفاتحه صيغه مبالغه تدل على كثرة رحمه ببذل النعم و لذلك ناسب أن يعم ما يناله المؤمن و الكافر من نعم الدنيا و ما يناله المؤمن من نعم الآخره، و لعمومه ناسب أن يصدر به الكلام لاشتمال الكلام في السوره على أنواع النعم الدنيويه و الآخريه التي ينتظم بها عالم الثقلين الإنس و الجن.

ذكروا أن الرحمن من الأسماء الخاصه به تعالى لا يسمى به غيره بخلاف مثل الرحيم و الراحم.

و قوله: «**عَلَّمَ الْقُرْآنَ**» شروع في عد النعم الإلهيه، و لما كان القرآن أعظم النعم قدرا و شأننا و أرفعها مكانا-لأنه كلام الله الذي يخط صراطه المستقيم و يتضمن بيان نهج السعاده التي هي غايه ما يأمله أمل و نهايه ما يسأله سائل-قدم ذكر تعليمه على سائر النعم حتى على خلق الإنس و الجن اللذين نزل القرآن لأجل تعليمهما.

و حذف مفعول «**عَلَّمَ**» الأول و هو الإنسان أو الإنس و الجن و التقدير علم الإنسان القرآن أو علم الإنس و الجن القرآن، و هذا الاحتمال الثاني و إن لم يتعرضوا له لكنه أقرب الاحتمالين لأن السوره تخاطب في تضاعيف آياتها الجن كالإنس و لو لا شمول التعليم في قوله:

«**عَلَّمَ الْقُرْآنَ**» لهم لم يتم ذلك.

و قيل: المفعول المحذوف محمد ص أو جبرئيل و الأنسب للسياق ما تقدم.

قوله تعالى: «**خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**» ذكر خلق الإنسان و سيذكر خصوصيه خلقه بقوله: «**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**»، و الإنسان من أعجب مخلوقات الله تعالى أو هو أعجبها يظهر ذلك بقياس وجوده إلى وجود غيره من المخلوقات و التأمل فيما

خط له من طريق الكمال فى ظاهره و باطنه و دنياه و آخرته، قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»: التين: ٦.

و قوله: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» البيان الكشف عن الشىء و المراد به الكلام الكاشف عما فى الضمير، و هو من أعجب النعم و تعليمه للإنسان من عظيم العناية الإلهيه المتعلقة به فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرئته و قصبته و الحلقوم و لا ما يحصل من التنوع فى الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده على مخارج الحروف المختلفه فى الفم.

بل يجعل الإنسان بإلهام باطنى من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المعتمده على مخرج من مخارج الفم المسمى حرفاً أو المركب من عدده من الحروف علامه مشيره إلى مفهوم من المفاهيم يمثل به ما يغيب عن حس السامع و إدراكه فيقدر به على إحضار أى وضع من أوضاع العالم المشهود و إن جل ما جل أو دق ما دق من موجود أو معدوم ماض أو مستقبل، ثم على إحضار أى وضع من أوضاع المعانى غير المحسوسه التى ينالها الإنسان بفكره و لا سبيل للحس إليها يحضرها جميعاً لسامعه و يمثلها لحسه كأنه يشخصها له بأعيانها.

و لا- يتم للإنسان اجتماعه المدنى و لا تقدم فى حياته هذا التقدم الباهر إلا بتنبهه لوضع الكلام و فتحه بذلك باب التفهيم و التفهم، و لو لا ذلك لكان هو و الحيوان العجم سواء فى جمود الحياه و ركودها.

و من أقوى الدليل على أن اهتداء الإنسان إلى البيان بإلهام إلهى له أصل فى التكوين اختلاف اللغات باختلاف الأمم و الطوائف فى الخصائص الروحيه و الأخلاق النفسانيه و بحسب اختلاف المناطق الطبيعيه التى يعيشون فيها، قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ»: الروم: ٢٢.

و ليس المراد بقوله: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أن الله سبحانه وضع اللغات ثم علمها الإنسان بالوحى إلى نبي من الأنبياء أو بالإلهام فإن الإنسان بوقوعه فى ظرف الاجتماع مندفع بالطبع إلى اعتبار التفهيم و التفهم بالإشارات و الأصوات و هو التكلم و النطق لا يتم له الاجتماع المدنى دون ذلك.

على أن فعله تعالى هو التكوين و الإيجاد و الرابطه بين اللفظ و معناه اللغوى وضعيه اعتباريه لا حقيقه خارجيه بل الله سبحانه خلق الإنسان و فطره فطره تؤديه إلى الاجتماع المدنى ثم إلى وضع اللغه بجعل اللفظ علامه للمعنى بحيث إذا ألقى اللفظ إلى سامعه فكأنما



يلقى إليه المعنى ثم إلى وضع الخط بجعل الأشكال المخصوصه علائم للألفاظ فالخط مكمل لغرض الكلام، و هو يمثل الكلام كما أن الكلام يمثل المعنى.

و بالجمله البيان من أعظم النعم و الآلاء الربانيه التي تحفظ لنوع الإنسان موقفه الإنساني و تهديه إلى كل خير.

هذا ما هو الظاهر المتبادر من الآيتين، و لهم في معناهما أقوال: فقيل: الإنسان هو آدم (ع) و البيان الأسماء التي علمه الله إياها، و قيل: الإنسان محمد ص و البيان القرآن أو تعليمه المؤمنين القرآن، و قيل: البيان الخير و الشر علمهما الإنسان، و قيل: سبيل الهدى و سبيل الضلال إلى غير ذلك و هي أقوال بعيدة عن الفهم.

قوله تعالى: «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» الحسبان مصدر بمعنى الحساب، و الشمس مبتدأ و القمر معطوف عليه، و بحسبان خبره، و الجمله خبر بعد خبر لقوله: «الرَّحْمَنُ» و التقدير الشمس و القمر يجريان بحساب منه على ما قدر لهما من نوع الجرى.

قوله تعالى: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» قالوا: المراد بالنجم ما ينجم من النبات و يطلع من الأرض و لا ساق له، و الشجر ما له ساق من النبات، و هو معنى حسن يؤيده الجمع و القرن بين النجم و الشجر و إن كان ربما أوهم سبق ذكر الشمس و القمر كون المراد بالنجم هو الكواكب.

و سجود النجم و الشجر انقيادهما للأمر الإلهي بالنشوء و النمو على حسب ما قدر لهما كما قيل، و أدق منه أنهما يضربان في التراب بأصولهما و أعراقهما لجذب ما يحتاجان إليه من المواد العنصريه التي يغتذيان بها و هذا السقوط على الأرض إظهارا للحاجه إلى المبدأ الذي يقضى حاجتهما- و هو في الحقيقه الله الذي يريهما كذلك- سجود منهما له تعالى.

و الكلام في إعراب قوله: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» و هو معطوف على الآيه السابقه كالكلام في قوله: «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» و التقدير و النجم و الشجر يسجدان له.

قال في الكشاف: فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن يعني قوله:

«الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ -إلى قوله- يَسْجُدَانِ»؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه و السجود له لا لغيره.

و قال في وجه إخلاء الآيات السابقه -خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ- عن العاطف ما محصله أن هذه الجمل الأولى واردة على سنن التعديد ليكون كل

واحد من الجمل مستقله فى تفريع الذين أنكروا الرحمن و آلاءه كما ييكت منكر أيدى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه  
فيقال: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثر ك بعد قله، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه؟.

ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبيكت فى وصل ما يحب وصله للتاسب و التقارب بالعاطف فقول: « وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَ  
السَّمَاءُ رَفَعَهَا » إلخ، انتهى.

قوله تعالى: « وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ » المراد بالسما إن كان جهه العلو فرفعها خلقها مرفوعه لا رفعها بعد خلقها و إن كان  
ما فى جهه العلو من الأجرام فرفعها تقدير محالها بحيث تكون مرفوعه بالنسبه إلى الأرض بالفتق بعد الرتق كما قال تعالى: « أَوْ  
لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا »: الأنبياء: ٣٠، و الرفع على أى حال رفع حسى.

و إن كان المراد ما يشمل منازل الملائكة الكرام و مصادر الأمر الإلهى و الوحى فالرفع معنوى أو ما يشمل الحسى و المعنوى.

و قوله: « وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ » المراد بالميزان كل ما يوزن أى يقدر به الشىء أعم من أن يكون عقيدة أو قولاً أو فعلاً و من مصاديقه  
الميزان الذى يوزن به الأثقال، قال تعالى:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ»: الحديد: ٢٥.

فظاهره مطلق ما يميز به الحق من الباطل و الصدق من الكذب و العدل من الظلم و الفضيله من الرذيله على ما هو شأن الرسول  
أن يأتى به من عند ربه.

و قيل: المراد بالميزان العدل أى وضع الله العدل بينكم لتسوا به بين الأشياء بإعطاء كل ذى حق حقه.

و قيل: المراد بالميزان الذى يوزن به الأثقال و المعنى الأول أوسع و أشمل.

قوله تعالى: « أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ » الظاهر أن المراد بالميزان الميزان المعروف و هو  
ميزان الأثقال، فقوله: « أَلَّا تَطْغَوْا » إلخ على تقدير أن يراد بالميزان فى الآيه السابقه أيضا ميزان الأثقال، و هو بيان وضع الميزان، و  
المعنى أن معنى وضعنا الميزان بينكم هو أن اعدلوا فى وزن الأثقال و لا تطغوا فيه.

و على تقدير أن يراد به مطلق التقدير الحق أو العدل هو استخراج حكم جزئى من حكم كلى، والمعنى أن لازم ما وضعناه من التقدير الحق أو العدل بينكم هو أن تزنوا الأثقال بالقسط و لا تطغوا فيه.

و على أى حال الظاهر أن «إن» فى قوله: «أَلَا تَطْغَوْا» تفسيريه، و«لا تطغوا» نهى عن الطغيان فى الميزان و«أَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ» أمر معطوف عليه، و القسط العدل و«لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» نهى آخر مبين لقوله: «أَلَا تَطْغَوْا إِيَّاهُ»، و مؤكده. و الإخسار فى الميزان التطفيف به زياده أو نقيصه بحيث يخسر البائع أو المشتري.

و أما جعل «الْمِيزَانَ» ناصبه و«أَلَا تَطْغَوْا» نفياً، و التقدير: لئلا تطغوا، فيحتاج إلى تكلف توجيهه فى عطف الإنشاء على الإخبار فى قوله: «وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ» إلخ.

قوله تعالى: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» الأنام للناس، و قيل: الإنس و الجن، و قيل:

كل ما يدب على الأرض، و فى التعبير فى الأرض بالوضع قبال التعبير فى السماء بالرفع لطف ظاهر.

قوله تعالى: «فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» المراد بالفاكهة الثمره غير التمر، و الأكام جمع كم بضم الكاف و كسرهما وعاء التمر و هو الطلع، و أما كم القميص فهو مضموم الكاف لا غير كما قيل.

قوله تعالى: «وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحَانُ» معطوف على قوله: «فَأَكِهَةٌ» أى و فيها الحب و الريحان، و الحب ما يقتات به كالحنطة و الشعير و الأرز، و العصف ما هو كالغلاف للحب و هو قشره، و فسر بورق الزرع مطلقاً و بورق الزرع اليابس، و الريحان النبات الطيب الرائحه.

قوله تعالى: «فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الآلاء جمع إلى بمعنى النعمه.

و الخطاب فى الآيه لعامه الثقلين: الجن و الإنس و يدل على ذلك توجيه الخطاب إليهما صريحا فيما سيأتى من قوله: «سَيَنْفِرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» و قوله: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْبِإِنْسِ» إلخ، و قوله: «يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شِوَاظًا» إلخ، فلا يصغى إلى قول من قال: إن الخطاب فى الآيه للذكر و الأنثى من بنى آدم، و لا إلى قول من قال: إنه من خطاب الواحد بخطاب الاثنين و يفيد تكرار الخطاب نحو يا شرطى اضربا عنقه أى اضرب عنقه اضرب عنقه.

و توجيه الخطاب إلى عالمى الجن و الإنس هو المصحح لعد ما سنذكره من شدائد يوم

القيامة و عقوبات المجرمين من أهل النار من آلائه و نعمه تعالى، فإن سوق المسيئين و أهل الشقوه فى نظام الكون إلى ما تقتضيه شقوتهم و مجازاتهم بتبعات أعمالهم من لوازم صلاح النظام العام الجارى فى الكل الحاكم على الجميع فذلك نعمه بالقياس إلى الكل و إن كان نعمه بالنسبه إلى طائفه خاصه منهم و هم المجرمون و هذا نظير ما نجده فى السنن و القوانين الجارىه فى المجتمعات فإن التشديد على أهل البغى و الفساد مما يتوقف عليه حياه المجتمع و بقاؤه و ليس يتنعم به أهل الصلاح خاصه كما أن إثابه أهل الصلاح بالثناء الجميل و الأجر الحسن كذلك.

فما فى النار من عذاب و عقاب لأهلها و ما فى الجنه من كرامه و ثواب آلاء و نعم على معشر الجن و الإنس كما أن الشمس و القمر و السماء المرفوعه و الأرض الموضوعه و النجم و الشجر و غيرها آلاء و نعم على أهل الدنيا.

و يظهر من الآيه أن للجن تنعما فى الجملة بهذه النعم المعدوده فى خلال الآيات كما للإنس و إلا لم يصح إشراكهم مع الإنس فى التوبيخ.

قوله تعالى: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ» الصلصال الطين اليابس الذى يتردد منه الصوت إذا وطأ، و الفخار الخزف.

و المراد بالإنسان نوعه و المراد بخلقه من صلصال كالفخار انتهاء خلقه إليه، و قيل:

المراد بالإنسان آدم (ع).

قوله تعالى: «وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ» المارج هو اللهب الخالص من النار، و قيل: اللهب المختلط بسواد، و الكلام فى الجان كالكلام فى الإنسان فالمراد به نوع الجن، و عدهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقتهم إليها، و قيل: المراد بالجان أبو الجن.

قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» المراد بالمشرقين مشرق الصيف و مشرق الشتاء، و بذلك تحصل الفصول الأربعة و تنتظم الأرزاق، و قيل: المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرباهما.

قوله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» المريج الخلط و المريج الإرسال، يقال: مريج أى خلطه و مريج أى أرسله و المعنى الأول أظهر، و الظاهر أن المراد بالبحرين العذب الفرات و الملح الأجاج، قال تعالى: «وَ مَا يَشْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً

و أمثل ما قيل في الآيتين أن المراد بالبحرين جنس البحر المالح الذى يغمر قريبا من ثلاثه أرباع الكره الأرضيه من البحار المحيطه، و غير المحيطه و البحر العذب المدخر فى مخازن الأرض التى تنفجر الأرض عنها فتجرى العيون و الأنهار الكبيره فتصب فى البحر المالح، و لا يزالان يلتقيان، و بينهما حاجز و هو نفس المخازن الأرضيه و المجارى يحجز البحر المالح أن يبغي على البحر العذب فيغشيه و يبدله بحرا مالحا و تبطل بذلك الحياه، و يحجز البحر العذب أن يزيد فى الانصباب على البحر المالح فيبدله ماء عذبا فتبطل بذلك مصلحه ملوحته من تطهير الهواء و غيره.

و لا يزال البحر المالح يمد البحر العذب بالأمطار التى تأخذها منه السحب فتمطر على الأرض و تدخرها المخازن الأرضيه و البحر العذب يمد البحر المالح بالانصباب عليه.

فمعنى الآيتين -و الله أعلم- خلط البحرين العذب الفرات و الملح الأجاج حال كونهما مستمرين فى تلاقيهما بينهما حاجز لا يطغيان بأن يغمر أحدهما الآخر فيذهب بصفته من العذوبه و الملوحة فيختل نظام الحياه و البقاء.

قوله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» أى من البحرين العذب و المالح جميعا و ذلك من فوائدهما التى ينتفع بها الإنسان، و قد تقدم فيه الكلام فى تفسير قوله تعالى:

«وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ» X الآيه X: فاطر: ١٢.

قوله تعالى: «وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ» الجوارى جمع جاريه و هى السفينه، و المنشآت اسم مفعول من الإنشاء و هو إحداث الشئ و تربيته، و الأعلام جمع علم بفتحيتين و هو الجبل.

و عد الجوارى مملوكه له تعالى مع كونها من صنع الإنسان لأن الأسباب العامله فى إنشائها من خشب و حديد و سائر أجزائها التى تتركب منها و الإنسان الذى يركبها و شعوره و فكره و إرادته كل ذلك مخلوق له و مملوك فما ينتجه عملها من ملكه.

فهو تعالى المنعم بها للإنسان ألهمه طريق صنعها و المنافع المترتبه عليها و سبيل الانتفاع بمنافعها الجمه.

قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» ضمير «عَلَيْهَا» للأرض أى كل ذى شعور و عقل على الأرض سيفنى و فيه تسجيل الزوال و الدثور على الثقيلين.

و إنما أتى باللفظ الدال على أولى العقل - كل من عليها - لم يقل: كل ما عليها كذلك لأن الكلام مسرود في السوره لتعداد نعمه و آلائه تعالى للثقلين في نشأتهم الدنيا و الآخره.

و ظهور قوله: «فَانِ» في الاستقبال كما يستفاد أيضا من السياق يعطى أن قوله:

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» يشير إلى انقطاع أمد النشأه الدنيا و ارتفاع حكمها بفناء من عليها و هم الثقلان و طلوع النشأه الأخرى عليهم، و كلاهما أعنى فناء من عليها و طلوع نشأه الجزاء عليهم من النعم و الآلاء لأن الحياه الدنيا حياه مقدميه لغرض الآخره و الانتقال من المقدمه إلى الغرض و الغايه نعمه.

و بذلك يندفع قول من قال: أي نعمه في الفناء حتى يجعل من النعم و يعد من الآلاء.

و محصل الجواب أن حقيقه هذا الفناء الرجوع إلى الله بالانتقال من الدنيا كما تفسره آيات كثيره في كلامه تعالى و ليس هو الفناء المطلق.

و قوله: «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ» وجه الشىء ما يستقبل به غيره و يقصده به غيره، و هو فيه سبحانه صفاته الكريمه التي تتوسط بينه و بين خلقه فتتزل بها عليهم البركات من خلق و تدبير كالعلم و القدره و السمع و البصر و الرحمه و المغفره و الرزق و قد تقدم في تفسير سوره الأعراف كلام مبسوط في كون أسمائه و صفاته تعالى و سائط بينه و بين خلقه.

و قوله: «ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» في الجلال شىء من معنى الاعتلاء و الترفع المعنوى على الغير فيناسب من الصفات ما فيه شائبه الدفع و المنع كالعلو و التعالى و العظمه و الكبرياء و التكبر و الإحاطه و العزه و الغلبه.

و يبقى للإكرام من المعنى ما فيه نعت البهاء و الحسن الذى يجذب الغير و يولفه كالعلم و القدره و الحياه و الرحمه و الجود و الجمال و الحسن و نحوها و تسمى صفات الجمال كما تسمى القسم الأول صفات الجلال و تسمى الأسماء أيضا على حسب ما فيها من صفات الجمال أو الجلال بأسماء الجمال أو الجلال.

فذو الجلال و الإكرام اسم من الأسماء الحسنى جامع بمفهومه بين أسماء الجمال و أسماء الجلال جميعا.

و المسمى به بالحقيقه هو الذات المقدسه كما فى قوله فى آخر السوره: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» لكن أجرى فى هذه الآيه - وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ -

على الوجه، وهو إما لكونه وصفاً مقطوعاً عن الوصفية للمدح، والتقدير هو ذو الجلال والإكرام، وإما لأن المراد بالوجه كما تقدم هو صفته الكريمه واسمه المقدس وإجراء الاسم على الاسم مآله إلى إجراء الاسم على الذات.

و معنى الآية على تقدير أن يراد بالوجه ما يستقبل به الشيء غيره وهو الاسم - ومن المعلوم أن بقاء الاسم (١) فرع بقاء المسمى -  
و يبقى ربك عز اسمه بما له من الجلال والإكرام من غير أن يؤثر فناؤهم فيه أثراً أو يغير منه شيئاً.

و على تقدير أن يراد بالوجه ما يقصده به غيره و مصداقه كل ما ينتسب إليه تعالى فيكون مقصوداً بنحو للمتوجه إليه كأنبيائه و أوليائه و دينه و ثوابه و قربه و سائر ما هو من هذا القبيل فالمعنى: و يبقى بعد فناء أهل الدنيا ما هو عنده تعالى و هو من صقعه و ناحيته كأنواع الجزاء و الثواب و القرب منه، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: النحل: ٩٦.

و قد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: القصص: ٨٨ من الكلام بعض ما لا يخلو من نفع في المقام.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْلُغُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سؤال حاحه فهم في حاحه من جميع جهاتهم إليه تعالى متعلقو الوجودات به متمسكون بذيل غناه و جوده، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: فاطر: ١٥، و قال في هذا المعنى من السؤال: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: إبراهيم: ٣٤.

و قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ تنكير «شأن» للدلالة على التفرقة و الاختلاف فالمعنى:

كل يوم هو تعالى في شأن غير ما في سابقه و لاحقته من الشأن فلا يتكرر فعل من أفعاله مرتين و لا يماثل شأن من شئونه شأناً آخر من جميع الجهات و إنما يفعل على غير مثال سابق و هو الإبداع، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: البقرة: ١١٧.

و معنى ظرفيه اليوم إحاطته تعالى في مقام الفعل على الأشياء فهو سبحانه في كل زمان و ليس في زمان و في كل مكان و ليس في مكان و مع كل شيء و لا يدانى شيئاً.

ص: ١٠٢

فى الكافى، روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله ص الرحمن على الناس سكتوا- فلم يقولوا شيئاً، فقال رسول الله ص: الجن كانوا أحسن جواباً منكم- لما قرأت عليهم «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» قالوا: لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب:.

أقول: وروى هذا المعنى فى الدر المنثور، عن عده من أصحاب الجوامع- و صححه- عن ابن عمر عنه (ص).

وفى العيون، بإسناده عن الرضا (ع): فيما سأل الشامى علياً (ع) وفيه: سأله عن اسم أبى الجن فقال: شؤمان وهو الذى خلق من مارج من نار.

وفى الاحتجاج، عن على (ع) فى حديث: وأما قوله: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» فإن مشرق الشتاء على حده ومشرق الصيف على حده. أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟:

أقول: وروى هذا المعنى القمى فى تفسيره، مرسلًا مضمرا.

وفى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: " فى قوله: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» قال: على و فاطمه «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» قال: النبى ص «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» قال: الحسن والحسين:.

أقول: ورواه أيضا عن ابن مردويه عن أنس بن مالك مثله، ورواه فى مجمع البيان، عن سلمان الفارسى وسعيد بن جبير وسفيان الثورى. وهو من البطن.

وفى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» قال من على وجه الأرض «وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ» قال: دين ربك، و

قال على بن الحسين (ع): نحن الوجه الذى يؤتى الله منه.

وفى مناقب ابن شهر آشوب، قوله: «وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ»

قال الصادق (ع): نحن وجه الله.

أقول: وفى معنى هاتين الروايتين غيرهما، وقد تقدم ما يوجه به تفسير الوجه بالدين وبالإمام.



و فى الكافى، فى خطبه لعلى (ع): الحمد لله الذى لا يموت و لا ینقضى عجائبه-لأنه كل يوم هو فى شأن من إحداث بدیع لم یکن.

و فى تفسیر القمى، "فى الآیه قال: یحیی و یمیت و یزید و ینقص.

و فى المجمع، عن أبى الدرءاء عن النبى ص: فى قوله: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ» قال: من شأنه أن یغفر ذنبا، و یفرج كربا، و یرفع قوما، و یضع آخرین:.

أقول: و رواه عنه فى الدر المثور، و روى ما فى معناه عن ابن عمر عنه (ص) و لفظه:

یغفر ذنبا و یفرج كربا.

### [سوره الرحمن (۵۵): الآيات ۳۱ الى ۷۸]

#### اشاره

سَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ التَّقْلَانِ (۳۱) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۲) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَتَفَدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (۳۳) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۴) يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ (۳۵) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۶) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (۳۷) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۸) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (۳۹) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۰) يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ (۴۱) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۲) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (۴۳) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آناً (۴۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۵) وَ لِمَنْ حَافٍ مَقَامُ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (۴۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۷) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (۴۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۹) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (۵۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۱) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (۵۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۳) مُتَكِينِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (۵۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۵) فِيهِنَّ قَاصِرَاتٌ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (۵۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۷) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ (۵۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۹) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (۶۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۱) وَ مَتْنٍ دُونَهِمَا جَنَّاتٍ (۶۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۳) مُدْهَمَمَاتٍ (۶۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۵) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ (۶۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۷) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (۶۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۹) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (۷۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۱) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الْحِيَامِ (۷۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۳) لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (۷۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۵) مُتَكِينِينَ عَلَى رُفْرِ حُضْرٍ وَ عَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ (۷۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۷) لَبَّارِكِ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (۷۸)



هذا هو الفصل الثاني من آيات السوره يصف نشأه الثقيلين الثانيه و هى نشأه الرجوع إلى الله و جزاء الأعمال و يعد آلاء الله تعالى عليهم كما كانت الآيات السابقه فصلا أولا يصف النشأه الأولى و يعد آلاء الله فيها عليهم.

قوله تعالى: «سَيَنْفَرُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» يقال: فرغ فلان لأمر كذا إذا كان مشتغلا قبالا بأمر ثم تركها و قصر الاشتغال بذاك الأمر اهتماما به.

فمعنى «سَيَنْفَرُ لَكُمْ» سنطوى بساط النشأه الأولى و نشتغل بكم، و تبين الآيات التاليه أن المراد بالاشتغال بهم بعثهم و حسابهم و مجازاتهم بأعمالهم خيرا أو شرا فالفراغ لهم استعاره بالكنايه عن تبدل النشأه.

و لا ينافى الفراغ لهم كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن فإن الفراغ المذكور ناظر إلى تبدل النشأه و كونه لا يشغله شأن عن شأن ناظر إلى إطلاق القدره و سعتها كما لا ينافى كونه تعالى كل يوم هو فى شأن الناظر إلى اختلاف الشئون كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

و الثقلان الجن و الإنس، و إرجاع ضمير الجمع فى «لَكُمْ» و «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ» و غيرهما إليهما لكونهما جمعا ذا أفراد.

قوله تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا» الخ، الخطاب على ما يفيد السياق - من خطابات يوم القيامة و هو خطاب تعجيزى.

و المراد بالاستطاعه القدره، و بالنفوذ من الأقطار الفرار، و الأقطار جمع قطر و هو الناحيه.

و المعنى: يا معشر الجن و الإنس - و قدم الجن لأنهم على الحركات السريعه أقدر - إن قدرتم أن تفروا بالنفوذ من نواحي السماوات و الأرض و الخروج من ملك الله و التخلص من مؤاخذته ففروا و انفذوا.

وقوله: «لَا تَفْعُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى لا- تقدرُونَ على النفوذ إلا- بنوع من السلطه على ذلك و ليس لكم و السلطان القدره الوجوديه، و السلطان البرهان أو مطلق الحجه، و السلطان الملك.

و قيل: المراد بالنفوذ المنفى فى الآيه النفوذ العلمى فى السماوات و الأرض من أقطارهما، و قد عرفت أن السياق لا يلائمه.

قوله تعالى: «يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شُوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ» الشواظ -على ما ذكره الراغب- اللهب الذى لا دخان فيه، و يقرب منه ما فى المجمع، أنه اللهب الأخضر المنقطع من النار، و النحاس الدخان و قال الراغب: هو اللهب بلا- دخان و المعنى ظاهر.

و قوله: «فَلَا تَنْتَصِرُونَ» أى لا تتناصران بأن ينصر بعضكم بعضا لرفع البلاء و التخلص عن العناء لسقوط تأثير الأسباب و لا عاصم اليوم من الله.

قوله تعالى: «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ» أى كانت حمراء كالدهان و هو الأديم الأحمر.

قوله تعالى: «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ» الآيه و ما يتلوها من الآيات إلى آخر السوره تصف الحساب و الجزاء تصف حال المجرمين و الخائفين مقام ربهم و ما ينتهى إليه.

ثم الآيه تصف سرعه الحساب و قد قال تعالى: «وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»: النور: ٣٩.

و المراد بيومئذ يوم القيامة، و السؤال المنفى هو النحو المألوف من السؤال، و لا ينافى نفى السؤال فى هذه الآيه إثباته فى قوله: «وَ قَفُوهُمْ إِتْنَهُمْ مَسْئُولُونَ»: الصافات: ٢٤ و قوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسِئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»: الحجر: ٩٢، لأن اليوم ذو مواقف مختلفه يسأل فى بعضها، و يختم على الأفواه فى بعضها و تكلم الأعضاء، و يعرف بالسيماه فى بعضها.

قوله تعالى: «يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ» فى مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه قيل: فإذا لم يسألوا عن ذنبهم فما يصنع بهم؟ فأجيب بأنه يعرف المجرمون بسيماهم إلخ، و لذا فصلت الجملة و لم يعطف، و المراد بسيماهم علامتهم البارزه فى وجوههم.

و قوله: «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ» الكلام متفرع على المعرفه المذكوره، و النواصي

جمع ناصيه و هى شعر مقدم الرأس، و الأقدام جمع قدم، و قوله: «بِالنَّوَاصِي» نائب فاعل يؤخذ.

و المعنى:- لا- يسأل أحد عن ذنبه- يعرف المجرمون بعلامتهم الظاهره فى وجوههم فيؤخذ بالنواصى و الأقدام من المجرمين فيلقون فى النار.

قوله تعالى: «هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ -إلى قوله -آن» مقول قول مقدر أى يقال يومئذ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون، و قال الطبرسى: و يمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصى و الأقدام قال للنبي ص: هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم. انتهى.

و الحميم الماء الحار، و الآنى الذى انتهت حرارته و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ» شروع فى وصف حال السعداء من الخائفين مقام ربهم، و المقام مصدر ميمى بمعنى القيام مضاف إلى فاعله، و المراد قيامه تعالى عليه بعمله و هو إحاطته تعالى و علمه بما عمله و حفظه له و جزاؤه عليه قال تعالى:

«أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» :الرعد: ٣٣.

و يمكن أن يكون المقام اسم مكان و الإضافة لامية و المراد به مقامه و موقفه تعالى من عبده و هو أنه تعالى ربه الذى يدبر أمره و من تدبير أمره أنه دعاه بلسان رسله إلى الإيمان و العمل الصالح و قضى أن يجازيه على ما عمل خيرا أو شرا هذا و هو محيط به و هو معه سميع بما يقول بصير بما يعمل لطيف خبير.

و الخوف من الله تعالى ربما كان خوفا من عقابه تعالى على الكفر به و معصيته، و لازمه أن يكون عباده من يعبده خوفا بهذا المعنى يراد بها التخلص من العقاب لا- لوجه الله محضا و هو عباده العبيد يعبدون مواليهم خوفا من السياسه كما أن عباده من يعبده طمعا فى الثواب غايتها الفوز بما تشتهي النفس دون وجهه الكريم و هى عباده التجار كما فى الروايات و قد تقدم شطر منها.

و الخوف المذكور فى الآيه- وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ -ظاهره غير هذا الخوف فإن هذا خوف من العقاب و هو غير الخوف من قيامه تعالى على عبده بما عمل أو الخوف من مقامه تعالى من عبده فهو تأثر خاص ممن ليس له إلا الصغار و الحقاره تجاه ساحه العظمه و الكبرياء، و ظهور أثر المذله و الهوان و الاندكاك قبال العزه و الجبروت المطلقين.

و عبادته تعالى خوفا منه بهذا المعنى من الخوف خضوع له تعالى لأنه الله ذو الجلال والإكرام لا لخوف من عقابه و لا طمعا فى ثوابه بل فيه إخلاص العمل لوجهه الكريم، و هذا المعنى من الخوف هو الذى وصف الله به المكرمين من ملائكته و هم معصومون آمنون من عقاب المخالفه و تبعه المعصيه قال تعالى: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ»: النحل: ٥٠.

فتبين مما تقدم أن الذين أشار إليهم بقوله: «وَلِمَنْ خَافَ» أهل الإخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له لأنه الله عز اسمه لا خوفا من عقابه و لا طمعا فى ثوابه، و لا يبعد أن يكونوا هم الذين سموا سابقين فى قوله: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً X-إلى أن قال- X وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»: الواقعة: ١١.

و قوله: «جَنَّاتٍ» قيل: إحداهما منزله و محل زياره أحبابه له و الأخرى منزل أزواجه و خدمه، و قيل: بستانان بستان داخل قصره و بستان خارجه، و قيل: منزلاين ينتقل من أحدهما إلى الآخر ليكمل به التذاذه، و قيل: جنه لعقيده و جنه لعمله، و قيل: جنه لفعل الطاعات و جنه لترك المعاصى، و قيل: جنه جسمانيه و جنه روحانيه و هذه الأقوال- كما ترى- لا دليل على شىء منها.

و قيل: جنه يثاب بها و جنه يتفضل بها عليه، و يمكن أن يستشعر ذلك من قوله تعالى: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَعَدْنَا مَرْيَدًا»: ق: ٣٥، على ما مر فى تفسيره.

قوله تعالى: «ذَوَاتًا أَفْئَانٍ» ذواتا تشبيه ذات، و «أَفْئَانٍ» إما جمع فن بمعنى النوع و المعنى: ذواتا أنواع من الثمار و نحوها، و إما جمع فن بمعنى الغصن الرطب اللين و المعنى: ذواتا أغصان لينة أشجارهما.

قوله تعالى: «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ» و قد أبهمت العينان و فيه دلالة على فخامه أمرهما.

قوله تعالى: «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ» أى صنفان قيل: صنف معروف لهم شاهدوه فى الدنيا و صنف غير معروف لم يروه فى الدنيا، و قيل: غير ذلك، و لا دلالة فى الكلام على شىء من ذلك.

قوله تعالى: «مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» إلخ، الفرش جمع فراش، و البطائن جمع بطانه و هى داخل الشىء و جوفه مقابل الظهائر جمع ظهاره، و الإستبرق الحرير الغليظ قال فى المجمع: ذكر البطانه و لم يذكر الظهاره لأن البطانه تدل على أن لها ظهاره و البطانه دون الظهاره فدل على أن الظهاره فوق الإستبرق، انتهى.

وقوله: « وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ لِدَانٍ » الجنى الثمر المجتنى و« دَانٍ » اسم فاعل من الدنو بمعنى القرب أى ما يجتنى من ثمار الجنتين قريب.

قوله تعالى: « فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » إلى آخر الآيه ضمير « فِيهِنَّ » للفرش و جوز أن يرجع إلى الجنان فإنها جنان لكل واحد من أولياء الله منها جنتان، و الطرف جفن العين، و المراد بقصور الطرف اكتفاؤهن بأزواجهن فلا يردن غيرهم.

وقوله: « لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ » الطمئ الافتضاض و النكاح بالتدميه، و المعنى: لم يمسسهن بالنكاح إنس و لا جان قبل أزواجهن.

قوله تعالى: « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ » أى فى صفاء اللون و البهاء و التلاؤ.

قوله تعالى: « هَيْلُ جَزَاءِ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ » استفهام إنكارى فى مقام التعليل لما ذكر من إحسانه تعالى عليهم بالجنتين و ما فيهما من أنواع النعم و الآلاء فيفيد أنه تعالى يحسن إليهم هذا الإحسان جزاء لإحسانهم بالخوف من مقام ربهم.

و تفيد الآيه أن ما أوتوه من الجنة و نعيمها جزاء لأعمالهم و أما ما يستفاد من بعض الآيات أنهم يعطون فضلا وراء جزاء أعمالهم فلا تعرض فى هذه الآيات لذلك إلا أن يقال:

الإحسان إنما يتم إذا كان يربو على ما أحسن به المحسن إليه فإطلاق الإحسان فى قوله: « إِلَّا الْإِحْسَانُ » يفيد الزيادة.

قوله تعالى: « وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ » ضمير التثنيه للجنتين الموصوفتين فى الآيات السابقه و معنى: « مِنْ دُونِهِمَا » أى أنزل درجه و أحط فضلا و شرفا منهما و إن كانتا شبيهتين بالجنتين السابقتين فى نعمهما و آلائهما، و قد تقدم أن الجنتين السابقتين لأهل الإخلاص الخائفين مقام ربهم فهاتان الجنتان لمن دونهم من المؤمنين العابدين لله سبحانه خوفا من النار أو طمعا فى الجنة و هم أصحاب اليمين.

و قيل: معنى « مِنْ دُونِهِمَا » بالقرب منهما، و يستفاد من السياق حينئذ أن هاتين الجنتين أيضا لأهل الجنتين المذكورتين قبلا بل ادعى بعضهم أن هاتين الجنتين أفضل من السابقتين و الصفات المذكوره فيهما أمدح.

و أنت بالتدبر فيما قدمناه فى معنى لمن خاف مقام ربه و ما يستفاد من كلامه تعالى أن أهل الجنة صنفان: المقربون أهل الإخلاص و أصحاب اليمين تعرف قوه الوجه السابق.

قوله تعالى: «مُدَّهَا مَتَانٍ» الادهيمام من الدهمه اشتداد الخضره بحيث تضرب إلى السواد و هو ابتهاج الشجره.

قوله تعالى: «فِيهِمَا عَيْتَانِ نَضَاجَتَانِ» أى فوارتان تخرجان من منبعهما بالدفع.

قوله تعالى: «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» المراد بالفاكهه و الرمان شجرتهما بقريته النخل.

قوله تعالى: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» ضمير «فِيهِنَّ» للجنان باعتبار أنها جنتان من هاتين الجنتين، وقيل: مرجع الضمير الجنات الأربع المذكوره فى الآيات، وقيل:

الضمير للفاكهه و النخل و الرمان.

و أكثر ما يستعمل الخير فى المعانى كما أن أكثر استعمال الحسن فى الصور، و على هذا فمعنى خيرات حسان أنهن حسان فى أخلاقهن حسان فى وجوههن.

قوله تعالى: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» الخيام جمع خيمه و هى الفسطاط، و كونهن مقصورات فى الخيام أنهن مصونات غير مبتذلات لا نصيب لغير أزواجهن فيهن.

قوله تعالى: «لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» تقدم معناه.

قوله تعالى: «مُتَّكِنِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَ عِبْقَرِيِّ حِسَانٍ» فى الصحاح: الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المجالس. انتهى. وقيل: هى الوسائد، وقيل: غير ذلك، و الخضر جمع أخضر صفه لرفرف، و العبقري قيل: الزرابى، وقيل: الطنافس، وقيل: الثياب الموشاه، وقيل: الديباج.

قوله تعالى: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» ثناء جميل له تعالى بما امتلأت النشأتان الدنيا و الآخره بنعمه و آلائه و بركاته النازله من عنده برحمته الواسعه، و بذلك يظهر أن المراد باسمه المتبارك هو الرحمن المفتتحه به السوره، و التبارك كثره الخيرات و البركات الصادره.

فقوله: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» تبارك الله المسمى بالرحمن بما أفاض هذه الآلاء.

و قوله: «ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» إشاره إلى تسميه بأسمائه الحسنى و اتصافه بما يدل عليه من المعانى الوصفيه و نعوت الجلال و الجمال، و لصفات الفاعل ظهور فى أفعاله و أثر فيها يرتبط به الفعل بفاعله فهو تعالى خلق الخلق و نظم النظام لأنه بديع خالق مبدئ فأتقن الفعل لأنه عليم حكيم و جازى أهل الطاعه بالخير لأنه ودود شكور غفور رحيم



و أهل الفسق بالشر لأنه منتقم شديد العقاب.

فتوصيف الرب-الذى أثنى على سعه رحمته-بذى الجلال و الإكرام للإشارة إلى أن لأسمائه الحسنى و صفاته العليا دخلا فى نزول البركات و الخيرات من عنده،و أن نعمه و آلاءه عليها طابع أسمائه الحسنى و صفاته العليا تبارك و تعالى.

### (بحث روائى)

فى المجمع،:و قد جاء فى الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة-و بلسان من نار ثم ينادون:

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ -إلى قوله- يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ ».

أقول:و روى هذا المعنى عن مسعده بن صدقه عن كليب عن أبى عبد الله(ع) .

و فى الكافى، بإسناده عن داود الرقى عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل:

« وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » قال:من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول-و يعلم ما يعمل من خير أو شر-فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال-فذلك الذى خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى شيبه و أحمد و ابن منيع و الحكيم فى نواذر الأصول و النسائى و البزار و أبو يعلى و ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن المنذر و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى الدرداء: أن النبى ص قرأ هذه الآية « وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » فقلت:

«أ و إن زنى و إن سرق يا رسول الله؟فقال النبى ص الثانية» « وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » فقلت:و إن زنى و إن سرق؟فقال:نعم و إن رغم أنف أبى الدرداء.

أقول:الروايه لا- تخلو من شىء فإن الخوف من مقامه تعالى لا يجامع هذه الكبائر الموبقه،و قد روى عن أبى الدرداء نفسه ما يدفع هذه الروايه

ففى الدر المنثور،أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن يسار مولى لآل معاويه عن أبى الدرداء": فى قوله: « وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » قال:قيل:يا أبا الدرداء و إن زنى و إن سرق؟قال:من خاف مقام ربه لم يزن و لم يسرق.

و فى تفسير القمى،": فى قوله تعالى: « قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » قال:الحوار العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي ص: في قوله: «قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن.

و في المجمع، في قوله تعالى: «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ»

في الحديث أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها-من وراء سبعين حله من حرير.

أقول: وهذا المعنى وارد في عدة روايات.

و في تفسير العياشي، بإسناده عن علي بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول:

آيه في كتاب الله مسجله. قلت: و ما هي؟ قال: قول الله عز و جل: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» جرى في الكافر و المؤمن و البر و الفاجر، و من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، و ليس المكافأه أن يصنع كما صنع حتى يربى-فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء.

و في المجمع، في قوله: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»: جاءت الروايه من أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ص هذه الآية فقال: هل تدرون ما يقول ربكم؟ قالوا:

الله و رسوله أعلم. قال: فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة؟ و في تفسير القمي، "في الآية قال: ما جزاء من أنعمت عليه بالمعرفه إلا الجنة.

أقول:

الروايه مرويه عن النبي ص و أئمه أهل البيت (ع) و قد أسندها في التوحيد إلى جعفر بن محمد عن آبائه عن علي (ع) عن النبي ص- و لفظها:- أن الله عز و جل قال: ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة.

و أسندها في العلل، إلى الحسن بن علي (ع) عن النبي ص- و اللفظ:- هل جزاء من قال: لا إله إلا الله إلا الجنة؟:

و روى الروايه بألفاظها المختلفه في الدر المنثور، بطرق مختلفه عن النبي ص

و قوله:

أنعمت عليه، إشاره إلى أن إحسان العبد بالحقيقه إحسان من الله إليه.

و في المجمع، في قوله تعالى: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ» عن العلاء بن سيباه عن أبي عبد الله (ع): قلت له: إن الناس يتعجبون منا إذا قلنا: يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة- فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله في الجنة؟ فقال يا علي إن الله يقول: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ» ما يكونون مع أولياء الله.



و في الدر المنثور، أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي موسى عن النبي ص: «و لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ» و قوله: «و مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ» قال:

جنتان من ذهب للمقربين- و جنتان من ورق لأصحاب اليمين.

أقول: و الروايتان تؤيدان ما قدمناه في تفسير الآيتين.

و فيه، أخرج الطبراني و ابن مردويه عن أبي أيوب قال: سألت النبي ص عن قوله:

«مُدَاهَمَاتَانِ» قال: خضراوان.

و في تفسير القمي، بإسناده إلى يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله (ع): في قوله تعالى:

«نَضَّاجَاتٍ» قال: تفوران.

و فيه، "في قوله: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ» قال: جوار نابتات على شط الكوثر- كلما أخذت منها نبتت مكانها أخرى.

و في المجمع،: في قوله: «خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ» أي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه.:

روته أم سلمه عن النبي ص .

و في الفقيه، قال الصادق (ع): الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا- و هن أجمل من الحور العين.

و في روضه الكافي، بإسناده عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ» قال: هن صوالح المؤمنات العارفات.

أقول: و في انطباق الآية بالنظر إلى سياقها على مورد الروايتين إبهام.

## (٥٦) (سوره الواقعة مكيه و هي ست و تسعون آيه) (٩٦)

### [سوره الواقعة (٥٦): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٦) وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ الْأَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْأَشْأَمِ (٩) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)



تصف السوره القيامه الكبرى التى فيها بعث الناس و حسابهم و جزاؤهم فتذكر أولا شيئا من أهوالها مما يقرب من الإنسان و الأرض التى يسكنها فتذكر تقليبها للأوضاع و الأحوال بالخفض و الرفع و ارتجاج الأرض و انبثاث الجبال و تقسم الناس إلى ثلاثه أزواج إجمالاً ثم تذكر ما ينتهى إليه حال كل من الأزواج السابقين و أصحاب اليمين و أصحاب الشمال.

ثم تحتج على أصحاب الشمال المنكرين لربوبيته و للبعث المكذبين بالقرآن الداعى إلى التوحيد و الإيمان بالبعث. ثم تختم الكلام بذكر الاحتضار بنزول الموت و انقسام الناس إلى ثلاثه أزواج.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» وقوع الحادثه هو حدوثها، و الواقعه صفه توصف بها كل حادثه، و المراد بها هاهنا واقعہ القيامه و قد أطلقت إطلاق الأعلام كأنها لا تحتاج إلى موصوف مقدر و لذا قيل: إنها من أسماء القيامه فى القرآن كالحاقه و القارعه و الغاشيه.

و الجمله «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» مضمينه معنى الشرط و لم يذكر جزاء الشرط إعظاماً له و تفخيماً لأمره و هو على أى حال أمر مفهوم مما ستصفه السوره من حال الناس يوم القيامه، و التقدير نحو من قولنا: فاز المؤمنون و خسر الكافرون.

قوله تعالى: «لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كاذِبَةٌ» قال فى المجمع: الكاذبه مصدر كالعافيه و العاقبه.

انتهى. و عليه فالمعنى: ليس فى وقعتها و تحققها كذب، و قيل: كاذبه صفه محذوفه الموصوف و التقدير: ليس لوقعتها قضيه كاذبه.

قوله تعالى: «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» خبران مبتدؤهما الضمير الراجع إلى الواقعه، و الخفض خلاف الرفع و كونها خافضه رافعه كناية عن تقليبها نظام الدنيا المشهود فتظهر السرائر

و هي محجوبه اليوم و تحجب و تستر آثار الأسباب و روابطها و هي ظاهره اليوم و تذل الأَعزّه من أهل الكفر و الفسق و تعز المتقين.

قوله تعالى: «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا» الرج تحريك الشىء تحريكا شديدا إشاره إلى زلزه الساعه التى يعظمها الله سبحانه فى قوله: «إِنَّ زَلْزَلَهُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ»: الحج: ١، و قد عظمها فى هذه الآيه حيث عبر عنها برج الأرض ثم أكد شدتها بتكبير قوله: «رَجًا» أى رجا لا يوصف شدته. و الجملة بدل أو بيان لقوله: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ».

قوله تعالى: «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا» عطف على رُجَّتِ و البس الفت و هو عود الجسم بدق و نحوه أجزاء صغارا متلاشيه كالدقيق، و قيل: البس هو التسيير فهو فى معنى قوله: «وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ»: النبأ: ٢٠.

و قوله: «فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا» الهباء قيل: هو الغبار و قيل: هو الذره من الغبار الظاهر فى شعاع الشمس الداخلى من كوه، و الانبثاى التفرق، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» الزوج بمعنى الصنف و الخطاب لعامه البشر.

قوله تعالى: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» متفرع على ما قبلها تفرع البيان على الميمين، فهذه الآيه و الآيتان بعدها بيان للأزواج الثلاثة.

و الميمنه من اليمن مقابل الشؤم، فأصحاب الميمنه أصحاب السعاده و اليمن مقابل أصحاب المشأمه أصحاب الشقاء و الشؤم، و ما قيل: إن المراد بالميمنه الميمين، أى ناحيه اليمين لأنهم يؤتون كتابهم بيمينهم و غيرهم يؤتونه بشمالهم يرده مقابله أصحاب الميمنه بأصحاب المشأمه، و لو كان كما قيل لقليل أصحاب الشمال و هو ظاهر.

و ما فى قوله: «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» استفهاميه و مبتدأ خبره «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ»، و المجموع خبر لقوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و فى الاستفهام إعظام لأمرهم و تفخيم لشأنهم.

قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» المشأمه مصدر كالشؤم مقابل الميمين، و الميمنه و المشأمه السعاده و الشقاء.

قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» الذى يصلح أن يفسر به السابقون الأول قوله تعالى: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِذِنَ اللَّهُ» فاطر ٣٢، و قوله: «وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ»: البقره: ١٤٨، و قوله: «أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ»: المؤمنون: ٦١.

فالمراد بالسابقين-الأول-فى الآيه السابقون بالخيرات من الأعمال،و إذا سبقوا بالخيرات سبقوا إلى المغفره و الرحمه التى يازائها كما قال تعالى: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ» :الحديد:٢١،فالسابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمه و هو قوله: « وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ».

و قيل:المراد بالسابقون الثانى هو الأول على حد قوله:

أنا أبو النجم و شعرى شعرى.

و قوله:« وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ »مبتدأ و خبر،و قيل:الأول مبتدأ و الثانى تأكيد، و الخبر قوله:« أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ».

و لهم فى تفسير السابقين أقوال آخر فقيل:هم المسارعون إلى كل ما دعا الله إليه،و قيل:

هم الذين سبقوا إلى الإيمان و الطاعه من غير توان،و قيل:هم الأنبياء(ع)لأنهم مقدمو أهل الأديان، و قيل:هم مؤمن آل فرعون و حبيب النجار المذكور فى سوره يس و على(ع)السابق إلى الإيمان بالنبي ص و هو أفضلهم و قيل:هم السابقون إلى الهجره،و قيل:هم السابقون إلى الصلوات الخمس،و قيل:هم الذين صلوا إلى القبلتين، و قيل:هم السابقون إلى الجهاد،و قيل غير ذلك.

و القولان الأولان راجعان إلى ما تقدم من المعنى،و الثالث و الرابع ينبغى أن يحملا على التمثيل،و الباقى كما ترى إلا أن يحمل على نحو من التمثيل.

### (بحث روائى)

فى الخصال،عن الزهرى قال:سمعت على بن الحسين(ع)يقول: من لم يتعز بعزاء الله-تقطعت نفسه على الدنيا حسرات،و الله ما الدنيا و الآخره إلا ككفتى ميزان-فأيهما رجح ذهب بالآخر ثم تلا قوله عز و جل:« إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ »يعنى القيامة « لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ »خفضت و الله بأعداء الله فى النار« رَافِعَةٌ »رفعت و الله أولياء الله إلى الجنه.

و فى تفسير القمى،"« إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ »قال:القيامة هى حق، و قوله:« خَافِضَةٌ »قال:بأعداء الله « رَافِعَةٌ »لأولياء الله« إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا »



قال: يدق بعضها على بعض « وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا » قال: قلعَت الجبال قلعاً « فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا » قال: الهباء الذى فى الكوه من شعاع الشمس.

و قوله: « وَ كُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً » قال: يوم القيامة « فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ - وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ - وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » الذين سبقوا إلى الجنة.

أقول: قوله: الذين سبقوا إلى الجنة تفسير للسابقون الثانى.

و فى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن على بن أبى طالب قال:

الهباء المنبث رهج (1) الذرات - و الهباء المنثور غبار الشمس - الذى تراه فى شعاع الكوه.

وفيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: "فى قوله: « وَ اللَّهُ ابِقُونَ اللَّهُ ابِقُونَ » قال: نزلت فى حزقيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجار الذى ذكر فى يس و على بن أبى طالب، كل رجل منهم سابق أمته و على أفضلهم سبقاً.

و فى المجمع، عن أبى جعفر (ع) قال: السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، و سابق أمه موسى و هو مؤمن آل فرعون، و سابق أمه عيسى و هو حبيب - و السابق فى أمه محمد ص و هو على بن أبى طالب (ع):.

أقول: و روى هذا المعنى فى روضه الواعظين، عن الصادق (ع).

و فى أمالى الشيخ، بإسناده إلى ابن عباس قال: سألت رسول الله ص عن قول الله عز و جل: « وَ اللَّهُ ابِقُونَ اللَّهُ ابِقُونَ - أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ » فقال: قال لى جبرئيل:

ذلك على و شيعته، هم السابقون إلى الجنة - المقربون من الله بكرامته لهم.

و فى كمال الدين، بإسناده إلى خيثمه الجعفى عن أبى جعفر (ع) فى حديث: و نحن السابقون السابقون و نحن الآخرون.

و فى العيون، فى باب ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار المجموعه بإسناده عن على (ع) قال: « وَ اللَّهُ ابِقُونَ اللَّهُ ابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » فى نزلت.

و فى المجمع: فى الآية: و قيل: إلى الصلوات الخمس: عن على (ع).

أقول: الوجه حمل جميع هذه الأخبار على التمثيل كما تقدم.

ص: ١١٨

أُولَئِكَ الْمَقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدِّدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ (١٩) وَأَفْكَهَهُمْ مِمَّا يَخْتَارُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَخُورٍ عَيْنٍ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا (٢٥) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٦) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَيِّئٍ مَّجْمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْتُمُونَ (٤٣) لَا يَارِدٌ وَلَا يَارِدٌ مِنْ يَحْتُمُونَ (٤٤) كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصَعِّرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ (٥١) لَمَّا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالُوا مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)

الآيات تفصل ما ينتهي إليه حال كل واحد من الأزواج الثلاثة يوم القيامة.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» الإشارة بأولئك إلى السابقين، و«أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» مبتدأ و خبر، و الجملة استثنائية، و قيل: خبر لقوله: «وَالسَّابِقُونَ»، و قيل: مبتدأ خبره في جنات النعيم، و أول الوجوه الثلاثة أوجه بالنظر إلى سياق تقسيم الناس إلى ثلاثة أزواج أولا ثم تفصيل ما ينتهي إليه أمر كل منهم.

و القرب و البعد معنيان متضائفان تتصف بهما الأجسام بحسب النسبه المكانية ثم توسع فيهما فاعتبرا في غير المكان من الزمان و نحوه، يقال: الغد قريب من اليوم و الأربعة أقرب إلى الثلاثة من الخمسه، و الخضره أقرب إلى السواد من البياض ثم توسع فيهما فاعتبرا في غير الأجسام و الجسمانيات من الحقائق.

و قد اعتبر القرب و صفا له تعالى بما له من الإحاطه بكل شىء، قال تعالى: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»: البقره: ١٨٦، و قال: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ»: الواقعة:

٨٥، و قال: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»: ق: ١٦. و هذا المعنى أعنى كونه تعالى أقرب إلى الشىء من نفسه أعجب ما يتصور من معنى القرب، و قد أشرنا إلى تصويره في تفسير الآيه.

و اعتبر القرب أيضا وصفا للعباد في مرحله العبوديه و لما كان أمرا اكتسابيا يستعمل فيه لفظ التقرب فالعبد يتقرب بصالح العمل إلى الله سبحانه و هو وقوعه في معرض شمول الرحمه الإلهيه بزوال أسباب الشقاء و الحرمان، و الله سبحانه يقرب العبد بمعنى إنزاله منزله يختص بنيل ما لا يناله من دونه من إكرامه تعالى و مغفرته و رحمته، قال تعالى: «كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» المطففين: ٢١، و قال: «و مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» المطففين: ٢٨.

فالمقربون هم النمط الأعلى من أهل السعاده كما يشير إليه قوله: «و السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» و لا يتم ذلك إلا بكمال العبوديه كما قال: «لَنْ يَشْتَرِكُ فِيهِ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» النساء: ١٧٢، و لا تكمل العبوديه إلا بأن يكون العبد تبعا محضا في إرادته و عمله لمولاه لا يريد و لا يعمل إلا ما يريد و هذا هو الدخول تحت ولايه الله فهؤلاء هم أولياء الله.

و قوله: «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أي كل واحد منهم في جنه النعيم فالكل في جنات النعيم، و يمكن أن يراد به أن كلا منهم في جنات النعيم لكن يبعده قوله في آخر السوره: «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ».

و قد تقدم غير مره أن النعيم هي الولايه و أن جنه النعيم هي جنه الولايه و هو المناسب لما تقدم آنفا أن المقربين هم أهل ولايه الله.

قوله تعالى: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» الثلثه -على ما قيل- الجماعه الكثيره، و المراد بالأولين الأمم الماضون للأنبياء السابقين، و بالآخرين هذه الأمم على ما هو المعهود من كلامه تعالى في كل موضع ذكر فيه الأولين و الآخرين معا و منها ما سيأتى من قوله: «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَيَّ مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» فمعنى الآيتين: هم أي المقربون جماعه كثيره من الأمم الماضين و قليل من هذه الأمم.

و بما تقدم يظهر أن قول بعضهم: إن المراد بالأولين و الآخرين أولوا هذه الأمم و آخروها غير سديد.

قوله تعالى: «عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ» الوضن النسج و قيل: نسج الدرع و إطلاقه على نسج السرر استعاره يراد بها إحكام نسجها.

و قوله: «مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا» حال من الضمير العائد إلى المقربين و الضمير للسرر، و قوله:

«مُتَقَابِلِينَ» حال آخر منه أو من ضمير «مُتَكَيِّنِينَ» و تقابلهم كناية عن بلوغ أنسهم و حسن عشرتهم و صفاء باطنهم فلا ينظرون في قفاء صاحبهم و لا يعيونه و لا يغتابونه.

و المعنى: هم أى المقربون مستقرون على سرر منسوجه حال كونهم متكئين عليها حال كونهم متقابلين.

قوله تعالى: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» الولدان جمع ولد و هو الغلام، و طوافهم عليهم كناية عن خدمتهم لهم، و المخلدون من الخلود بمعنى الدوام أى باقون أبدا على هيئتهم من حدائه السن، و قيل من الخلد بفتح الحاء و هو القرط، و المراد أنهم مقرطون بالخلد.

قوله تعالى: «بِأَكْوَابٍ وَّ أَبَارِيقٍ وَّ كَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ» الأكواب جمع كوب و هو الإناء الذى لا عروه له و لا خرطوم، و الأباريق جمع إبريق و هو الإناء الذى له خرطوم، و قيل:

عروه و خرطوم معا، و الكأس معروف، قيل: أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأسا إلا إذا كانت ممتلئة، و المراد بالمعين الخمر المعين و هو الظاهر للبصر الجارى.

قوله تعالى: «لَا يُصَيِّدُ عَنْهَا وَّ لَا يُنْزِفُونَ» أى لا يأخذهم صداع لأجل خمار يحصل من الخمر كما فى خمر الدنيا و لا يزول عقلهم بالسكر الحاصل منها.

قوله تعالى: «وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَّ لَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» الفاكهة و الطير معطوفان على قوله: «بِأَكْوَابٍ»، و المعنى: يطوف عليهم الولدان بفاكهة مما يختارون و بلحم طير مما يشتهون.

و لا يستشكل بما ورد فى الروايات أن أهل الجنة إذا اشتهوا فاكهة تدلى إليهم غصن شجرتها بما لها من ثمره فيتناولونها، و إذا اشتهوا لحم طير وقع مقلبا مشويا فى أيديهم فىأكلون منها ما أرادوا ثم حيا و طار.

و ذلك لأن لهم ما شاءوا و من فنون التمتع تناول ما يريدونه من أيدي خدمهم و خاصة حال اجتماعهم و احتفالهم كما أن من فنونه تناولهم أنفسهم من غير توسط خدمهم فيه.

قوله تعالى: «وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» مبتدأ محذوف الخبر على ما يفيدته السياق و التقدير و لهم حور عين أو و فيها حور عين و الحور العين نساء الجنة و قد تقدم معنى الحور العين فى تفسير سورة الدخان.

و قوله: «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» أى اللؤلؤ المصون المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدي فهو منته فى صفائه.

قوله تعالى: «جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» قيد لجميع ما تقدم و هو مفعول له، و المعنى:

فعلنا بهم ما فعلنا ليكون جزاء لهم قبال ما كانوا يستمرون عليه من العمل الصالح.

قوله تعالى: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا» اللغو من القول ما لا فائده فيه و لا أثر يترتب عليه، و التأثيم النسبه إلى الإثم أى لا يخاطب أحدهم صاحبه بما لا فائده فيه و لا ينسبه إلى الإثم إذ لا إثم هناك، و فسر بعضهم التأثيم بالكذب.

قوله تعالى: «إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا» استثناء منقطع من اللغو و التأثيم، و القيل مصدر كالقول، و «سَلَامًا» بيان لقوله: «قِيلًا» و تكراره يفيد تكرر الوقوع، و المعنى: إلا قولاً هو السلام بعد السلام.

قيل: و يمكن أن يكون «سَلَامًا» مصدرًا بمعنى الوصف و صفه لقيلاً، و المعنى: إلا قولاً هو سالم.

قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» شروع فى تفصيل ما انتهى إليه حال أصحاب اليمينه و فى تبديله من أصحاب اليمين يعلم أن أصحاب اليمين و أصحاب اليمينه واحد و هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم. و الجملة استفهاميه مسوقه لتفخيم أمرهم و التعجيب من حالهم و هى خبر لقوله: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ».

قوله تعالى: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» السدر شجره النبق، و المخضود ما قطع شوكة فلا شوكة له.

قوله تعالى: «وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ» الطلح شجر الموز، و قيل: ليس بالموز بل شجر له ظل بارد رطب، و قيل: شجره أم غيلان لها أنوار طيبه الرائحه، و نضد الأشياء جعل بعضها على بعض، و المعنى: و فى شجر موز منضود الثمر بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه.

قوله تعالى: «وَزُلْزُلٍ مَّيِّدٍ وَ مَاءٍ مَّسْكُوبٍ» قيل: الممدود من الظل هو الدائم الذى لا تنسخه شمس فهو باق لا يزول، و الماء المسكوب هو المصبوب الجارى من غير انقطاع.

قوله تعالى: «وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَ لَّا مَمْنُوعَةٍ» أى لا- مقطوعه فى بعض الأزمان كانه قطع الفواكه فى شتاء و نحوه فى الدنيا، و لا ممنوعه تناول لمانع من قبل أنفسهم كسأمه أو شبع أو من خارج كبعد المكان أو شوكة تمنع القطف أو غير ذلك.

قوله تعالى: «وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ» الفرش جمع فراش و هو البساط، و المرفوعه العالیه، و قيل: المراد بالفرش المرفوعه النساء المرتفعتا قدرا فى عقولهن و جمالهن و كمالهن و المرأه

تسمى فراشا، و يناسب هذا المعنى قوله بعد: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» إلخ.

قوله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا» أى إنا أوجدناهن و أحدثناهن و رببناهن أحداثا و تربيته خاصه، و فيه تلويح إلى أنهن لا يختلف حالهن بالشباب و الشيب و صباحه المنظر و خلافها، و قوله: «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» أى خلقناهن عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا.

و قوله: «عُرْبًا أَثْرَابًا» العرب جمع عروب و هى المتحننه إلى زوجها أو الغنجه أو العاشقه لزوجها، و الأتراب جمع ترب بالكسر فالسكون بمعنى المثل أى أنهن أمثال أو أمثال فى السن لأزواجهن.

قوله تعالى: «لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» يتضح معناه بما تقدم، و يستفاد من الآيات أن أصحاب اليمين فى الآخريين جمع كثير كالأولين لكن السابقين المقربين فى الآخريين أقل جمعا منهم فى الأولين.

قوله تعالى: «وَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ» مبتدأ و خبر، و الاستفهام للتعجيب و التهويل، و قد بدل أصحاب المشأمة من أصحاب الشمال إشاره إلى أنهم الذين يؤتون كتابهم بشمالهم كما مر نظيره فى أصحاب اليمين.

قوله تعالى: «فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ لَّا يُبَارِدُ وَ لَّا كَرِيمٍ» السموم -على ما فى الكشاف،- حر نار ينفذ فى المسام، و الحميم الماء الشديد الحرارة، و التنوين فيهما لتعظيم الأمر، و يحموم الدخان الأسود، و قوله: «لَا يُبَارِدُ وَ لَّا كَرِيمٍ» الظاهر أنهما صفتان للظل لا ليحموم، و ذلك أن الظل هو الذى يتوقع منه أن يبرد بالاستظلال به و يستراح فيه دون الدخان.

قوله تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ» تعليل لاستقرار أصحاب الشمال فى العذاب، و الإشاره بذلك إلى ما ذكر من عذابهم يوم القيامة، و إتراف النعمة الإنسان إبطارها و إطغاؤها له، و ذلك إشغالها نفسه بحيث يغفل عما وراءها فكون الإنسان مترفا تعلقه بما عنده من نعم الدنيا و ما يطلبه منها سواء كانت كثيره أو قليله.

فلا يرد ما استشكل من أن كثيرا من أصحاب الشمال ليسوا من المترفين بمعنى المتوسعين فى التمتع و ذلك أن الإنسان محفوف بنعم ربه و ليست النعمة هى المال فحسب فاشتغاله بنعم ربه عن ربه ترفه منه، و المعنى: أنا إنما نعذبهم بما ذكر لأنهم كانوا قبل ذلك فى

الدنيا بطرين طاغين بالنعم.

قوله تعالى: «وَكَانُوا يُصَبِّحُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ» في المجمع: الحنث نقض العهد المؤكد بالحلف، والإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه. انتهى. ولعل المستفاد من السياق أن إصرارهم على الحنث العظيم هو استكبارهم عن عبوديه ربهم التي عاهدوا الله عليها بحسب فطرتهم و أخذ منهم الميثاق عليها في عالم الذر فيطيعون غير ربهم و هو الشرك المطلق.

وقيل: الحنث الذنب العظيم فتوصيفه بالعظيم مبالغه و الحنث العظيم الشرك بالله، وقيل: الحنث العظيم جنس المعاصي الكبيره، وقيل: هو القسم على إنكار البعث المشار إليه بقوله تعالى: «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»: النحل: ٣٨، و لفظ الآيه مطلق.

قوله تعالى: «وَكَانُوا يَقُولُونَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» قول منهم مبني على الاستبعاد و لذا أكدوا استبعاد بعث أنفسهم بعث آبائهم لأن الاستبعاد في موردهم أكد، و التقدير أ و آبائنا الأولون مبعوثون.

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ» أمر منه تعالى لنبيه (ص) أن يجيب عن استبعادهم البعث بتقريره ثم إخبارهم عما يعيشون به يوم البعث من طعام و شراب و هما الزقوم و الحميم.

و محصل القول إن الأولين و الآخرين -من غير فرق بينهم لا كما فرقوا فجعلوا بعث أنفسهم مستبعدا و بعث آبائهم الأولين أشد استبعادا و أكد- لمجموعون محشورين إلى ميعات يوم معلوم.

و الميعات ما وقت به الشيء و هو وقته المعين، و المراد بيوم معلوم يوم القيامة المعلوم عند الله فإضافه الميعات إلى يوم معلوم بيانيه.

قوله تعالى: «تُمْ إِنَّكُمْ أَبْتِهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا يَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ» من تمام كلام النبي ص يخبرهم عما ينتهي إليه حالهم يوم القيامة و يعيشون به من طعام و شراب.

و في خطابهم بالضالين المكذبين إشاره إلى ملاك شقائهم و خسراتهم يوم البعث و هو ضلالهم عن طريق الحق و استقرار ذلك في نفوسهم باستمرارهم على تكذيبهم و إصرارهم على الحنث، و لو كانوا ضالين فحسب من غير تكذيب لكان من المرجو أن ينجوا و لا يهلكوا.



و« مِنْ » فى قوله: « مِنْ شَجَرٍ » للابتداء، و فى قوله: « مِنْ زَقُومٍ » بيانيه و يحتمل أن يكون « مِنْ زَقُومٍ » بدلا من « مِنْ شَجَرٍ »، و ضمير « مِنْهَا » للشجر أو الثمر و كل منهما يؤنث و يذكر و لذا جىء هاهنا بضمير التانيث و فى الآيه التاليه فى قوله: « فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ » بضمير التذكير، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: « فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ » كلمه «على» للاستعلاء و تفيد فى المورد كون الشرب عقيب الأكل من غير ريث، و الهيم جمع هيماء الإبل التى أصابها الهيام بضم الهاء و هو داء شبه الاستسقاء يصيب الإبل فتشرب الماء حتى تموت أو تسقم سقما شديدا، و قيل: الهيم الرمال التى لا تروى بالماء.

و المعنى: فشاربون عقيب ما أكلتم من الزقوم من الماء الشديد الحراره فشاربون كشرب الإبل الهيم أو كشرب الرمال الهيم و هذا آخر ما أمر النبي ص أن يقوله لهم.

قوله تعالى: « هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » أى يوم الجزاء و النزول ما يقدم للضيف النازل من طعام و شراب إكراما له، و المعنى: هذا الذى ذكر من طعامهم و شرابهم هو نزل الضالين المكذبين فى تسميه ما أعد لهم بالنزل نوع تهكم، و الآيه من كلامه تعالى خطابا للنبي ص، و لو كان من كلام النبي ص خطابا لهم لقليل: هذا نزلكم.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه و ابن عساکر من طريق عروه بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت إذا وقعت الوقعه ذكر فيها « تُلَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ » قال عمر: يا رسول الله تله من الأولين و تله من الآخريين، فقال رسول الله ص: تعال و استمع ما قد أنزل الله - تُلَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ تُلَّهُ مِنَ الْآخِرِينَ .

ألا و إن من آدم إلى تله و أمتى تله - و لن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان رعاه الإبل - ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: قال السيوطى و أخرجه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن عروه بن رويم مرسلا و فيه، أخرج ابن مردويه عن أبى هريره قال: لما نزلت « تُلَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ » حزن أصحاب رسول الله ص و قالوا: إذن لا يكون من أمه محمد إلا قليل

فنزلت نصف النهار «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» تقابلون الناس فنسخت الآية « وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ».

أقول: قال فى الكشاف، فى تفسير الآية: فإن قلت: فقد روى أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله ص يراجع ربه حتى نزلت «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ».

قلت: هذا لا يصح لأمرين: أحدهما: أن هذه الآية واردة فى السابقين ورودا ظاهرا و كذلك الثانية فى أصحاب اليمين، ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين و وعدهم على السابقين و وعدهم؟ الثانى: أن النسخ فى الأخبار غير جائز. انتهى.

و أجيب عنه بأنه يمكن أن يحمل الحديث على أن الصحابه لما سمعوا الآية الأولى حسبوا أن الأمر فى هذه الأمة يذهب على هذا النهج فىكون أصحاب اليمين ثلثه من الأولين و قليلا منهم فىكون الفائزون بالجنة فى هذه الأمة أقل منهم فى الأمم السالفه فنزلت «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» فزال حزنهم، و معنى نسخ الآية السابقه إزاله حسابهم المذكور.

و أنت خبير بأنه حمل على ما لا- دليل عليه من جهه اللفظ و اللفظ يأباه و خاصه حمل نسخ الآية على إزاله الحساب، و حال الروايه الأولى و خاصه من جهه ذيلها كحال هذه الروايه.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» اختلف فى هذه الولدان فقيل: إنهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فىثابوا عليها و لا سيئات فىعاقبوا عليها فأنزلوا هذه المنزله.

قال:

و قد روى عن النبي ص: أنه سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: هم خدم أهل الجنة..

أقول: و رواه فى الدر المنثور عن الحسن

، و الروايه ضعيفه لا تعويل عليها.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى الدنيا فى صفه الجنة و البزار و ابن مردويه و البيهقى فى البعث عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله ص: إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة- فتشتهيه فىخر بين يديك مشويا.

أقول: و فى هذا المعنى روايات كثيره و فى بعضها أن المؤمن يأكل ما يشتهيه ثم يعود الباقي إلى ما كان عليه و يحيا فىطير إلى مكانه و يباهى بذلك.

ص: ١٢٧

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا» قال: الفحش و الكذب و الغنا.

أقول: لعل المراد بالغنا ما يكون منه لهوا أو الغنا مصحف الخنا.

و فيه، "فى قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» قال: على بن أبى طالب (ع) و أصحابه و شيعة.

أقول: الروايه مبنيه على ما ورد فى ذيل قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» :إسراء: ٧١، إن اليمين هو الإمام الحق و معناها أن اليمين هو على (ع) و أصحاب اليمين شيعة، و الروايه من الجرى.

و فيه، "فى قوله تعالى: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» شجر لا يكون له ورق و لا شوك فيه،

و قرأ أبو عبد الله (ع): «و طلع منضود» قال: بعضه على بعض.

و فى الدر المنثور، أخرج الحاكم و صححه و البيهقى فى البعث عن أبى أمامه قال: كان أصحاب رسول الله ص يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم. أقبل أعرابى يوما فقال: يا رسول الله-لقد ذكر الله فى القرآن شجره مؤذيه. و ما كنت أرى أن فى الجنة شجره تؤذى صاحبها. فقال رسول الله ص: و ما هى؟ قال: السدر فإن لها شوكا، فقال رسول الله ص: أليس يقول الله: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» يخضده الله من شوكه-فيجعل مكان كل شوكه ثمره-أنها تنبت ثمرا تفتق الثمر منها-عن اثنين و سبعين لونا من الطعام-ما فيها لون يشبه الآخر.

و فى المجمع، و روت العامه عن على (ع): أنه قرأ رجل عنده «وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ» فقال: ما شأن الطلح إنما هو «و طلع» كقوله: «و نَحْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ» فقيل له: أ لا تغيره؟ قال: إن القرآن لا يهاج اليوم و لا يحرك، رواه عنه ابنه الحسن (ع) و قيس بن سعد .

و فى الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و الفاريابى و هناد و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن مردويه عن على بن أبى طالب: فى قوله: «وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ» قال: هو الموز.

و فى المجمع، ورد فى الخبر: أن فى الجنة شجره يسير الراكب فى ظلها مائه سنه-لا يقطعها اقرءوا إن شئتم «و ظِلٌّ مَّمدُودٍ»

و روى أيضا: أن أوقات الجنة كغدوات الصيف-لا يكون فيها حر و لا برد.

أقول: و روى الأول في الدر المنثور عن أبي سعيد و أنس و غيرهما عن النبي ص.

و في روضه الكافي، بإسناده عن علي بن إبراهيم عن ابن محبوب عن محمد بن إسحاق المدني عن أبي جعفر (ع) عن النبي ص: في حديث يصف فيه الجنة و أهلها: و يزور بعضهم بعضا و يتعمون في جناتهم- في ظل ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر- إلى طلوع الشمس و أطيب من ذلك.

و في تفسير القمي، "و قوله: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» قال: الحور العين في الجنة «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرْبًا» قال: لا يتكلمون إلا بالعربية.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ص: في قوله: «عُرْبًا» قال: كلامهن عربي.

أقول: و فيه روايات أخر أن عربا جمع عروب و هي الغنجه.

و فيه، أخرج مسدد في مسنده و ابن المنذر و الطبراني و ابن مردويه بسند حسن عن أبي بكره عن النبي ص: في قوله تعالى: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» قال: هما جميعا من هذه الأمة.

أقول: و هذا المعنى مروى في غير واحد من الروايات لكن ظاهر آيات السوره أن القسمه لكافه البشر لا لهذه الأمه خاصه، و لعل المراد من هذه الروايات بيان بعض المصاديق و إن كان بعيدا، و كذا المراد مما ورد أن أصحاب اليمين أصحاب أمير المؤمنين (ع)، و ما ورد أن أصحاب الشمال أعداء آل محمد (ع).

و في المحاسن، بإسناده عن معاويه بن وهب عن أبي عبد الله (ع) قال: سألته عن الشرب بنفس واحد فكرهه- و قال: ذلك شرب الهيم. قلت: و ما الهيم؟ قال: الإبل.

و فيه، بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع): أنه كان يكره أن يتشبه بالهيم. قلت:

و ما الهيم؟ قال الرمل.

أقول: و المعنيان جميعا و اردان في روايات أخر.

## [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٩٦]

### اشاره

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تَصَدَّقُونَ (٥٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَمْ أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَمْ فَرَأَيْتُمُ الدَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَمْ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكْرًا وَ مَتَاعًا

لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) فَلَا أَسْمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَتَنْزَلُ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَضْلِيهِ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)



لما فصل سبحانه القول فيما ينتهي إليه حال كل من الأزواج الثلاثة ففصل حال أصحاب الشمال و أن الذي ساقهم إلى ذلك نقضهم عهد العبودية و تكذيبهم للبعث و الجزاء و أمر نبيه ص أن يرد عليهم بتقرير البعث و الجزاء و بيان ما يجزون به يوم البعث.

و يختم على تكذيبهم بالمعاد مع أن الذي يخبرهم به هو خالقهم الذي يدبر أمرهم و يقدر لهم الموت ثم الإنشاء فهو يعلم ما يجرى عليهم مدى وجودهم و ما ينتهي إليه حالهم و مع أن الكتاب الذي ينبتهم بالمعاد هو قرآن كريم مصون من أن يلعب به أيدي الشياطين و أولياؤهم المضلين.

ثم يعيد الكلام إلى ما بدئ به من حال الأزواج الثلاثة و يذكر أن اختلاف أحوال الأقسام يأخذ من حين الموت و بذلك تختتم السوره.

قوله تعالى: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ» السياق سياق الكلام في البعث و الجزاء و قد أنكره و كذبوا به، فقوله: «فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ» تحضيض على تصديق حديث المعاد و ترك التكذيب به، و قد علله بقوله: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» كما يستفاد من التفرع الذي في قوله: «فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ».

و إيجاب خلقه تعالى لهم و جوب تصديقه فيما يخبر به من المعاد من وجهين: أحدهما:

أنه تعالى خلقهم أول مره فهو قادر على إعادته خلقهم ثانيا كما قال: «قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»: يس: ٧٩.

و ثانيهما: أنه تعالى لما كان هو خالقهم و هو المدبر لأمرهم المقدر لهم خصوصيات خلقهم و أمرهم فهو أعلم بما يفعل بهم و سيجرى عليهم فإذا أنبأهم بأنه سيبعثهم بعد موتهم و يجزيهم بما عملوا إن خيرا و إن شرا لم يكن بد من تصديقه فلا عذر لمن كذب بما أخبر به كتابه من البعث و الجزاء، قال تعالى: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»:

الملك: ١٤، و قال: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»: الأنبياء: ١٠٤، و قال: «وَعِيدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا»: النساء: ١٢٢.

فمحصل الآيه: نحن خلقناكم و نعلم ما فعلنا و ما سنفعل بكم فنخبركم أنا سنبعثكم و نجزيكم بما عملتم فهلا تصدقون بما نخبركم به فيما أنزلناه من الكتاب.

و فى الآيه و ما يتلوها من الآيات التفات من الغيبه إلى الخطاب لأن السياق سياق التوبيخ و المعاتبه و ذلك بالخطاب أوقع و أكد.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ» الأبناء قذف المنى و صبه و المراد قذفه و صبه فى الأرحام، و المعنى: أفرأيتم المنى الذى تصبونه فى أرحام النساء.

قوله تعالى: «أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» أى أأنتم تخلقونه بشرا مثلكم أم نحن خالقوه بشرا.

قوله تعالى: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» تدبير أمر الخلق بجميع شئونه و خصوصياته من لوازم الخلق بمعنى إفاضه الوجود فوجود الإنسان المحدود بأول كينونته إلى آخر لحظه من حياته الدنيا بجميع خصوصياته التى تتحول عليه بتقدير من خالقه عز و جل. فموته أيضا كحياته بتقدير منه، و ليس يعتريه الموت لنقص من قدره خالقه أن يخلقه بحيث لا يعتريه الموت أو من جهه أسباب و عوامل تؤثر فيه بالموت فتبطل الحياه التى أفاضها عليه خالقه تعالى فإن لازم ذلك أن تكون قدرته تعالى محدوده ناقصه و أن يعجزه بعض الأسباب و تغلب إرادته إرادته و هو محال كيف؟ و القدره مطلقه و الإراده غير مغلوبه.

و يتبين بذلك أن المراد بقوله: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ» أن الموت حق مقدر و ليس أمرا يقتضيه و يستلزمه نحو وجود الحى بل هو تعالى قدر له وجودا كذا ثم موتا يعقبه.

و أن المراد بقوله: «وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» و- السبق هو الغلبه و المسبوق المغلوب- و لنا مغلوبين فى عروض الموت عن الأسباب المقارنه له بأن نفيض عليكم حياه نريد أن



يدوم ذلك عليكم فيسبقنا الأسباب و تغلبنا فتبطل بالموت الحياه التي كنا نريد دوامها.

قوله تعالى: «عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَ تُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» «عَلَىٰ» متعلقه بقوله:

«فَدَرْنَا» و جمله الجار و المجرور فى موضع الحال أى نحن قدرنا بينكم الموت حال كونه على أساس تبديل الأمثال و الإنشاء فيما لا تعلمون.

و الأمثال جمع مثل بالكسر فالسكون و مثل الشىء ما يتحد معه فى نوعه كالفرد من الإنسان بالنسبه إلى فرد آخر، و المراد بقوله: «أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ» أن نبدل أمثالكم من البشر منكم أو نبدل أمثالكم مكانكم، و المعنى على أى حال تبديل جماعه من أخرى و جعل الأخلاف مكان الأسلاف.

و قوله: «وَ تُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» ما موصوله و المراد به الخلق و جمله معطوفه على «يُبَدَّلَ» و التقدير و على أن ننشئكم و نوجدكم فى خلق آخر لا تعلمونه و هو الوجود الأخرى غير الوجود الدنيوى الفانى.

و محصل معنى الآيتين أن الموت بينكم إنما هو بتقدير منا لا لنقص فى قدرتنا بأن لا يتيسر لنا إدامه حياتكم و لا لغلبه الأسباب المهلكه المبيده و قهرها و تعجزها لنا فى حفظ حياتكم و إنما قدرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال و إذهاب قوم و الإتيان بآخرين و إنشاء خلق لكم يناسب الحياه الآخره وراء الخلق الدنيوى الدائر فالموت انتقال من دار إلى دار و تبدل خلق إلى خلق آخر و ليس بانعدام و فناء.

و احتمال بعضهم أن يكون الأمثال فى الآيه جمع مثل بفتحيتين و هو الوصف فتكون الجملتان «عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ» «إِلْح، وَ تُنْشِئُكُمْ» «إِلْح، تفيدان معنى واحدا، و المعنى: على أن نغير أوصافكم و ننشئكم فى وصف لا- تعرفونه أو لا تعلمونه كحشركم فى صفه الكلب أو الخنزير أو غيرهما من الحيوان بعد ما كنتم فى الدنيا على صفه الإنسان، و المعنى السابق أجمع و أكثر فائده.

قوله تعالى: «وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ» المراد بالنشأه الأولى نشأه الدنيا، و العلم بها بخصوصياتها يستلزم الإذعان بنشأه أخرى خالده فيها الجزاء، فإن من المعلوم من النظام الكونى أن لا لغو و لا باطل فى الوجود فلهذه النشأه الفانيه غايه باقيه، و أيضا من ضروريات هذا النظام هدايه كل شىء إلى سعادته نوعه و هدايه الإنسان تحتاج إلى بعث الرسل و تشريع الشرائع و توجيه الأمر و النهى، و الجزاء على خير الأعمال و شرها

و ليس فى الدنيا فهو فى دار أخرى و هى النشأه الآخره (١).

على أنهم شاهدوا النشأه الأولى و عرفوها و علموا أن الذى أوجدها عن كتم العدم هو الله سبحانه و إذ قدر عليها أولا فهو على إيجاد مثلها ثانيا قادر، قال تعالى: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» :يس:٧٩، و هذا برهان على الإمكان يرتفع به استبعادهم للبعث.

و بالجمله يحصل لهم بالعلم بالنشأه الأولى علم بمبادئ البرهان على إمكان البعث فيرتفع به استبعاد البعث فلا- استبعاد مع الإمكان.

و هذا- كما ترى- برهان على إمكان حشر الأجساد، محصله أن البدن المحشور مثل البدن الدنيوى و إذ جاز صنع البدن الدنيوى و إحياءه فليجز صنع البدن الأخرى و إحياءه لأنه مثله و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

فمن العجيب قول الزمخشري فى الكشاف، فى الآيه: و فى هذا دليل على صحه القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأه الأخرى بالأولى. انتهى. و ذلك لأن الذى فى الآيه قياس برهانى منطقى و الذى يستدل بها عليه قياس فقهى مفيد للظن فأين أحدهما من الآخر؟.

و قال فى روح المعانى، فى الآيه: فهلا تتذكرون أن من قدر عليها يعنى على النشأه الأولى فهو على النشأه الأخرى أقدر و أقدر فإنها أقل صنعا لحصول المواد و تخصيص الأجزاء و سبق المثال، و هذا على ما قالوا دليل على صحه القياس لكن قيل: لا يدل إلا على قياس الأولى لأنه الذى فى الآيه. انتهى.

و فيه ما فى سابقه. على أن الذى فى الآيه ليس من قياس الأولى فى شىء لأن الجامع بين النشأه الأولى و الأخرى أنهما مثلان و مبدأ القياس أن حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

و أما قوله: إن النشأه الأخرى أقل صنعا لحصول المواد و تخصيص الأجزاء، فهو ممنوع فإن المواد تحتاج إلى إفاضه الوجود بقاء كما تحتاج إليها فى حدوثها و أول حصولها، و كذا تخصص الأجزاء يحتاج إليها بقاء كما تحتاج إليها فالصنع ثانيا كالصنع أولا.

و أما قوله: و سبق المثال، فقد خلط بين المثل و المثال فالبدن الأخرى بالنظر إلى نفسه مثل البدن الدنيوى لا على مثاله و لو كان على مثاله كانت الآخره دنيا لا آخره.

ص: ١٣٤

فإن قلت: لو كان البدن الأخرى مثلا للبدن الدنيوى و مثل الشىء غيره كان الإنسان المعاد فى الآخره غير الإنسان المبتدء فى الدنيا لأنه مثله لا عينه.

قلت: قد تقدم فى المباحث السابقه غير مره أن شخصيه الإنسان بروحه لا ببدنه، و الروح لا تنعدم بالموت و إنما يفسد البدن و تتلاشى أجزاؤه ثم إذا سوى ثانيا مثل ما كان فى الدنيا ثم تعلقت به الروح كان الإنسان عين الإنسان الذى فى الدنيا كما كان زيد الشائب مثلا عين زيد الشاب لبقاء الروح على شخصيتها مع تغير البدن لحظه بعد لحظه.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» -إلى قوله- مَحْرُومُونَ» بعد ما ذكرهم بكيفية خلق أنفسهم و تقدير الموت بينهم تمهيدا للبعث و الجزاء و كل ذلك من لوازم ربوبيته عد لهم أمورا ثلاثه من أهم ما يعيشون به فى الدنيا و هى الزرع الذى يقتاتون به و الماء الذى يشربونه و النار التى يصطلون بها و يتوسلون بها إلى جمل من مآربهم، و تثبت بذلك ربوبيته لهم فليست الربوبية إلا التدبير عن ملك.

فقال: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» الحرت العمل فى الأرض و إلقاء البذر عليها «أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ» أى تبتونه و تنمونه حتى يبلغ الغايه، و ضمير «تَرْزَعُونَهُ» للبذر أو الحرت المعلوم من المقام «أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» المنبتون المنمون حتى يكمل زرعاً «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا» أى هشيما متكسرا متفتتا «فَظَلْتُمْ» أى فظلمتم و صرتم «تَفَكَّهُونَ» أى تتعجبون مما أصيب به زرعكم و تتحدثون بما جرى قائلين «إِذَا لَمُغْرَمُونَ» موقعون فى الغرامه و الخساره ذهب مالنا و ضاع وقتنا و خاب سعينا «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» ممنوعون من الرزق و الخير.

و لا منافاه بين نفى الزرع عنهم و نسبته إليه تعالى و بين توسط عوامل و أسباب طبيعیه فى نبات الزرع و نموه فإن الكلام عائد فى تأثير هذه الأسباب و صنعها و ليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعه عنه تعالى بل بجعله و وضعه و موهبته، و كذا الكلام فى أسباب هذه الأسباب، و ينتهى الأمر إلى الله سبحانه و أن إلى ربك المنتهى.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ» -إلى قوله- فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ» المزن السحاب، و قوله: «فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ» تحضيض على الشكر، و شكره تعالى جميل ذكره تعالى على نعمه و هو إظهار عبوديته قولاً و عملاً. و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» -إلى قوله- وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ» قال فى المجمع:

الإيراء إظهار النار بالقدح، يقال أوري يورى، قال: و يقال قدح فأورى إذا أظهر فإذا لم يور يقال: قدح فأكبي، و قال: و المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد، و أقوت الدار خلت من أهلها. انتهى. و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» خطاب للنبي ص. لما ذكر سبحانه شواهد ربوبيته لهم و أنه الذى يخلقهم و يدبر أمرهم و من تدبيره أنه سيبعثهم و يجزيهم بأعمالهم و هم مكذبون بذلك أعرض عن خطابهم و التفت إلى خطاب النبي ص إشعاراً بأنهم لا يفقهون القول فأمر النبي ص أن يترهه تعالى عن إشراكهم به و إنكارهم البعث و الجزاء.

فقوله: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ» إلخ، الفاء لتفريع التسييح على ما تقدم من البيان، و الباء للاستعانة أو الملايسه، و المعنى: فإذا كان كذلك فسبح مستعينا بذكر اسم ربك، أو المراد بالاسم الذكر لأن إطلاق اسم الشىء ذكر له كما قيل أو الباء للتعديه لأن تنزيه اسم الشىء تنزيه له، و المعنى: نزه اسم ربك من أن تذكر له شريكا أو تنفى عنه البعث و الجزاء، و العظيم صفة الرب أو الاسم.

قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» «فَلَا أُقْسِمُ» قسم و قيل: لا زائده و أقسم هو القسم، و قيل: لا نافية و أقسم هو القسم.

و «مواقع» جمع موقع و هو المحل، و المعنى: أقسم بمحال النجوم من السماء، و قيل:

مواقع جمع موقع مصدر ميمى بمعنى السقوط يشير به إلى سقوط الكواكب يوم القيامة أو وقوع الشهب على الشياطين، أو مساقط الكواكب فى مغاربها، و أول الوجوه هو السابق إلى الذهن.

قوله تعالى: «وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» تعظيم لهذا القسم و تأكيد على تأكيد.

قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» - إلى قوله - مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ «لما كان إنكارهم حديث وحدانيته تعالى فى ربوبيته و ألوهيته و كذا إنكارهم للبعث و الجزاء إنما أبدوه بإنكار القرآن النازل على النبي ص الذى فيه نبأ التوحيد و البعث كان إنكارهم منشعباً إلى إنكار أصل التوحيد و البعث أصلاً، و إلى إنكار ذلك بما أن القرآن ينبئهم به، فأورد تعالى أولاً بيانا لإثبات أصل الوحدانية و البعث بذكر شواهد من آياته تثبت ذلك و هو قوله: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» - إلى قوله - وَ مَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ «، و ثانياً بيانا يؤكد فيه كون القرآن الكريم كلامه المحفوظ عنده النازل منه و وصفه بأحسن أوصافه.

فقوله: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» جواب للقسم السابق، الضمير للقرآن المعلوم من السياق السابق و يستفاد من توصيفه بالكريم من غير تقييد فى مقام المدح أنه كريم على الله عزيز عنده و كريم محمود الصفات و كريم بذال نفاع للناس لما فيه من أصول المعارف التى فيها سعاده الدنيا و الآخرة.

و قوله: «فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ» وصف ثان للقرآن أى محفوظ مصون عن التغيير و التبديل، و هو اللوح المحفوظ كما قال تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ»: البروج: ٢٢.

و قوله: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» صفه الكتاب المكنون و يمكن أن يكون وصفا ثالثا للقرآن و مآل الوجهين على تقدير كون لا نافية واحد.

و المعنى: لا يمس الكتاب المكنون الذى فيه القرآن إلا المطهرون أو لا يمس القرآن الذى فى الكتاب إلا المطهرون.

و الكلام على أى حال مسوق لتعظيم أمر القرآن و تجليله فمسه هو العلم به و هو فى الكتاب المكنون كما يشير إليه قوله: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ»: الزخرف: ٤.

و المطهرون-اسم مفعول من التطهير-هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصى و قذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك و أدق و هو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، و هذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذى هو العلم دون الطهاره من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر.

فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام و الذين طهرهم الله من البشر، قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا»: الأ-حزاب: ٣٣، و لا-وجه لتخصيص المطهرين بالملائكة كما عن جل المفسرين لكونه تقييدا من غير مقيد.

و ربما جعل «لَا» فى «لَا يَمَسُّهُ» ناهيه، و المراد بالمس على هذا مس كتابه القرآن، و بالطهاره الطهاره من الحدث أو الحدث و الخبث جميعا-و قرئ «المطهرون» بتشديد الطاء و الهاء و كسر الهاء أى المتطهرون-و مدلول الآية تحريم مس كتابه القرآن على غير طهاره.

و يمكن حمل الآيه على هذا المعنى على تقدير كون لا نافية بأن تكون الجملة إخباراً أريد به الإنشاء و هو أبلغ من الإنشاء.

قال فى الكشاف: و إن جعلتها يعنى جمله «لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» صفة للقرآن فالمعنى:

لا- ينبغى أن يمسه إلا- من هو على الطهاره من الناس يعنى مس المكتوب منه، انتهى و قد عرفت صحه أن يراد بالمس العلم و الاطلاع على تقدير كونها صفة للقرآن كما يصح على تقدير كونها صفة لكتاب مكنون.

و قوله: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و وصف آخر للقرآن، و المصدر بمعنى اسم المفعول أى منزل من عند الله إليكم تفهيمونه و تعقلونه بعد ما كان فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

و التعبير عنه تعالى برب العالمين للإشاره إلى أن ربوبيته تعالى منبسطه على جميع العالمين و هم من جملتهم فهو تعالى ربهم و إذا كان ربهم كان عليهم أن يؤمنوا بكتابه و يصغوا لكلامه و يصدقوه من غير تكذيب.

قوله تعالى: «أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ» للإشاره بهذا الحديث إلى القرآن، و الإدهان به التهاون به و أصله التلين بالدهن أستعير للتهاون، و الاستفهام للتوبيخ يوبخهم تعالى على عدهم أمر القرآن هينا لا يعتنى به.

قوله تعالى: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ» قيل: المراد بالرزق حظهم من الخير، و المعنى: و تجعلون حظكم من الخير الذى لكم أن تنالوه بالقرآن أنكم تكذبون به أى تضعونه موضعه، و قيل: المراد بالرزق القرآن رزقهم الله إياه، و المعنى: تأخذون التكذيب مكان هذا الرزق الذى رزقتموه، و قيل: الكلام بحذف مضاف و التقدير:

و تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون أى وضعتم التكذيب موضع الشكر.

قوله تعالى: «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ -إلى قوله صَادِقِينَ» رجوع إلى أول الكلام بالتفريع على تكذبيهم بأنكم إن كنتم صادقين فى نفيكم للبعث مصيبين فى تكذبيكم لهذا القرآن الذى ينبئكم بالبعث رددتم نفس المحتضر التى بلغت الحلقوم إذ لو لم يكن الموت بتقدير من الله كان من الأمور الاتفاقية التى ربما أمكن الاحتيال لدفعها، فإذا لم تقدرُوا على رجوعها و إعاده الحياه معها فاعلموا أن الموت حق مقدر من الله لسوق النفوس إلى البعث و الجزاء.

فقوله: «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» تفريع على تكذبيهم بالقرآن و بما أخبر به من

البعث و الجزاء، و لو لا- للتحضيض تعجيزا و تبكيئا لهم، و ضمير « بَلَّغَتْ » للنفس، و بلوغ النفس الحلقوم كناية عن الإشراف التام للموت.

و قوله: « وَ أَنْتُمْ حَيْثُ تَنْظُرُونَ » أى تنظرون إلى المحتضر أى هو بمنظر منكم.

و قوله: « وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ » أى و الحال أنا أقرب إليه منكم لإحاطتنا به وجودا و رسلنا القابضون لروحه أقرب إليه منكم و لكن لا تبصروننا و لا رسلنا.

قال تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»: الزمر: ٢٦، و قال: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ»: السجده: ١١، و قال: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا»: الأنعام: ٦١.

و قوله: « فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ » تكرر لو لا لتأكيد لو لا السابقة، و « مَدِينِينَ » أى مجزيين من دان يدين بمعنى جزى يجرى، و المعنى: إن كنتم غير مجزيين ثوبا و عقابا بالبعث.

و قوله: « تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أى إن كنتم صادقين فى دعواكم أن لا- بعث و لا- جزاء، و قوله: « تَرْجِعُونَهَا » مدخول لو لا التحضيضيه بحسب التقدير و ترتيب الآيات بحسب التقدير فلو لا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مديينين.

قوله تعالى: « فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رِيحٌ وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ » رجوع إلى بيان حال الأزواج الثلاثة المذكوره فى أول السوره عند الموت و بعده و ضمير « كَانَ » للمتوفى المعلوم من السياق، و المراد بالمقربين السابقون المقربون المذكورون سابقا، و الروح الراحه، و الريحان الرزق، و قيل: هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به إليه فيشمه و يتوفى.

و المعنى: فأما إن كان المتوفى من المقربين فله- أو فجزاؤه- راحه من كل هم و غم و ألم و رزق من رزق الجنة و جنة نعيم.

قوله تعالى: « وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ » يمكن أن يكون اللام للاختصاص الملكى و معنى « فَسَلَامٌ لَّكَ » أنك تختص بالسلام من أصحاب اليمين الذين هم قرناؤك و رفقاؤك فلا ترى منهم إلا خيرا و سلاما.

و قيل: لك بمعنى عليك أى يسلم عليك أصحاب اليمين، و قيل غير ذلك.

و الالتفات من الغيبه إلى الخطاب للدلاله على أنه يخاطب بهذا الخطاب: سلام لك من

أصحاب اليمين.

قوله تعالى: « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيئِهِ جَحِيمٌ » تصليه النار الإدخال فيها، وقيل: مقاساه حرها و عذابها.

و المعنى: و أما إن كان من أهل التكذيب و الضلال فلهم نزل من ماء شديد الحرارة، و مقاساه حر نار جحيم.

و قد وصفهم الله بالمكذبين الضالين فقدم التكذيب على الضلال لأن ما يلقونه من العذاب تبعه تكذيبهم و عنادهم للحق و لو كان ضلالا بلا تكذيب و عناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المنزلة، و أما قوله سابقا: « ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمْ أَتَيْتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ » فإذا كان المقام هناك مقام الرد لقولهم: « أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ » إلخ، كان الأنسب توصيفهم أولا بالضلال ثم بالتكذيب.

قوله تعالى: « إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » الحق هو العلم من حيث إن الخارج الواقع يطابقه، و اليقين هو العلم الذى لا لبس فيه و لا ريب فإضافه الحق إلى اليقين نحو من الإضافة البيانیه جىء بها للتأكيد.

و المعنى: أن هذا الذى ذكرناه من حال أزواج الناس الثلاثة هو الحق الذى لا تردد فيه و العلم الذى لا شك يعتریه.

قوله تعالى: « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » تقدم تفسيره، و هو تفريع على ما تقدمه من صفه القرآن و بيان حال الأزواج الثلاثة بعد الموت و فى الحشر.

و المعنى: فإذا كان القرآن على هذه الصفات و صادقا فيما ينبىء به من حال الناس بعد الموت فنزه ربك العظيم مستعينا أو ملبسا باسمه و أنف ما يراه و يدعيه هؤلاء المكذبون الضالون.

### (بحث روائى)

فى المجمع، فى قوله تعالى: « أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ »:

روى عن النبى ص قال: لا يقولن أحدكم زرعت و ليقل حرثت.:

أقول: و رواه فى الدر المنثور، عن عده من أصحاب الجوامع عن أبى هريره عنه (ص).



و في تفسير القمى، "أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ" قال: من السحاب «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً» لنار يوم القيامة «وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ» قال: المحتاجين.

و في المجمع، في قوله تعالى: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»:

فقد صح عن النبي ص:

أنه لما نزلت هذه الآية قال: اجعلوها في ركوعكم.:

أقول: و رواه في الفقيه، مرسلًا، و رواه في الدر المنثور، عن الجهنى عنه (ص).

و في الدر المنثور، أخرج النسائي و ابن جرير و محمد بن نصر و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا-إلى السماء الدنيا جملة واحده- ثم فرق في السنين و في لفظ- ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوما- ثم قرأ «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ».

أقول: و ظاهره تفسير مواقع النجوم بأوقات نزول نجوم القرآن.

و في تفسير القمى، "و قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» قال: معناه أقسم بمواقع النجوم.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبي ص: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» قال: عند الله في صحف مطهره «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» قال: المقربون.

أقول: و تفسير المطهرين بالمقربين يؤيد ما أوردناه في البيان المتقدم، و قد أوردنا في ذيل قوله: «هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» Xآية X: الجاثية: ٢٩، حديثا عن الصادق (ع) في الكتاب المكنون.

و في المجمع: في قوله تعالى: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» و قالوا: لا يجوز للجنب و الحائض و المحدث مس المصحف: عن محمد بن علي (ع).

أقول: المراد بمس المصحف مس كتابته بدليل الروايات الأخر.

و في الكافي، بإسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله (ع) قال: سألته عن التعويد يعلق على الحائض- قال: نعم لا بأس. و قال: تقرؤه و تكتبه و لا تصيبه يدها.

و في الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و ابن أبي داود و ابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: في كتاب النبي ص لعمر بن حزم: و لا تمس القرآن إلا عن طهور.

أقول: و الروايات فيه كثيرة من طرق الشيعة و أهل السنة.

وفيه، أخرج مسلم و ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد

ص: ١٤١

رسول الله ص فقال النبي ص: أصبح من الناس شاكر و منهم كافر-قالوا: هذه رحمه وضعها الله-و قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا- فنزلت هذه الآية « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » حتى بلغ « وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ».

أقول: وقد استفاضت الروايه من طرق أهل السنه أن الآيات نزلت في الأنواء و ظاهرها أنها مدنيه لكنها لا تلائم سياق آيات السوره كما عرفت.

و في المجمع، و قراءه على (ع) و ابن عباس و رويت عن النبي ص: و تجعلون شكركم.:

أقول: و رواه في الدر المنثور، عن النبي ص و على (ع).

و في تفسير القمي، "في قوله: «عَيْرَ مَدِينِينَ» قال: معناه فلو كنتم غير مجازين على أعمالكم «تَرْجِعُونَهَا» يعني به الروح إذا بلغت الحلقوم-تردونها في البدن «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

و فيه، بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَ رِيحَانٌ» في قبره «وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ» في الآخرة.

و في الدر المنثور، أخرج القاسم بن منده في كتاب الأحوال و الإيمان بالسؤال عن سلمان قال: قال رسول الله ص: إن أول ما يبشر به المؤمن عند الوفاة-بروح و ريحان و جنة نعيم-و إن أول ما يبشر به المؤمن في قبره أن يقال: أبشر برضا الله تعالى و الجنة قدمت خير مقدم-قد غفر الله لمن شيعك إلى قبرك، و صدق من شهد لك، و استجاب لمن استغفر لك.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباس "في قوله: «فَسَيَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» قال: تأتيه الملائكة بالسلام من قبل الله-تسلم عليه و تخبره أنه من أصحاب اليمين.

أقول: و ما أورده من المعنى مبني على كون الآية حكاية خطاب الملائكة، و التقدير قالت الملائكة سلام لك حال كونك من أصحاب اليمين فهي سلام و بشاره.

## (٥٧) (سوره الحديد مدنيه و هي تسع و عشرون آيه) (٢٩)

[سوره الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْمَآرِضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُورِثُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ (٦)

ص: ١٤٢

غرض السوره حث المؤمنين و ترغيهم فى الإنفاق فى سبيل الله كما يشعر به تأكيد الأمر به مره بعد مره فى خلال آياتها « آمنوا بالله و رسولهِ و أنفقوا مما جعلكم مشيخلفين فيه » الآية، « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » الآية، « إن المصدقين و المصدقات و أقرضوا الله قرضاً حسناً » و قد سمت إنفاقهم ذلك إقراضاً منه لله عز اسمه فالله سبحانه خير مطلوب و هو لا يخلف الميعاد و قد وعدهم إن أقرضوه أن يضاعفه لهم و أن يؤتيهم أجراً كريماً كثيراً.

و قد أشار إلى أن هذا الإنفاق من التقوى و الإيمان بالرسول و أنه يستتبع مغفره الذنوب و إتيان كفلين من الرحمه و لزوم النور بل و اللحوق بالصدقين و الشهداء عند الله سبحانه.

و فى خلال آياتها معارف راجعه إلى المبدأ و المعاد، و دعوه إلى التقوى و إخلاص الإيمان و الزهد و موعظه.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها و قد ادعى بعضهم إجماع المفسرين على ذلك.

و لقد افتتحت السوره بتسيححه و تنزيهه تعالى بعده من أسمائه الحسنى لما فى غرض السوره و هو الحث على الإنفاق من شائبه توهم الحاجه و النقص فى ناحيته و نظيرتها فى ذلك جميع السور المفتحة بالتسيح و هى سور الحشر و الصف و الجمعه و التغابن المصدره بسبح أو يسبح.

قوله تعالى: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» التسيح التنزيه و هو نفى ما يستدعى نقصا أو حاجه مما لا يليق بساحه كماله تعالى، و ما موصوله و المراد بها ما يعم العقلاء مما فى السماوات و الأرض كالملائكه و الثقلين و غير العقلاء كالجمادات و الدليل عليه ما ذكر بعد من صفاته المتعلقة بالعقلاء كالأحياء و العلم بذات الصدور.

فالمعنى: نزه الله سبحانه ما فى السماوات و الأرض من شىء و هو جميع العالم.

و المراد بتسيحها حقيقه معنى التسيح دون المعنى المجازى الذى هو دلالة وجود كل موجود فى السماوات و الأرض على أن له موجدا منزها من كل نقص متصفا بكل كمال، و دون عموم المجاز و هو دلالة كل موجود على تنزيهه تعالى إما بلسان القول كالعقلاء و إما بلسان الحال كغير العقلاء من الموجودات و ذلك لقوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» :إسراء: ٤٤، حيث استدرك أنهم لا يفقهون تسيحهم و لو كان المراد بتسيحهم دلالة وجودهم على وجوده و هى قيام الحجج على الناس بوجودهم أو كان المراد تسيحهم و تحميدهم بلسان الحال و ذلك مما يفقه الناس لم يكن للاستدراك معنى.

فتسيح ما فى السماوات و الأرض تسيح و نطق بالتنزيه بحقيقه معنى الكلمه و إن كنا لا نفقهه، قال تعالى: «قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ»: حم السجده: ٢١.

و قوله: «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى المنيع جانبه يغلب و لا- يغلب، المتقن فعله لا- يعرض على فعله ما يفسده عليه و لا- يتعلق به اعتراض معترض.

قوله تعالى: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الكلام موضوع على الحصر فهو المليك فى السماوات و الأرض يحكم ما يشاء لأنه الموجد لكل شىء فما فى السماوات و الأرض يقوم به وجوده و آثار وجوده فلا حكم إلا له فلا ملك و لا سلطنه إلا له.

و قوله: «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» إشاره إلى اسميه المحيى و المميت، و إطلاق «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» يفيد شمولهما لكل إحياء و إماته كإيجاده الملائكه أحياء من غير سبق موت، و إحيائه

الجنين فى بطن أمه و إحيائه الموتى فى البعث و إيجاده الجماد ميتا من غير سبق حياه و إمامته الإنسان فى الدنيا و إمامته ثانيا فى البرزخ على ما يشير إليه قوله: «رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ»: المؤمن: ١١ و فى «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» دلالة على الاستمرار.

و قوله: «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيه إشارة إلى صفة قدرته و أنها مطلقة غير مقيدة بشىء دون شىء، و فى تذييل الآيه بالقدره على كل شىء مناسبة مع ما تقدمها من الإحياء و الإماتة لما ربما يتوهمه المتوهم أن لا قدره على إحياء الموتى و لا عين منهم و لا أثر.

قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لما كان تعالى قديرا على كل شىء مفروض كان محيطا بقدرته على كل شىء من كل جهه فكل ما فرض أولا فهو قبله فهو الأول دون الشىء المفروض أولا، و كل ما فرض آخرا فهو بعده لإحاطه قدرته به من كل جهه فهو الآخر دون الشىء المفروض آخرا، و كل شىء فرض ظاهرا فهو أظهر منه لإحاطه قدرته به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض ظاهرا، و كل شىء فرض أنه باطن فهو تعالى أبطن منه لإحاطته به من ورائه فهو الباطن دون المفروض باطنا فهو تعالى الأول و الآخر و الظاهر و الباطن على الإطلاق و ما فى غيره تعالى من هذه الصفات فهى إضافيه نسبيه.

و ليست أوليته تعالى و لا- آخريته و لا- ظهوره و لا- بطونه زمانيه و لا- مكانيه بمعنى مظهريته لهما و إلا لم يتقدمهما و لا تنزه عنهما سبحانه بل هو محيط بالأشياء على أى نحو فرضت و كيفما تصورت.

فبان مما تقدم أن هذه الأسماء الأربعة الأول و الآخر و الظاهر و الباطن من فروع اسمه المحيط و هو فرع إطلاق القدره فقدرته محيطه بكل شىء و يمكن تفريع الأسماء الأربعة على إحاطه وجوده بكل شىء فإنه تعالى ثابت قبل ثبوت كل شىء و ثابت بعد فناء كل شىء و أقرب من كل شىء ظاهر و أبطن من الأوهام و العقول من كل شىء خفى باطن.

و كذا للأسماء الأربعة نوع تفرع على علمه تعالى و يناسبه تذييل الآيه بقوله: «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

و فسر بعضهم الأسماء الأربعة بأنه الأول قبل كل شىء و الآخر بعد هلاك كل شىء الظاهر بالأدله الداله عليه و الباطن غير مدرك بالحواس.

وقيل: الأول قبل كل شيء بلا ابتداء، والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء، والظاهر الغالب العالی على كل شيء فكل شيء دونه، والباطن العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه.

وقيل: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب.

وهناك أقوال آخر في معناها غير جيدة أغمضنا عن إيرادها.

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» تقدم تفسيره.

قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا» تقدم تفصيل القول في معنى العرش في سورة الأعراف آية: ٥٤.

وتقدم أن الاستواء على العرش كناية عن الأخذ في تدبير الملك ولذا عقبه بالعلم بجزئيات الأحوال لأن العلم من لوازم التدبير.

وقوله: «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا» الولوج - كما قال الراغب - الدخول في مضيق، والعروج ذهاب في صعود، والمعنى: يعلم ما يدخل وينفذ في الأرض كماء المطر والبذور وغيرهما وما يخرج من الأرض كأنواع النبات والحيوان والماء وما ينزل من السماء كالأمطار والأشعة والملائكة وما يعرج فيها ويصعد كالأبخرة والملائكة وأعمال العباد.

قوله تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» لإحاطته بكم فلا تغيبون عنه أينما كنتم وفي أي زمان عشتم وفي أي حال فرضتم فذكر عموم الأمكنة «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» لأن الأعراف في مفارقه شيء شئنا وغيبته عنه أن يتوسل إلى ذلك بتغيير المكان وإلا فنسبته تعالى إلى الأمكنة والأزمنة والأحوال سواء.

وقيل: المعية مجاز مرسل عن الإحاطة العلمية.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» كالفرع المترتب على ما قبله من كونه معهم أينما كانوا وكونه بكل شيء عليما فإن لازم حضوره عندهم من دون مفارقه ما واحتجاب وهو عليم أن يكون بصيرا بأعمالهم يبصر ظاهر عملهم، وما في باطنهم من نية وقصد.

قوله تعالى: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» كرر قوله: «لَهُ مُلْكُ» إلخ، لابتناء رجوع الأشياء إليه على عموم الملك فصرح به ليفيد الابتداء، قال تعالى: «يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» المؤمن: ١٦.



وقوله: «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» الأمور جمع محلى باللام يفيد العموم كقوله: «أَلَا- إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»: الشورى: ٥٣، فما من شيء إلا ويرجع إلى الله، ولا راد إليه تعالى إلا هو لاختصاص الملك به فله الأمر وله الحكم.

وفي الآية وضع الظاهر موضع الضمير في «إِلَى اللَّهِ» وكذا في الآية السابقة «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» ولعل الوجه في ذلك أن تفرع الجملتان قلوبهم كما يفرع المثل السائر لما سيحىء من ذكر يوم القيامة وجزيل أجر المنفقين في سبيل الله فيه.

قوله تعالى: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» إيلاج الليل في النهار في الليل اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر باختلاف فصول السنه في كل من البقاع الشماليه والجنوبيه بعكس الأخرى، وقد تقدم في كلامه تعالى غير مره.

و المراد بذات الصدور الأفكار المضمرة والنيات المكنونه التي تصاحب الصدور وتلازمها لما أنها تنسب إلى القلوب والقلوب في الصدور، والجمله أعنى قوله: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» بيان لإحاطه علمه بما في الصدور بعد بيان إحاطه بصره بظواهر أعمالهم بقوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

### (بحث روائى)

في الدر المنثور، أخرج أحمد و أبو داود و الترمذى و حسنه و النسائى و ابن مردويه و البيهقى في شعب الإيمان عن عرياض بن ساريه: أن رسول الله ص كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقده، وقال: إن فيهن آيه أفضل من ألف آيه:.

أقول: و رواه أيضا عن ابن الضريس عن يحيى بن أبى كثير عنه (ص).

و فى الكافى، بإسناده عن عاصم بن حميد قال: سئل على بن الحسين (ع) عن التوحيد فقال: إن الله عز وجل علم أنه يكون فى آخر الزمان - أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى:

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والآيات من سوره الحديد- إلى قوله: «عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فمن رام وراء ذلك فقد هلك.

و فى تفسير القمى،: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» قال: هو

قوله: أوتيت جوامع الكلم، وقوله: «هُوَ الْمَأْوُلُ» قال: أى قبل كل شيء، «وَالْمَأْخِرُ» قال: يبقى بعد كل شيء، «وَهُوَ عَلِيمٌ بِعَدَاتِ الصُّدُورِ» قال: بالضمائر.

و فى الكافى، و روى: أنه يعنى عليا(ع) سئل أين كان ربنا-قبل أن يخلق سماء و أرضا؟ قال: أين سؤال عن مكان و كان الله و لا مكان.

و فى التوحيد، خطبه للحسن بن على(ع) و فيها: الحمد لله الذى لم يكن فيه أول معلوم، و لا آخر متناه، و لا قبل مدرك، و لا بعد محدود، فلا- تدرك العقول و أوهامها- و لا الفكر و خطراتها و لا الألباب و أذهانها صفتة-فتقول: متى و لا بدئ مما، و لا ظاهر على ما، و لا باطن فيما.

أقول: و قوله أول معلوم إلخ، أو صاف توضيحيه أى ليس له أول و لو كان له أول كان من الجائز أن يتعلق به علم و لا آخر و لو كان له آخر كان متناهيا، و لا قبل و لو كان لكان جائز الإدراك و لا بعد و إلا لكان محدودا.

و قوله: و لا بدئ مما أى لم يبتدأ من شيء حتى يكون له أول و لا ظاهر على ما أى يتفوق على شيء بالوقوع و الاستقرار عليه كالجسم على الجسم «و لا باطن فيما» أى لم يتبطن فى شيء بالدخول فيه و الاستتار به.

و فى نهج البلاغه: و كل ظاهر غيره غير باطن، و كل باطن غيره غير ظاهر.

أقول: معناه أن حيثه الظهور فى غيره تعالى غير حيثه الباطن و بالعكس، و أما هو تعالى فلما كان إحدى الذات لا تنقسم و لا تتجزى إلى جهه و جهه كان ظاهرا من حيث هو باطن و باطنا من حيث هو ظاهر فهو باطن خفى من كمال ظهوره و ظاهر جلى من كمال بطونه.

و فيه: الحمد لله الأول فلا شيء قبله، و الآخر فلا شيء بعده، و الظاهر فلا شيء فوقه، و الباطن فلا شيء دونه.

أقول: المراد بالقبليه و البعديه ليس هو القبليه و البعديه الزمانيه بأن يفرض هناك امتداد زمانى غير متناهى الطرفين و قد حل العالم قطعه منه خاليا عنه طرفاه و يكون وجوده تعالى و تقدس منطبقا على الزمان كله غير خال عنه شيء من جانبيه و إن ذهبنا إلى غير النهايه فيتقدم وجوده تعالى على العالم زمانا و يتأخر عنه زمانا و لو كان كذلك لكان تعالى متغيرا فى ذاته و أحواله بتغير الأزمنه المتجدده عليه، و كان قبليته

و بعديته بتبع الزمان و كان الزمان هو الأول و الآخر بالأصالة.

و كذلك ليست ظاهريته و باطنيته بحسب المكان بنظير البيان بل هو تعالى سابق بنفس ذاته المتعالیه على كل شيء مفروض و آخر بنفس ذاته عن كل أمر مفروض أنه آخر، و ظاهر، و باطن كذلك، و الزمان مخلوق له متأخر عنه.

و فى الدر المنثور، أخرج أبو الشيخ فى العظمه عن ابن عمر و أبى سعيد عن النبى ص قال: لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا: هذا الله كان قبل كل شيء فما ذا كان قبل الله- فإن قالوا لكم ذلك فقولوا: هو الأول قبل كل شيء و هو الآخر فليس بعده شيء- و هو الظاهر فوق كل شيء- و هو الباطن دون كل شيء و هو بكل شيء عليم.

و فى التوحيد، بإسناده إلى أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: لم يزل الله عز و جل ربنا و العلم ذاته و لا معلوم- فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم.

أقول: ليس المراد بهذا العلم الصور الذهنيه فيكون تعالى كبانى دار يتصور للدار صورته و هيئه قبل بنائها ثم يبينها على ما تصور فتطبق الصوره الذهنيه على البناء الخارجى ثم تنهدم الدار و الصوره الذهنيه على حالها، و هذا هو المسمى بالعلم الكلى و هو مستحيل عليه تعالى بل ذاته تعالى عين العلم بمعلومه ثم المعلوم إذا تحقق فى الخارج كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به، و يسمى الأول العلم الذاتى و الثانى العلم الفعلى.

و فيه، خطبه لعلى (ع) و فيها: و علمها لا باداه لا يكون العلم إلا بها، و ليس بينه و بين معلومه علم غيره.

أقول: المراد به أن ذاته تعالى عين علمه، و ليست هناك صورته زائده.

## [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٥]

### اشاره

آَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِنْ آَقَامِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنْ اللَّهُ بِكُمْ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ (٩) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْئُرُ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا وَ كَلَّا وَ عِدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنِ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسِينًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَآئِمَاتِهِمْ بِشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتم أنفسكم و تربصتم و ارتبتم و عرتكم آلامنا حتى جاء أمر الله و غرركم بالله الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية و لا من الذين كفروا ماؤاكم النار هي مولاكم و ينس المصير (١٥)





أمر مؤكد بالإنفاق في سبيل الله و خاصة الجهاد على ما يؤيده قوله: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» الآية، و يتأيد بذلك ما قيل: إن قوله: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا» إلخ، نزل في غزوه تبوك.

قوله تعالى: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ» إلخ، المستفاد من سياق الآيات أن الخطاب في الآية للمؤمنين بالله و رسوله لا للكفار و لا للمؤمنين و الكفار جميعا كما قيل، و أمر الذين تلبسوا بالإيمان بالله و رسوله بالإيمان معناه الأمر بتحقيق الإيمان بترتيب آثاره عليه إذ لو كانت صفة من الصفات كالسخاء و العفة و الشجاعة ثابتة في نفس الإنسان حق ثبوتها لم يتخلف عنها أثرها الخاص و من آثار الإيمان بالله و رسوله الطاعة فيما أمر الله و رسوله به.

و من هنا يظهر أولا- أن أمر المؤمن بالإيمان في الحقيقة أمر للمتحقق بمرتبته من الإيمان أن يتلبس بمرتبته هي أعلى منها، و هذا النوع من الأمر فيه إيماء إلى أن الذي عند المأمور من المأمور به لا يرضى الأمر كل الإرضاء.

و ثانيا: أن قوله: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا» أمر بالإنفاق مع التلويح إلى أنه أثر صفة هم متلبسون بها فعليهم أن ينفقوا لما اتصفوا بها فيقول إلى تعليل الإنفاق بإيمانهم.

و قوله: «وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ» استخلاف الإنسان جعله خليفه، و المراد به إما خلافتهم عن الله سبحانه يخلفونه في الأرض كما يشير إليه قوله: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» البقرة: ٣٠، و التعبير عما بأيديهم من المال بهذا التعبير لبيان الواقع و لترغيبهم في الإنفاق فإنهم إذا أيقنوا أن المال لله و هم مستخلفون عليه و كلاء من ناحيته يتصرفون فيه كما أذن لهم سهل عليهم إنفاقه و لم تتحرج نفوسهم من ذلك.

و إما خلافتهم عن سبقتهم من الأجيال كما يخلف كل جيل سابقه، و في التعبير به أيضا ترغيب في الإنفاق فإنهم إذا تذكروا أن هذا المال كان لغيرهم فلم يدم عليهم علموا أنه كذلك لا يدوم لهم و سياتر كونه لغيرهم و هان عليهم إنفاقه و سخت بذلك نفوسهم.

و قوله: «فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» و وعد للأجر على الإنفاق تأكيدا للترغيب، و المراد بالإيمان بالإيمان بالله و رسوله.

قوله تعالى: « وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ » إلخ، المراد بالإيمان الإيمان بحيث يترتب عليه آثاره و منها الإنفاق في سبيل الله - وإن شئت فقل:

المراد ترتيب آثار ما عندهم من الإيمان عليه.

وقوله: « وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ » عبر الرب بالرب و إضافه إليهم تلويحا إلى عله توجه الدعوه و الأمر كأنه قيل: يدعوكم لتؤمنوا بالله لأنه ربكم يجب عليكم أن تؤمنوا به.

وقوله: « وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » تأكيد للتوبيخ المفهوم من أول الآية، و ضمير « أَخَذَ » لله سبحانه أو للرسول و على أى حال المراد بالميثاق المأخوذ هو الذى تدل عليه شهادتهم على وحدانيه الله و رساله رسوله يوم آمنوا به (ص) من أنهم على السمع و الطاعة.

وقيل: المراد بالميثاق هو الميثاق المأخوذ منهم فى الذر، و على هذا فضمير « أَخَذَ » لله سبحانه، و فيه أنه بعيد عن سياق الاحتجاج عليهم فإنهم غافلون عنه، على أن أخذ الميثاق فى الذر لا يختص بالمؤمنين بل يعم المنافقين و الكفار.

قوله تعالى: « هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيْنَا مِنْ سَمَوَاتِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » إلخ، المراد بالآيات البينات آيات القرآن الكريم المبينه لهم ما عليهم من فرائض الدين، و فاعل « لِيُخْرِجَكُمْ » الضمير العائد إلى الله أو إلى رسوله ص و مرجع الثانى أيضا هو الأول فالميثاق ميثاقه و قد أخذه بواسطه رسوله أو بغير واسطته كما أن الإيمان به و برسوله إيمان به و لذلك قال فى صدر الآية: « وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » فذكر نفسه و لم يذكر رسوله إشاره إلى أن الإيمان برسوله إيمان به.

وقوله: « وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ » فى تذييل الآية برأفته تعالى و رحمته إشاره إلى أن الإيمان الذى يدعوههم إليه رسوله خير لهم و أصلح و هم الذين ينتفعون به دون الله و رسوله، ففيه تأكيد ترغيبهم على الإيمان و الإنفاق.

قوله تعالى: « وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ » الميراث و التراث المال الذى ينتقل من الميت إلى من بقى بعده من وراثه، و إضافه الميراث إلى السماوات و الأرض بيانیه فالسماوات و الأرض هى الميراث بما فيهما من الأشياء التى خلق منهما مما يمتلكه ذوو الشعور من سكنتهما فالسماوات و الأرض شامله لما فيهما مما خلق منهما

و يتصرف فيها ذوو الشعور كالإنسان مثلا بتخصيص ما يتصرفون فيه لأنفسهم و هو الملك الاعتبارى الذى هداهم الله سبحانه إلى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم الدنيا.

غير أنهم لا يتقون و لا يبقى لهم بل يذهبهم الموت المقدر بينهم فينتقل ما فى أيديهم إلى من بعدهم و هكذا حتى يفنى الجميع و لا يبقى إلا هو سبحانه.

فالأرض مثلا- و ما فيها و عليها من مال ميراث من جهة أن كل جيل من سكانها يرثها ممن قبله فكانت ميراثا دائما دائرا بينهم خلفا عن سلف، و ميراث من جهة أنهم سيفنون جميعا و لا يبقى لها إلا الله الذى استخلفهم عليها.

و الله سبحانه ميراث السماوات و الأرض بكلا المعنيين، أما الأول: فلأنه الذى يملكهم المال و هو المالك لما ملكهم، قال تعالى: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لقمان: ٢٦، و قال: «و لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» النور: ٤٢، و قال: «وَ آتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ» النور: ٣٣.

و أما الثانى: فظاهر آيات القيامة كقوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» الرحمن: ٢٦ و غيره، و الذى يسبق إلى الذهن أن المراد بكونهما ميراثا هو المعنى الثانى.

و كيف كان فى الآيه توبيخ شديد لهم على عدم إنفاقهم فى سبيل الله من المال الذى لا يرثه بالحقيقه إلا هو تعالى و لا يبقى لهم و لا لغيرهم، و الإظهار فى موضع الإضمار فى قوله: «و لِلَّهِ» لتشديد التوبيخ.

قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا» إلخ، الاستواء بمعنى التساوى، و قسيم قوله: «مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ» محذوف إيجازا لدلاله قوله: «أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا» عليه.

و المراد بالفتح- كما قيل- فتح مكة أو فتح الحديبيه و عطف القتال على الإنفاق لا- يخلو من إشعار بل دلالة على أن المراد بالإنفاق فى سبيل الله المندوب إليه فى الآيات هو الإنفاق فى الجهاد.

و كان الآيه مسوقه لبيان أن الإنفاق فى سبيل الله كلما عجل إليها كان أحب عند الله و أعظم درجه و منزله و إلا فظاهر أن هذه الآيات نزلت بعد الفتح و القتال الذى بادروا إليه قبل الفتح و بعض المقاتل التى بعده.



وقوله: « وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِي » أي وعده الله المثوبه الحسنى كل من أنفق وقاتل قبل الفتح أو أنفق وقاتل بعده وإن كانت الطائفة الأولى أعظم درجه من الثانيه، وفيه تطيب لقلوب المتأخرين إنفاقا وقتالا أن لهم نيلا من رحمته و ليسوا بمحرومين مطلقا فلا موجب لأن يأسوا منها وإن تأخروا.

وقوله: « وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » تذييل متعلق بجميع ما تقدم ففيه تشديد للتوبيخ و تقرير و تثبيت لقوله: « لَا يَشِي تَوَى مِنْكُمْ » إلخ، و لقوله: « وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِي » و يمكن أن يتعلق بالجملة الأخيره لكن تعلقه بالجميع أعم و أشمل.

قوله تعالى: « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » قال الراغب: و سمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضا. انتهى، و قال في المجمع: و أصله القطع فهو قطعه عن مالكة بإذنه على ضمان رد مثله. قال: و المضاعفه الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله. انتهى، و قال الراغب: الأجر و الأجره ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا قال: و لا يقال إلا في النفع دون الضر بخلاف الجزاء فإنه يقال في النفع و الضر. انتهى ملخصا.

و ما يعطيه تعالى من الثواب على عمل العبد تفضل منه من غير استحقاق من العبد فإن العبد و ما يأتيه من عمل ملك طلق له سبحانه ملكا لا يقبل النقل و الانتقال غير أنه اعتبر اعتبارا تشريعا العبد مالكا و ملكه عمله، و هو المالك لما ملكه و هو تفضل آخر ثم اختار ما أحبه من عمله فوعده ثوابا على عمله و سماه أجرا و جزاء و هو تفضل آخر، و لا ينتفع به في الدنيا و الآخرة إلا العبد قال تعالى: « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ »: آل عمران: ١٧٢، و قال: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَمْنُونٍ »: حم السجده: ٨، و قال بعد وصف الجنة و نعيمها: « إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا »: الإنسان: ٢٢، و ما وعده من الشكر و عدم المن عند إيتاء الثواب تمام التفضل.

و في الآيه حث بليغ على ما ندب إليه من الإنفاق في سبيل الله حيث استفهم عن الذي ينفق منهم في سبيل الله و مثل إنفاقه بأنه قرض يقرضه الله سبحانه و عليه أن يرده ثم قطع أنه لا يرد مثله إليه بل يضاعفه و لم يكتف بذلك بل أضاف إليه أجرا كريما في الآخرة و الأجر الكريم هو المرضى في نوعه و الأجر الأخروي كذلك لأنه غايه ما يتصور

من النعمه عند غايه ما يتصور من الحاجه.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» إلخ، اليوم ظرف لقوله: «لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» والمراد به يوم القيامة، و الخطاب في «تَرَى» للنبي ص أو لكل سامع يصح خطابه، و الظاهر أن الباء في «بِأَيْمَانِهِمْ» بمعنى في.

و المعنى: لمن أقرض الله قرضا حسنا أجر كريم يوم ترى أنت يا رسول الله- أو كل من يصح منه الرؤيه- المؤمنين بالله و رسوله و المؤمنات يسعى نورهم أمامهم و في أيمنهم و اليمين هو الجبهه التي منها سعادتهم.

و الآيه مطلقه تشمل مؤمنى جميع الأمم و لا تختص بهذه الأمه، و التعبير عن إشراق النور بالسعى يشعر بأنهم ساعون إلى درجات الجنه التي أَعدها الله سبحانه لهم و تستنير لهم جهات السعاده و مقامات القرب واحده بعد واحده حتى يتم لهم نورهم كما قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾: الزمر: ٧٣، و قال: «يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً»: مريم: ٨٥، و قال: «يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا»: التحريم: ٨.

و للمفسرين فى تفسير مفردات الآيه أقوال مختلفه أغمضنا عنها لعدم دليل من لفظ الآيه عليها، و سيوافيك ما فى الروايات المأثوره فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله.

و قوله: «بُشْرَاكُمْ يَوْمَ جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» حكاية ما يقال للمؤمنين و المؤمنات يوم القيامة، و القائل الملائكه بأمر من الله و التقدير يقال لهم:

«بُشْرَاكُمْ» إلخ، و المراد بالبشرى ما يبشر به و هو الجنه و الباقي ظاهر.

و قوله: «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» كلام الله سبحانه و الإشاره إلى ما ذكر من سعى النور و البشرى أو من تمام قول الملائكه و الإشاره إلى الجنات و الخلود فيها.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» إلى آخر الآيه، النظر إذا تعدى بنفسه أفاد معنى الانتظار و الإمهال، و إذا عدى بالى نحو نظر إليه كان بمعنى إلقاء البصر نحو الشيء و إذا عدى بفى كان بمعنى التأمل، و الاقتباس أخذ قبس من النار.

و السياق يفيد أنهم اليوم فى ظلمه أحاطت بهم سرادقها و قد ألجئوا إلى المسير نحو دارهم التي يخلدون فيها غير أن المؤمنين و المؤمنات يسرون بنورهم الذى يسعى بين

أيديهم و بأيمانهم فيصرون الطريق و يهتدون إلى مقاماتهم، و أما المنافقون و المنافقات فهم مغشون بالظلمه لا يهتدون سبيلا و هم مع المؤمنين كما كانوا في الدنيا معهم و معدودين منهم فيسبق المؤمنون و المؤمنات إلى الجنة و يتأخر عنهم المنافقون و المنافقات في ظلمه تغشاهم فيسألون المؤمنين و المؤمنات أن ينتظروهم حتى يلحقوا بهم و يأخذوا قبسا من نورهم ليستضيئوا به في طريقهم.

و قوله: «قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا» القائل به إما الملائكة أو قوم من كمل المؤمنين كأصحاب الأعراف.

و كيف كان فهو من الله و بإذنه، و الخطاب بقوله: «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا» قيل: إنه خطاب مبنى على التهكم و الاستهزاء كما كانوا يستهزئون في الدنيا بالمؤمنين، و الأظهر على هذا أن يكون المراد بالوراء الدنيا، و محصل المعنى: ارجعوا إلى الدنيا التي تركتموها وراء ظهوركم و عملتم فيها ما عملتم على النفاق، و التمسوا من تلك الأعمال نورا فإنما النور نور الأعمال أو الإيمان و لا إيمان لكم و لا عمل.

و يمكن أن يجعل هذا وجها على حياله من غير معنى الاستهزاء بأن يكون قوله:

«ارْجِعُوا» أمرا بالرجوع إلى الدنيا و اكتساب النور بالإيمان و العمل الصالح و ليسوا براجعين و لا يستطيعون فيكون الأمر بالرجوع كالأمر بالسجود المذكور في قوله تعالى:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَآئِلِينَ» القلم: ٤٣.

و قيل: المراد ارجعوا إلى المكان الذي قسم فيه النور و التمسوا من هناك فيرجعون فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم و قد ضرب بينهم بسور، و هذا خدعه منه تعالى يخدعهم بها كما كانوا في الدنيا يخادعون كما قال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» النساء: ١٤٢.

قوله تعالى: «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» سور المدينة حائطها الحاجز بينها و بين الخارج منها، و الضمير في «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» راجع إلى المؤمنين و المنافقين جميعا أي ضرب بين المؤمنين و بين المنافقين بسور حاجز يحجز إحدى الطائفتين عن الأخرى.

قيل: السور هو الأعراف و هو غير بعيد و قد تقدمت إشاره إليه في تفسير قوله

تعالى: «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ» X الآيه X: الأعراف: ٤٦، وقيل: السور غير الأعراف.

وقوله: «لَهُ بَابٌ» أى للسور باب وهذا يشبه حال المنافقين فى الدنيا فقد كانوا فيها بين المؤمنين لهم اتصال بهم وارتباط وهم مع ذلك محجوبون عنهم بحجاب. على أنهم يرون أهل الجنة ويزيد بذلك حسرتهم وندامتهم.

وقوله: «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» «بَاطِنُهُ» مبتدأ وجملة فِيهِ الرَّحْمَةُ «مبتدأ وخبر وهى خبر بَاطِنُهُ وكذا ظَاهِرُهُ مبتدأ وجملة مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ مبتدأ وخبر وهى خبره، وضميرها فِيهِ وَمِنْ قِبَلِهِ للباطن والظاهر.

ويظهر من كون باطن السور فيه رحمه و ظاهره من قبله العذاب أن السور محيط بالمؤمنين وهم فى داخله والمنافقون فى الخارج منه.

وفى اشتغال داخله الذى يلى المؤمنين على رحمه و ظاهره الذى يلى المنافقين على العذاب مناسبة لحال الإيمان فى الدنيا فإنه نعمه لأهل الإخلاص من المؤمنين يبتهجون بها و يلتذون و عذاب لأهل النفاق يتخرجون من التلبس به و يتألمون منه.

قوله تعالى: «يَدَاؤُنَهُمْ أَلَمٌ نَكُنْ مَعَكُمْ» إلى آخر الآيه استئناف فى معنى جواب السؤال كأنه قيل: فما ذا يفعل المنافقون و المنافقات بعد ضرب السور و مشاهدته العذاب من ظاهره؟ فقيل: ينادونهم إلخ.

و المعنى: ينادى المنافقون و المنافقات المؤمنين و المؤمنات بقولهم: «أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» يريدون به كونهم فى الدنيا مع المؤمنين و المؤمنات فى ظاهر الدين.

وقوله: «قَالُوا بَلَى» إلى آخر الآيه جواب المؤمنين و المؤمنات لهم و المعنى: «قَالُوا» أى قال المؤمنون و المؤمنات جوابا لهم «بَلَى» «كنتم فى الدنيا معنا» وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ «أى محنتم و أهلكتكم» أَنْفُسِكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ «الدوائر بالدين و أهله» وَ ارْتَبْتُمْ «و شككتكم فى دينكم» وَ عَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ «و منها أمنيتم أن الدين سيظفأ نوره و يتركه أهله» حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ «و هو الموت» وَ عَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعُزْرَ «بفتح الغين و هو الشيطان.

و الآيه- كما ترى- تفيد أن المنافقين و المنافقات يستنصرون المؤمنين و المؤمنات على ما هم فيه من الظلمه متوسلين بأنهم كانوا معهم فى الدنيا ثم تفيد أن المؤمنين و المؤمنات يجييون بأنهم كانوا معهم لكن قلوبهم كانت لا توافق ظاهر حالهم حيث يفتنون أنفسهم

و يتربصون و يرتابون و تغرهم الأمانى و يغرهم بالله الغرور، و هذه الصفات الخبيثة آفات القلوب فكانت القلوب غير سليمة و لا ينفع يوم القيامة إلا القلب السليم قال تعالى: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» الشعراء: ٨٩.

قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» تتمه كلام المؤمنين و المؤمنات يخاطبون به المنافقين و المنافقات و يضيفون إليهم الكفار و هم المعلنون لكفرهم أنهم رهناء أعمالهم كما قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» المدثر: ٣٨، لا يؤخذ منهم فديته يخلصون بها أنفسهم و الفديته أحد الأمرين اللذين بهما التخلص من الرهانه و الآخر ناصر ينصر فينجى و قد نفوه بقولهم: «مَأْوَاكُمُ النَّارُ» إلخ.

فقوله: «مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمُ وَ بِنَسِ الْمَصِيرِ» ينفى أى ناصر ينصرهم و ينجيهم من النار غير النار على ما يفيدته قوله: «هِيَ مَوْلَاكُمُ» من الحصر، و المولى هو الناصر و الجملة مسوقة للتهكم.

و يمكن أن يكون المولى بمعنى من يلى الأمر فإنهم كانوا يدعون لحوائجهم من المأكل و المشرب و الملبس و المنكح و المسكن غير الله سبحانه و حقيقته النار فالיום مولاهم النار و هى التى تعد لهم ذلك فمأكلهم من الزقوم و مشربهم من الحميم و ملبسهم من ثياب قطعت من النار و قرناؤهم الشياطين و مأواهم النار على ما أخبر الله سبحانه به فى آيات كثيرة من كلامه.

#### (بحث روائى)

فى الدر المثور، أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و أبو نعيم فى الدلائل من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: خرجنا مع رسول الله ص عام الحديبيه-حتى إذا كان بعسفان قال رسول الله ص-يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم-قلنا: من هم يا رسول الله أقريش؟ قال: لا و لكنهم أهل اليمن هم أرق أفئده و ألين قلوبا. قلنا: أ هم خير منا يا رسول الله؟ قال: لو كان لأحدكم جبل من ذهب-فأنفقه ما أدرك مد أحدكم و لا نصيفه-ألا إن هذا فصل ما بيننا و بين الناس «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» الآية.

أقول: روى هذا المعنى بغير واحد من الطرق بألفاظ متقاربه و هي مشتمله على الآيه و يشكل بأن ظاهر سياق الآيات أنها نزلت بعد الفتح و المراد به إما الحديبيه أو فتح مكه فلا تنطبق على ما قبل الفتح.

و فيه، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن عكرمه قال: "لما نزلت هذه الآيه «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» قال أبو الدحداح: و الله لأنفقن اليوم نفقه أدرك بها من قبلى - و لا - يسبقنى بها أحد بعدى - فقال: اللهم كل شىء يملكه أبو الدحداح - فإن نصفه لله حتى بلغ فرد نعله ثم قال: و هذا.

و فى تفسير القمى، "فى قوله: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ - يَشْعُرُونَ نُورَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ» قال: يقسم النور بين الناس يوم القيامة - على قدر إيمانهم - يقسم للمنافق فيكون نوره بين إبهام رجله اليسرى - فينظر نوره ثم يقول للمؤمنين: مكانكم حتى أقتبس من نوركم - فيقول المؤمنون لهم: ارجعوا وراءكم - فالتمسوا نورا و يضرب بينهم بسور له باب - فينادون من وراء السور للمؤمنين: «أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا: بَلَىٰ وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» قال: بالمعاصى «وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ» قال: أى شككتم و تربصتم.

و قوله: «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ» قال: و الله ما عنى بذلك اليهود و النصرى - و ما عنى به إلا أهل القبلة - ثم قال: «مَّا وَ أَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ» قال: هى أولى بكم.

أقول: يعنى بأهل القبلة المنافقين منهم.

و فى الكافى، بإسناده عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: تجنّبوا المنى فإنها تذهب بهجه ما خولتم - و تستصغرون بها مواهب الله جل و عز عندكم - و تعقبكم الحشرات فيما وهمتم به أنفسكم.

## [سوره الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٤]

### إشارة

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (١٦) اِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَ الْمُصَدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اِعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَا كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ لَبَّائُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُضِيغًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)



جرى على وفق مقصد الكلام السابق و هو الحث و الترغيب فى الإيمان بالله و رسوله

ص: ١٦٠



و الإنفاق فى سبيل الله و تتضمن عتاب المؤمنين على ما يظهر من علائم قسوه القلوب منهم، و تأكيد الحث على الإنفاق ببيان درجه المنفقين عند الله و الأمر بالمسابقه إلى المغفره و العنه و ذم الدنيا و أهلها الذين يبخلون و يأمرن الناس بالبخل.

و قد تغير السياق خلال الآيات إلى سياق عام يشمل المسلمين و أهل الكتاب بعد اختصاص السياق السابق بالمسلمين و سيجيء توضيحه.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» إلى آخر الآيه، يقال: أنى يأنى إنى و إناء أى جاء وقته، و خشوع القلب تأثره قبال العظمه و الكبرياء، و المراد بذكر الله ما يذكر به الله، و ما نزل من الحق هو القرآن النازل من عنده تعالى و «مِنَ الْحَقِّ» بيان لما نزل، و من شأن ذكر الله تعالى عند المؤمن أن يعقب خشوعا كما أن من شأن الحق النازل من عنده تعالى أن يعقب خشوعا ممن آمن بالله و رسله.

و قيل: المراد بذكر الله و ما نزل من الحق جميعا القرآن، و على هذا فذكر القرآن بوصفيه لكون كل من الوصفين مستدعيا لخشوع المؤمن فالقرآن لكونه ذكر الله يستدعى الخشوع كما أنه لكونه حقا نازلا من عنده تعالى يستدعى الخشوع.

و فى الآيه عتاب للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوه و عدم خشوعها لذكر الله و الحق النازل من عنده تعالى و تشبيه لحالهم بحال أهل الكتاب الذين نزل عليهم الكتاب و طال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

و قوله: «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ» عطف على قوله: «تَخْشَعَ» إلخ، و المعنى: أ لم يأن لهم أن تخشع قلوبهم و أن لا يكونوا إلخ، و الأمد الزمان، قال الراغب: الفرق بين الزمان و الأمد أن الأمد يقال باعتبار الغايه و الزمان عام فى المبدأ و الغايه و لذلك قال بعضهم: إن المدى و الأمد يتقاربان. انتهى.

و قد أشار سبحانه بهذا الكلام إلى صيروره قلوبهم كقلوب أهل الكتاب القاسيه و القلب القاسى حيث يفقد الخشوع و التأثر عن الحق ربما خرج عن زى العبوديه فلم يتأثر عن المناهى و اقترف الإثم و الفسوق، و لذا أردف قوله: «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ» بقوله: «و كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ».

قوله تعالى: «إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» إلى آخر الآيه فى تعقيب عتاب

المؤمنين على قسوه قلوبهم بهذا التمثيل تقويه لرجائهم و ترغيب لهم في الخشوع.

و يمكن أن يكون من تمام العتاب السابق و يكون تنبيها على أن الله لا يخلى هذا الدين على ما هو عليه من الحال بل كلما قست قلوب و حرموا الخشوع لأمر الله جاء بقلوب حيه خاشعه له يعبد بها كما يريد.

فتكون الآيه في معنى قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾: سورة محمد: ٣٨.

و لذلك ذيل الآيه بقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَ الْمُصَدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تكرر لحديث المضاعفه و الأجر الكريم للترغيب في الإنفاق في سبيل الله و قد أضيف إلى الذين أقرضوا الله قرضا حسنا المصدقون و المصدقات.

و المصدقون و المصدقات-بتشديد الصاد و الدال-المصدقون و المتصدقات، و قوله:

﴿وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ عطف على مدخول اللام في «الْمُصَدِّقِينَ» و المعنى: أن الذين تصدقوا و الذين أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ما أعطوه و لهم أجر كريم.

قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الخ، لم يقل: آمنوا بالله و رسوله كما قال في أول السوره: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ أَنْفَقُوا﴾ و قال في آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ لأنه تعالى لما ذكر أهل الكتاب في الآيه السابقه بقوله: ﴿وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ عدل عن السياق السابق إلى سياق عام يشمل المسلمين و أهل الكتاب جميعا كما قال بعد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ و أما الآيتان المذكورتان في أول السوره و آخرها فالخطاب فيهما لمؤمني هذه الأمه خاصه و لذا جىء فيهما بالرسول مفردا.

و المراد بالإيمان بالله و رسله محض الإيمان الذى لا يفارق بطبعه الطاعه و الاتباع كما مرت الإشارة إليه في قوله: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ﴾ الآيه، و المراد بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ﴾ إلحاقهم بالصديقين و الشهداء بقريته قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ و قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ﴾ فهم ملحقون بالطائفتين يعامل معهم معاملة الصديقين و الشهداء فيعطون مثل أجرهم و نورهم.

و الظاهر أن المراد بالصدّيقين و الشهداء هم المذكورون في قوله: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا»: النساء: ٦٩، و قد تقدم في تفسير الآيه أن المراد بالصدّيقين هم الذين سرى الصدق في قولهم و فعلهم فيفعلون ما يقولون و يقولون ما يفعلون، و الشهداء هم شهداء الأعمال يوم القيامة دون الشهداء بمعنى المقتولين في سبيل الله.

فهؤلاء الذين آمنوا بالله و رسله ملحقون بالصدّيقين و الشهداء منزلون منزلتهم عند الله أي بحكم منه لهم أجرهم و نورهم.

و قوله: «لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» ضمير «لَهُمْ» للذين آمنوا، و ضمير «أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» للصدّيقين و الشهداء أي للذين آمنوا أجر من نوع أجر الصدّيقين و الشهداء و نور من نوع نورهم، و هذا معنى قول من قال: إن المعنى: لهم أجر كأجرهم و نور كنورهم.

و ربما قيل: إن الآيه مسوقه لبيان أنهم صدّيقون و شهداء على الحقيقة من غير إلحاق و تنزيل فهم هم لهم أجرهم و نورهم، و لعل السياق لا يساعد عليه.

و ربما قيل: إن قوله: «وَ الشُّهَدَاءُ» ليس عطفًا على قوله: «الصُّدِّيقُونَ» بل استئناف و «الشُّهَدَاءُ» مبتدأ خبره «عِنْدَ رَبِّهِمْ» و خبره الآخر «لَهُمْ أَجْرُهُمْ» فقد قيل: و الذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصدّيقون، و قد تم الكلام ثم استأنف و قيل: «وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» كما قيل: «بَلْ أَوْلِيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»: آل عمران: ١٦٩، و المراد بالشهداء المقتولون في سبيل الله، ثم تم الكلام بقوله: «لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ».

و قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» أي لا يفارقونها و هم فيها دائمين.

و قد تعرض سبحانه في الآيه لشأن الملحقين بالصدّيقين و الشهداء و هم خيار الناس و الناجون قطعًا، و الكفار المكذبين لآياته و هم شرار الناس و الهالكون قطعًا و بقى فريق بين الفريقين و هم المؤمنون المقترفون للمعاصي و الذنوب على طبقاتهم في التمرد على الله و رسوله، و هذا دأب القرآن في كثير من موارد التعرض لشأن الناس يوم القيامة.

و ذلك ليكون بعثًا لقريحتي الخوف و الرجاء في ذلك الفريق المتخلل بين الخيار و الشرار فيميلوا إلى السعادة و يختاروا النجاه على الهلاك.

و لذلك أعقب الآيه بدم الحياه الدنيا التي تعلق بها هؤلاء الممتنعون من الإنفاق في سبيل الله

ثم بدعوتهم إلى المسابقة إلى المغفرة و الجنة ثم بالإشارة إلى أن ما يصيبهم من المصيبة في أموالهم و أنفسهم مكتوبه في كتاب سابق و قضاء متقدم فليس ينبغي لهم أن يخافوا الفقر في الإنفاق في سبيل الله، فيدخلوا و يمسكوا أو يخافوا الموت في الجهاد في سبيل الله فيتخلفوا و يقعدوا.

قوله تعالى: «إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ» الخ، اللعب عمل منظوم لغرض خيالي كلعب الأطفال، و اللهو ما يشغل الإنسان عما يهمه، و الزينه بناء نوع و ربما يراد به ما يترين به و هى ضم شىء مرغوب فيه إلى شىء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال، و التفاخر المباهاه بالأنساب و الأحساب، و التكاثر في الأموال و الأولاد.

و الحياه الدنيا عرض زائل و سراب باطل لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكوره:

اللعب و اللهو و الزينه و التفاخر و التكاثر و هى التى يتعلق بها هوى النفس الإنسانيه ببعضها أو بجمعها و هى أمور وهميه و أعراض زائله لا تبقى للإنسان و ليست و لا واحده منها تجلب للإنسان كمالا نفسيا و لا خيرا حقيقيا.

و عن شيخنا البهائى رحمه الله أن الخصال الخمس المذكوره فى الآيه مترتبه بحسب سنى عمر الإنسان و مراحل حياته فيتولع أولا- باللعب و هو طفل أو مراهق ثم إذا بلغ و اشتد عظمه تعلق باللهو و الملاهى ثم إذا بلغ أشده اشتغل بالزينه من الملابس الفاخره و المراكب البهيه و المنازل العاليه و توله للحسن و الجمال ثم إذا اكتهل أخذ بالمفاخره بالأحساب و الأنساب ثم إذا شاب سعى فى تكثير المال و الولد.

و قوله: «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِلِيَاتِهِ ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَاهُ مُّضِيْعًا مُّفْرًا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا» مثل لزينه الحياه الدنيا التى يتعلق بها الإنسان غرورا ثم لا يلبث دون أن يسلبها.

و الغيث المطر و الكفار جمع كافر بمعنى الحارث، و يهيج من الهيجان و هو الحركه، و الحطام الهشيم المتكسر من يابس النبات.

و المعنى: أن مثل الحياه الدنيا فى بهجتها المعجبه ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحراث نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك إلى غايه ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيمًا متكسرا-متلاشيا تذرؤه الرياح-.

و قوله: «وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» سبق المغفره على

الرضوان لتطهير المحل ليحلل به الرضوان، و توصيف المغفره بكونه من الله دون العذاب لا- يخلو من إيماء إلى أن المطلوب بالقصد الأول هو المغفره و أما العذاب فليس بمطلوب في نفسه و إنما يتسبب إليه الإنسان بخروجه عن زى العبوديه كما قيل.

و قوله: «وَمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ» أى متاع التمتع منه هو الغرور به، و هذا للمتعلق المغرور بها.

و الكلام أعنى قوله: «وَفِي الْأَخْرَجِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» إشاره إلى وجهى الحياه الآخره ليأخذ السامع حذره فيختار المغفره و الرضوان على العذاب، ثم فى قوله: «وَمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ» تنبيه و إيقاظ لثلاث- تغره الحياه الدنيا بخاصه غروره.

قوله تعالى: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» إلخ المسابقه هى المغالبه فى السبق للوصول إلى غرض بأن يريد كل من المسابقين جعل حركته أسرع من حركه صاحبه ففى معنى المسابقه ما يزيد على معنى المسارعه فإن المسارعه الجد فى تسريع الحركه و المسابقه الجد فى تسريعها بحيث تزيد فى السرعة على حركه صاحبه.

و على هذا فقوله: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ» إلخ، يتضمن من التكليف ما هو أزيد مما يتضمنه قوله: «سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» آل عمران: ١٣٣.

و يظهر به عدم استقامه ما قيل: إن آيه آل عمران فى السابقين المقربين و الآيه التى نحن فيها فى عامه المؤمنين حيث لم يذكر فيها إلا الإيمان بالله و رسله بخلاف آيه آل عمران فإنها مذيله بجمله الأعمال الصالحه، و لذا أيضا وصف الجنة الموعوده هناك بقوله: «عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» بخلاف ما هاهنا حيث قيل: «عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» فدل على أن جنه أولئك أوسع من جنه هؤلاء.

وجه عدم الاستقامه ما عرفت أن المكلف به فى الآيه المبحوث عنها معنى فوق ما كلف به فى آيه آل عمران. على أن اللام فى «السَّمَاءِ» للجنس فتطبق على «السَّمَاوَاتِ» فى تلك الآيه.

و تقديم المغفره على الجنه فى الآيه لأن الحياه فى الجنه حياه طاهره فى عالم الطهاره فيتوقف التلبس بها على زوال قذارات الذنوب و أوساخها.

و المراد بالعرض السعه دون العرض المقابل للطول و هو معنى شائع، و الكلام كأنه مسوق للدلاله على انتهائها فى السعه.

و قيل: المراد بالعرض ما يقابل الطول و الاقتصار على ذكر العرض أبلغ من ذكر الطول معه فإن العرض أقصر الامتدادين و إذا كان كعرض السماء و الأرض كان طولها أكثر من طولهما.

و لا- يخلو الوجه من تحكم إذ لا دليل على مساواه طول السماء و الأرض لعرضهما ثم على زياده طول الجنه على عرضها حتى يلزم زياده طول الجنه على طولهما و الطول قد يساوى العرض كما فى المربع و الدائره و سطح الكره و غيرها و قد يزيد عليه.

و قوله: «أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» قد عرفت فى ذيل قوله: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» و قوله: «لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» أن المراد بالإيمان بالله و رسله هو مرتبه عاليه من الإيمان تلازم ترتب آثاره عليه من الأعمال الصالحه و اجتناب الفسوق و الإثم.

و بذلك يظهر أن قول بعضهم: إن فى الآيه بشاره لعامه المؤمنين حيث قال: «أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» و لم يقيد الإيمان بشىء من العمل الصالح و نحوه غير سديد فإن خطاب الآيه و إن كان بظاهر لفظه يعم الكافر و المؤمن الصالح و الطالح لكن وجه الكلام إلى المؤمنين يدعوهم إلى الإيمان الذى يصاحب العمل الصالح، و لو كان المراد بالإيمان بالله و رسله مجرد الإيمان و لو لم يصاحبه عمل صالح و كانت الجنه معدة لهم و الآيه تدعو إلى السباق إلى المغفره و الجنه كان خطاب «سَابِقُوا» متوجها إلى الكفار فإن المؤمنين قد سبقوا و سياق الآيات ياباه.

و قوله: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» و قد شاء أن يؤتیه الذين آمنوا بالله و رسله، و قد تقدم بيان أن ما يؤتیه الله من الأجر لعباده المؤمنين فضل منه تعالى من غير أن يستحقوه عليه.

و قوله: «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» إشاره إلى عظمه فضله، و أن ما يشيهم به من المغفره و الجنه من عظيم فضله.

قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» إلخ، المصيبه الواقعه التى تصيب الشىء مأخوذه من إصابه السهم الغرض و هى بحسب المفهوم أعم من الخير و الشر لكن غلب استعمالها فى الشر فالمصيبه هى النائبه،

و المصيبة التي تصيب في الأرض كالجدب و عاهه الثمار و الزلزاله المخربه و نحوها، و التي تصيب في الأنفس كالمرض و الجرح و الكسر و القتل و الموت، و البرء و البروء الخلق من العدم، و ضمير « نَبْرَأَهُمْ » للمصيبة، و قيل: للأنفس، و قيل: للأرض، و قيل: للجمع من الأرض و الأنفس و المصيبة، و يؤيد الأول أن المقام مقام بيان ما في الدنيا من المصائب الموجبه لنقص الأموال و الأنفس التي تدعوهم إلى الإمساك عن الإنفاق و التخلف عن الجهاد.

و المراد بالكتاب اللوح المكتوب فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة كما تدل عليه الآيات و الروايات و إنما اقتصر على ذكر ما يصيب في الأرض و في أنفسهم من المصائب لكون الكلام فيها.

قيل: إنما قيد المصيبة بما في الأرض و في الأنفس لأن مطلق المصائب غير مكتوبه في اللوح لأن اللوح متناه و الحوادث غير متناهيه و لا يكون المتناهي ظرفاً لغير المتناهي.

و الكلام مبني على أن المراد باللوح لوح فلزى أو نحوه منصوب في ناحيه من نواحي الجو مكتوب فيه الحوادث بلغه من لغاتنا بخط يشبه خطوطنا، و قد مر كلام في معنى اللوح و القلم و سيجيء له تتمه.

و قيل: المراد بالكتاب علمه تعالى و هو خلاف الظاهر إلا أن يراد به أن الكتاب المكتوب فيه الحوادث من مراتب علمه الفعلي.

و ختم الآية بقوله: « إِنَّ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » للدلاله على أن تقدير الحوادث قبل وقوعها و القضاء عليها بقضاء لا يتغير لا صعوبه فيه عليه تعالى.

قوله تعالى: « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » إلخ، تعليل راجع إلى الآية السابقه و هو تعليل للإخبار عن كتابه الحوادث قبل وقوعها لا لنفس الكتابه، و الأسى الحزن، و المراد بما فات و ما آتى النعمه الفائتة و النعمه المؤتاه.

و المعنى: أخبرناكم بكتابه الحوادث قبل حدوثها و تحققها لئلا تحزنوا بما فاتكم من النعم و لا تفرحوا بما أعطاكم الله منها لأن الإنسان إذا أيقن أن الذي أصابه مقدر كائن لا محاله لم يكن ليخطئه و أن ما أوتيه من النعم وديعه عنده إلى أجل مسمى لم يعظم حزنه إذا فاته و لا فرحه إذا أوتيه.

قيل: إن اختلاف الإسناد في قوله: « مَا فَاتَكُمْ » و « بِمَا آتَاكُمْ » حيث أسند الفوت

إلى نفس الأشياء والإيتاء إلى الله سبحانه لأن الفوات و العدم ذاتى للأشياء فلو خليت و نفسها لم تبق بخلاف حصولها و بقائها فإنه لا بد من استنادهما إلى الله تعالى.

و قوله: « وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » المختال من أخذته الخيلاء و هى التكبر عن تخيل فضيله تراءت له من نفسه-على ما ذكره الراغب-و الفخور الكثير الفخر و المباهاه و الاختيال و الفخر ناشئان عن توهم الإنسان أنه يملك ما أوتيه من النعم باستحقاق من نفسه،و هو مخالف لما هو الحق من استناد ذلك إلى تقدير من الله لا لاستقلال من نفس الإنسان فهما من الرذائل و الله لا يحبها.

قوله تعالى: « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وصف لكل مختال فخور يفيد تعليل عدم حبه تعالى.و الوجه فى بخلهم الاحتفاظ للمال الذى يعتمد عليه اختيالهم و فخرهم و الوجه فى أمرهم الناس بالبخل أنهم يحبونه لأنفسهم فيحبونه لغيرهم،و لأن شيوع السخاء و الجود بين الناس و إقبالهم على الإنفاق فى سبيل الله يوجب أن يعرفوا بالبخل المذموم.

و قوله: « وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » أى و من يعرض عن الإنفاق و لم يتعظ بعظه الله و لا اطمأن قلبه بما بينه من صفات الدنيا و نعت الجنة و تقدير الأمور فإن الله هو الغنى فلا حاحه له إلى إنفاقهم،و المحمود فى أفعاله.

و الآيات الثلاث أعنى قوله: « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا لَهُمْ جُزْءٌ مِمَّا كَسَبُوا » إلى قوله-الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ « كما ترى حث على الإنفاق و ردع عن البخل و الإمساك بتزهيدهم عن الأسى بما فاتهم و الفرح بما آتاهم لأن الأمور مقدره مقضيه مكتوبه فى كتاب معينه قبل أن يبرأها الله سبحانه.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور،" فى قوله تعالى: « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا... » الآية "أخرج ابن المبارك و عبد الرزاق و ابن المنذر عن الأعمش قال " : لما قدم أصحاب رسول الله ص المدينة-فأصابوا من لين العيش ما أصابوا-بعد ما كان بهم من الجهد-فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه-فعدتوا فنزلت:

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا... ».

أقول: هذه أعدل الروايات فى نزول السوره و هناك

روايه عن ابن مسعود قال " : ما



كان بين إسلامنا و بين أن عاتبنا الله بهذه « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ » إلا أربع سنين، و ظاهره كون السوره مكيه، و فى معناه ما ورد أن عمر آمن بعد نزول هذه السوره و قد عرفت أن سياق آيات السوره تأبى إلا أن تكون مدنيه، و يمكن حمل روايه ابن مسعود على كون آيه « أَلَمْ يَأْنِ » إلخ، أو هى و التى تتلوها مما نزل بمكّه دون باقى آيات السوره.

و فى روايه عن النبى ص: استبطن الله قلوب المهاجرين- بعد سبع عشره من نزول القرآن- فأنزل الله « أَلَمْ يَأْنِ » الآية، و لازمه نزول السوره سنه أربع أو خمس من الهجره، و فى روايه أخرى عن ابن عباس قال: "إن الله استبطن قلوب المهاجرين- فعاتبهم على رأس ثلاث عشره سنه من نزول القرآن- فقال: « أَلَمْ يَأْنِ » إلخ، و لازمه نزول السوره أيام الهجره، و الروايتان أيضا لا ثلاثمان سياق آياتها.

و فيه، أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ص يقول: مؤمنوا أمتى شهداء، ثم تلا النبى ص: « وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ - وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ».

و فى تفسير العياشى، بإسناده عن منهال القصاب قال: لأبى عبد الله (ع): ادع الله أن يرزقنى الشهاده- فقال: إن المؤمن شهيد و قرأ هذه الآية.

أقول: و فى معناه روايات أخرى و ظاهر بعضها كهذه الروايه تفسير الشهاده بالقتل فى سبيل الله.

فى تفسير القمى، بإسناده عن حفص بن غياث قال: قلت لأبى عبد الله (ع): جعلت فداك- فما حد الزهد فى الدنيا؟ فقال: قد حده الله فى كتابه فقال عز و جل: « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ».

و فى نهج البلاغه، قال (ع): الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » و من لم يأس على الماضى و لم يفرح بالآتى- فقد أخذ الزهد بطرفيه.

أقول: و الأساس الذى يبتنيان عليه عدم تعلق القلب بالدنيا،

و فى الحديث المعروف:

حب الدنيا رأس كل خطيئه.

إشارة

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْعِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

(بيان)

ثم إنه تعالى إثر ما أشار إلى قسوه قلوب المؤمنين و تناقلهم و فتورهم في امتثال التكليف الدينيه و خاصه في الإنفاق في سبيل الله،الذي به قوام أمر الجهاد و شبههم بأهل الكتاب

حيث قست قلوبهم لما طال عليهم الأمد.

ذكر أن الغرض الإلهي من إرسال الرسل و إنزال الكتاب و الميزان معهم أن يقوم الناس بالقسط، و أن يعيشوا في مجتمع عادل، و قد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح و بسط كلمه الحق في الأرض مضافا إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها.

ثم ذكر أنه أرسل نوحا و إبراهيم(ع) و جعل في ذريتهما النبوه و الكتاب و أتبعهم بالرسول بعد الرسول فاستمر الأمر في كل من الأمم على إيمان بعضهم و اهتدائه و كثير منهم فاسقون، ثم ختم الكلام في السوره بدعوتهم إلى تكميل إيمانهم ليؤتوا كفلين من الرحمه.

قوله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» الخ، استئناف يتبين به معنى تشريع الدين بإرسال الرسل و إنزال الكتاب و الميزان و أن الغرض من ذلك قيام الناس بالقسط و امتحانهم بذلك و بإنزال الحديد ليمتحن من ينصر الله بالغيب و يتبين أن أمر الرساله لم يزل مستمرا بين الناس و لم يزالوا يهتدى من كل أمه بعضهم و كثير منهم فاسقون.

فقوله: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالآيات البينات التى يتبين بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه من المعجزات الباهره و البشارات الواضحه و الحجج القاطعه.

و قوله: «وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» و هو الوحي الذى يصلح أن يكتب فيصير كتابا، المشتمل على معارف الدين من اعتقاد و عمل و هو خمسسه: كتاب نوح و كتاب إبراهيم و التوراه و الإنجيل و القرآن.

و قوله: «وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» فسروا الميزان بذى الكفتين الذى يوزن به الأثقال، و أخذوا قوله: «لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» غايه متعلقه بإنزال الميزان و المعنى:

و أنزلنا الميزان ليقوم الناس بالعدل فى معاملاتهم فلا يخسروا باختلال الأوزان و النسب بين الأشياء فقوام حياه الإنسان بالاجتماع، و قوام الاجتماع بالمعاملات الدائره بينهم و المبادلات فى الأمتعه و السلع و قوام المعاملات فى ذوات الأوزان بحفظ النسب بينها و هو شأن الميزان.

و لا يبعد -و الله أعلم- أن يراد بالميزان الدين فإن الدين هو الذى يوزن به عقائد أشخاص الإنسان و أعمالهم، و هو الذى به قوام حياه الناس السعيده مجتمعين و منفردين، و هذا المعنى أكثر ملائمه للسياق المتعرض لحال الناس من حيث خشوعهم و قسوه قلوبهم

و جدهم و مساهلتهم فى أمر الدين. و قيل: المراد بالميزان هنا العدل و قيل: العقل.

و قوله: « وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ » الظاهر أنه كقوله تعالى: « وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ »: الزمر: ٦، و قد تقدم فى تفسير الآيه أن تسميه الخلق فى الأرض إنزالاً إنما هو باعتبار أنه تعالى يسمى ظهور الأشياء فى الكون بعد ما لم يكن إنزالاً لها من خزائنه التى عنده و من الغيب إلى الشهاده قال تعالى: « وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ »: الحجر: ٢١.

و قوله: « فِيهِ بَيَاسٌ شَدِيدٌ وَ مَذَافِعٌ لِلنَّاسِ » البأس هو الشده فى التأثير و يغلب استعماله فى الشده فى الدفاع و القتال، و لا تزال الحروب و المقاتلات و أنواع الدفاع ذات حاحه شديده إلى الحديد و أقسام الأسلحة المعموله منه منذ تنبه البشر له و استخراجه.

و أما ما فيه من المنافع للناس فلا يحتاج إلى البيان فله دخل فى جميع شعب الحياه و ما يرتبط بها من الصنائع.

و قوله: « وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ » غايه معطوفه على محذوف و التقدير و أنزلنا الحديد لكذا و ليعلم الله من ينصره إلخ، و المراد بنصره و رسله الجهاد فى سبيله دفاعاً عن مجتمع الدين و بسطاً لكلمه الحق، و كون النصر بالغيب كونه فى حال غيبته منهم أو غيبته منه، و المراد بعلمه بمن ينصره و رسله تميزهم ممن لا ينصر.

و ختم الآيه بقوله: « إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » و كان وجهه الإشاره إلى أن أمره تعالى لهم بالجهاد إنما هو لتمييز الممثل منهم من غيره لا لحاجه منه تعالى إلى ناصر ينصره أنه تعالى قوى لا سبيل للضعف إليه عزيز لا سبيل للذله إليه.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » شروع فى الإشاره إلى أن الاهتداء و الفسق جاريان فى الأمم الماضيه حتى اليوم فلم تصلح أمه من الأمم بعامه أفرادها بل لم يزل كثير منهم فاسقين.

و ضمير « فَمِنْهُمْ » و « فَمِنْهُمْ » للذريه و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: « ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ » فى المجمع: التفقيه جعل الشىء فى إثر شىء على الاستمرار فيه، و لهذا قيل لمقاطع الشعر قوافٍ إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمره فى غيره على منهاجه. انتهى.

و ضمير « عَلَى آثَارِهِم » لنوح و إبراهيم و السابقين من ذريتهما، و الدليل عليه أنه لا نبى

بعد نوح إلا- من ذريته لأن النسل بعده له. على أن عيسى من ذريته إبراهيم قال تعالى في نوح: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْيَاقِينِ»  
الصفات: ٧٧، وقال: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ -X إلى أن قال X- وَ عِيسَى» الأنعام: ٨٥، فالمراد بقوله: «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ  
بِرُسُلِنَا» إلخ، التقفيه باللاحقين من ذريتهما على آثارهما و السابقين من ذريتهما.

و في قوله: «عَلَى آثَارِهِمْ» إشاره إلى أن الطريق المسلوكة واحد يتبع فيه بعضهم أثر بعض.

و قوله: «وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً» الرأفة و الرحمة- على ما قالوا-  
مترادفان، و نقل عن بعضهم أن الرأفة يقال في درء الشر و الرحمة في جلب الخير.

و الظاهر أن المراد بجعل الرأفة و الرحمة في قلوب الذين اتبعوه توفيقهم للرأفة و الرحمة فيما بينهم فكانوا يعيشون على  
المعاضده و المسالمة كما وصف الله سبحانه الذين مع النبي ص بالرحمة إذ قال: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» الفتح: ٢٩، و قيل: المراد بجعل  
الرأفة و الرحمة في قلوبهم الأمر بهما و الترغيب فيهما و وعد الثواب عليهما.

و قوله: «وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» الرهبانية من الرهبه و هى الخشية، و يطلق عرفا على انقطاع الإنسان من الناس لعباده  
الله خشية منه، و الابتداء إتيان ما لم يسبق إليه في دين أو سنه أو صنعه، و قوله: «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» فى معنى الجواب عن سؤال  
مقدر كأنه قيل: ما معنى ابتداعهم لها؟ فقيل: ما كتبناها عليهم.

و المعنى: أنهم ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانية من غير أن نشرعه نحن لهم.

و قوله: «إِلَّا- ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» استثناء منقطع معناه ما فرضناها عليهم لكنهم وضعوها من عند أنفسهم  
ابتغاء لرضوان الله و طلبا لمرضاته فما حافظوا عليها حق محافظتها بتعديدهم حدودها.

و فيه إشاره إلى أنها كانت مرضيه عنده تعالى و إن لم يشرعها بل كانوا هم المبتدعين لها.

و قوله: «فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» إشاره إلى أنهم كالسابقين من أمم الرسل منهم مؤمنون مأجورون  
على إيمانهم و كثير منهم فاسقون، و الغلبة للفسق.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»

إلخ، أمر الذين آمنوا بالتقوى والإيمان بالرسول مع أن الذين استجابوا للدعوه فآمنوا بالله آمنوا برسوله أيضا دليل على أن المراد بالإيمان بالرسول الاتباع التام والطاعة الكاملة لرسوله فيما يأمر به وينهى عنه سواء كان ما يأمر به أو ينهى عنه حكما من الأحكام الشرعية أو صادرا عنه بما له من ولايته أمور الأئمة كما قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»: النساء: ٦٥.

فهذا إيمان بعد إيمان و مرتبه فوق مرتبه الإيمان الذي ربما يتخلف عنه أثره فلا يترتب عليه لضعفه، و بهذا يناسب قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِي» و الكفل الحظ و النصيب فله ثواب على ثواب كما أنه إيمان على إيمان.

و قيل: المراد بإيتاء كفلين من الرحمة إيتاؤهم أجرين كمؤمني أهل الكتاب كأنه قيل:

يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجرين لأنكم مثلهم في الإيمان بالرسول المتقدمين و بخاتمهم (ع) لا تفرقون بين أحد من رسله.

و قوله: «وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» قيل: يعني يوم القيامة و هو النور الذي أشير إليه بقوله: «يَسْبِغُ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأَيْمَانِهِمْ».

و فيه أنه تقييد من غير دليل بل لهم نورهم في الدنيا و هو المدلول عليه بقوله تعالى:

«أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»: الأنعام: ١٢٢، و نورهم في الآخرة و هو المدلول عليه بقوله: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْبِغُ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأَيْمَانِهِمْ» X الآية ١٢: X من السوره و غيره.

ثم كمل تعالى وعده بإيتائهم كفلين من رحمته و جعل نور يمشون به بالمغفره فقال:

«وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

قوله تعالى: «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» ظاهر السياق أن في الآية التفاتا من خطاب المؤمنين إلى خطاب النبي ص، و المراد بالعلم مطلق الاعتقاد كالزعم، و «أَنَّ» مخففه من الثقيله، و ضمير «يَقْدِرُونَ» للمؤمنين، و في الكلام تعليل لمضمون الآية السابقه.

و المعنى: إنما أمرناهم بالإيمان بعد الإيمان و وعدناهم كفلين من الرحمة و جعل النور و المغفره لئلا يعتقد أهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجرهم مرتين أن آمنوا.

وقيل: إن لئلاً في «لئلاً يعلم» زائده و ضمير «يقدرون» لأهل الكتاب، والمعنى:

إنما وعدنا المؤمنين بما وعدنا لأن يعلم أهل الكتاب القائلون: إن من آمن منا بكتابكم فله أجران و من لم يؤمن فله أجر واحد لإيمانه بكتابنا، إنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله إن لم يؤمنوا، هذا و لا يخفى عليك ما فيه من التكلف.

وقوله: «وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» معطوف على «ألا يعلم»، والمعنى: إنما وعدنا بما وعدنا لأن كذا كذا و لأن الفضل بيد الله و الله ذو الفضل العظيم.

و في الآيه أقوال و احتمالات آخر لا جدوى في إيرادها و البحث عنها.

### (بحث روائى)

عن جوامع الجامع، روى: أن جبرئيل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح (ع) - وقال: مر قومك يزنوا به.

و في الاحتجاج، عن علي (ع) في حديث و قال: «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» فإنزله ذلك خلقه إياه.

و في المجمع، عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله على الحمار فقال: يا ابن أم عبد - هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟ فقلت: الله و رسوله أعلم. فقال:

ظهرت عليهم الجبابره بعد عيسى (ع) - يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم - فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل.

فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا - و لم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض - إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى - يعنون محمدا ص - فتفرقوا في غيران (1) الجبال و أحدثوا رهبانية - فمنهم من تمسك بدينه، و منهم من كفر. ثم تلا هذه الآيه «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» إلى آخرها.

ثم قال: يا ابن أم عبد أ تدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله و رسوله أعلم. قال:

الهجرة و الجهاد و الصلاة و الصوم و الحج و العمره.

و في الكافي، بإسناده عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر (ع) لقد أتى الله

أهل الكتاب خيرا كثيرا. قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله عز و جل: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» قال:

فقال: آتاكم الله كما آتاهم ثم تلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ - يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» يعنى إماما تأتمون به.

و فى المجمع، عن سعيد بن جبیر: بعث رسول الله ص جعفر - فى سبعين راكبا إلى النجاشى يدعوه - فقدم عليه و دعاه فاستجاب له و آمن به - فلما كان عند انصرافه - قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته - و هم أربعون رجلا: ائذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم به.

فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصه - استأذنوا رسول الله ص و قالوا:

يا نبى الله إن لنا أموالا - و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصه - فإن أذنت لنا انصرفنا فجتنا بأموالنا - فواسينا المسلمين بها فأذن لهم - فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين - فأنزل الله فيهم: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» فكانت النفقه التى واسوا بها المسلمين.

فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» فخرخوا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين - أما من آمن منا بكتابتنا و كتابكم فله أجران، و من آمن منا بكتابتنا فله أجر كأجوركم - فما فضلكم علينا؟ فنزل قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ - وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» الآية، فجعل لهم أجرين و زادهم النور و المغفره - ثم قال: «لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ».

## (٥٨) (سوره المجادله مدنيه، و هى اثنتان و عشرون آيه) (٢٢)

[سوره المجادله (٥٨): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيحًا مِنْ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنْ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)



تعرض السوره لمعان متنوعه من حكم و أدب و صفه فشطر منها في حكم الظهار و النجوى و أدب الجلوس في المجالس و شطر منها يصف حال الذين يحادون الله و رسوله، و الذين يوادون أعداء الدين و يصف الذين يتحرزون من موادتهم من المؤمنين و يعدهم وعدا جميلا في الدنيا و الآخره.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» الخ، قال في المجمع: الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه، و الشكايه إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه. قال: و التحاور التراجع و هي المحاوره يقال:

حاوره محاوره أى راجعه الكلام و تحاورا. انتهى.

الآيات الأربع أو الست نزلت في الظهر و كان من أقسام الطلاق عند العرب الجاهلي كان الرجل يقول لامرأته: أنت منى كظهر أمي فتنفصل عنه و تحرم عليه مؤبده و قد ظاهر بعض الأنصار من امرأته ثم ندم عليه فجاءت امرأته إلى رسول الله ص تسائله فيه لعلها تجد طريقا إلى رجوعه إليها و تجادله(ص) في ذلك و تشتكى إلى الله فنزلت الآيات.

و المراد بالسمع في قوله: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» استجابته الدعوه و قضاء الحاجه من باب الكنايه و هو شائع و الدليل عليه قوله: «تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» الظاهر في أنها كانت تتوخى طريقا إلى أن لا- تنفصل عن زوجها، و أما قوله: «وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا» فالسمع فيه بمعناه المعروف.

و المعنى: قد استجاب الله للمرأة التي تجادلوك في زوجها- و قد ظاهر منها- و تشتكى غمها و ما حل بها من سوء الحال إلى الله و الله يسمع تراجعكما في الكلام أن الله سميع للأصوات بصير بالمبصرات.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» إلخ، نفى لحكم الظهار المعروف عندهم و إلغاء لتأثيره بالطلاق و التحريم الأبدى بنفى أمومه الزوجه للزوج بالظهار فإن سنه الجاهليه تلحق الزوجه بالأم بسبب الظهار فتحرم على زوجها حرمة الأم على ولدها حرمة مؤبده.

فقوله: «مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ» أى بحسب اعتبار الشرع بأن يلحقن شرعا بهن بسبب الظهار فيحرم عليهن أبدا ثم أكد بقوله: «إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» أى ليس أمهات أزواجهن إلا النساء اللاتي ولدنهم.

ثم أكد ذلك ثانيا بقوله: «وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا» بما فيه من سياق التأكيد أى و إن هؤلاء الأزواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكر من القول ينكره الشرع حيث لم يعتبره و لم يسنه، و كذبا باعتبار أنه لا يوافق الشرع كما لا يطابق الخارج الواقع فى الكون فأفادت الآية أن الظهار لا يفيد طلاقا و هذا لا ينافى وجوب الكفاره عليه لو أراد المواقعه بعد الظهار فالزوجيه على حالها و إن حرمت المواقعه قبل الكفاره.

و قوله: «وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» لا يخلو من دلالة على كونه ذنبا مغفورا لكن ذكر الكفاره فى الآية التاليه مع تذييلها بقوله: «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ربما دل على أن المغفره مشروطه بالكفاره.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» إلخ، الكلام فى معنى الشرط و لذلك دخلت الفاء فى الخبر لأنه فى معنى الجزاء و المحصل: أن الذين ظاهروا منهن ثم أَرَادُوا العود لما قالوا فعليهم تحرير رقبه.

و فى قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» دلالة على أن الحكم فى الآيه لمن ظاهر ثم أراد الرجوع إلى ما كان عليه قبل الظهار و هو قرينه على أن المراد بقوله: «يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» إرادته العود إلى نقض ما أبرموه بالظهار.

و المعنى: و الذين يظاهرون من نسائهم ثم يريدون أن يعودوا إلى ما تكلموا به من كلمة الظهار فينقضوها بالمواقعه فعليهم تحرير رقبه من قبل أن يتماسا.

و قيل: المراد بعودهم لما قالوا ندمهم على الظهار، و فيه أن الندم عليه يصلح أن يكون محصل المعنى لا أن يكون معنى الكلمة «يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا».

و قيل: المراد بعودهم لما قالوا رجوعهم إلى ما تلفظوا به من كلمة الظهار بأن يتلفظوا بها ثانيا و فيه أن لازمه ترتب الكفاره دائما على الظهار الثانى دون الأول و الآيه لا تفيد ذلك و السنه إنما اعتبرت تحقق الظهار دون تعدده.

ثم ذيل الآيه بقوله: «ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» إيدانا بأن ما أمر به من الكفاره توصيه منه بها عن خبره بعملهم ذاك، فالكفاره هى التى ترتفع بها ما لحقهم من تبعه العمل.

قوله تعالى: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» إلى آخر الآيه خصله ثانیه من الكفاره مترتبه على الخصله الأولى لمن لا- يتمكن منها و هى صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، و قيد ثانيا بقوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» لدفع توهم اختصاص القيد بالخصله الأولى.

و قوله: «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» بيان للخصله الثالثه فمن لم يطق صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستين مسكينا و تفصيل الكلام فى ذلك كله فى الفقه.

و قوله: «ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أى ما جعلناه من الحكم و افترضناه من الكفاره فأبقينا علقه الزوجيه و وضعنا الكفاره لمن أراد أن يرجع إلى المواقعه جزاء بما أتى بسنه من سنن الجاهليه كل ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله و ترفضوا أباطيل السنن.

و قوله: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» حد الشىء ما ينتهى إليه و لا

يتعداه و أصله المنع، و المراد أن ما افترضناه من الخصال أو ما نضعها من الأحكام حدود الله فلا تتعدوها بالمخالفة و للكافرين بما حكمنا به فى الظهار أو بما شرعناه من الأحكام بالمخالفة و المحاده عذاب أليم.

و الظاهر أن المراد بالكفر رد الحكم و الأخذ بالظهار بما أنه سنة مؤثره مقبوله، و يؤيده قوله: «ذَلِكَ لِيُثْمِرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى تذعنوا بأن حكم الله حق و أن رسوله صادق أمين فى تبليغه، و قد أكده بقوله: «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» إلخ، و يمكن أن يكون المراد بالكفر الكفر فى مقام العمل و هو العصيان.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» إلخ، المحاده الممانعه و المخالفة، و الكبت الإذلال و الإخزاء.

و الآيه و التى تتلوها و إن أمكن أن تكونا استثناءً يبين أمر محاده الله و رسوله من حيث تبعتها و أثرها لكن ظاهر السياق أن تكونا مسوقتين لتعليل ذيل الآيه السابقه الذى معناه النهى عن محاده الله و رسوله، و المعنى: إنما أمرناكم بالإيمان بالله و رسوله و نهيناكم عن تعدى حدود الله و الكفر بها لأن الذين يحادون الله و رسوله بالمخالفة أذلوا و أخزوا كما أذل و أخزى الذين من قبلهم.

ثم أكده بقوله: «وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى لا ريب فى كونها منا و فى أن رسولنا صادق أمين فى تبليغها، و للكافرين بها الرادين لها عذاب مهين مخز.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» ظرف لقوله: «وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى لهم أليم العذاب فى يوم يبعثهم الله و هو يوم الحساب و الجزاء فيخبرهم بحقيقه جميع ما عملوا فى الدنيا.

و قوله: «أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسَّوهُ» الإحصاء الإحاطه بعدد الشىء من غير أن يفوت منه شىء، قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا، و ذلك من لفظ الحصى، و استعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه فى العد كاعتمادنا فيه على الأصابع. انتهى.

و قوله: «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» تعليل لقوله: «أَحْصَاهُ اللَّهُ» و قد مر تفسير شهاده الله على كل شىء فى آخر سوره حم السجده.

في الدر المنثور، أخرج ابن ماجه و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي عن عائشه قالت: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء-إني لأسمع كلام خوله بنت ثعلبه و يخفى على بعضه-و هي تشتكى زوجها إلى رسول الله ص و هي تقول: يا رسول الله أكل شبابي و نثرت له بطني-حتى إذا كبر سني و انقطع ولدي ظاهر مني-اللهم إني أشكو إليك-فما برحت حتى نزل جبرئيل بهذه الآيات «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا»-و هو أوس بن الصامت.

أقول: و الروايات من طرق أهل السنه في هذا المعنى كثيره جدا، و اختلفت في اسم المرأة و اسم أبيها و اسم زوجها و اسم أبيه و الأعراف أن اسمها خوله بنت ثعلبه و اسم زوجها أوس بن الصامت الأنصاري و أورد القمي إجمال القصة في روايه، و له روايه أخرى ستوافيك.

و في المجمع، "في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ-ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» فأما ما ذهب إليه أئمة الهدى-من آل محمد(ع)-فهو أن المراد بالعود إرادته الوطاء-و نقض القول الذي قاله-فإن الوطاء لا يجوز له إلا بعد الكفاره، و لا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفاره.

و في تفسير القمي، حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد عن حمران عن أبي جعفر(ع) قال: إن امرأه من المسلمات أتت النبي ص-فقالت: يا رسول الله إن فلانا زوجي-و قد نثرت له بطني و أعتته على دنياه و آخرته-لم تر مني مكروها أشكوه إليك. قال: فيم تشكونيه؟ قالت: إنه قال: أنت على حرام كظهر أمي-و قد أخرجني من منزلي فانظر في أمري. فقال لها رسول الله ص: ما أنزل الله تبارك و تعالى كتابا-أقضى فيه بينك و بين زوجك-و أنا أكره أن أكون من المتكلفين، فجعلت تبكي و تشتكى ما بها إلى الله عز و جل-و إلى رسول الله ص و انصرفت.

قال: فسمع الله تبارك و تعالى مجادلتها لرسول الله ص-في زوجها و ما شكت إليه، و أنزل الله في ذلك قرآنا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي

□  
-إلى قوله وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ».

قال: فبعث رسول الله ص إلى المرأة فأتته-فقال لها: جيئي بزواجك، فأتته فقال له: أقلت لامرأتك هذه: أنت حرام على كظهر أمي؟ فقال: قد قلت لها ذلك. فقال له رسول الله ص: قد أنزل الله تبارك و تعالی فيك و في امرأتك قرآنا-و قرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ -إلى قوله- إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ»، فضم إليك امرأتك-فإنك قد قلت منكرا من القول و زورا، و قد عفا الله عنك و غفر لك و لا تعد.

قال: فانصرف الرجل و هو نادم على ما قال لامرأته، و كره الله عز و جل ذلك للمؤمنين بعد و أنزل الله: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» يعني لما قال الرجل لامرأته: أنت على كظهر أمي.

قال: فمن قالها بعد ما عفا الله و غفر للرجل الأول-فإن عليه «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» يعني مجامعتها «ذَلِكَمُ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ- فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا-فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قال: فجعل الله عقوبه من ظاهر بعد النهي هذا. ثم قال: «ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» قال:  
هذا حد الظهار. الحديث.

أقول: الآيه بما لها من السياق و خاصه ما في آخرها من ذكر العفو و المغفره أقرب انطباقا على ما سيق من القصة في هذه الروايه، و لا بأس بها من حيث السند أيضا غير أنها لا تلائم ظاهر ما في الآيه من قوله: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا».

## [سوره المجادله (٥٨): الآيات ٧ الى ١٣]

### اشاره

□  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَ الْعُدُودِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْنَاهُمْ جَهَنَّمَ بَصِيْرًا فَبِئْسَ الْأَمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَ الْعُدُودِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ تَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَ النَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارٍّ هُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا دَرَجَاتٍ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَصَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَسْفَقْتُمْ أَنْ تُصَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا

الزُّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)

ص: ١٨٢





آيات في النجوى و بعض آداب المجالسه.

قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » الاستفهام إنكارى، و المراد بالرؤية العلم اليقيني على سبيل الاستعاره، و الجملة تقدمه يعلل بها ما يتلوها من كونه تعالى مع أهل النجوى مشاركا لهم فى نجواهم.

قوله تعالى: « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ » إلى آخر الآيه النجوى مصدر بمعنى التناجى و هو المساره، و ضمائر الأفراد لله سبحانه، و المراد بقوله: « رَابِعُهُمْ » و « سَادِسُهُمْ » جاعل الثلاثة أربعه و جاعل الخمسه سته بمشاركته لهم فى العلم بما يتناجون فيه و معيته لهم فى الاطلاع على ما يسارون فيه كما يشهد به ما احتف بالكلام من قوله فى أول الآيه: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ » إلخ، و فى آخرها من قوله: « إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ».

و قوله: « وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ » أى و لا أقل مما ذكر من العدد و لا أكثر مما ذكر، و بهاتين الكلمتين يشمل الكلام عدد أهل النجوى أيا ما كان أما الأدنى من ذلك فالأدنى من الثلاثة الاثنان و الأدنى من الخمسه الأربعه، و أما الأكثر فالأكثر من خمسه الستة فما فوقها.

و من لطف سياق الآيه ترتب ما أشير إليه من مراتب العدد: الثلاثة و الأربعه و الخمسه و الستة من غير تكرار فلم يقل: من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا أربعه إلا هو خامسهم و هكذا.

و قوله: « إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا » المراد به المعيه من حيث العلم بما يتناجون به و المشاركه لهم فيه.

و بذلك يظهر أن المراد بكونه تعالى رابع الثلاثة المتناجين و سادس الخمسه المتناجين معيته لهم فى العلم و مشاركته لهم فى الاطلاع على ما يسارون لا مماثلته لهم فى تتميم العدد فإن كلا منهم شخص واحد جسمانى يكون بانضمامه إلى مثله عدد الاثنين و إلى مثليه الثلاثة و الله سبحانه منزه عن الجسميه برىء من الماديه.

و ذلك أن مقتضى السياق أن المستثنى من قوله: « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى » إلخ، معنى

واحد و هو أن الله لا يخفى عليه نجوى فقوله: «إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» «إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» فى معنى قوله: «إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ» و هو المعية العلميه أى أنه يشاركهم فى العلم و يقارنهم فيه أو المعية الوجوديه بمعنى أنه كلما فرض قوم يتناجون فالله سبحانه هناك سميع عليم.

و فى قوله: «أَيَّنَ مَا كَانُوا» تعميم من حيث المكان إذ لما كانت معيته تعالى لهم من حيث العلم لا بالاقتران الجسمانى لم يتفاوت الحال و لم يختلف باختلاف الأمكنه بالقرب و البعد فالله سبحانه لا يخلو منه مكان و ليس فى مكان.

و بما تقدم يظهر أيضا أن-ما تفيداه الآيه من معيته تعالى لأصحاب النجوى و كونه رابع الثلاثه منهم و سادس الخمسه منهم لا ينافى ما تقدم تفصيلا فى ذيل قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»: المائده: ٧٣، من أن وحدته تعالى ليست وحده عدديه بل وحده أحديه يستحيل معها فرض غير معه يكون ثانيا له فالمراد بكونه معهم و رابعا للثلاثه منهم و سادسا للخمسه منهم أنه عالم بما يتناجون به و ظاهر مكشوف له ما يخفونه من غيرهم لا أن له وجودا محدودا يقبل العد يمكن أن يفرض له ثان و ثالث و هكذا.

و قوله: «ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى يخبرهم بحقيقه ما عملوا من عمل و منه نجواهم و مسارتهم.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تعليل لقوله: «ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ» إلخ، و تأكيد لما تقدم من علمه بما فى السماوات و ما فى الأرض، و كونه مع أصحاب النجوى.

و الآيه تصلح أن تكون توطئه و تمهيدا لمضمون الآيات التاليه و لا يخلو ذيلها من لحن شديد يرتبط بما فى الآيات التاليه من الذم و التهديد.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» إلى آخر الآيه سياق الآيات يدل على أن قوما من المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من المؤمنين كانوا قد أشاعوا بينهم النجوى محاده للنبي ص و المؤمنين يتناجون بينهم بالإثم و العدوان و معصيه الرسول و ليؤذوا بذلك المؤمنين و يحزنون و كانوا يصرون على ذلك من غير أن ينتهوا بنهى فتزلت الآيات.

فقوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» ذم و توبيخ غيايى لهم، و قد خاطب النبي ص و لم يخاطبهم أنفسهم مبالغه فى تحقير أمرهم و إبعادا لهم

و المعنى: أ لم تنظر إلى الذين نهوا عن التناجى بينهم بما يغم المؤمنين و يحزنهم ثم يعودون إلى التناجى الذى نهوا عنه عود بعد عوده، و فى التعبير بقوله: «يَعُودُونَ» دلالة على الاستمرار، و فى العُدول عن ضمير النجوى إلى الموصول و الصلته حيث قيل: «يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» و لم يقل يعودون إليها دلالة على سبب الذم و التوبيخ و مساءه العود لأنها أمر منهى عنه.

و قوله: «يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» المقابلة بين الأمور الثلاثة:

الإثم و العدوان و معصية الرسول تفيد أن المراد بالإثم هو العمل الذى له أثر سيئ لا يتعدى نفس عامله كشرب الخمر و الميسر و ترك الصلاة مما يتعلق من المعاصى بحقوق الله، و العدوان هو العمل الذى فيه تجاوز إلى الغير مما يتضرر به الناس و يتأذون مما يتعلق من المعاصى بحقوق الناس، و القسمان أعنى الإثم و العدوان جميعا من معصية الله، و معصية الرسول مخالفته فى الأمور التى هى جائزه فى نفسها لا أمر و لا نهى من الله فيها لكن الرسول أمر بها أو نهى عنها لمصلحه الأمة بما له و لايه أمورهم و النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما نهاهم عن النجوى و إن لم يشتمل على معصية.

كان ما تقدم من قوله: «الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» ذمما و توبيخا لهم على نفس نجواهم بما أنها منهى عنها مع الغض عن كونها بمعصية أو غيرها:

و هذا الفصل أعنى قوله: «و يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» ذم و توبيخ لهم بما يشتمل عليه تناجيتهم من المعصية بأنواعها و هؤلاء القوم هم المنافقون و مرضى القلوب كانوا يكثر من النجوى بينهم ليغتم بها المؤمنون و يحزنوا و يتأذوا.

و قيل: المنافقون و اليهود كان يناجى بعضهم بعضا ليحزنوا المؤمنين و يلقوا بينهم الوحشه و الفرع و يوهنوا عزمهم لكن فى شمول قوله: «الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» لليهود خفاء.

و قوله: «وَ إِذَا جَاءُوكَ حَيُّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» فإن الله حياه بالتسليم و شرع له ذلك تحيه من عند الله مباركه طيبه و هم كانوا يحيونه بغيره. قالوا: هؤلاء هم اليهود كانوا إذا أتوا النبى ص قالوا: السام عليك- و السام هو الموت- و هم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك، و لا يخلو من شىء فإن الضمير فى «جَأُوكَ» و «حَيُّوكَ» للموصول

فى قوله: «الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» و قد عرفت أن فى شموله لليهود خفاء.

و قوله: «و يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» معطوف على «حَيُّوكَ» أو حال و ظاهره أن ذلك منهم من حديث النفس مضمين ذلك فى قلوبهم، و هو تحضيض بداعى الطعن و التهكم فىكون من المنافقين إنكارا لرسالة النبى ص على طريق الكنايه و المعنى: أنهم يحيونك بما لم يحيك به الله و هم يحدثون أنفسهم بدلاله قولهم ذلك- و لو لا يعذبهم الله به-على أنك لست برسول من الله و لو كنت رسوله لعذبهم بقولهم.

و قيل: المراد بقوله: «و يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ» يقولون فيما بينهم بتحديث بعض منهم لبعض و لا يخلو من بعد.

و قد رد الله عليهم احتجاجهم بقولهم: «لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» بقوله: «حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ» أى إنهم مخطئون فى نفيهم العذاب فهم معذبون بما أعد لهم من العذاب و هو جهنم التى يدخلونها و يقاسون حرها و كفى بها عذابا لهم.

و كان المنافقين و من يلحق بهم لما لم ينتهوا بهذه المناهى و التشديدات نزل قوله تعالى:

«لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا»: الآيات الأحزاب: ٦١.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» إلخ، لا يخلو سياق الآيات من دلالة على أن الآيه نزلت فى رفع الخطر و قد خوطب فيها المؤمنون فأجيز لهم النجوى و اشترط عليهم أن لا- يكون تناجيا بالإثم و العدوان و معصيه الرسول و أن يكون تناجيا بالبر و التقوى و البر و هو التوسع فى فعل الخير يقابل العدوان، و التقوى مقابل الإثم ثم أكد الكلام بالأمر بمطلق التقوى بإنذارهم بالحشر بقوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

قوله تعالى: «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» إلخ، المراد بالنجوى-على ما يفيد السباق- هو النجوى الدائره فى تلك الأيام بين المنافقين و مرضى القلوب و هى من الشيطان فإنه الذى يزينها فى قلوبهم ليتوسل بها إلى حزنهم و يشوش قلوبهم ليوهمهم أنها فى نائبه حلت بهم و بليه أصابتهم.

ثم طيب الله سبحانه قلوب المؤمنين بتذكيرهم أن الأمر إلى الله سبحانه و أن الشيطان

أو التناجى لا- يضرهم شيئا إلا بإذن الله فليتوكلوا عليه و لا يخافوا ضره و قد نص سبحانه في قوله: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»: الطلاق: ٣ إنه يكفي من توكل عليه، و استنهضهم على التوكل بأنه من لوازم إيمان المؤمن فإن يكونوا مؤمنين فليتوكلوا عليه فهو يكفيهم.

و هذا معنى قوله: «و لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» إلخ، التفسح الاتساع و كذا الفسح، و المجالس جمع مجلس اسم مكان، و الاتساع في المجلس أن يتسع الجالس ليسع المكان غيره و فسح الله له أن يوسع له في الجنة.

و الآيه تتضمن أدبا من آداب المعاشرة، و يستفاد من سياقها أنهم كانوا يحضرون مجلس النبي ص فيجلسون ركاما لا يدع لغيرهم من الواردين مكانا يجلس فيه فأدبوا بقوله:

« إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا » إلخ، و الحكم عام و إن كان مورد النزول مجلس النبي ص.

و المعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم توسعوا في المجالس ليسع المكان معكم غيركم فتوسعوا و سع الله لكم في الجنة.

و قوله: «وَ إِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا» يتضمن أدبا آخر، و النشور - كما قيل - الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه، و النشور عن المجلس أن يقوم الإنسان عن مجلسه ليجلس فيه غيره إعظاما له و تواضعا لفضله.

و المعنى: و إذا قيل لكم قوموا ليجلس مكانكم من هو أفضل منكم في علم أو تقوى فقوموا.

و قوله: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» لا ريب في أن لازم رفعه تعالى درجه عبده من عباده مزيد قربه منه تعالى، و هذا قرينه عقليه على أن المراد بهؤلاء الذين أوتوا العلم العلماء من المؤمنين فتدل الآيه على انقسام المؤمنين إلى طائفتين:

مؤمن و مؤمن عالم، و المؤمن العالم أفضل و قد قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»: الزمر: ٩.

و يتبين بذلك أن ما ذكر من رفع الدرجات في الآيه مخصوص بالذين أوتوا العلم و يبقى لسائر المؤمنين من الرفع الرفع درجه واحده و يكون التقدير يرفع الله الذين آمنوا منكم درجه و يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات.

و في الآيه من تعظيم أمر العلماء و رفع قدرهم ما لا يخفى. و أكد الحكم بتذييل الآيه

بقوله: « وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ».

قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَاغَتْ أَعْيُنُكُمْ فَأَقْبِرْ أَبْصَارَكُمْ وَأَبْسُوهُنَّ عَلَى مَوَاقِعِ الْقَرْعَاتِ لِئَلَّا يَتَذَكَّرَ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلِيغِينَ » الخ، أى إذا أردتم أن تناجوا الرسول فتصدقوا قبلها.

وقوله: « ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ » تعليل للتشريع نظير قوله: « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ » البقره: ١٨٤، ولا شك أن المراد بكونها خيرا لهم و أظهر أنها خير لنفوسهم و أظهر لقلوبهم و لعل الوجه فى ذلك أن الأغنياء منهم كانوا يكثرون من مناجاه النبى ص يظهرون بذلك نوعا من التقرب إليه و الاختصاص به و كان الفقراء منهم يحزنون بذلك و ينكسر قلوبهم فأمرؤا أن يتصدقوا بين يدى نجواهم على فقرائهم بما فيها من ارتباط النفوس و إثارة الرحمه و الشفقه و الموده و صله القلوب بزوال الغيظ و الحنق.

و فى قوله: « ذَلِكَ » التفات إلى خطاب النبى ص بين خطابين للمؤمنين و فيه تجليل لطيف له (ص) حيث إن حكم الصدقه مرتبط بنجواه (ص) و الالتفات إليه فيما يرجع إليه من الكلام مزيد عنايه به.

وقوله: « فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » أى فإن لم تجدوا شيئا تتصدقون به فلا يجب عليكم تقديمها و قد رخص الله لكم فى نجواه و عفا عنكم إنه غفور رحيم فقوله:

« فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » من وضع السبب موضع المسبب.

و فيه دلالة على رفع الوجوب عن المعدمين كما أنه قرينه على إرادته الوجوب فى قوله:

« فَاقْبَلُوا » الخ، و وجوبه على الموسرين.

قوله تعالى: « أَوْ أَشَقَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ » الخ، الآية ناسخه لحكم الصدقه المذكور فى الآية السابقة، و فيه عتاب شديد لصحابه النبى ص و المؤمنين حيث إنهم تركوا مناجاته (ص) خوفا من بذل المال بالصدقه فلم يناجه أحد منهم إلا على (ع) فإنه ناجاه عشر نجوات كلما ناجاه قدم بين يدى نجواه صدقه ثم نزلت الآية و نسخت الحكم.

و الإشفاق الخشيه، و قوله: « أَنْ تُقَدِّمُوا » الخ، مفعوله و المعنى: أ خشيتم التصدق و بذل المال للنجوى، و احتمال أن يكون المفعول محذوفا و التقدير أ خشيتم الفقر لأجل بذل المال.

قال بعضهم: جمع الصدقات لما أن الخوف لم يكن فى الحقيقة من تقديم صدقه واحده

لأنه ليس مظهره الفقر بل من استمرار الأمر و تقديم صدقات.

و قوله: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» إلخ، أى فإذ لم تفعلوا ما كلفتم به و رجع الله إليكم العفو و المغفرة فأثبتوا على امتثال سائر التكاليف من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة.

ففى قوله: «وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» دلالة على كون ذلك منهم ذنبا و معصيه غير أنه تعالى غفر لهم ذلك.

و فى كون قوله: «فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» إلخ، متفرعا على قوله: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا» إلخ، دلالة على نسخ حكم الصدقه قبل النجوى.

و فى قوله: «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» تعميم لحكم الطاعة لسائر التكاليف بإيجاب الطاعة المطلقة، و فى قوله: «وَ اللَّهُ خَمِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» نوع تشديد يتأكد به حكم وجوب طاعة الله و رسوله.

### (بحث روائى)

فى المجمع،<sup>1</sup> وقرأ حمزه و رويس عن يعقوب «ينتجون» و الباقون «يَتَنَاجُونَ» و يشهد لقراءه حمزه

قول النبى ص فى على(ع) - لما قال له بعض أصحابه: أتناجيه دوننا؟ ما أنا انتجيته بل الله انتجاه.

و فى الدر المشهور، أخرج أحمد و عبد بن حميد و البزار و ابن المنذر و الطبرانى و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان بسند جيد عن ابن عمر<sup>2</sup>: «أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ص:

سام عليك يريدون بذلك شتمه - ثم يقولون فى أنفسهم: «لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» فنزلت هذه الآية «وَ إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ».

و فيه، أخرج عبد الرزاق و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس<sup>3</sup>: «فى هذه الآية قال:

كان المنافقون يقولون لرسول الله ص: سام عليك فنزلت.

أقول: و هذه الروايه أقرب إلى التصديق من سابقتها لما تقدم فى تفسير الآية، و فى روايه القمى فى تفسيره أنهم كانوا يحيونه بقولهم: أنعم صباحا و أنعم مساء، و هو تحيه أهل الجاهليه.

و في المجمع، في قوله تعالى: «يُزَعِّجُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ - وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»:

و قد ورد أيضا في الحديث أنه (ص) قال: فضل العالم على الشهيد درجه، و فضل الشهيد على العابد درجه، و فضل النبي على العالم درجه، و فضل القرآن على سائر الكلام - كفضل الله على سائر خلقه، و فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أديانهم: رواه جابر بن عبد الله .

أقول: و ذيل الروايه لا يخلو من شيء فإن ظاهر رجوع الضمير في «أديانهم» إلى الناس اعتبار مراتب في الناس فمنهم الأعلى و منهم المتوسط، و إذا كان فضل العالم على سائر الناس و فيهم الأعلى رتبه كفضل النبي على أدنى الناس كان العالم أفضل من النبي و هو كما ترى.

اللهم إلا- أن يكون أدنى بمعنى الأقرب و المراد بأديانهم أقربهم من النبي و هو العالم كما يلوح من قوله: و فضل النبي على العالم درجه، فيكون المفاد أن فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أقربهم مني و هو العالم.

و في الدر المنثور، أخرج سعيد بن منصور و ابن راهويه و ابن أبي شييبه و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و الحاكم و صححه عن علي قال: إن في كتاب الله لآيه ما عمل بها أحد قبلي - و لا يعمل بها بعدى - آيه النجوى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» كان عندي دينار فبعته بعشره دراهم - فكنت كلما ناجيت النبي ص - قدمت بين يدي نجواي درهما - ثم نسخت فلم يعمل بها أحد - فنزلت «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ» الآية.

و في تفسير القمي، بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن قول الله عز و جل: «إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَةٌ» قال: قدم علي بن أبي طالب (ع) بين يدي نجواه صدقه - ثم نسخها بقوله: «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ».

أقول: و في هذا المعنى روايات أخر من طرق الفريقين.

## [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١٤ الى ٢٢]

### اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ



إِخْوَانُهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

تذكر الآيات قوما من المنافقين يتولون اليهود و يوادونهم و هم يحادون الله و رسوله و تدمهم على ذلك و تهددهم بالعذاب و الشقوه تهديدا شديدا، و تقطع بالآخره أن الإيمان

بالله و اليوم الآخر يمنع عن مواده من يحاد الله و رسوله كائنا من كان، و تمدح المؤمنين المتبرئين من أعداء الله و تعدهم إيمانا مستقرا و روحا من الله و جنه و رضوانا.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» إلخ، القوم المغضوب عليهم هم اليهود، قال تعالى: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ»: المائدة: ٦٠.

و قوله: «مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ» ضمير «عَلَيْهِمْ» للمنافقين و ضمير «مِنْهُمْ» لليهود، و المعنى: أن هؤلاء المنافقين لتذبذبهم بين الكفر و الإيمان ليسوا منكم و لا من اليهود، قال تعالى: «مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ»: النساء: ١٤٣.

و هذه صفتهم بحسب ظاهر حالهم و أما بحسب الحقيقة فهم ملحقون بمن تولوهم، قال تعالى: «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» المائدة: ٥١، فلا منافاه بين قوله: «مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ» و قوله: «فَإِنَّهُ مِنْهُمْ».

و احتمال بعضهم أن ضمير «عَلَيْهِمْ» للقوم و هم اليهود و ضمير «مِنْهُمْ» للموصول و هم المنافقون، و المعنى: تولوا اليهود الذين ليسوا منكم و أنتم مؤمنون و لا من هؤلاء المنافقين أنفسهم بل أجنبيون برآء من الطائفتين، و فيه نوع من الدم، و هو بعيد.

و قوله: «وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أى يحلفون لكم على الكذب أنهم منكم مؤمنون أمثالكم و هم يعلمون أنهم كاذبون فى حلفهم.

قوله تعالى: «أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» الإعداد التهيئه، و قوله: «إِنَّهُمْ سَاءَ» إلخ، تعليل للإعداد، و فى قوله: «كَانُوا يَعْمَلُونَ» دلالة على أنهم كانوا مستمرين فى عملهم مداومين عليه.

و المعنى: هيا الله لهم عذابا شديدا لاستمرارهم على عملهم السيئ.

قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَبُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» الأيمان جمع يمين و هو الحلف، و الجنه السترة التى يتقى بها الشر كالترس، و المهين اسم فاعل من الإهانه بمعنى الإذلال و الإخزاء.

و المعنى: اتخذوا أيمانهم ستره يدعون بها عن نفوسهم التهمه و الظنه كلما ظهر منهم أمر يريب المؤمنين فصرفوا أنفسهم و غيرهم عن سبيل الله و هو الإسلام فلهم -لأجل ذلك-

قوله تعالى: «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى إن الذى دعاهم إلى ما هم عليه متاع الحياه الدنيا الذى هو الأموال والأولاد لكنهم فى حاجه إلى التخلص من عذاب خالد لا يقضيها لهم إلا الله سبحانه فهم فى فقر إليه لا يغنيهم عنه أموالهم ولا أولادهم شيئاً فليؤمنوا به و ليعبدوه.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ» إلخ، ظرف لما تقدم من قوله: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً» أو لقوله: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» وقوله: «فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» أى يحلفون لله يوم البعث كما يحلفون لكم فى الدنيا.

وقد قدمنا فى تفسير قوله تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّاهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»: الأنعام: ٢٣ أن حلفهم على الكذب يوم القيامة مع ظهور حقائق الأمور يومئذ من ظهور ملكاتهم هناك لرسوخها فى نفوسهم فى الدنيا فقد اعتادوا فيها على إظهار الباطل على الحق بالإيمان الكاذبه و كما يعيشون يموتون و كما يموتون يبعثون.

و من هذا القبيل سؤالهم الرد إلى الدنيا يومئذ، والخروج من النار و خصامهم فى النار و غير ذلك مما يقصه القرآن الكريم، و هم يشاهدون مشاهدته عيان أن لا سبيل إلى شىء من ذلك و اليوم يوم جزاء لا يوم عمل.

و أما قوله: «وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ» أى مستقرون على شىء يصلح أن يستقر عليه و يتمكن فيه فيمكنهم الستر على الحق و المنع عن ظهور كذبهم بمثل الإنكار و الحلف الكاذب.

فيمكن أن يكون قيذا لقوله: «كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فيكون إشاره إلى وصفهم فى الدنيا و أنهم يحسبون أن حلفهم لكم ينفعهم و يرضيكم، و يكون قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» قضاء منه تعالى فى حقهم بأنهم كاذبون فلا يصغى إلى ما يهدون به و لا يعتنى بما يحلفون به.

و يمكن أن يكون قيذا لقوله: «فَيَحْلِفُونَ لَهُ» فيكون من قبيل ظهور الملكات يومئذ كما تقدم فى معنى حلفهم آنفاً، و يكون قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» حكماً منه تعالى بكذبهم يوم القيامة أو مطلقاً.

قوله تعالى: «إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» الاستحواذ الاستيلاء والغلبه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْمَأْذِلِينَ» تعليل لكونهم هم الخاسرين أى إنما كانوا خاسرين لأنهم يحادون الله و رسوله بالمخالفه و المعانده و المحادون لله و رسوله فى جملة الأذلين من خلق الله تعالى.

قيل: إنما كانوا فى الأذلين لأن ذله أحد المتخاصمين على مقدار عزه الآخر و إذ كانت العزه لله جميعا فلا يبقى لمن حاده إلا الذله محضا.

قوله تعالى: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» الكتابه هى القضاء منه تعالى.

و ظاهر إطلاق الغلبه شمولها للغلبه من حيث الحججه و من حيث التأييد الغيبي و من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله.

أما من حيث الحججه فإن الإنسان مفضور على صلاحيه إدراك الحق و الخضوع له فلو بين له الحق من السبيل التى يألفها لم يلبث دون أن يعقله و إذا عقله اعترفت له فطرته و خضعت له طويته و إن لم يخضع له عملا اتباعا لهوى أو أى مانع يمنعه عن ذلك.

و أما الغلبه من حيث التأييد الغيبي و القضاء للحق على الباطل فيكفى فيها أنواع العذاب التى أنزلها الله تعالى على مكذبي الأمم الماضين كقوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و على آل فرعون و غيرهم ممن يشير تعالى إليهم بقوله: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مِمَّا جَاءَ أُمَّهَ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعِيداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» المؤمنون: ٤٤، و على ذلك جرت السنه الإلهيه و قد أجمال ذكرها فى قوله: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» يونس: ٤٧.

و أما الغلبه من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله فإن إيمان المؤمن يدعوه إلى الدفاع و الذب عن الحق و المقاومه تجاه الباطل مطلقا و هو يرى أنه إن قتل فاز و إن قتل فاز فثباته على الدفاع غير مقيد بقيد و لا محدود بحد و هذا بخلاف من يدافع لا عن الحق بما هو حق بل عن شىء من المقاصد الدنيويه فإنه إنما يدافع لأجل نفسه فلو شاهد نفسه مشرفه على هلكه أو راکبه مخاطره تولى منهزما فهو إنما يدافع على شرط و إلى حد و هو سلامه النفس و عدم الإشراف على الهلكه و من الضروري أن العزيمه المطلقه تغلب العزيمه المقيده

بقيد المحدوده بحد و من الشاهد عليه غزوات رسول الله ص بما أدت إليه من الفتح و الظفر في عين أنها كانت سجالات لكن لم تنته إلا إلى تقدم المسلمين و غلبتهم.

و لم تقف الفتوحات الإسلاميه و لا تفرقت جموع المسلمين أيادي سببا إلا بفساد نياتهم و تبديل سيره التقوى و الإخلاص لله و بسط الدين الحق من بسط السلطه و توسعه المملكه « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ » (١) و قد اشترط الله عليهم حين أكمل دينهم و أمنهم من عدوهم أن يخشوه إذ قال: «الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اَخْشَوْنَ».

و يكفي في تسجيل هذه الغلبه قوله تعالى فيما يخاطب المؤمنين: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: آل عمران: ١٣٩.

قوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» إلخ، نفى وجدان قوم على هذه الصفه كناية عن أن الإيمان الصادق بالله و اليوم الآخر لا يجامع مواده أهل المحاده و المعانده من الكفار و لو قارن أى سبب من أسباب الموده كالأبوه و البنوه و الأخوه و سائر أقسام القرابه فيبين الإيمان و مواده أهل المحاده تضاد لا يجتمعان لذلك.

و قد بان أن قوله: «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ» إلخ، إشاره إلى أسباب الموده مطلقا و قد خصت موده النسب بالذكر لكونه أقوى أسباب الموده من حيث ثباته و عدم تغيره.

و قوله: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» الإشاره إلى القوم بما ذكر لهم من الصفه، و الكتابه الإثبات بحيث لا يتغير و لا يزول و الضمير لله و فيه نص على أنهم مؤمنون حقا.

و قوله: «وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» التأييد التقويه، و ضمير الفاعل في «أَيَّدَهُمْ» الله تعالى و كذا ضمير منه و من ابتدائه، و المعنى: و قواهم الله بروح من عنده تعالى، و قيل: الضمير للإيمان، و المعنى: و قواهم الله بروح من جنس الإيمان يحيى بها قلوبهم، و لا بأس به.

و قيل: المراد بالروح جبرائيل، و قيل: القرآن، و قيل: المراد بها الحججه و البرهان، و هذه وجوه ضعيفه لا شاهد لها من جهة اللفظ.

ص: ١٩٦

ثم الروح -على ما يتبادر من معناها- هي مبدأ الحياه التي تترشح منها القدره و الشعور فإبقاء قوله: «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» على ظاهره يفيد أن للمؤمنين وراء الروح البشريه التي يشترك فيها المؤمن و الكافر روحا أخرى تفيض عليهم حياه أخرى و تصاحبها قدره و شعور جديداً، و إلى ذلك يشير قوله تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مِتًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»: الأنعام: ١٢٢، و قوله:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً»: النحل: ٩٧.

و ما فى الآيه من طيب الحياه يلازم طيب أثرها و هو القدره و الشعور المتفرع عليهما الأعمال الصالحه، و هما المعبر عنهما فى آيه الأنعام المذكوره أنفاً بالنور و نظيرها قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ»: الحديد: ٢٨.

و هذه حياه خاصه كريمه لها آثار خاصه ملازمه لسعاده الإنسان الأبدية وراء الحياه المشتركه بين المؤمن و الكافر التى لها آثار مشتركه فلها مبدأ خاص و هو روح الإيمان التى تذكرها الآيه وراء الروح المشتركه بين المؤمن و الكافر.

و على هذا فلا موجب لما ذكروا أن المراد بالروح نور القلب و هو نور العلم الذى يحصل به الطمأنينه و أن تسميته روحاً مجاز مرسل لأنه سبب للحياه الطيبه الأبدية أو من الاستعاره لأنه فى ملازمته وجوه العلم الفاضل على القلب -و العلم حياه القلب كما أن الجهل موته- يشبه الروح المفيض للحياه. انتهى.

و قوله: «وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» وعد جميل و وصف لحياتهم الآخره الطيبه.

و قوله: «رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» استئناف يعلل قوله: «وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ» إلخ، و رضا الله سبحانه عنهم رحمته لهم لإخلاصهم الإيمان له و رضاهم عنه و ابتهاجهم بما رزقهم من الحياه الطيبه و الجنه.

و قوله: «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا - إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» تشریف لهؤلاء المخلصين فى إيمانهم بأنهم حزبه تعالى كما أن أولئك المنافقين الموالين لأعداء الله حزب الشيطان و هؤلاء مفلحون كما أن أولئك خاسرون.

و فى قوله: «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ» وضع الظاهر موضع الضمير ليجرى الكلام مجرى المثل السائر.

### (بحث روائى)

فى المجمع، " فى قوله تعالى: «كَتَبَ اللَّهُ لِمَآ غَلَبَنَّا أَنَا وَرُسُلِي» روى أن المسلمين قالوا-لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى: ليفتحن الله علينا الروم و فارس- فقال المنافقون: أ تظنون أن فارس و الروم-كبعض القرى التى غلبتم عليها؟ فأنزل الله هذه الآية.

أقول: الظاهر أنه من قبيل تطبيق الآية على القصة و نظائره كثيره، و لذا

ورد: " فى قوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» إنه نزل فى أبى عبيده بن الجراح قتل أباه يوم بدر ،

و فى بعضها: " أنه نزل فى أبى بكر سب النبى ص-فصكه أبو بكر صكه سقط على الأرض فنزلت الآية. و فى عبد الرحمن بن ثابت بن قيس بن الشماس-استأذن النبى ص أن يزور خاله من المشركين فأذن له-فلما قدم قرأ عليه النبى ص-و من حوله من المسلمين الآية.

و هذه روايات لا يلائمها ما فى الآيات من الاتصال الظاهر.

و فى الدر المنثور، أخرج الطيالسى و ابن أبى شيبه عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ص: أوثق عرى الإيمان الحب فى الله و البغض فى الله.

و فى الكافى، بإسناده إلى أبان بن تغلب عن أبى عبد الله (ع) قال: ما من مؤمن إلا و لقلبه أذنان فى جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخناس-و أذن ينفث فيها الملك-فيؤيد الله المؤمن بالملك-فذلك قوله: «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ».

أقول: ليس معناه تفسير الروح بالملك بل الملك يصاحب الروح و يعمل به، قال تعالى:

«يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» :النحل: ٢.

و فيه، بإسناده إلى ابن بكير قال: قلت لأبى جعفر (ع): فى قول رسول الله ص- إذا زنا الرجل فارقه روح الإيمان. قال: هو قوله: «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» ذلك الذى يفارقه.

و فيه، بإسناده إلى محمد بن سنان عن أبى خديجه قال: دخلت على أبى الحسن (ع) فقال لى: إن الله تبارك و تعالى أيد المؤمن بروح-تحضره فى كل وقت يحسن فيه و يتقى-



و تغيب عنه فى كل وقت يذنب فيه و يعتدى-فهى معه تهتز سرورا عند إحسانه-و تسيخ فى الثرى عند إساءته،فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم-تزدادوا يقينا و تربحوا نفيسا ثمينا،رحم الله امرءا هم بخير فعمله أو هم بشر فارتدع عنه.ثم قال:نحن نؤيد الروح بالطاعة لله و العمل له.

أقول:قد تبين مما تقدم فى ذيل الآيه أن هذه الروح من مراتب الروح الإنسانى ينالها المؤمن عند ما يستكمل الإيمان فليست مفارقه له كما أن الروح النباتيه و الحيوانيه و الإنسانيه المشتركه بين المؤمن و الكافر من مراتب روحه غير مفارقه له غير أنها تبتدى هيئه حسنه فى النفس ربما زالت لعروض هيئه سيئه تضادها ثم ترجع إذا زالت الموانع المضاده حتى إذا استقرت و رسخت و تصورت النفس بها ثبتت و لم تتغير.

و بذلك يظهر أن المراد بقوله(ع):بروح تحضره،و قوله:فهى معه،حضور صورتها حضور الهياه العارضه القابله للزوال،و بقوله:تسيخ فى الثرى زوال الهياه على طريق الاستعاره،و كذا قوله(ص)فى الروايه السابقه:فارقه روح الإيمان

## (٥٩) (سوره الحشر مدنيه و هى أربع و عشرون آيه)(٢٤)

[سوره الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ١٠]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْمَآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كُنِيَ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٠)



تشير السوره إلى قصه إجلاء بنى النضير من اليهود لما نقضوا العهد بينهم و بين المسلمين، و إلى وعد المنافقين لهم بالنصر و الملازمه ثم غدرهم و ما يلحق بذلك من حكم فيهم.

و من غرر الآيات فيها الآيات السبع فى آخرها يأمر الله سبحانه عباده فيها بالاستعداد للقائه من طريق المراقبه و المحاسبه، و يذكر عظمه قوله و جلاله قدره بوصف عظمه قائله عز من قائل بما له من الأسماء الحسنى و الصفات العليا. و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» افتتاح مطابق لما فى مختتم السوره من قوله: «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» .

و إنما افتتح بالتنزيه لما وقع فى السوره من الإشاره إلى خيانه اليهود و نقضهم العهد ثم وعد المنافقين لهم بالنصر غدرا كمثل الذين كانوا من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم، و بالنظر إلى ما أذقهم الله من وبال كيدهم، و كون ذلك على ما يقتضيه الحكمة و المصلحه ذيل الآيه بقوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» .

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» تأييد لما ذكر فى الآيه السابقه من تنزهه تعالى و عزته و حكمته، و المراد بإخراج الذين كفروا من أهل الكتاب إجلاء بنى النضير حى من أحياء اليهود كانوا يسكنون خارج المدينه و كان بينهم و بين النبي ص عهد أن لا يكونوا له و لا عليه ثم نقضوا العهد فأجلاهم النبي ص و ستأتى قصتهم فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

و الحشر إخراج الجماعه بإزعاج، و «لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» من إضافه الصفه إلى الموصوف، و اللام بمعنى فى كقوله: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ» :إسراء: ٧٨.

و المعنى: الله الذى أخرج بنى النضير من اليهود من ديارهم فى أول إخراجهم من جزيره العرب.

ثم أشار تعالى إلى أهميه إخراجهم بقوله: «مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا» لما كنتم تشاهدون فيهم من القوه و الشده و المنعه «و ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا يَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ» فلن يغلبهم الله و هم متحصنون فيها و عد حصونهم بحسب ظنهم مانعه من الله لا من المسلمين لما أن إخراجهم

منها منسوب في الآيه السابقه إليه تعالى و كذا إلقاء الرعب في قلوبهم في ذيل الآيه، و في الكلام دلالة على أنه كانت لهم حصون متعددة.

ثم ذكر فساد ظنهم و خبطهم في مزعتهم بقوله: «فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» و المراد به نفوذ إرادته تعالى فيهم لا- من طريق احتسابه و هو طريق الحصون و الأبواب بل من طريق باطنهم و هو طريق القلوب «وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» و الرعب الخوف الذي يملأ القلب «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» لثلاث تقع في أيدي المؤمنين بعد خروجهم و هذه من قوه سلطانه تعالى عليهم حيث أجرى ما أراده بأيدي أنفسهم «وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ» حيث أمرهم بذلك و وفقهم لامثال أمره و إنفاذ إرادته «فَاعْتَبِرُوا» و خذوا بالعظه «يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» بما تشاهدون من صنع الله العزيز الحكيم بهم قبال مشاقتهم له و لرسوله.

و قيل: كانوا يخربون البيوت ليهربوا و يخربها المؤمنون ليصلوا.

و قيل: المراد بتخريب البيوت اختلال نظام حياتهم فقد خربوا بيوتهم بأيديهم حيث نقضوا المواعده، و بأيدي المؤمنين حيث بعثوهم على قتالهم.

و فيه أن ظاهر قوله: «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ» إلخ أنه بيان لقوله: «فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» إلخ، من حيث أثره فهو متأخر عن نقض المواعده.

قوله تعالى: «وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُوهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ» الجلاء ترك الوطن و كتابه الجلاء عليهم قضاؤه في حقهم، و المراد بعذابهم في الدنيا عذاب الاستئصال أو القتل و السبي.

و المعنى: و لولا- أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم و ترك وطنهم لعذبهم في الدنيا بعذاب الاستئصال أو القتل و السبي كما فعل بنى قريظه و لهم في الآخرة عذاب النار.

قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» المشاقه المخالفه بالعناد، و الإشاره بذلك إلى ما ذكر من إخراجهم و استحقاقهم العذاب لو لم يكتب عليهم الجلاء، و في تخصيص مشاقتهم بالله في قوله: «وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ» بعد تعميمه لله و رسوله في قوله: «شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» تلويح إلى أن مشاقه الرسول مشاقه الله و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» ذكر الراغب أن اللينه النخلة الناعمه من دون اختصاص منه بنوع منها دون

رووا: أن النبي ص أمر بقطع نخيلهم- فلما قطع بعضها نادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض- فما بال النخيل تقطع فنزلت الآية- فأجيب عن قولهم بأن ما قطعوا من نخله- أو تركوها قائمه على أصولها فبإذن الله- و الله فى حكمه هذا غايات حقه و حكم بالغه- منها إخزاء الفاسقين و هم بنو النضير.

فقوله: «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» اللام فيه للتعليل و هو معطوف على محذوف و التقدير:

القطع و الترك بإذن الله ليفعل كذا و كذا و ليخزي الفاسقين فهو كقوله: «وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» : الأنعام: ٧٥.

قوله تعالى: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ» إلخ، الإفءاء الإرجاع من الفىء بمعنى الرجوع، و ضمير «مِنْهُمْ» لبنى النضير و المراد من أموالهم.

و إيجاف الدابه تسييرها بإزعاج و إسراع و الخيل الفرس، و الركاب الإبل و «مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ» مفعول «فَمَا أُوجِفْتُمْ» و مِنْ زائده للاستغراق.

و المعنى: و الذى أرجعه الله إلى رسوله من أموال بنى النضير- خصه به و ملكه وحده إياه- فلم تسيروا عليه فرسا و لا- إبلا بالركوب حتى يكون لكم فيه حق بل مشيتم إلى حصونهم مشاه لقربها من المدينة، و لكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شىء قدير و قد سلط النبي ص على بنى النضير فله فيئهم يفعل فيه ما يشاء.

قوله تعالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِأَيِّ الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» إلخ، ظاهره أنه بيان لموارد مصرف الفىء المذكور فى الآية السابقه مع تعميم الفىء لىء أهل القرى أعم من بنى النضير و غيرهم.

و قوله: «فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ» أى منه ما يختص بالله و المراد به صرفه و إنفاقه فى سبيل الله على ما يراه الرسول و منه ما يأخذه الرسول لنفسه و لا يصغى إلى قول من قال: إن ذكره تعالى مع أصحاب السهام لمجرد التبرك.

و قوله: «وَ لِأَيِّ الْقُرْبَىٰ» إلخ، المراد بذى القربى قرابه النبي ص، و لا- معنى لحمله على قرابه عامه المؤمنين و هو ظاهر، و المراد باليتامى الفقراء منهم كما يشعر به السياق و إنما أفرد و قدم على «الْمَسَاكِينِ» مع شموله له اعتناء بأمر اليتامى.

و قد ورد عن أئمه أهل البيت(ع) أن المراد بذى القربى أهل البيت و اليتامى

و المساكين و ابن السبيل منهم.

و قوله: «كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» أى إنما حكمنا فى الفىء بما حكمنا كيلا يكون دوله بين الأغنياء منكم و الدوله ما يتداول بين الناس و يدور يدا بيد.

و قوله: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» أى ما أعطاكم الرسول من الفىء فخذوه كما أعطى منه المهاجرين و نفرا من الأنصار، و ما نهاكم عنه و منعكم فانتهوا و لا تطلبوا، و فيه إشعار بأنهم سألوا النبى ص أن يقسم الفىء بينهم جميعا فأرجعه إلى نبيه و جعل موارد مصرفه ما ذكره فى الآيه و جعل للنبى ص أن ينفقه فيها على ما يرى.

و الآيه مع الغض عن السياق عامه تشمل كل ما آتاه النبى من حكم فأمر به أو نهى عنه.

و قوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» تحذير لهم عن مخالفه النبى ص تأكيداً لقوله: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ» إلخ.

قوله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَاناً» إلخ، قيل: إن قوله: «لِلْفُقَرَاءِ» بدل من قوله: «لِإِئْتَى الْقُرْبَى» و ما بعده و ذكر الله لمجرد التبرك فيكون الفىء مختصاً بالرسول و الفقراء من المهاجرين، و قد وردت الروايه أن النبى ص قسم فىء بنى النضير بين المهاجرين و لم يعط منه الأنصار شيئاً إلا رجلين من فقرائهم أو ثلاثه.

و قيل: إنه بدل من اليتامى و المساكين و ابن السبيل فيكون ذوو السهام هم النبى ص و ذا القربى غنيهم و فقيرهم و الفقراء من المهاجرين يتاماهم و مساكينهم و أبناء السبيل منهم، و لعل هذا مراد من قال: إن قوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» بيان المساكين فى الآيه السابقه.

و الأنسب لما تقدم نقله عن أئمه أهل البيت (ع) أن يكون قوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» إلخ، بيان مصداق لصرف سبيل الله الذى أشير إليه بقوله: «فَلِلَّهِ» لا بأن يكون الفقراء المهاجرون أحد السهام فى الفىء بل بأن يكون صرفه فيهم و إعطاؤهم إياه صرفاً له فى سبيل الله.

و محصل المعنى على هذا: أن الله سبحانه أفاء الفىء و أرجعه إلى النبى ص فله أن يتصرف فيه كيف يشاء ثم دله على موارد صرفه و هى سبيل الله و الرسول و ذو القربى

و يتاماهم و مساكينهم و ابن السبيل منهم ثم أشار إلى مصداق الصرف في السبيل أو بعض مصاديقه و هم الفقراء المهاجرون إلخ، ينفق منه الرسول لهم على ما يرى.

و على هذا ينبغي أن يحمل ما ورد أن النبي ص قسم فيء بني النضير بين المهاجرين و لم يعط الأنصار شيئاً إلا- ثلاثة من فقرائهم: أبا دجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمة فقد صرف فيهم بما أنه صرف في سبيل الله لا بما أنهم سهاء في الفيء.

و كيف كان فقوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» المراد بهم من هاجر من المسلمين من مكة إلى المدينة قبل الفتح و هم الذين أخرجهم كفار مكة بالاضطرار إلى الخروج فتركوا ديارهم و أموالهم و هاجروا إلى مدينة الرسول. و قوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» الفضل الرزق أى يطلبون من الله رزقا في الدنيا و رضوانا في الآخرة.

و قوله: «وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أى ينصرونه و رسوله بأموالهم و أنفسهم، و قوله:

«أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» تصديق لصدقهم في أمرهم و هم على هذه الصفات.

قوله تعالى: «و الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلخ، قيل: إنه استئناف مسوق لمدح الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم إذ لم يشركوا في الفيء، «و الَّذِينَ تَبَوَّأُوا» -و المراد بهم الأنصار- مبتدأ خبره «يُحِبُّونَ» إلخ، و المراد بتبوى الدار و هو تعميرها بناء مجتمع ديني يأوى إليه المؤمنون على طريق الكناية، و الإيمان معطوف على «الدَّارَ» و تبوى الإيمان و تعميره رفع نواقصه من حيث العمل بحيث يستطيع العمل بما يدعو إليه من الطاعات و القربات من غير حرج و منع كما كان بمكة.

و احتمال أن يعطف «الْإِيمَانَ» على تبوؤوا و قد حذف الفعل العامل فيه، و التقدير:

و آثروا الإيمان.

و قيل: إن قوله: «و الَّذِينَ تَبَوَّأُوا» إلخ، معطوف على قوله: «الْمُهَاجِرِينَ» و على هذا يشارك الأنصار المهاجرين في الفيء، و الإشكال عليه بأن المروى أن النبي ص قسمه بين المهاجرين و لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة من فقرائهم مدفوع بأن الرواية من شواهد العطف دون الاستئناف إذ لو لم يجز إعطاؤه للأنصار لم يجز لا- للثلاثة و لا للواحد فإعطاء بعضهم منه دليل على مشاركتهم لهم غير أن الأمر لما كان راجعا إلى النبي ص كان له أن يصرفه كيف يشاء فرجح أن يقسمه بينهم على تلك الوتيره.

و الأنسب لما تقدم من كون «لِلْفُقَرَاءِ» إلخ، بيانا لمصاديق سهم السبيل هو عطف «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا» إلخ، وكذا قوله الآتى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» على قوله:

«الْمُهَاجِرِينَ» إلخ، دون الاستئناف.

بل ما ورد من إعطائه (ص) للثلاثة يؤيد هذا الوجه بعينه إذ لو كان السهم فيه الفقراء المهاجرين فحسب لم يعط الأنصار ولا لثلاثة منهم، ولو كان للفقراء من الأنصار كالمهاجرين فيه سهم - و ظاهر الآية أن جمعا منهم كانوا فقراء بهم خصاصه و التاريخ يؤيده - لأعطى غير الثلاثة من فقراء الأنصار كما أعطى فقراء المهاجرين و استوعبهم.

فقوله: «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» ضمير «مَنْ قَبْلِهِمْ» للمهاجرين و المراد من قبل مجيئهم و هجرتهم إلى المدينة.

و قوله: «يُجْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» أى يحبون من هاجر إليهم لأجل هجرتهم من دار الكفر إلى دار الإيمان و مجتمع المسلمين.

و قوله: «وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا» ضميرا «يَجِدُونَ» و «صُدُورِهِمْ» للأنصار، و ضمير «أُوتُوا» للمهاجرين، و المراد بالحاجة ما يحتاج إليه و من تبعيضه و قيل: بيانيه و المعنى: لا يخطر ببالهم شىء مما أعطيه المهاجرون فلا يضيق نفوسهم من تقسيم الفىء بين المهاجرين دونهم و لا يحسدون.

و قيل: المراد بالحاجة ما يؤدى إليه الحاجة و هو الغيظ.

و قوله: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» إثارة الشىء اختياره و تقديمه على غيره، و الخصاصه الفقر و الحاجة، قال الراغب: خصاص البيت فرجه و عبر عن الفقر الذى لم يسد بالخصاصه كما عبر عنه بالخلة انتهى.

و المعنى: و يقدمون المهاجرين على أنفسهم و لو كان بهم فقر و حاجه، و هذه الخصيصه أغزر و أبلغ فى مدحهم من الخصيصه السابقه فالكلام فى معنى الإضراب كأنه قيل: إنهم لا - يطمحون النظر فيما بأيدي المهاجرين بل يقدمونهم على أنفسهم فيما بأيديهم أنفسهم فى عين الفقر و الحاجة.

و قوله: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» قال الراغب: الشح بخل مع حرص فيما كان عادته انتهى. و «يوق» فعل مضارع مجهول من الوقايه بمعنى الحفظ، و المعنى: و من يحفظ - أى يحفظه الله - من ضيق نفسه من بذل ما بيده من المال أو من



وقوع مال في يد غيره فأولئك هم المفلحون.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» استئناف أو عطف نظير ما تقدم في قوله: «وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ (مَنْ قَبْلِهِمْ) يُحِبُّونَ» و على الاستئناف فالموصول مبتدأ خبره قوله: «يَقُولُونَ رَبَّنَا» إلخ.

و المراد بمجيئهم بعد المهاجرين و الأنصار إيمانهم بعد انقطاع الهجره بالفتح و قيل:

المراد أنهم خلفوهم.

و قولهم: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» دعاء لأنفسهم و السابقين من المؤمنين بالمغفرة، و في تعبيرهم عنهم بإخواننا إشاره إلى أنهم يعدونهم من أنفسهم كما قال الله تعالى: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» النساء: ٢٥، فهم يحبونهم كما يحبون أنفسهم و يحبون لهم ما يحبون لأنفسهم.

و لذلك عقبوه بقولهم: «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» فسألوا أن لا يجعل الله في قلوبهم غلا للذين آمنوا و الغل العداوه.

و في قوله: «لِلَّذِينَ آمَنُوا» تعميم لعامة المؤمنين منهم و ممن سبقهم و تلويح إلى أنه لا بغيه لهم إلا الإيمان.

### (بحث روائى)

في تفسير القمى، "في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ» الآية، قال: سبب ذلك أنه كان بالمدينه ثلاثه أبطن من اليهود: بنى النضير و قريظه و قينقاع، و كان بينهم و بين رسول الله ص عهد و مده فنقضوا عهدهم.

و كان سبب ذلك بنى النضير فى نقض عهدهم- أنه أتاهم رسول الله ص يستسلفهم ديه رجلين-قتلهما رجل من أصحابه غيله، يعنى يستقرض، و كان بينهم كعب بن الأشرف- فلما دخل على كعب قال: مرحبا يا أبا القاسم و أهلا- و قام كأنه يصنع له الطعام- و حدث نفسه أن يقتل رسول الله ص و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك.

فرجع رسول الله ص إلى المدينه- و قال لمحمد بن مسلمه الأنصارى: اذهب إلى بنى النضير فأخبرهم- إن الله عز و جل قد أخبرنى بما همتمم به من الغدر- فإما أن تخرجوا من

بلدنا و إما أن تأذنوا بحرب، فقالوا: نخرج من بلادك.

فبعث إليهم عبد الله بن أبي: لا- تخرجوا و تقيموا و تنابذوا محمدا الحرب- فإنى أنصركم أنا و قومي و حلفائى- فإن خرجتم خرجت معكم و إن قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا و أصلحوا بينهم حصونهم و تهيئوا للقتال- و بعثوا إلى رسول الله ص أنا لا نخرج- فاصنع ما أنت صانع.

فقام رسول الله ص و كبر و كبر أصحابه- و قال لأمير المؤمنين: تقدم على بنى النضير- فأخذ أمير المؤمنين الرايه و تقدم، و جاء رسول الله ص و أحاط بحصنهم- و غدر بهم عبد الله بن أبي.

و كان رسول الله ص إذا ظهر بمقدم بيوتهم- حصنوا ما يليهم و خربوا ما يليه، و كان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربه، و قد كان رسول الله ص أمر بقطع نخلهم- فجزعوا من ذلك و قالوا: يا محمد إن الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذة و إن كان لنا فلا تقطعه.

فلما كان بعد ذلك قالوا: يا محمد نخرج من بلادك- فأعطنا مالنا، فقال: لا و لكن تخرجون- و لكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياما ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه.

فخرجوا على ذلك و وقع منهم قوم إلى فدك و وادى القرى- و خرج قوم منهم إلى الشام.

فأنزل الله فيهم « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا - إِلَى قَوْلِهِ - فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » و أنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتِهِ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا - فَيَاذَنِ اللَّهُ - إِلَى قَوْلِهِ - رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ».

و أنزل الله عليه فى عبد الله بن أبى و أصحابه « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا - إِلَى قَوْلِهِ - ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ».

و فى المجمع، عن ابن عباس: " كان النبى ص حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم- و أن يخرجهم من أرضهم و أوطانهم- و أن يسيرهم إلى أذرعات بالشام- و جعل لكل ثلاثة منهم بعيرا و سقاء.

فخرجوا إلى أذرعات بالشام و أريحا إلا- أهل بيتين- منهم آل أبى الحقيق و آل حبي بن أخطب- فإنهم لحقوا بخيبر و لحقت طائفه منهم بالحيره.

و فيه، عن محمد بن مسلمة: أن رسول الله ص بعثه إلى بني النضير - وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال.

و فيه، عن محمد بن إسحاق: "كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ص من أحد، و كان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب، و كان الزهري يذهب إلى أن إجلاء بني النضير - كان قبل أحد على رأس ستة أشهر من وقعه بدر.

و فيه، عن ابن عباس: "نزل قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ الآية - في أموال كفار أهل القرى - وهم قريظة و بنو النضير و هما بالمدينة، و فدك و هي من المدينة على ثلاثة أميال، و خيبر و قرى عرينه و ينبع - جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد - و أخبر أنها كلها له فقال أناس: فهلا قسمها فنزلت الآية.

و فيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص يوم بني النضير للأَنْصَار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم و دياركم - و تشاركونهم في هذه الغنيمه، و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم - لم يقسم لكم شيء من الغنيمه - فقال الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا و أموالنا - و نؤثرهم بالغنيمه و لا نشاركهم فيها - فنزلت: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ﴾ الآية.

أقول: و روى في إشارهم و نزول الآية فيه قصص أخرى، و الظاهر أن ذلك من قبيل تطبيق الآية على القصة، و قد روى المعاني السابقة في الدر المنثور بطرق كثيرة مختلفه.

و في التوحيد، عن علي (ع): و قد سئل عما اشتبه على السائل من الآيات - قال في قوله تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ يعني أرسل عليهم عذابا.

و في التهذيب، بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية - قال الفيء ما كان من أموال لم يكن فيها هراقه دم أو قتل - و الأنفال مثل ذلك و هو بمنزلته.

و في المجمع، روى المنهال بن عمر عن علي بن الحسين (ع): قلت: قوله: ﴿وَ لِيَذِيَ الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: هم قربانا و مساكينا و أبناء سبيلنا.

أقول: و روى هذا المعنى في التهذيب، عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين (ع)، و قال في المجمع، بعد نقل الروايه السابقه: و قال جميع الفقهاء: هم يتامى الناس عامه و كذلك المساكين و أبناء السبيل و قد روى ذلك أيضا عنهم (ع).

و فى الكافى، بإسناده عن زراره أنه سمع أبا جعفر و أبا عبد الله (ع) يقولان:

إن الله عز و جل فوض إلى نبيه ص أمر خلقه- لينظر كيف طاعتهم ثم تلا (١) هذه الآية- « مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ».

أقول: و الروايات عنهم (ع) فى هذا المعنى كثيرة و المراد بتفويضه أمر خلقه كما يظهر من الروايات إمضاؤه تعالى ما شرعه النبى ص لهم و افتراض طاعته فى ذلك، و ولايته أمر الناس و أما التفويض بمعنى سلبه تعالى ذلك عن نفسه و تقليده (ص) لذلك فمستحيل.

و فيه، بإسناده عن أبى عبد الله (ع) فى حديث: الإيمان بعضه من بعض و هو دار- و كذلك الإسلام دار و الكفر دار.

و فى المحاسن، بإسناده عن أبى عبيده عن أبى جعفر (ع) فى حديث قال: يا زياد ويحك و هل الدين إلا الحب. أ لا ترى إلى قول الله: « إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ - وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » أ و لا ترون إلى قول الله لمحمد ص: « حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ » و قال: « يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ » و قال: الدين هو الحب و الحب هو الدين.

و فى المجمع، و فى الحديث: لا- يجتمع الشح و الإيمان فى قلب رجل مسلم، و لا يجتمع غبار فى سبيل الله- و دخان جهنم فى جوف رجل مسلم.

و فى الفقيه، روى الفضل بن أبى قره السمنى قال: قال لى أبو عبد الله (ع): أ تدرى من الشحيح؟ قلت: هو البخيل. قال: الشح أشد من البخل إن البخيل يبخل بما فى يده- و الشحيح يشح بما فى أيدي الناس و على ما فى يده- حتى لا يرى فى أيدي الناس شيئا- إلا تمنى أن يكون له بالحل و الحرام، و لا يقنع بما رزقه الله عز و جل.

## [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٧]

### اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيَنَّ الْأَافَّاكُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِى صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)

ص: ٢١٠

إشاره إلى حال المنافقين و وعدهم لبنى النضير بالنصر إن قوتلوا و الخروج معهم إن أخرجوا و تكذيبهم فيما وعدوا.

قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ « إِيخ، الإخوان كالأخوه جمع أخ و الأخوه الاشتراك فى الانتساب إلى أب و يتوسع فيه فيستعمل فى المشتركين فى اعتقاد أو صداقه و نحو ذلك، و يكثر استعمال الأخوه فى المشتركين فى النسبه إلى أب و استعمال الإخوان فى المشتركين فى اعتقاد و نحوه على ما قيل.

و الاستفهام فى الآيه للتعجب، و المراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبى و أصحابه، و المراد بإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بنو النضير على ما يؤيده السياق فإن مفاد الآيات

أنهم كانوا قوما من أهل الكتاب دار أمرهم بين الخروج والقتال بعد قوم آخر كذلك و ليس إلا بنى النضير بعد بنى قينقاع.

وقوله: «لئن أُخْرِجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ» مقول قول المنافقين، واللام في «لئن أُخْرِجْتُمْ» للقسم أى نقسم لئن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجن من ديارنا معكم ملازمين لكم ولا نطيع فيكم أى فى شأنكم أحدا يشير علينا بمفارقتكم أبدا، وإن قاتلكم المسلمون لنصرنكم عليهم.

وقوله: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» تكذيب لوعده المنافقين، وتصريح بأنهم لا يفون بوعدهم.

قوله تعالى: «لئن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لئن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ» تكذيب تفصيلي لوعدهم بعد تكذبه الإجمالى بقوله: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» وقد كرر فيه لام القسم، والمعنى: أقسم لئن أخرج بنو النضير لا يخرج معهم المنافقون، وأقسم لئن قوتلوا لا ينصرونهم.

قوله تعالى: «وَلئن نَصْرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ» إشاره إلى أن نصرهم على تقدير وقوعه منهم - ولن يقع أبدا - لا يدوم و لا ينفعهم بل يولون الأدبار فرارا ثم لا ينصرون بل يهلكون من غير أن ينصروهم أحد.

قوله تعالى: «لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله» إلخ، ضمائر الجمع للمنافقين، و الرهبة الخشية، والآية فى مقام التعليل لقوله: «وَلئن نَصْرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ» أى ذلك لأنهم يرهبونكم أشد من رهبتهم لله فلا يقاومونكم لو قاتلتهم ولا يشتون لكم.

و علل ذلك بقوله: «ذلك بأنهم قوم لا يفقهون» والإشارة بذلك إلى كون رهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله أى رهبتهم لكم كذلك لأنهم قوم لا يفهمون حق الفهم و لو فقهوا حقيقه الأمر بأن لهم أن الأمر إلى الله تعالى و ليس لغيره من الأمر شىء سواء فى ذلك المسلمون و غيرهم، و لا يقوى غيره تعالى على عمل خير أو شر أو نافع أو ضار إلا بحول منه تعالى و قوه فلا ينبغى أن يهرب إلا هو عز و جل.

قوله تعالى: «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُورٍ» بيان لأثر رهبتهم و جنبهم جميعا و المعنى: لا يقاتلكم بنو النضير و المنافقون جميعا بأن يبرزوا بل فى قري حصينه محكمه أو من وراء جدر من غير بروز.

وقوله: «بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» أى هم فيما بينهم شديد البطش غير أنهم إذا برزوا لحربكم و شاهدوكم يجبنون بما ألقى الله فى قلوبهم من الرعب.

وقوله: «تَحَسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» أى تظن أنهم مجتمعون فى ألفه و اتحاد و الحال أن قلوبهم متفرقه غير متحده و ذلك أقوى عامل فى الخزى و الخذلان. ذلك بأنهم قوم لا يعقلون و لو عقلوا لاتحدوا و وحدوا الكلمه.

وقوله تعالى: «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذُاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» الوبال العاقبه السيئه و قوله: «قَرِيباً» قائم مقام الظروف منصوب على الظرفيه أى فى زمان قريب.

وقوله: «كَمَثَلِ» إلخ، خبر مبتدأ محذوف و التقدير «مثلهم كمثله» إلخ، و المعنى:

مثلهم أى مثل بنى النضير من اليهود فى نقضهم العهد و وعد المنافقين لهم بالنصر كذبا ثم الجلاء مثل الذين من قبلهم فى زمان قريب و هم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينه نقضوا العهد بعد غزوه بدر فأجلاهم رسول الله ص إلى أذرعات و قد كان وعدهم المنافقون أن يكلموا النبى ص فيهم و يمنعه من إجلائهم فغدروا بهم فذاق بنو قينقاع و بال أمرهم و لهم فى الآخره عذاب أليم و قيل: المراد بالذين من قبلهم كفار مكه يوم بدر و ما تقدم أنسب للسياق.

و المثل على أى حال مثل لبنى النضير لا للمنافقين على ما يعطيه السياق.

وقوله تعالى: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ» إلخ، ظاهر السياق أنه مثل للمنافقين فى غرورهم بنى النضير بوعد النصر ثم خذلانهم عند الحاجه.

و ظاهر سياق يفيد أن المراد بالشيطان و الإنسان الجنس و الإشاره إلى غرور الشيطان للإنسان بدعوته إلى الكفر بتزيين أمتعته الحياه له و تسويل الأعراض عن الحق بمواعيده الكاذبه و الأمانى السرابيه حتى إذا طلعت له طلائع الآخره و عاين أن ما اغتر به من أمانى الحياه الدنيا لم يكن إلا سرابا يغره و خيالا يلعب به تبرأ منه الشيطان و لم يف بما وعده و قال: إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين.

و بالجمله مثل المنافقين فى دعوتهم بنى النضير إلى مخالفه النبى ص و وعدهم النصر ثم الغدر بهم و خلف الوعد كمثله هذا الشيطان فى دعوه الإنسان إلى الكفر بمواعيده الكاذبه

ثم تبريه منه بعد الكفر عند الحاجة.

وقيل: المراد بالتمثيل الإشارة إلى قصة برصيصا العابد الذي زين له الشيطان الفجور ففجر بامرأه ثم كفر و سيأتى القصة فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

وقيل: المثل السابق المذكور فى قوله: «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً» مثل كفار مكة يوم بدر- كما تقدم- والمراد بالإنسان فى هذا المثل أبو جهل و بقول الشيطان له اكفر ما قصه الله تعالى بقوله فى القصة: «وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ»: الأنفال: ٤٨.

و على هذا الوجه فقول الشيطان: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» قول جدى لأنه كان يخاف تعذيب الملائكة النازلين لنصره المؤمنين ببدر و أما على الوجهين الأولين فهو نوع من الاستهزاء و الإخزاء.

قوله تعالى: «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» الظاهر أن ضمائر التشبيه للشيطان و الإنسان المذكورين فى المثل فى الآيه بيان عاقبه الشيطان فى غروره الإنسان و إضلاله و الإنسان فى اغتراره به و ضلاله، و إشارة إلى أن ذلك عاقبه المنافقين فى وعدهم لبنى النضير و غدرهم بهم و عاقبه بنى النضير فى اغترارهم بوعدهم الكاذب و إصرارهم على المشاقه و المخالفه، و معنى الآيه ظاهر.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن إسحاق و ابن المنذر و أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس: " أن رهطاً من بنى عوف بن الحارث- منهم عبد الله بن أبى بن سلول- و وديعه بن مالك و سويد و داعس- بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا- فإننا لا- نسلمكم و إن قوتلتم قاتلنا معكم، و إن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم- فلم يفعلوا و قذف الله الرعب فى قلوبهم.

فسألوا رسول الله ص أن يجعلهم و يكف عن دمائهم- على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا- الحلقة- ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته- فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به



فخرجوا إلى خيبر و منهم من سار إلى الشام.

أقول: و الروايه تخالف ما فى عدده من الروايات: أن النبى ص هو الذى عرض لهم أن يخرجوا-بما تحمله الإبل من الأموال فلم يقبلوا-ثم رضوا بذلك بعد أيام فلم يقبل النبى ص-إلا أن يخرجوا بأنفسهم و أهليهم-من غير أن يحملوا شيئاً فخرجوا كذلك- و جعل النبى ص لكل ثلاثه منهم بعيراً و سقاء.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس " : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا » قال: عبد الله بن أبى بن سلول-و رفاعه بن تابوت و عبد الله بن نبتل و أوس بن قيطى. و « لِأَخْوَانِهِمْ » بنو النضير.

أقول: المراد به عد بعضهم فلا ينافى ما فى الروايه السابقه.

و فيه، أخرج ابن أبى الدنيا فى مكاييد الشيطان و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعه الدارمى يبلغ به النبى ص قال: كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جاريه-فحنقها فألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب-فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها-فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده.

فأتاه الشيطان فوسوس له و زين له-فلم يزل به حتى وقع عليها-فلما حملت و سوس له الشيطان فقال: الآن تفتضح يأتىك أهلها فاقتلها-فإن أتوك فقل: ماتت فقتلها و دفنها- فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم-و ألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها-فأتاه أهلها فسألوه فقال: ماتت فأخذوه.

فأتاه الشيطان فقال: أنا الذى ألقى فى قلوب أهلها، و أنا الذى أوقعتك فى هذا- فأطعنى تنج و اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين-فهو الذى قال الله: « كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ » الآية.

أقول: و القصة مشهوره رويت مختصره و مفصله فى روايات كثيره.

## [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٨ الى ٢٤]

### إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

الذى تتضمنه الآيات الكريمة كالنتيجة المأخوذة مما تقدم من آيات السوره فقد أشير فيها إلى مشاقه بنى النصير من اليهود و نقضهم العهد و ذاك الذى أوقعهم فى خسران دنياهم و أخراهم، و تحريض المنافقين لهم على مشاقه الله و رسوله و هو الذى أهلكتهم، و حقيقه السبب فى ذلك أنهم لم يراقبوا الله فى أعمالهم و نسوه فأنساهم أنفسهم فلم يختاروا ما فيه خير أنفسهم و صلاح عاجلهم و آجلهم فتاهوا و هلكوا.

فعلى من آمن بالله و رسوله و اليوم الآخر أن يذكر ربه و لا ينساه و ينظر فيما يقدمه من العمل ليوم الرجوع إلى ربه فإن ما عمله محفوظ عليه يحاسبه به الله يومئذ فيجازيه عليه جزاء لازما لا يفارقه.

و هذا هو الذى يرومه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتُنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآيات فتندب المؤمنين إلى أن يذكروا الله سبحانه و لا ينسوه و ينظروا فى أعمالهم

التي على صلاحها و صلاحها يدور رحى حياتهم الآخرة فيراقبوا أعمالهم أن تكون صالحه خالصه لوجهه الكريم مراقبه مستمره ثم يحاسبوا أنفسهم فيشكروا الله على ما عملوا من حسنه و يوبخوها و يجزوها على ما اقترفت من سيئه و يستغفروا.

و ذكر الله تعالى بما يليق بساحه عظمته و كبريائه من أسمائه الحسنی و صفاته العليا التي بينها القرآن الكريم في تعليمه هو السبيل الوحيد الذي ينتهي بسالكة إلى كمال العبوديه و لا كمال للإنسان فوقه.

و ذلك أن الإنسان عبد محض و مملوك طلق لله سبحانه فهو مملوك من كل جهه مفروضه لا-استقلال له من جهه كما أنه تعالى مالكة من كل جهه مفروضه له الاستقلال من كل جهه، و كمال الشىء محوضته في نفسه و آثاره فكمال الإنسان في أن يرى نفسه مملوكا لله من غير استقلال و أن يتصف من الصفات بصفات العبوديه كالخضوع و الخشوع و الذله و الاستكانه و الفقر بالنسبه إلى ساحه العظمه و العزه و الغنى و أن تجرى أعماله و أفعاله على ما يريد الله لا ما يهواه نفسه من غير غفله في شىء من هذه المراحل الذات و الصفات و الأفعال.

و لا يتم له النظر إلى ذاته و صفاته و أفعاله بنظره التبعية المحضه و المملوكيه الطلقه إلا مع التوجه الباطنى إلى ربه الذى هو على كل شىء شهيد و بكل شىء محيط و هو القائم على كل نفس بما كسبت من غير أن يغفل عنه أو ينساه.

و عندئذ يطمئن قلبه كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: الرعد: ٢٨، و يعرف الله سبحانه بصفات كماله التي تتضمنها أسماؤه الحسنی، و يظهر منه قبال ذلك صفات عبوديته و جهات نقصه من خضوع و خشوع و ذله و فقر و حاجه.

و يتعقب ذلك أعماله الصالحه بدوام الحضور و استمرار الذكر، قال تعالى: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونََهُ وَ لَهُ يُسْجَدُونَ﴾: الأعراف: ٢٠٦ و قال: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: حم السجده: ٣٨.

و إلى ما ذكرنا من معرفته تعالى بصفات كماله و معرفه النفس بما يقابلها من صفات النقص و الحاجه يشير بمقتضى السياق قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ إلى آخر الآيات.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ إلى آخر

الآية، أمر للمؤمنين بتقوى الله و بأمر آخر و هو النظر فى الأعمال التى قدموها لىوم الحساب أ هى صالحه فلىرج بها ثواب الله أو طالحه فلىخش عقاب الله عليها و يتدارك بالتوبه و الإنابه و هو محاسبه النفس.

أما التقوى و قد فسر فى الحديث بالورع عن محارم الله فحىث تتعلق بالواجبات و المحرمات جمىعا كانت هى الاجتناب عن ترك الواجبات و فعل المحرمات.

و أما النظر فىما قدمت النفس لغد فهو أمر آخر وراء التقوى نسبته إلى التقوى كنسبه النظر الإصلاحي ثانىا من عامل فى عمله أو صانع فىما صنعه لتكميله و رفع نواقصه التى غفل عنها أو أخطأ فىها حىن العمل و الصنع.

فعلى المؤمنىن جمىعا أن يتقوا الله فىما وجه إىهم من التكالىف فىطبعوه و لا- يعصوه ثم ينظروا فىما قدموه من الأعمال التى يعىشون بها فى غد بعد ما حوسبوا بها أ صالح فىرجى ثوابه أم طالح فىخاف عقابه فىتوبوا إلى الله و يستغفروه.

و هذا تكلىف عام ىشمل كل مؤمن لحاجه الجمىع إلى إصلاح العمل و عدم كفاىه نظر بعضهم عن نظر الآخرىن غير أن القائم به من أهل الإىمان فى نهاىه القله بىحىث يكاد يلحق بالعدم و إلى ذلك يلوح لفظ الآية « وَ لَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ ».

فقوله: « وَ لَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » خطاب عام لجمىع المؤمنىن لكن لما كان المشغل بهذا النظر من بىن أهل الإىمان بل من بىن أهل التقوى منهم فى غاىه القله بل يكاد يلحق بالعدم لاشتغالهم بأعراض الدنيا و استغراق أوقاتهم فى تدبىر المعىشه و إصلاح أمور الحىاه ألقى الخطاب فى صوره الغىبه و علقه بنفس ما منكره فقال: « وَ لَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ » و فى هذا النوع من الخطاب مع كون التكلىف عاما بحسب الطبع عتاب و تقرىع للمؤمنىن مع التلوىح إلى قله من يصلح لامثاله منهم.

و قوله: « مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » استفهام من ماهىه العمل الذى قدمت لغد و بىان للنظر، و ىمكن أن تكون « مَّا » موصوله و هى و صلتها متعلقا بالنظر.

و المراد بغد ىوم القىامه و هو ىوم حساب الأعمال و إنما عبر عنه بغد للإشاره إلى قربه منهم كقرب الغد من أمسه، قال تعالى: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ يَرَاهُ قَرِيباً»: المعارج: ٧.

و المعنى: ىا أىها الذىن آمنوا اتقوا الله بطاعته فى جمىع ما يأمركم به و ىنهاكم عنه، و لتنظر نفس منكم فىما عملته من عمل و لتر ما الذى قدمته من عملها لىوم الحساب أ هو

عمل صالح أو طالح و هل عملها الصالح صالح مقبول أو مردود.

و قوله: « وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » أمر بالتقوى ثانيا و « إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ » إلخ، تعليل له و تعليل هذه التقوى بكونه تعالى خبيرا بالأعمال يعطى أن المراد بهذه التقوى الأمور بها ثانيا هي التقوى في مقام المحاسبه و النظر فيها من حيث إصلاحها و إخلاصها لله سبحانه و حفظها عما يفسدها، و أما قوله في صدر الآيه: « اتَّقُوا اللَّهَ » فالمراد به التقوى في أصل إتيان الأعمال بقصرها في الطاعات و تجنب المعاصي.

و من هنا تبين أن المراد بالتقوى في الموضوعين مختلف فالأولى هي التقوى في أصل إتيان الأعمال، و الثانيه هي التقوى في الأعمال المأتيه من حيث إصلاحها و إخلاصها.

و ظهر أيضا أن قول بعضهم: إن الأولى للتوبه عما مضى من الذنوب و الثانيه لانتقاء المعاصي في المستقبل غير سديد و مثله ما قيل: إن الأولى في أداء الواجبات و الثانيه في ترك المحرمات، و مثله ما قيل: إن الأمر الثاني لتأكيد الأمر الأول فحسب.

قوله تعالى: « وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » إلخ، النسيان زوال صوره المعلوم عن النفس بعد حصولها فيها مع زوال مبدئه و يتوسع فيه مطلق على مطلق الإعراض عن الشيء بعدم ترتيب الأثر عليه قال تعالى: « وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَ مَا أَوْكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ »: الجاثيه: ٣٤.

و الآيه بحسب لب معناها كالتأكيد لمضمون الآيه السابقه كأنه قيل: قدموا ليوم الحساب و الجزاء عملا صالحا تحيي به أنفسكم و لا تنسوه. ثم لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماؤه الحسنى و صفاته العليا التي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتيه من الذله و الفقر و الحاجه فيتوهم الإنسان نفسه مستقله في الوجود و يخيل إليه أن له لنفسه حياه و قدره و علما و سائر ما يترأى له من الكمال و نظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونيه الظاهريه تؤثر فيه و تتأثر عنه.

و عند ذلك يعتمد على نفسه و كان عليه أن يعتمد على ربه و يرجو و يخاف الأسباب الظاهريه و كان عليه أن يرجو و يخاف ربه، يطمئن إلى غير ربه و كان عليه أن يطمئن إلى ربه.

و بالجملة ينسى ربه و الرجوع إليه و يعرض عنه بالإقبال إلى غيره، و يتفرع عليه أن ينسى نفسه فإن الذي يخيل إليه من نفسه أنه موجود مستقل الوجود يملك ما ظهر فيه

من كمالات الوجود و إليه تدبير أمره مستمدا مما حوله من الأسباب الكونية و ليس هذا هو الإنسان بل الإنسان موجود متعلق الوجود جهل كله عجز كله ذله كله فقر كله و هكذا، و ما له من الكمال كالوجود و العلم و القدره و العزه و الغنى و هكذا فلربه و إلى ربه انتهاؤه و نظراؤه في ذلك سائر الأسباب الكونية.

و الحاصل لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حول النهى عن نسيان النفس في الآيه إلى النهى عن نسيانه تعالى لأن انقطاع المسبب بانقطاع سببه أبلغ و أكد، و لم يقنع بمجرد النهى الكلى عن نسيانه بأن يقال: و لا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم بل جرى بمثل إعطاء الحكم بالمثال ليكون أبلغ في التأثير و أقرب إلى القبول فنهاهم أن يكونوا كالذين نسوا الله مشيرا به إلى من تقدم ذكرهم من يهود بنى النضير و بنى قينقاع و من حاله حالهم في مشاقه الله و رسوله.

فقال: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ» ثم فرع عليه قوله: «فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ» تفريع المسبب على سببه ثم عقبه بقوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فدل على أنهم فاسقون حقا خارجون عن زى العبودية.

و الآيه و إن كانت تنهى عن نسيانه تعالى المتفرع عليه نسيان النفس لكنها بورودها في سياق الآيه السابقه تأمر بذكر الله و مراقبته.

فقد بان من جميع ما تقدم في الآيتين أن الآيه الأولى تأمر بمحاسبه النفس و الثانيه تأمر بالذكر و المراقبة.

قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ» قال الراغب: الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامه انتهى. و السياق يشهد بأن المراد بأصحاب النار هم الناسون لله و بأصحاب الجنه هم الذاكرون لله المراقبون.

و الآيه حجه تامه على وجوب اللحوق بالذاكرين لله المراقبين له دون الناسين، تقريرها أن هناك قبيلين لا- ثالث لهما و هما الذاكرون لله و الناسون له لا- بد للإنسان أن يلحق بأحدهما و ليسا بمساويين حتى يتساوى اللحوقان و لا يبالي الإنسان بأيهما لحق؟ بل هناك راجح و مرجوح يجب اختيار الراجح على المرجوح و الرجحان لقبيل الذاكرين لأنهم الفائزون لا غير فالترجيح لجانبهم فمن الواجب لكل نفس أن يختار اللحوق بقبيل الذاكرين.

قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» إلخ، في المجمع: التصدع التفرق بعد التلاؤم و مثله التفطر انتهى.

و الكلام مسوق سوق المثل مبنى على التخيل و الدليل عليه قوله في ذيل الآية: «و تَلِكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ» إلخ.

و المراد تعظيم أمر القرآن بما يشتمل عليه من حقائق المعارف و أصول الشرائع و العبر و المواعظ و الوعد و الوعيد و هو كلام الله العظيم، و المعنى: لو كان الجبل مما يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته-مع ما فيه من الغلظه و القسوه و كبر الجسم و قوه المقاومه قبال النوازل-متأثرا متفرقا من خشيه الله فإذا كان هذا حال الجبل بما هو عليه فالإنسان أحق بأن يخشع لله إذا تلاه أو تلى عليه، و ما أعجب حال أهل المشاقه و العناد لا تلين قلوبهم له و لا يخشعون و لا يخشون.

و الالتفات من التكلم مع الغير إلى الغيبه في قوله: «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» للدلاله على عله الحكم فإنما يخشع و يتصدع الجبل بنزول القرآن لأنه كلام الله عز اسمه.

و قوله: «و تَلِكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» من وضع الحكم الكلى موضع الجزئى للدلاله على أن الحكم ليس ببدع في مورده بل جار سار في موارد أخرى كثيره.

فقوله: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ» إلخ، مثل ضربه الله للناس في أمر القرآن لتقريب عظمته و جلاله قدره بما أنه كلام الله تعالى و بما يشتمل عليه من المعارف رجا أن يتفكر فيه الناس فيتلقوا القرآن بما يليق به من التلقى و يتحققوا بما فيه من الحق الصريح و يهتدوا إلى ما يهدى إليه من طريق العبوديه التي لا- طريق إلى كمالهم و سعادتهم وراءها، و من ذلك ما ذكر في الآيات السابقه من المراقبه و المحاسبه.

قوله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» هذه الآية و الآيتان بعدها و إن كانت مسوقه لتعداد قبيل من أسمائه تعالى الحسنی و الإشارة إلى تسميته تعالى بكل اسم أحسن و تنزهه بشهاده ما فى السماوات و الأرض لكنها بانضمامها إلى ما مر من الأمر بالذكر تفيد أن على الذاكرين أن يذكروه بأسمائه الحسنی فيعرفوا أنفسهم بما يقابلها من أسماء النقص، فافهم ذلك.

و بانضمامها إلى الآية السابقه و ما فيها من قوله: «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» تفيد تعليل خشوع الجبل و تصدعه من خشيه الله كأنه قيل: و كيف لا و هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب

و الشهاده، إلى آخر الآيات.

و قوله: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» يفيد الموصول و الصلته معنى اسم من أسمائه و هو وحدانيته تعالى فى ألوهيته و معبوديته، و قد تقدم بعض ما يتعلق بالتهليل فى تفسير قوله تعالى: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: البقره: ١٦٣.

و قوله: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» الشهاده هى المشهود الحاضر عند المدرك و الغيب خلافها و هما معنيان إضافيان فمن الجائز أن يكون شىء شهاده بالنسبه إلى شىء و غيبا بالنسبه إلى آخر و يدور الأمر مدار نوع من الإحاطه بالشىء حسا أو خيالا أو عقلا أو وجودا و هو الشهاده و عدمها و هو الغيب، و كل ما فرص من غيب أو شهاده فهو من حيث هو محاط له تعالى معلوم فهو تعالى عالم الغيب و الشهاده و غيره لا علم له بالغيب لمحدوديه وجوده و عدم إحاطته إلا ما علمه تعالى كما قال: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ»: الجن: ٢٧، و أما هو تعالى فغيب على الإطلاق لا سبيل إلى الإحاطه به لشىء أصلا كما قال: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا».

و قوله: «هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قد تقدم الكلام فى معنى الاسمين فى تفسير سوره الفاتحه.

قوله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» إلخ، الملك هو المالك لتدبير أمر الناس و الحكم فيهم، و القدوس مبالغه فى القدس و هو النزاهه و الطهاره، و السلام من يلايك بالسلام و العافيه من غير شر و ضر، و المؤمن الذى يعطى الأمن، و المهيمن الفائق المسيطر على الشىء.

و العزيز الغالب الذى لا يغلبه شىء أو من عنده ما عند غيره من غير عكس، و الجبار مبالغه من جبر الكسر أو الذى تنفذ إرادته و يجبر على ما يشاء، و المتكبر الذى تلبس بالكبرياء و ظهر بها.

و قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ثناء عليه تعالى كما فى قوله: «وَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ»: البقره: ١١٦.

قوله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ» إلى آخر الآيه، الخالق هو الموجد للأشياء عن تقدير، و البارئ المنشىء للأشياء ممتازا بعضها من بعض، و المصور المعطى لها صورا يمتاز بها بعضها من بعض، و الأسماء الثلاثه تتضمن معنى الإيجاد باعتبارات مختلفه و بينها ترتب فالتصوير فرع البرء و البرء فرع الخلق و هو ظاهر.



و إنما صدر الآيتين السابقتين بقوله: «الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فوصف به «اللَّهُ» و عقبه بالأسماء بخلاف هذه الآية إذ قال: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ» إلخ.

لأن الأسماء الكريمة المذكورة في الآيتين السابقتين و هي أحد عشر اسما من لوازم الربوبية و مالكيه التدبير التي تتفرع عليها الألوهية و المعبودية بالحق و هي على نحو الأصل و الاستقلال لله سبحانه وحده لا شريك له في ذلك فاتصافه تعالى وحده بها يستوجب اختصاص الألوهية و استحقاق المعبودية به تعالى.

فالأسماء الكريمة بمنزله التعليل لاختصاص الألوهية به تعالى كأنه قيل لا- إله إلا- هو لأنه عالم الغيب و الشهاده هو الرحمن الرحيم، و لذا أيضا ذيل هذه الأسماء بقوله ثناء عليه:

«سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ردا على القول بالشركاء كما يقوله المشركون.

و أما قوله: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ» فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنى الخلق و الإيجاد و اختصاص ذلك به تعالى لا يستوجب اختصاص الألوهية به كما يدل عليه أن الوثنيين قائلون باختصاص الخلق و الإيجاد به تعالى و هم مع ذلك يدعون من دونه أربابا و آلهه و يثبتون له شركاء.

و أما وقوع اسم الجلاله في صدر الآيات الثلاث جميعا فهو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به و يجرى عليه جميع الأسماء و في التكرار مزيد تأكيد و تثبيت للمطلوب.

و قوله: «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» إشاره إلى بقيه الأسماء الحسنی عن آخرها لكون الأسماء جمعا محلي باللام و هو يفيد العموم.

و قوله: «يَسْبِغُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى جميع ما فى العالم من المخلوقات حتى نفس السماوات و الأرض و قد تقدم توضيح معنى الجملة مرارا.

ثم ختم الآيات بقوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى الغالب غير المغلوب الذى فعله متقن لا مجازفه فيه فلا يعجزه فيما شرعه و دعا إليه معصيه العاصين و لا مشاقه المعاندين و لا يضيع عنده طاعه المطيعين و أجر المحسنين.

و العناية إلى ختم الكلام بالاسمين و الإشاره بذلك إلى كون القرآن النازل من عنده كلام عزيز حكيم هو الذى دعا إلى تكرار اسمه العزيز و ذكره مع الحكيم مع تقدم ذكره بين الأسماء.

وقد وصف القرآن أيضا بالعزه والحكمه كما قال: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ»: حم السجده:

٤١، وقال: «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ»: يس: ٢.

### (بحث روائى)

فى المجمع: فى قوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ»: عن أبى جعفر (ع) قال: الغيب ما لم يكن و الشهاده ما قد كان.

أقول: و هو تفسير ببعض المصاديق، و قد أوردنا أحاديث عنهم (ع) فى معنى اسم الجلاله و الاسمين الرحمن الرحيم فى ذيل تفسير البسملة من سوره الفاتحه.

و فى التوحيد، بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر (ع) فى حديث: لم يزل حيا بلا حياه و ملكا قادرا- قبل أن ينشئ شيئا و ملكا جبارا- بعد إنشائه للكون.

أقول: قوله: لم يزل حيا بلا حياه أى بلا حياه زائده على الذات، و قوله: لم يزل ملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا إرجاع للملك و هو من صفات الفعل إلى القدره و هى من صفات الذات ليستقيم تحققه قبل الإيجاد.

و فى الكافى، بإسناده عن هشام الجواليقى قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله:

«سُبْحَانَ اللَّهِ» ما يعنى به؟ قال: تنزيهه.

و فى نهج البلاغه: و الخالق لا بمعنى حركه و نصب.

أقول: و قد أوردنا عده من الروايات فى الأسماء الحسنى و إحصائها فى البحث عن الأسماء الحسنى فى الجزء الثامن من الكتاب.

و فى النبوى المشهور: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا- و زنوا قبل أن توزنوا و تجهزوا للغرض الأكبر.

و فى الكافى، بإسناده إلى أبى الحسن الماضى (ع) قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم- فإن عمل حسنا ازداد الله شكرا- و إن عمل سيئا استغفر الله و تاب إليه.

أقول: و فيما يقرب من هذا المعنى روايات أخر، و قد أوردنا روايات عنهم (ع) فى معنى ذكر الله فى ذيل تفسير قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ» X الآيه X: البقره:

١٥٢، و قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»: الأحزاب: ٢١، فليراجعها من شاء.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسَّيِّئَاتُ بِالسُّوءِ وَدُؤَالَهُمْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَابْعَثْنَا رَجُلًا مِّنْ دُونِنَا لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مِنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا كِتَابًا وَسِعًا وَسِعَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسَطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

تذكر السوره موالاه المؤمنين لأعداء الله من الكفار و موادتهم و تشدد النهى عن ذلك تفتتح به و تختتم و فيها شىء من أحكام النساء المهاجرات و بيعه المؤمنات، و كونها مدنيه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ الخ، سياق الآيات يدل على أن بعض المؤمنين من المهاجرين كانوا يسرون المواده إلى المشركين بمكه ليحموا بذلك من بقى من أرحامهم و أولادهم بمكه بعد خروجهم أنفسهم منها بالمهاجره إلى المدينه فنزلت الآيات و نهاهم الله عن ذلك، و يتأيد بهذا ما ورد أن الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعه أسر كتابا إلى المشركين بمكه يخبرهم فيه بعزم رسول الله ص على الخروج إليها لفتحها، فعل ذلك ليكون يدا له عليهم يقى بها من كان بمكه من أرحامه و أولاده فأخبر الله بذلك نبيه ص و نزلت، و ستوافيك قصته فى البحث الروائى التالى إن شاء الله تعالى.

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدْوِي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ العدو معروف و يطلق على الواحد و الكثير و المراد فى الآيه هو الكثير بقريته قوله: أَوْلِيَاءَ و إِلَيْهِمْ و غير

ذلك، وهم المشركون بمكة، وكونهم عدوه من جهة اتخاذهم له شركاء يعبدونهم ولا يعبدون الله و يردون دعوته و يكذبون رسوله، و كونهم أعداء للمؤمنين لإيمانهم بالله و تفديتهم أموالهم و أنفسهم فى سبيله فمن يعادى الله يعاديهم.

و ذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفايه ذكر عداوتهم لله فى سوق النهى لتأكيد التحذير و المنع كأنه قيل: من كان عدوا لله فهو عدو لكم فلا تتخذوه وليا.

و قوله: «تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ» بالمودة مفعول «تُلْقُونَ» و الباء زائدة كما فى قوله:

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» البقرة: ١٩٥، و المراد بإلقاء المودة إظهارها أو إيصالها، و الجملة صفة أو حال من فاعل «لَا تَتَّخِذُوا».

و قوله: «وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ» هو الدين الحق الذى يصفه كتاب الله و يدعو إليه النبى ص، و الجملة حالیه.

و قوله: «يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ» الجملة حالیه و المراد بإخراج الرسول و إخراجهم اضطرارهم الرسول و المؤمنین إلى الخروج من مكة و المهاجرة إلى المدينة، و «أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ» بتقدير اللام متعلق بيخرجون، و المعنى: يجبرون الرسول و إياكم على المهاجرة من مكة لإيمانكم بالله ربكم.

و توصيف الله بقوله: «رَبُّكُمْ» للإشارة إلى أنهم يؤاخذونهم على أمر حق مفروض ليس بجرم فإن إيمان الإنسان بربه مفروض عليه و ليس من الجرم فى شىء.

و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي» متعلق بقوله: «لَا تَتَّخِذُوا» و جزاء الشرط محذوف يدل عليه المتعلق، و «جِهَادًا» مصدر مفعول له، و «ابْتِغَاءَ» بمعنى الطلب و «المرضاة» مصدر كالرضا، و المعنى: لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء إن كنتم هاجرتهم للمجاهدة فى سبيلى و لطلب رضاى.

و تقييد النهى عن ولائهم و اشتراطه بخروجهم للجهاد و ابتغائهم مرضاته من باب اشتراط الحكم بأمر محقق الوقوع تأكيدا له و إيذانا بالملازمة بين الشرط و الحكم كقول الوالد لولده:

إن كنت ولدى فلا تفعل كذا.

و قوله: «تُسَبِّحُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» أسررت إليه حديثا أى أفضيت إليه فى خفيه فمعنى «تُسَبِّحُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ» تطلعونهم على ما تسرون من مودتهم على ما قاله الراغب-و الإعلان خلاف الإخفاء، و «أَنَا أَعْلَمُ» إلخ، حال من

فاعل «تُسِرُّونَ» و«أَعْلَمُ» اسم تفضيل، و احتمال بعضهم أن يكون فعل المتكلم وحده من المضارع متعديا بالباء لأن العلم ربما يتعدى بها.

و جمله: «تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ» إلخ، استئناف بيانيه كأنه قيل بعد استماع النهى السابق:

ما ذا فعلنا فأجيب: تطلعونهم سرا على مودتكم لهم و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أظهرتم أى أنا أعلم بقولكم و فعلكم علما يستوى بالنسبه إليه إخفاؤكم و إظهاركم.

و منه يعلم أن قوله: «بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» معا يفيدان معنى واحدا و هو استواء الإخفاء و الإعلان عنده تعالى لإحاطته بما ظهر و ما بطن فلا يرد أن ذكر «بِمَا أَخْفَيْتُمْ» يغنى عن ذكر «مَا أَعْلَنْتُمْ» لأن العالم بما خفى عالم بما ظهر بطريق أولى.

و قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» الإشاره بذلك إلى إسرار الموده إليهم و هو الموالاه، و«سَوَاءَ السَّبِيلِ» من إضافه الصفه إلى الموصوف أى السبيل السوى و الطريق المستقيم و هو مفعول «ضَلَّ» أو منصوب بنزع الخافض و التقدير فقد ضل عن سواء السبيل، و السبيل سبيل الله تعالى.

قوله تعالى: «إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً» إلخ، قال الراغب: الثقف - بالفتح فالسكون - الحذق فى إدراك الشىء و فعله. قال: و يقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق فى النظر ثم يتجاوز به فيستعمل فى الإدراك و إن لم يكن معه ثقافه. انتهى.

و فسره غيره بالظفر و لعله بمعونه مناسبه المقام، و المعنيان متقاربان.

و الآيه مسوقه لبيان أنه لا ينفعهم الإسرار بالموده للمشركين فى جلب محبتهم و رفع عداوتهم شيئا و أن المشركين على الرغم من إلقاء الموده إليهم أن يدركوهم و يظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغير ما فى قلوبهم من العداوه.

و قوله: «وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» بمنزله عطف التفسير لقوله: «يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً» و بسط الأيدى بالسوء كناية عن القتل و السبى و سائر أنحاء التعذيب و بسط الألسن بالسوء كناية عن السب و الشتم.

و الظاهر أن قوله: «وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» عطف على الجزاء و الماضى بمعنى المستقبل كما يقتضيه الشرط و الجزاء، و المعنى: أنهم يبسطون إليكم الأيدى و الألسن بالسوء و يودون بذلك لو تكفرون كما كانوا يفتنون المؤمنين بمكته و يعذبونهم يودون بذلك أن يرتدوا عن دينهم. و الله أعلم.

قوله تعالى: «لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» دفع لما يمكن أن يتوهم عذرا للإلقاء الموده إليهم إن في ذلك صيانه لأرحامهم و أولادهم الذين تركوهم بمكة بين المشركين من أذاهم.

و الجواب أن أمامكم يوما تجازون فيه على معصيتكم و طالح عملكم و منه موالاه الكفار و لا- ينفعكم اليوم أرحامكم و لا أولادكم الذين قدمتم صيانتهم من أذى الكفار على صيانه أنفسكم من عذاب الله بترك موالاه الكفار.

و قوله: «يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ» أى يفصل الله يوم القيامة بينكم بتقطع الأسباب الدنيويه كما قال تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ»: المؤمنون: ١٠١، و ذلك أن القرابه و هى انتهاء إنسانين أو أكثر إلى رحم واحده إنما تؤثر آثارها من الرحمه و الموده و الألفه و المعاونه و المعاضده و العصبية و الخدمه و غير ذلك من الآثار فى ظرف الحياه الاجتماعيه التى تسوق الإنسان إليه حاجته إليها بالطبع بحسب الآراء و العقائد الاعتباريه التى أوجدها فيه فهمه الاجتماعى، و لا خبر عن هذه الآراء فى الخارج عن ظرف الحياه الاجتماعيه.

و إذا برزت الحقائق و ارتفع الحجاب و انكشف الغطاء يوم القيامة ضلت عن الإنسان هذه الآراء و المزاعم و انقطعت روابط الاستقلال بين الأسباب و مسبباتها كما قال تعالى:

«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ»: الأنعام: ٩٤، و قال: «و رَأُوا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ»: البقره: ١٦٦.

فيومئذ تتقطع رابطة الأنساب و لا- ينتفع ذو قرابه من قرابته شيئا فلا- ينبغى للإنسان أن يخون الله و رسوله بموالاه أعداء الدين لأجل أرحامه و أولاده فليسوا يغنونه عن الله يومئذ.

و قيل: المراد أنه يفرق الله بينكم يوم القيامة بما فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»: عبس: ٣٧، و الوجه السابق أنسب للمقام.

و قيل: المراد أنه يميز بعضكم يومئذ من بعض فيدخل أهل الإيمان و الطاعه الجنه، و أهل الكفر و المعصيه النار و لا يرى القريب المؤمن فى الجنه قريبه الكافر فى النار.

و فيه أنه و كان لا بأس به فى نفسه لكنه غير مناسب للمقام إذ لا دلالة فى المقام على

كفر أرحامهم و أولادهم.

و قيل: المراد بالفصل فصل القضاء و المعنى: أن الله يقضى بينكم يوم القيامة.

و فيه ما فى سابقه من عدم المناسبه للمورد فإن فصل القضاء إنما يناسب الاختلاف كما فى قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»: السجده:

٢٠، و لا ارتباط فى الآيه بذلك.

و قوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» متمم لقوله: «لَنْ تَنْفَعَكُمْ» كالمؤكد له و المعنى:

لن تنفعكم أرحامكم و لا أولادكم يوم القيامة فى رفع تبعه هذه الخيانه و أمثالها و الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه ما هى هذه الخيانه فيؤاخذكم عليها لا محاله.

قوله تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ» إلى آخر الآيتين، و الخطاب للمؤمنين، و الأسوه الاتباع و الاقتداء، و فى قوله: «وَالَّذِينَ مَعَهُ» بظاهره دلالة على أنه كان معه من آمن به غير زوجته و لوط.

و قوله: «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى إنا بريئون منكم و من أصنامكم بيان لما فيه الأسطوره و الاقتداء.

و قوله: «كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَأَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ» بيان لمعنى البراءه بأثرها و هو الكفر بهم و عداوتهم ما داموا مشركين حتى يوحداوا الله سبحانه.

و المراد بالكفر بهم الكفر بشركهم بدليل قوله: «حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ»، و الكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملا كما أن العداوه بينونه و مخالفه قلبا.

فقد فسروا براءتهم منهم بأمر ثلاثة: مخالفتهم لشركهم عملا، و العداوه و البغضاء بينهم قلبا، و استمرار ذلك ما داموا على شركهم إلا أن يؤمنوا بالله وحده.

و قوله: «إِلَّا- قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ أَمَّا لَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ»، استثناء مما تدل عليه الجمل المتقدمه أن إبراهيم و الذين معه تبرءوا من قومهم المشركين قولا- مطلقا. و قطعوا أى رابطه تربطهم بالقوم و تصل بينهم إلا ما قال إبراهيم لأبيه:

«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» إلخ.

و لم يكن قوله: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» تولىا منه بل وعدا وعده إياه رجاء أن يتوب عن الشرك و يؤمن بالله وحده كما يدل عليه قوله تعالى: «وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا





عَنْ مَوْعِدِهِ وَعَدَلَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» :التوبة: ١١٤، حيث يفيد أنه (ع) إنما وعده لأنه لم يتبين له بعد أنه عدو لله راسخ في عداوته ثابت في شره فكان يرجو أن يرجع عن شره ويطمع في أن يتوب و يؤمن فلما تبين له رسوخ عداوته و يؤمن من إيمانه تبرأ منه.

على أن قوله تعالى في قصه محاجته أباه في سورة مريم: «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَ أَعْتَرْتُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» :مريم: ٤٨، يتضمن وعده أباه بالاستغفار وإخباره بالاعتزال و لو كان وعده الاستغفار توليا منه لأبيه لكان من الحرى أن يقول: و اعتزل القوم، لا أن يقول: و أعتزلكم فيدخل أباه فيمن يعتزلهم و ليس الاعتزال إلا التبرى.

فالاستثناء استثناء متصل من أنهم لم يكلموا قومهم إلا بالتبرى و المحصل من المعنى:

أنهم إنما ألقوا إليهم القول بالتبرى إلا- قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك فلم يكن تبريا و لا توليا بل وعدا وعده أباه رجاء أن يؤمن بالله.

و هاهنا شيء و هو أن مؤدى آية التوبة « فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ » أن تبريه الجازم إنما كان بعد الوعد و بعد تبين عداوته لله، و قوله تعالى في الآية التي نحن فيها: « إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ » إخبار عن تبريهم الجازم القاطع فيكون ما وقع في الاستثناء من قول إبراهيم لأبيه وعدا واقعا قبل تبريه الجازم و من غير جنس المستثنى منه فيكون الاستثناء منقطعا لا متصلا.

و على تقدير كون الاستثناء منقطعا يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ » بما أنه مقيد بقوله: « إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ »، و المعنى: قد كان لكم اقتداء حسن بتبرى إبراهيم و الذين معه من قومهم إلا أن إبراهيم قال لأبيه كذا و كذا وعدا.

و أما على تقدير كون الاستثناء متصلا فالوجه ما تقدم، و أما كون المستثنى منه هو قوله: « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ »، و المعنى: لكم في إبراهيم أسوه في جميع خصاله إلا في قوله لأبيه: « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ » فلا أسوه فيه.

ففيه أن قوله: « لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ » الخ، غير مسوق لإيجاب التأسى بإبراهيم (ع) في جميع خصاله حتى يكون الوعد بالاستغفار أو نفس الاستغفار- و ذلك

من خصاله-مستثنى منها بل إنما سيق لإيجاب التأسي به في تربيته من قومه المشركين، و الوعد بالاستغفار رجاء للتوبه و الإيمان ليس من التبرى و إن كان ليس توليا أيضا.

و قوله: ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ تتمه قول إبراهيم(ع)، و هو بيان لحقيقه الأمر من أن سؤاله المغفره و طلبها من الله ليس من نوع الطلب الذى يملك فيه الطالب من المطلوب منه ما يطلبه، و إنما هو سؤال يدعو إليه فقر العبوديه و ذلتها قبال غنى الربوبيه و عزتها فله تعالى أن يقبل بوجهه الكريم فيستجيب و يرحم، و له أن يعرض و يمسك الرحمه فإنه لا يملك أحد منه تعالى شيئا و هو المالك لكل شىء، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾: المائدة: ١٧.

و بالجمله قوله: ﴿ مَا أَمْلِكُ ﴾ إلخ، نوع اعتراف بالعجز استدراكا لما يستشعر من قوله:

﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ من شائبه إثبات القدره لنفسه نظير قول شعيب(ع): ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ استدراكا لما يشعر به قوله لقومه: ﴿ إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾: هود:

٨٨، من إثبات القوه و الاستطاعه لنفسه بالأصالة و الاستقلال.

و قوله: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ إلخ، من تمام القول المنقول عن إبراهيم و الذين معه المندوب إلى التأسى بهم فيه، و هو دعاء منهم لربهم و ابتهاج إليه إثر ما تبرءوا من قومهم ذاك التبرى العنيف ليحفظهم من تبعاته و يغفر لهم فلا يخيبهم فى إيمانهم.

و قد افتتحوا دعاءهم بتقديمه يذكرون فيها حالهم فيما هم فيه من التبرى من أعداء الله فقالوا: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا ﴾ يعنون به أننا كنا فى موقف من الحياه تتمكن فيه أنفسنا و ندبر فيه أمورنا أما أنفسنا فأنبنا و رجعنا بها إليك و هو الإنابه، و أما أمورنا التى كان علينا تدبيرها فتركناها لك و جعلنا مشيتك مكان مشيتنا فأنت و كيلنا فيها تدبرها بما تشاء و كيف تشاء و هو التوكل.

ثم قالوا: ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ يعنون به أن مصير كل شىء من فعل أو فاعل فعل إليك فقد جرينا فى توكلنا عليك و إنابنا إليك مجرى ما عليه حقيقه الأمر من مصير كل شىء إليك حيث هاجرنا بأنفسنا إليك و تركنا تدبير أمورنا لك.

و قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ﴾ متن دعائهم يسألونه تعالى أن يعيدهم من تبعه تربيهم من الكفار و يغفر لهم.

و الفتنه ما يمتحن به، و المراد بجعلهم فتنه للذين كفروا تسليط الكفار عليهم ليمتحنهم فيخرجوا ما فى وسعهم من الفساد فيؤذوهم بأنواع الأذى أن آمنوا بالله و رفضوا آلهتهم و تبرءوا منهم و مما يعبدون.

و قد كرروا نداءه تعالى-ربنا-فى دعائهم مره بعد مره لإثاره الرحمه الإلهيه.

و قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى غالب غير مغلوب متقن لأفعاله لا يعجز أن يستجيب دعاءهم فيحفظهم من كيد أعدائه و يعلم بأى طريق يحفظ.

و للمفسرين فى تفسير الآيتين أنظار مختلفه أخرى أغمضنا عن إيرادها رعايه للاختصار من أرادها فليراجع المطولات.

قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» إلخ، تكرار حديث الأسوه لتأكيد الإيجاب و لبيان أن هذه الأسوه لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر، و أيضا أنهم كما يتأسى بهم فى تبريهم من الكفار كذلك يتأسى بهم فى دعائهم و ابتهالهم.

و الظاهر أن المراد برجائه تعالى رجاء ثوابه بالإيمان به و برجاء اليوم الآخر رجاء ما وعد الله و أعد للمؤمنين من الثواب، و هو كناية عن الإيمان.

و قوله: «وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» استغناء منه تعالى عن امثالهم لأمره بتبريهم من الكفار و أنهم هم المنتفعون بذلك و الله سبحانه غنى فى ذاته عنهم و عن طاعتهم حميد فيما يأمرهم و ينهاهم إذ ليس فى ذلك إلا صلاح حالهم و سعادته حياتهم.

قوله تعالى: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ضمير «مِنْهُمْ» للكفار الذين أمروا بمعاداتهم و هم كفار مكه، و المراد بجعل الموده بين المؤمنين و بينهم جعلها بتوفيقهم للإسلام كما وقع ذلك لما فتح الله لهم مكه، و ليس المراد به نسخ حكم المعاداه و التبرى.

و المعنى: مرجو من الله أن يجعل بينكم معشر المؤمنين و بين الذين عاديتم من الكفار و هم كفار مكه موده بتوفيقهم للإسلام فتتقلب المعاداه موده و الله قدير و الله غفور لذنوب عباده رحيم بهم إذا تابوا و أسلموا فعلى المؤمنين أن يرجوا من الله أن يبدل معاداتهم موده بقدرته و مغفرته و رحمته.

قوله تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ

«إلخ، في هذه الآيه و التي تتلوها توضيح للنهي الوارد في أول السوره، و المراد بالذين لم يقاتلوا المؤمنين في الدين و لم يخرجوهم غير أهل مكه ممن لم يقاتلوهم و لم يخرجوهم من ديارهم من المشركين من أهل المعاهده، و البر و الإحسان، و الأقساط المعامله بالعدل، و «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» بدل من «الَّذِينَ» إلخ، و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» تعليل لقوله: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ» إلخ.

و المعنى: لا ينهاكم الله بقوله: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّيَّ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» عن أن تحسنوا و تعاملوا بالعدل الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم لأن ذلك منكم أقساط و الله يحب المقسطين.

قيل: إن الآيه منسوخه بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» التوبه: ٥، و فيه أن الآيه التي نحن فيها لا تشمل بإطلاقها إلا أهل الذمه و أهل المعاهده و أما أهل الحرب فلا، و آيه التوبه إنما تشمل أهل الحرب من المشركين دون أهل المعاهده فكيف تنسخ ما لا يزاحمها في الدلاله.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ» إلخ، المراد بالذين قاتلوكم إلخ، مشركو مكه، و المظاهره على الإخراج المعاونه و المعاوضه عليه، و قوله: «أَنْ تَوَلَّوْهُمْ» بدل من «الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ» إلخ.

و قوله: «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قصر أفراد أى المتولون لمشركى مكه و من ظاهرهم على المسلمين هم الظالمون المتمردون عن النهى دون مطلق المتولين للكفار أو تأكيد للنهى عن توليهم.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا—لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّيَّ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» الآيه: نزلت فى حاطب بن أبى بلتعه، و لفظ الآيه عام و معناها خاص—و كان سبب ذلك

أن حاطب بن أبى بلتعه قد أسلم—و هاجر إلى المدينه و كان عياله بمكه، و كانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله ص—فصاروا إلى عيال حاطب—و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب و يسألوه عن خبر محمد هل يريد أن يغزو مكه؟.

فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك-فكتب إليهم حاطب-أن رسول الله ص يريد ذلك،و دفع الكتاب إلى امرأه تسمى صفية- فوضعتة فى قرونها و مرت-فنزل جبرئيل على رسول الله ص و أخبره بذلك.

فبعث رسول الله ص أمير المؤمنين-و الزبير بن العوام فى طلبها فلحقوها-فقال لها أمير المؤمنين(ع):أين الكتاب؟فقلت:ما معى شىء ففتشاها فلم يجدا معها شيئا- فقال الزبير:ما نرى معها شيئا-فقال أمير المؤمنين(ع):و الله ما كذبنا رسول الله ص،و لا كذب رسول الله ص على جبرئيل،و لا- كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه- و الله لتظهرن الكتاب-أو لأردن رأسك إلى رسول الله ص- فقلت:تنحيا عنى حتى أخرجه-فأخرجت الكتاب من قرونها-فأخذه أمير المؤمنين و جاء به إلى رسول الله ص.

و قال رسول الله ص:يا حاطب ما هذا؟فقال حاطب:و الله يا رسول الله ما نافقت و لا غيرت و لا بدلت،و إنى أشهد أن لا إله إلا الله،و أنك رسول الله حقا-و لكن أهلى و عيالى كتبوا إلى بحسن صنيع قريش إليهم-فأحببت أن أجازى قريشا بحسن معاشرتهم،فأنزل الله على رسول الله ص:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ-إلى قوله- وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

و فى الدر المنثور،أخرج أحمد و الحميدى و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى و أبو عوانه و ابن حبان و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى و أبو نعيم معا فى الدلائل عن على قال:بعثنى رسول الله ص أنا و الزبير و المقداد-فقال:انطلقوا حتى تأتوا روضه (١)خاخ-فإن بها ظعينه (٢)معها كتاب فخذوه منها و أتونى به.

فخرجنا حتى أتينا الروضه فإذا نحن بالظعينه-فقلنا:أخرجى الكتاب.قلت:ما معى كتاب-قلنا:لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب- فأخرجته من عقاصها.

فأتينا به النبى ص-فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتع-إلى أناس من المشركين بمكه، يخبرهم ببعض أمر النبى ص-فقال النبى ص:ما هذا يا حاطب؟قال:لا تعجل على يا رسول الله-إنى كنت امرءا ملصقا من قريش و لم أكن من أنفسها-و كان من معك من

ص: ٢٣٥

(١-١) موضع فى طريق مكه.

(٢-٢) الظعينه:المسافره.

المهاجرين لهم قرابات-يحمون بها أهلهم و أموالهم بمكة-فأحيت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم-أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي-و ما فعلت ذلك كفرا و لا ارتدادا عن ديني- فقال النبي ص صدق.

فقال عمر:دعنى يا رسول الله فأضرب عنقه-فقال:إنه شهد بدرا و ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر-فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم-و نزلت فيه «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا-لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ-تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**».:

أقول:و هذا المعنى مروى فى عده من الروايات عن نفر من الصحابه كأنس و جابر و عمر و ابن عباس و جمع من التابعين كحسن و غيره .

و الروايه من حيث متنها لا تخلو من بحث:

أما أولا:فلأن ظاهرها بل صريحها أن حاطب بن أبى بلتعه كان يستحق بصنعه ما صنع القتل أو جزاء دون ذلك،و إنما صرف عنه ذلك كونه بدريا فالبدري لا يؤاخذ بما أتى به من معصيه كما يصرح به قوله(ص)لعمر فى هذه الروايه:«أنه شهد بدرا»و فى روايه الحسن:أنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر أنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر فاجتنب أهل بدر.

و يعارضه ما فى قصه الإفك أن النبي ص بعد ما نزلت براءه عائشه حد مسطح بن أثاثه و كان من الآفكين،و كان مسطح بن أثاثه هذا من السابقين الأولين من المهاجرين و ممن شهد بدرا كما فى صحيحى البخارى و مسلم و حده النبي ص كما نطقت به الروايات الكثيره الوارده فى تفسير آيات الإفك.

و أما ثانيا:فلأن ما يشتمل عليه من خطابه تعالى لأهل بدر«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»المدال على كون كل ما أتوا به من ذنب مغفورا لهم لا- يتم بالبدايه إلا- بار تفاع عامه التكليف الدينيه عنهم من واجب أو حرام أو مستحب أو مكروه،و لا معنى لتعلق التكليف المولوى بأمر مع إلغاء تبعه مخالفته و تسويه الفعل و الترك بالنسبه إلى المكلف كما يدل عليه قوله:«اعملوا ما شئتم»على بدايه ظهوره فى الإباحه العامه.

و لازم ذلك:

أولا:شمول المغفره من المعاصى لما يحكم بدايه العقل على عدم شمول العفو له لو لا التوبه كعباده الأصنام و الرد على الله و رسوله و تكذيب النبي و الافتراء على الله و رسوله و الاستهزاء

بالدين و أحكامه الثابتة بالضرورة، فإن الآيات المتعرضه لها الناهيه عنها تأبى شمول المغفره لها من غير توبه، و مثلها قتل النفس المحترمه ظلما و الفساد فى الأرض و إهلاك الحرث و النسل، و استباحه الدماء و الأعراض و الأموال.

و من المعلوم أن المحذور إمكان تعلق المغفره بأمثال هذه المعاصى و الذنوب لا فعليه تعلقها بها فلا يدفع بأن الله سبحانه يحفظ هذا المكلف المغفور له من اقتراف أمثال هذه المعاصى و الذنوب و إن كان غفر له لو اقترف.

و ثانيا: أن يخصص قوله: اعملوا ما شئتم عمومات جميع الأحكام الشرعيه من عبادات و معاملات من حيث المتعلق فلا يعم شىء منها البدرين و لا يتعلق بهم، و لو كان كذلك لكان معروفا عند الصحابه مسلما لهم أن هؤلاء العصابه محررون من كل تكليف دينى مطلقون من قيد و ظائف العبوديه و كان البدريون أنفسهم أحق برعايه معنى التحرير فيما بينهم أنفسهم على ما له من الأهميه، و لا شاهد يشهد بذلك فى المروى من أخبارهم و المحفوظ من آثارهم بل المستفاد من سيرهم و خاصه فى خلال الفتن الواقعه بعد رحله النبى ص خلاف ذلك بما لا يسع لأحد إنكاره.

على أن تحرير قوم ذوى عدد من الناس و إطلاقهم من قيد التكليف لهم أن يفعلوا ما يشاءون و أن لا يبالوا بمخالفه الله و رسوله و إن عظمت ما عظمت يناقض مصلحه الدعوه الدينيه و فريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و بث المعارف الإلهيه التى جاء بها الرسول بالروايه عنه إذ لا يبقى للناس بهم وثوق فيما يقولون و يروون من حكم الله و رسوله أن لا ضير عليهم و لو أتوا بكل كذب افتراء أو اقترفوا كل منكر و فحشاء و الناس يعلمون منهم ذلك.

و يجرى ذلك فى النبى ص و هو سيد أهل بدر و قد أرسله (1) الله شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا فكيف تطمئن القلوب إلى دعوه من يجوز تلبسه بكل كذب و افتراء و منكر و فحشاء؟ و أنى تسلم النفوس له الاتصاف بتلك الصفات الكريمه التى مدحه الله بها؟ بل كيف يجوز فى حكمته تعالى أن يقلد الشهاده و الدعوه من لا يؤمن فى حال أو مقال، و يعده سراجا منيرا و هو تعالى قد أباح له أن يحيى الباطل كما

ص: ٢٣٧



ينير الحق و أذن له في أن يضل الناس و قد بعثه ليهديهم و الآيات المتعرضه لعصمه الأنبياء و حفظ الوحي تأبى ذلك كله.

على أن ذلك يفسد استقامه الخطاب في كثير من الآيات التي فيها عتاب الصحابه و المؤمنين على بعض تخلفاتهم كآيات النازله في وقعه أحد و الأحزاب و حنين و غيرها المعاتبه لهم على انهزامهم و فرارهم من الزحف و قد أوعد الله عليه النار.

و من أوضح الآيات في ذلك آيات الإفك و في أهل الإفك مسطح بن أثاثه البدرى و فيها قوله تعالى: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» و لم يستثن أحدا منهم، و قوله:

« وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » و قوله: « يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ».

و من أوضح الآيات في عدم ملاءمه معناها للروايه نفس هذه الآيات التي تذكر الروايه سبب نزولها: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ » الآيات و فيها مثل قوله تعالى: « وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » و قوله: « وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ».

فمن المعلوم أن الآيات إنما وجهت الخطاب و العتاب إلى عامه الذين آمنوا و تنسب إلقاء الموده و إسرار الكفار إلى المؤمنين بما أن بعضهم و هو حاطب بن أبى بلتعه اتخذ الكفار أولياء و خان الإسلام و المسلمين فنسبت الآيات فعل البعض إلى الكل و وجهت العتاب و التهديد إلى الجميع.

فلو كان حاطب و هو بدرى محرر مرفوع عنه القلم مخاطبا بمثل قوله: اعمل ما شئت فقد غفرت لك لا إثم عليه فيما يفعل و لا ضلال في حقه و لا يتصف بظلم و لا يتعلق به عتاب و لا تهديد فأى وجه لنسبه فعل البعض بما له من الصفات غير المرضيه إلى الكل و لا صفه غير مرضيه لفعل هذا البعض على الفرض.

فيقول الأمر إلى فرض أن يأتى البعض بفعل مأذون له فيه لا- عتاب عليه و لا لوم يعتريه و يعاتب الكل و يهددوا عليه و بعباره أخرى أن يؤذن لفاعل في معصيه ثم يعاتب عليها غيره و لا صنع له فيها و يجل كلامه تعالى عن مثل ذلك.

وفيه، أخرج البخارى و ابن المنذر و النحاس و البيهقى في شعب الإيمان عن أسماء بنت أبى بكر قالت: أتتني أمى راغبه و هى مشرکه في عهد قريش- إذ عاهدوا رسول الله ص- فسألت النبى ص أ أصلها؟ فأنزل الله « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ »

فقال: نعم صلى.

و فيه، أخرج أبو داود في تاريخه و ابن المنذر عن قتاده: «لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ «نَسَخَهَا» فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ».

أقول: قد عرفت الكلام فيه.

و في الكافي، بإسناده عن سعيد الأعرج عن أبي عبد الله (ع) قال: من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله و تبغض في الله - و تعطى في الله و تمنع في الله جل و عز.

و في تفسير القمي، بإسناده إلى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال: كل من لم يحب على الدين - و لم يبغض على الدين فلا دين له.

### [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١٣]

#### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَجْرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَقْتُمْ فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية، سياق الآية يعطى أنها نزلت بعد صلح الحديبية، و كان فى العهد المكتوب بين النبى ص و بين أهل مكه أنه إن لحق من أهل مكه رجل بالمسلمين ردوه إليهم و إن لحق من المسلمين رجل بأهل مكه لم يردوه إليهم ثم إن بعض نساء المشركين أسلمت و هاجرت إلى المدينه فجاء زوجها يستردها فسأل النبى ص أن يردها إليه فأجابه النبى ص أن الذى شرطوه فى العهد رد الرجل دون النساء و لم يردها إليهم و أعطاه ما أنفق عليها من المهر و هو الذى تدل عليه الآية مع ما يناسب ذلك من أحكامهن.

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ سماهن مؤمنات قبل امتحانهن و العلم بإيمانهن لتظاهرن بذلك.

و قوله: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أى اختبروا إيمانهن بما يظهر به ذلك من شهادته و حلف يفيد العلم و الوثوق، و فى قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إشاره إلى أنه يجزى فى ذلك العلم العادى و الوثوق دون اليقين بحقيقه الإيمان الذى هو تعالى أعلم به علما لا يتخلف عنه معلومه.

و قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ذكرهم بوصف الإيمان للإشاره إلى أنه السبب للحكم و انقطاع علقه الزوجيه بين المؤمنه و الكافر.

و قوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ مجموع الجملتين كناية عن انقطاع علقه الزوجيه، و ليس من توجيه الحرمة إليهن و إليهم فى شىء.

و قوله: ﴿وَآتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ أى أعطوا الزوج الكافر ما أنفق عليها من المهر.

وقوله: «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» رفع المانع من نكاح المؤمنات المهاجرات إذا أوتين أجورهن و الأجر المهر.

وقوله: «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» العصم جمع عصمه وهى النكاح الدائم يعصم المرأة و يحصنها، و إمساك العصمه إبقاء الرجل -بعد ما أسلم- زوجته الكافره على زوجيتها فعليه بعد ما أسلم أن يخلى عن سبيل زوجته الكافره سواء كانت مشرکه أو كتابيه.

و قد تقدم فى تفسير قوله: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ» البقره: ٢٢١، وقوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»: المائده: ٥، أن لا نسخ بين الآيتين و بين الآيه التى نحن فيها.

وقوله: «وَسَيُؤَلِّمُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا» ضمير الجمع فى «وَسَيُؤَلِّمُوا» للمؤمنين و فى «لَيْسَ لَكُمْ» للكفار أى إن لحقت امرأه منكم بالكفار فاسألوهم ما أنفقتم لها من مهر و لهم أن يسألوا مهر من لحقت بكم من نسائهم.

ثم تمم الآيه بالإشاره إلى أن ما تضمنته الآيه حكم الله الذى شرع لهم فقال: «ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

قوله تعالى: «وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَأَقِبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا» إلخ، قال الراغب: الفوت بعد الشىء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه، قال تعالى: «وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ». انتهى. و فسر المعاقبه و العقاب بمعنى الوصول و الانتهاء إلى عقبي الشىء، و المراد عاقبتهم من الكفار أى أصبتم منهم غنيمه و هى عقبي الغزو، و قيل: عاقب بمعنى عقب، و قيل: عاقب مأخوذ من العقبه بمعنى النوبه.

و الأقرب أن يكون المراد بالشىء المهر و «مِنْ» فى «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» لا ابتداء الغايه و «إِلَى الْكُفَّارِ» متعلق بقوله: «فَاتَكُمْ» و المراد بالذين ذهب أزواجهم، بعض المؤمنين و إليهم يعود ضمير «أَنْفَقُوا».

و المعنى: و إن ذهب و انفلت منكم إلى الكفار مهر من أزواجكم بلحوقهن بهم و عدم ردهم ما أنفقتم من المهر إليكم فأصبتم منهم بالغزو غنيمه فأعطوا المؤمنين الذين ذهب أزواجهم إليهم مما أصبتم من الغنيمه مثل ما أنفقوا من المهر.

و فسرت الآيه بوجوه أخرى بعيدة عن الفهم أغمضنا عنها.

□  
و قوله: « وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » أمر بالتقوى، و توصيفه تعالى بالموصول و الصلة لتعليل الحكم فإن من مقتضى الإيمان بالله تقواه.

□  
قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغُنَّكَ » إلخ، تتضمن الآيه حكم بيعه النساء المؤمنات للنبي ص، و قد شرطت عليهن في « عَلِيٍّ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ » إلخ، أمورا منها ما هو مشترك بين الصنفين: الرجال و النساء كالتحرز من الشرك و من معصيه الرسول في معروف و منها ما هو أمس بهن من حيث إن تدبير المنزل بحسب الطبع إليهن و هن السبيل إلى حفظ عفه البيت و الحصول على الأنسال و طهاره مواليدهم، و هى التجنب من السرقة و الزنا و قتل الأولاد و إلحاق غير أولاد أزواجهن بهم، و إن كانت هذه الأمور بوجه من المشتركات.

□  
فقوله: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغُنَّكَ » شرط جوابه قوله: « فَبَايِعُهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ».

□  
و قوله: « عَلِيٍّ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا » أى من الأصنام و الأوثان و الأرباب، و هذا شرط لا غنى عنه لإنسان فى حال.

□  
و قوله: « وَ لَا يَشْرِقَنَّ » أى لا من أزواجهن و لا من غيرهم و خاصة من أزواجهن كما يفيد السياق، و قوله: « وَ لَا يَزْنِينَ » أى باتخاذ الأخدان و غير ذلك و قوله: « وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ » بالوآد و غيره و إسقاط الأجنه.

□  
و قوله: « وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ » و ذلك بأن يحملن من الزنا ثم يضعنه و ينسبنه إلى أزواجهن فالحاقهن الولد كذلك بأزواجهن و نسبته إليهم كذبا بهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن لأن الولد إذا وضعت أمه سقط بين يديها و رجليها، و لا يغنى عن هذا الشرط شرط الاجتناب عن الزنا لأنهما متغايران و كل مستقل بالنهى و التحريم.

□  
و قوله: « وَ لَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ » نسب المعصيه إلى النبي ص دون الله مع أنها تنتهى إليه تعالى لأين المراد أن لا يتخلفن بالمعصيه عن السنه التى يستنها النبي ص و ينفذها فى المجتمع الإسلامى فىكون ما سنه هو المعروف عند المسلمين و فى المجتمع الإسلامى.

و من هنا يظهر أن المعصية في المعروف أعم من ترك المعروف كترك الصلاة و الزكاه و فعل المنكر كتبرجهن تبرج الجاهليه الأولى.

و في قوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» بيان لمقتضى المغفرة و تقويه للرجاء.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» الخ، المراد بهم اليهود المغضوب عليهم و قد تكرر في كلامه تعالى فيهم «وَبَاؤُا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ»: البقره:

٦١، و يشهد بذلك ذيل الآية فإن الظاهر أن المراد بالقوم غير الكفار.

و قوله: «يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُونَ الْكُفَّارَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» المراد بالآخرة ثوابها، و المراد بالكفار الكافرون بالله المنكرون للبعث، و قيل: المراد مشركو مكة و اللام للعهد، و «مِنْ» في «مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» لابتداء الغايه.

و الجملة بيان لشقائهم الخالد و هلاكهم المؤبد ليحذر المؤمنون من موالاتهم و موادتهم و الاختلاط بهم و المعنى: قد يتس اليهود من ثواب الآخرة كما يتس منكرو البعث من الموتى المدفونين في القبور.

و قيل: المراد بالكفار الذين يدفنون الموتى و يوارونهم في الأرض -من الكفر بمعنى الستر-.

و قيل: المراد بهم كفار الموتى و «مِنْ» بيانيه و المعنى: يتسوا من ثواب الآخرة كما يتس الكفار المدفونون في القبور منه لقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تُوَاوَوْا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ»: البقره: ١٦١.

### (بحث روائى)

فى المجمع، عن ابن عباس: "صالح رسول الله ص بالحديبه مشركى مكه -على أن من أتاه من أهل مكه رده عليهم، و من أتى أهل مكه من أصحاب رسول الله ص فهو لهم و لم يردوه عليه- و كتبوا بذلك كتابا و ختموا عليه.

فجاءت سبيعه بنت الحارث الأسلميه مسلمه -بعد الفراغ من الكتاب و النبى ص بالحديبه- فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم -و قال مقاتل: هو صيفى بن الراهب- فى طلبها و كان كافرا- فقال: يا محمد اردد على امرأتى -فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا

من أتاك منا- وهذه طينه الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ - من دار الكفر إلى دار الإسلام فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

قال ابن عباس: امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حبا لله و لرسوله- فاستحلفها رسول الله ص ما خرجت بغضا لزوجها، ولا عشقا لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام فحلفت بالله الذى لا- إله إلا- هو على ذلك- فأعطى رسول الله ص زوجها مهرها و ما أنفق عليها- و لم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب.

فكان رسول الله ص يرد من جاءه من الرجال - و يحبس من جاءه من النساء إذا امتحن و يعطى أزواجهن مهورهن.

قال: قال الزهرى: و لما نزلت هذه الآية و فيها قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ﴾ طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريبه (1) بنت أبى أميه بن المغيرة- فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان- و هما على شركهما بمكة، و الأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جروال الخزاعية- أم عبد الله بن عمر- فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم- رجل من قومها و هما على شركهما.

و كانت عند طلحة بن عبيد الله- أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب- ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن- عن التمسك بعصم الكوافر، و كان طلحة قد هاجر و هى بمكة عند قومها كافره- ثم تزوجها فى الإسلام بعد طلحة- خالد بن سعيد بن العاص بن أميه و كانت ممن فرت إلى رسول الله ص- من نساء الكفار فحبسها و زوجها خالد.

و أميه بنت بشر كانت عند الثابت بن الدحداحه- ففرت منه- و هو يومئذ كافر- إلى رسول الله ص- فزوجها رسول الله ص سهل بن حنيف- فولدت عبد الله بن سهل.

قال: قال الشعبي: و كانت زينب بنت رسول الله ص- امرأة أبى العاص بن الربيع- فأسلمت و لحقت بالنبي ص فى المدينة- و أقام أبو العاص مشركا بمكة- ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم- فردها عليه رسول الله ص.

قال: و قال الجبائى: لم يدخل فى شرط صلح الحديبيه- إلا رد الرجال دون النساء- و لم

ص: ٢٤٤

(١- ١) قريبه خ.

يجز للنساء ذكر، وإن أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط -جاءت مسلمة مهاجرة من مكة- فجاء أخوها إلى المدينة -فسألا رسول الله ص ردها عليهما- فقال رسول الله ص: أن الشرط بيننا في الرجال -لا في النساء فلم يردّها عليهما.

أقول: وهذه المعاني مرويه في روايات أخرى من طرق أهل السنه أورد كثيرا منها السيوطي في الدر المنثور، و روى امتحان المهاجرات كما تقدم ثم عدم ردهن على الكفار و إعطاءهم المهر القمي في تفسيره.

و فيه، وقال الزهري: "فكان جميع من لحق بالمشركين -من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام- ست نسوه: أم الحكم بنت أبي سفيان -كانت تحت عياض بن شداد الفهري، و فاطمه بنت أبي أميه بن المغيرة أخت أم سلمة- كانت تحت عمر بن الخطاب -فلما أراد عمر أن يهاجر أبت و ارتدت، و بروع بنت عقبه كانت تحت شماس بن عثمان، و عبده بنت عبد العزى بن فضله -و زوجها عمرو بن عبد ود، و هند بنت أبي جهل بن هشام- كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، و كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر -فأعطاهم رسول الله ص مهور نسائهم من الغنيمه.

و في الكافي، بإسناده عن زراره عن أبي جعفر (ع) قال: لا ينبغي نكاح أهل الكتاب -قلت: جعلت فداك و أين تحريمه؟ قال: قوله: «و لا تُمَسِّكُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ».

أقول: و الروايه مبنيه على عموم الإمساك بالعصم للنكاح الدائم إحدانا و إبقاء.

و فيه، بإسناده أيضا إلى زراره عن أبي جعفر (ع): عن قول الله تعالى: «و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فقال: هذه منسوخه بقوله: «و لا تُمَسِّكُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ».

أقول: و لعل المراد بنسخ آيه الإمساك بالعصم لآيه حليه محصنات أهل الكتاب اختصاص آيه الممتحنه بالنكاح الدائم و تخصص آيه المائده بالنسبه إلى النكاح الدائم بها، و اختصاص ما تدل عليه من الحليه بالنكاح المنقطع، و ليس المراد به النسخ المصطلح كيف؟ و آيه الممتحنه سابقه نزولا -على آيه المائده و لا- وجه لنسخ السابق للاحق. على أن آيه المائده مسوقه سوق الامتنان، و ما هذا شأنه يأبى النسخ.

و في المجمع: في قوله تعالى: «و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» و

روى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع): أنه منسوخ بقوله: «و لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ» و بقوله:



« وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ ».

أقول: ويضعف الروايه-مضافا إلى ضعف راويها-أن قوله: « وَلَا تَتَّكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ » إلخ، إنما يشمل المشركات من الوثنيين، وقوله: « وَالْمُحْصَنَاتُ » إلخ، يفيد حليه نكاح أهل الكتاب فلا تدافع بين الآيتين حتى تنسخ إحداهما الأخرى، وقد تقدم أنفا الكلام في نسخ آيه الممتحنه لقوله: « وَالْمُحْصَنَاتُ » إلخ، وقد تقدم في تفسير قوله:

« وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »: المائده: ٥، ما ينفع في هذا المقام.

و في تفسير القمى، في روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع): « وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ » فلحقن بالكفار من أهل عهدكم- فأسألوهم صداقها، وإن لحقن بكم من نسائهم شيء- فأعطوهم صداقها ذلكم حكم الله يحكم بينكم.

أقول: ظاهره تفسير « شَيْءٌ » بالمرأه.

و في الكافي، بإسناده عن أبان عن أبى عبد الله (ع) قال: لما فتح رسول الله ص مكه بايع الرجال- ثم جاءت النساء يبايعنه فأنزل الله عز و جل: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ » إلى آخر الآيه.

قالت هند: أما الولد فقد ربيناهم صغارا و قتلتهم كبارا، و قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام- و كانت عند عكرمه بن أبى جهل: يا رسول الله ما ذاك المعروف الذى أمرنا الله- أن لا نعصيك فيه؟ قال: لا تلطن خدا، و لا تخمشن وجها، و لا تنتفن شعرا، و لا تشققن جيبا، و لا تسودن ثوبا، و لا تدعين بويل، فبايعهن رسول الله ص على هذا.

فقلت: يا رسول الله كيف نبايعك؟ قال: إننى لا أصافح النساء- فدعا بقدرح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها- فقال: أدخلن أيديكن فى هذا الماء.

أقول: و الروايات مستفيضه فى هذه المعانى من طرق الشيعة و أهل السنه.

و فى تفسير القمى، بإسناده عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله: « وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ » قال: هو ما فرض الله عليهن من الصلاه و الزكاه- و ما أمرهن به من خير.

أقول: و الروايه تشهد بأن ما ورد فى الروايات من تفسير المعروف بمثل قوله: لا تلطن خدا إلخ، و فى بعضها أن لا تتبرجن تبرج الجاهليه الأولى من قبيل الإشاره إلى بعض المصاديق.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَيِّنَاتٌ مَرُصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذَوْنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

السورة ترغب المؤمنين و تحرضهم على أن يجاهدوا فى سبيل الله و يقاتلوا أعداء دينه، و تنبئهم أن هذا الدين نور ساطع لله سبحانه يريد الكفار من أهل الكتاب أن يطفئوه بأفواههم و الله متمه و لو كره الكافرون، و مظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و أن هذا النبى الذى آمنوا به رسول من الله أرسله بالهدى و دين الحق، و بشر به عيسى بن مريم (ع) بنى إسرائيل.

فعلى المؤمنين أن يشدوا العزم على طاعته و امتثال ما يأمرهم به من الجهاد و نصره الله فى دينه حتى يسعدهم الله فى آخرتهم و ينصرهم و يفتح لهم فى دنياهم و يؤيدهم على أعدائهم.

و عليهم أن لا يقولوا ما لا يفعلون و لا ينكصوا فيما يعدون فإن ذلك يستوجب مقتا من الله تعالى و إيذاء الرسول و فيه خطر أن يزيغ الله قلوبهم كما فعل بقوم موسى (ع) لما آذوه و هم يعلمون أنه رسول الله إليهم و الله لا يهدى القوم الظالمين.

و السورة مدنيه بشهادة سياق آياتها.

قوله تعالى: «سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تقدم تفسيره، و افتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم ما لا يفعلون و إنذارهم بمقت الله و إزاعته قلوب الفاسقين.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» «لِمَ» مخفف لما، و «ما» استفهاميه، و اللام للتعليل، و الكلام مسوق للتوبيخ فيه توبيخ المؤمنين على قولهم ما لا يفعلون و لا يصغى إلى قول بعض المفسرين: أن المراد بالذين آمنوا هم المنافقون و التوبيخ لهم دون المؤمنين لجلاله قدرهم.

و ذلك لوفور الآيات المتضمنه لتوبيخهم و معاتبتهم و خاصه فى الآيات النازله فى الغزوات و ما يلحق بها كأحد و الأحزاب و حنين و صلح الحديبيه و تبوك و الإنفاق فى سبيل الله و غير ذلك، و الصالحون من هؤلاء المؤمنين إنما صلحوا نفسا و جلوا قدرا بالتربية الإلهيه التى تتضمنها أمثال هذه التوبيخات و العتابات المتوجهه إليهم تدريجا و لم يتصفوا بذلك من عند أنفسهم.

و مورد التوبيخ و إن كان بحسب ظاهر لفظ الآيه مطلق تخلف الفعل عن القول و خلف

الوعد و نقض العهد و هو كذلك لكونه من آثار مخالفه الظاهر للباطن و هو النفاق لكن سياق الآيات و فيها قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا» و ما سيأتي من قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجَارَىٰ» الخ، و غير ذلك يفيد أن متعلق التوبيخ كان هو تخلف بعضهم عما وعده من الثبات في القتال و عدم الانهزام و الفرار أو ثقافتهم أو تخلفهم عن الخروج أو عدم الإنفاق في تجهز أنفسهم أو تجهيز غيرهم.

قوله تعالى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» المقت البغض الشديد، و الآية في مقام التعليل لمضمون الآية السابقة فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول ما لا- يفعله لأنه من النفاق، و أن يقول الإنسان ما لا يفعله غير أن لا يفعل ما يقوله فالأول من النفاق و الثاني من ضعف الإرادة و وهن العزم و هو رذيله منافيه لسعادته النفس الإنسانية فإن الله بنى سعادته النفس الإنسانية على فعل الخير و اكتساب الحسنه من طريق الاختيار و مفتاحه العزم و الإرادة، و لا تأثير إلا للراسخ من العزم و الإرادة، و تخلف الفعل عن القول معلول و وهن العزم و ضعف الإرادة و لا يرجي للإنسان مع ذلك خير و لا سعادته.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ» الصف جعل الأشياء على خط مستو كالناس و الأشجار. كذا قاله الراغب، و هو مصدر بمعنى اسم الفاعل و لذا لم يجمع، و هو حال من ضمير الفاعل في «يُقَاتِلُونَ»، و المعنى: يقاتلون في سبيله حال كونهم صافين.

و البنيان هو البناء، و المرصوص من الرصاص، و المراد به ما أحكم من البناء بالرصاص فيقاوم ما يصادمه من أسباب الانهدام.

و الآية تعلل خصوص المورد- و هو أن يعدوا الثبات في القتال ثم ينهزموا- بالالتزام كما أن الآية السابقة تعلل التوبيخ على مطلق أن يقولوا ما لا يفعلون، و ذلك أن الله سبحانه إذا أحب الذين يقاتلون فيلزمون مكانهم و لا يزولون كان لازمه أن يبغض الذين يعدون أن يشبوا ثم ينهزمون إذا حضروا معركة القتال.

قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» الخ، في الآية إشارة إلى إيذاء بنى إسرائيل رسولهم موسى (ع) و لجاجهم حتى آل إلى إزاغه الله قلوبهم. و في ذلك نهى التزامي للمؤمنين عن أن يؤذوا رسول الله ص فيقول أمرهم إلى ما آل إليه أمر قوم موسى من إزاغه القلوب و قد قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ

يُؤذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا: الأحزاب: ٥٧.

و الآيه بما فيها من النهى الالتزامى فى معنى قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا»: الأحزاب: ٧٠.

و سياق الآيتين و ذكر تبرئه موسى (ع) يدل على أن المراد بإذائه بما برأه الله منه ليس معصيتهم لأوامره و خروجهم عن طاعته إذ لا معنى حينئذ لتبرئته بل هو أنهم وقعوا فيه (ع) و قالوا فيه ما فيه عار و شين فتأذى فبرأه الله مما قالوا و نسبوا إليه، و قوله فى الآيه التاليه: «اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» يؤيد هذا الذى ذكرناه.

و يؤيد ذلك إشارته تعالى إلى بعض مصاديق إيذاء النبى ص بقول أو فعل فى قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ -X- إِلَىٰ أَنْ قَالَ -X- وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ -X- إِلَىٰ أَنْ قَالَ -X- وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا»: الأحزاب: ٥٣.

فتحصل أن فى قوله: «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ «إِلْح، تلويحا إلى النهى عن إيذاء النبى ص بقول أو فعل على علم بذلك كما أن فى ذيل الآيه تخويفا و إنذارا أنه فسق ربما أدى إلى إزاغته تعالى قلب من تلبس به.

و قوله: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» الزبيغ الميل عن الاستقامه و لازمه الانحراف عن الحق إلى الباطل.

و إزاغته تعالى إمساك رحمته و قطع هدايته عنهم كما يفيدته التعليل بقوله: «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» حيث علل الإزاغه بعدم الهدايه، و هى إزاغه على سبيل المجازاه و تثبيت للزبيغ الذى تلبسوا به أولا- بسبب فسقهم المستدعى للمجازاه كما قال تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»: البقره: ٢٦، و ليس بإزاغه بدئيه و إضلال ابتدائى لا يليق بساحه قدسه تعالى.

و من هنا يظهر فساد ما قيل: إنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله: «أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» الإزاغه عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز أن يزيب أحدا عن الإيمان، و أيضا كون المراد

به الإيزاغه عن الإيمان يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد صاروا كفارا فلا معنى لقوله: أزاغهم الله عن الإيمان.

وجه الفساد أن قوله: لا يجوز له تعالى أن يزيغ أحدا عن الإيمان ممنوع بإطلاقه فإن الملاك فيه لزوم الظلم و إنما يلزم فيما كان من الإيزاغه و الإضلال ابتدائيا و أما ما كان على سبيل المجازاه و حقيقته إمساك الرحمه و قطع الهدايه لتسبب العبد لذلك بنفسه و إعراضه عن الرحمه و الهدايه فلا دليل على منعه لا عقلا و لا نقلا.

و أما قوله: إن الكلام يخرج بذلك عن الفائدة فيدفعه أن الذى ينسب من الزيغ إلى العبد و يحصل معه الكفر تحقق ما له بالفسق و الذى ينسب إليه تعالى تثبيت الزيغ فى قلب العبد و الطبع عليه به فزيغ العبد عن الإيمان بسبب فسقه و حصول الكفر بذلك لا يغنى عن تثبيت الله الزيغ و الكفر فى قلبه على سبيل المجازاه.

قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» تقدم فى صدر الكلام أن هذه الآيه و التى قبلها و الآيات الثلاث بعدها مسوقه لتسجيل أن النبى ص رسول معلوم الرساله عند المؤمنين أرسله الله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون من أهل الكتاب، و ما جاء به من الدين نور ساطع من عند الله يريد المشركون ليطفئوه بأفواههم و الله متم نوره و لو كره المشركون.

فعلى المؤمنين أن لا- يؤذوه(ص) و هم يعلمون أنه رسول الله إليهم، و أن ينصروه و يجاهدوا فى سبيل ربهم لإحياء دينه و نشر كلمته.

و من ذلك يعلم أن قوله: «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» إلخ، كالتوطئه لما سيذكر من كون النبى ص رسولا مبشرا به من قبل أرسله الله بالهدى و دين الحق و دينه نوره تعالى يهتدى به الناس.

و الذى حكاه تعالى عن عيسى بن مريم(ع) أعنى قوله: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» ملخص دعوته و قد آذن بأصل دعوته بقوله: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» فأشار إلى أنه لا شأن له إلا- أنه حامل رساله من الله إليهم، ثم بين متن ما أرسل إليهم لأجل تبليغه فى رسالته بقوله: «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ» إلخ.

ف قوله: «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ» بيان أن دعوته لا- تغاير دين التوراه و لا- تناقض شريعتها بل تصدقها و لم تنسخ من أحكامها إلا يسيرا و النسخ بيان انتهاء أمد الحكم و ليس بإبطال، و لذا جمع (ع) بين تصديق التوراه و نسخ بعض أحكامها فيما حكاه الله تعالى من قوله: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»: آل عمران: ٥٠، و لم يبين لهم إلا- بعض ما يختلفون فيه كما في قوله المحكى: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا النَّبِيَّ» الزخرف: ٦٣.

و قوله: «و مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» إشاره إلى الشطر الثاني من رسالته (ع) و قد أشار إلى الشطر الأول بقوله: «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ».

و من المعلوم أن البشرى هي الخبر الذي يسر المبشر و يفرحه و لا يكون إلا بشيء من الخير يوافيه و يعود إليه، و الخير المترقب من بعثه النبي و دعوته هو انفتاح باب من الرحمة الإلهية على الناس فيه سعادته دنياهم و عقباهم من عقيدته حقه أو عمل صالح أو كليهما، و البشرى بالنبي بعد النبي و بالدعوة الجديدة بعد حلول دعوته سابقه و استقرارها و الدعوه الإلهية واحده لا تبطل بمرور الدهور و تقضى الأزمته و اختلاف الأيام و الليالي-إنما تتصور إذا كانت الدعوه الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقه و الشرائع المعدله لأعمال المجتمع و أشمل لسعادته الإنسان فى دنياه و عقباه.

و بهذا البيان يظهر أن معنى قوله (ع): «و مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي» إلخ، يفيد كون ما أتى به النبي أحمد (ص) أرقى و أكمل مما تضمنته التوراه و بعث به عيسى (ع) و هو (ع) متوسط رابط بين الدعوتين.

و يعود معنى كلامه: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا» إلخ، إلى أنى رسول من الله إليكم أَدْعُو إِلَى شَرِيْعَةِ التَّوْرَةِ وَ مِنْهَاجِهَا-و لِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ-و هى شريعته سيكملها الله ببعث نبي يأتي من بعدى اسمه أحمد.

و هو كذلك فإمعان التأمل فى المعارف الإلهية التى يدعو إليها الإسلام يعطى أنها أدق مما فى غيره من الشرائع السماويه السابقه و خاصه ما يندب إليه من التوحيد الذى هو أصل الأصول الذى يبتنى عليه كل حكم و يعود إليه كل من المعارف الحقيقيه و قد تقدم شطر من الكلام فيه فى المباحث السابقه من الكتاب.

و كذا الشرائع و القوانين العمليه التى لم تدع شيئا مما دق و جل من أعمال الإنسان

الفردية و الاجتماعيه إلا عدلته و حدت حدوده و قررته على أساس التوحيد و وجهته إلى غرض السعاده.

و إلى ذلك الإشاره بقوله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» الأعراف: ١٥٧، و آيات أخرى يصف القرآن.

و الآيه أعنى قوله: «و مَبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي» و إن كانت مصرحه بالبشاره لكنها لا تدل على كونها المذكوره فى كتابه(ع) غير أن آيه الأعراف المنقوله آنفا:

«يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» و كذا قوله فى صفه النبي ص: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» X الآيه X:الفتح: ٢٩، يدلان على ذلك.

و قوله: «إِسْمُهُ أَحْمَدُ» دلالة السياق على تعبير عيسى(ع) عنه(ص) بأحمد و على كونه اسما له يعرف به عند الناس كما كان يسمى بمحمد ظاهره لا ستره عليها.

و يدل عليه قول حسان:

صلى الإله و من يحف بعرشه

و الطيبون على المبارك أحمد

و من أشعار أبى طالب قوله:

و قالوا لأحمد أنت امرؤ

خلف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم

بحق و لم يأتهم بالكذب

و قوله مخاطبا للعباس و حمزه و جعفر و على يوصيهم بنصر النبي ص:

كونوا فدى لكم أمى و ما ولدت

فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

و من شعره فيه(ص) و قد سماه باسمه الآخر محمد:



ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا

نبيا كموسى خط فى أول الكتب

و يستفاد من البيت أنهم عثروا على وجود البشاره به(ص)فى الكتب السماويه التى كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك.

و يؤيده أيضا إيمان جماعه من أهل الكتاب من اليهود و النصارى و فيهم قوم من علمائهم كعبد الله بن سلام و غيره و قد كانوا يسمعون هذه الآيات القرآنيه التى تذكر البشاره

ص: ٢٥٣

به(ص)و ذكره فى التوراه و الإنجيل فتلقوه بالقبول و لم يكذبوه و لا أظهروا فيه شيئا من الشكك و التردد.

و أما خلو الأناجيل الدائره اليوم عن بشاره عيسى بما فيها من الصراحه فالقرآن- و هو آيه معجزه باقيه-فى غنى عن تصديقها،و قد تقدم البحث عن سندها و اعتبارها فى الجزء الثالث من الكتاب.

و قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» ضمير «جاء» لأحمد(ص)، و ضمير «جاءَهُمْ» لبنى إسرائيل أو لهم و لغيرهم،و المراد بالبينات البشاره و معجزه القرآن و سائر آيات النبوه.

و المعنى: فلما جاء أحمد المبشر به بنى إسرائيل أو أتاهم و غيرهم بالآيات البينه التى منها بشاره عيسى(ع)قالوا هذا سحر مبين،و قرئ هذا ساحر مبين.

و قيل: ضمير «جاء» لعيسى(ع)،و السياق لا يلائمه.

قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» إلخ، الاستفهام للإنكار و هو رد لقولهم: «هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» فإن معناه أن النبى ص ليس برسول و أن ما بلغه من دين الله ليس منه تعالى.

و المراد بالإسلام الدين الذى يدعو إليه رسول الله بما أنه تسليم لله فيما يريد و يأمر به من اعتقاد و عمل،و لا ريب أن مقتضى ربوبيته و ألوهيته تعالى تسليم عباده له تسليمًا مطلقًا فلا ريب أن الدين الذى هو الإسلام لله دينه الحق الذى يجب أن يدان به فدعوى أنه باطل ليس من الله افتراء على الله.

و من هنا يظهر أن قوله: «وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» يتضمن الحججه على كون قولهم:

«هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» افتراء على الله.

و الافتراء ظلم لا- يرتاب العقل فى كونه ظلما و ينهى عنه الشرع و يعظم الظلم بعظمه من وقع عليه فإذا كان هو الله سبحانه كان أعظم الظلم فلا أظلم ممن افترى على الله الكذب.

و المعنى:و لا أظلم ممن افترى على الله الكذب-بنفى نسبه دين الله إليه-و الحال أنه يدعى إلى دين الإسلام الذى لا يتضمن إلا التسليم لله فيما أراد و لا ريب أنه من الله، و الله لا يهدى القوم الظالمين.

قوله تعالى: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» إلخ، إطفاء النور إبطاله و إذهاب شروقه، و إطفاء النور بالأفواه إنما هو بالنفخ بها.

و قد وقعت الآية في سورة التوبة و فيها: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» قال الراغب: قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» و الفرق بين الموضوعين أن في قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا» يقصدون إطفاء نور الله، و في قوله:

«لِيُطْفِئُوا» يقصدون أمرا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله. انتهى و محصله أن متعلق الإبراده في قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» نفس الإطفاء، و في قوله: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» السبب الموصل إلى الإطفاء و هو النفخ بالأفواه و الإطفاء غرض و غايه.

و الآية و ما يتلوها كالشارح لمعنى ما تقدم في الآية السابقة من ظلمهم برمى الدعوه بالسحر و عدم هدايته تعالى لهم بما أنهم ظالمون، و المحصل أنهم يريدون إطفاء نور الله بنفخه أفواههم لكن الله لا يهديهم إلى مقصدهم بل يتم نوره و يظهر دينه على الدين كله.

فقوله: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» أى بالنفخ بالأفواه كما يطفأ الشمعه بالنفخه كناية عن أنهم زعموا أن نور الله و هو دينه نور ضعيف كنور الشمعه يطفأ بأدنى نفخه فرموه بالسحر و انقطاع نسبه إلى الله.

و قد أخطئوا في مزعمتهم فهو نور الله الذى لا يطفأ و قد شاء أن يتمه و لو كره الكافرون و الله بالغ أمره، و هو قوله: «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» الإضافة في «دِينِ الْحَقِّ» بيانية كما قيل، و الظاهر أنها في الأصل إضافة لأميه بعنايه لطيفه هي أن لكل من الحق و الباطل دينا يقتضيه و يختص به، و قد ارتضى الله تعالى الدين الذى للحق - و هو الحق تعالى - فأرسل رسوله.

و إظهار شىء على غيره نصرته و تغلبه عليه، و المراد بالدين كله كل سبيل مسلوكة غير سبيل الله الذى هو الإسلام و الآية في مقام تعليل قوله في الآية السابقة: «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ»، و المعنى: و الله متم نوره لأنه هو الذى أرسل رسوله بنوره الذى هو الهدى و دين الحق ليجعله غالبا على جميع الأديان و لو كره المشركون من أهل الأوثان.

و يستفاد من الآيتين أن دين الحق نور الله فى الأرض كما يستفاد ذلك من قوله: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبُحٌ» IX الآية X: النور: ٣٥، و قد تقدم فى تفسير الآية.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا - كَانَتْهُمْ بَيِّنَاتٌ مَّرْصُوصٌ» قال: يصطفون كالبنيان الذى لا يزول.

و فى المجمع، "فى قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ - يَا قَوْمِ لِمَ تَأْتُونََنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»

روى فى قصه قارون أنه دس إليه امرأه - و زعم أنه زنى بها، و رموه بقتل هارون.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ - يَأْتِي مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» الآية - قال: و سأل بعض اليهود لعنهم الله رسول الله ص: لم سميت أحمد و محمدا و بشيرا و نذيرا؟ فقال: أما محمد فإنى فى الأرض محمود، و أما أحمد فإنى فى السماء أحمد منى فى الأرض، و أما البشير فأبشر من أطاع الله بالجنة، و أما النذير فأنذر من عصى الله بالنار.

و فى الدر المنثور، فى الآية أخرج ابن مردويه عن العرياض بن ساريه سمعت رسول الله ص يقول: إني عبد الله فى أم الكتاب و خاتم النبيين - و إن آدم لمنجدل فى طينته - و سوف أنبئكم تأويل ذلك، أنا دعوه إبراهيم، و بشاره عيسى قومه - و رؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور - أضاء له قصور الشام.

و فى العيون، بإسناده إلى صفوان بن يحيى صاحب السابرى قال: سألتى أبو قره صاحب الجاثليق أن أوصله إلى الرضا (ع) - فاستأذنته فى ذلك، قال: أدخله على - فلما دخل عليه قبل بساطه و قال: هكذا علينا فى ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا.

ثم قال: أصلحك الله ما تقول فى فرقه ادعت دعوى - فشهدت لهم فرقه أخرى معدلون؟ قال: الدعوى لهم، قال: فادعت فرقه أخرى دعوى - فلم يجدوا شهودا من غيرهم؟ قال: لا شىء لهم.

قال: فإننا نحن ادعينا أن عيسى روح الله و كلمته - فوافقنا على ذلك المسلمون، و ادعى المسلمون أن محمدا نبى فلم نتابعهم عليه، و ما أجمعنا عليه خير مما افرقنا فيه.

فقال أبو الحسن (ع) ما اسمك؟ قال: يوحنا، قال: يا يوحنا إنا آمنة بعيسى روح الله و كلمته - الذى كان يؤمن بمحمد و يبشر به - و يقر على نفسه أنه عبد مربوب - فإن كان عيسى الذى هو عندك روح الله و كلمته - ليس هو الذى آمن بمحمد و بشر به - و لا هو

الذى أقر الله بالعبودية-فنحن منه براء فأين اجتمعنا؟ فقام وقال لصفوان بن يحيى: قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس.

أقول: كأنه يريد بقوله: قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس، أن دخوله (ع) لم يفده فائده حيث لم ينجح ما أتى به من الحججه.

و فى كمال الدين، بإسناده إلى يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله (ع) قال: كان بين عيسى و محمد ص-خمس مائه عام منها- مائتان و خمسون عاما ليس فيها نبي و لا- عالم ظاهر، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى (ع)، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين. ثم قال: و لا يكون إلا و فيها عالم.

أقول: المراد بالعالم الإمام الذى هو الحججه، و هناك روايات واردة فى قوله تعالى:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ»، و قوله: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ» تذكّر أن النور و الهدى و دين الحق و لايه أمير المؤمنين (ع) و هى من الجرى و التطبيق أو من البطن و ليست بمفسره، و عد الفصل بين المسيح و بين محمد ص خمس مائه عام يخالف ما عليه مشهور التاريخ لكن المحققين ذكروا أن فى التاريخ الميلاد اختلالا و قد مرت إشاره ما إلى ذلك فى الجزء الثالث من الكتاب.

## [سوره الصف (٦١): الآيات ١٠ الى ١٤]

### إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَارِهِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَعْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

دعوه للمؤمنين إلى الإيمان بالله ورسوله و الجهاد في سبيل الله و وعد جميل بالمغفره و الجنه في الآخره و بالنصر و الفتح في الدنيا، و دعوه لهم إلى أن يثبتوا على نصرهم لله و وعد جميل بالتأييد.

و المعنيان هما الغرض الأقصى في السوره و الآيات السابقه كالتوطئه و التمهيد بالنسبه إليهما.

قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » الاستفهام للعرض و هو في معنى الأمر.

و التجاره -على ما ذكره الراغب- التصرف في رأس المال طلبا للريح، و لا يوجد في كلام العرب تاء بعده جيم إلا هذه اللفظه.

فقد أخذ الإيمان و الجهاد في الآيه تجاره رأس مالها النفس و ربحتها النجاه من عذاب أليم، و الآيه في معنى قوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ -X- إِلَىٰ أَنْ قَالَ -X- فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ»: التوبه: ١١١.

و قد فخم تعالى أمر هذه التجاره حيث قال: «عَلَىٰ تِجَارَةٍ» أي تجاره جليله القدر عظيمه الشأن، و جعل الربح الحاصل منها النجاه من عذاب أليم لا يقدر قدره.

و مصداق هذه النجاه الموعوده بالمغفره و الجنه، و لذا بدل ثانيا النجاه من العذاب من قوله: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ» إلخ، و أما النصر و الفتح الموعودان فهما خارجان عن النجاه الموعوده، و لذا فصلهما عن المغفره و الجنه فقال: «وَ أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا

نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ

«فلا تغفل.»

قوله تعالى: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» إلخ، استئناف بياني يفسر التجاره المعروضه عليهم كأنه قيل: ما هذه التجاره؟ فقيل:

«تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ» إلخ، وقد أخذ الإيمان بالرسول مع الإيمان بالله للدلالة على وجوب طاعته فيما أمر به و إلا فالإيمان لا يعد إيماناً بالله إلا مع الإيمان برسالة الرسول قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ X-إلى أن قال- X أولئك هم الكافرون حَقًّا»: النساء: ١٥١.

وقوله: «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى ما ذكر من الإيمان و الجهاد خير لكم إن كنتم من أهل العلم و أما الجهله فلا يعتد بأعمالهم.

وقيل: المراد تعلمون خيره ذلك إن كنتم من أهل العلم و الفقه.

قوله تعالى: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» إلخ، جواب للشرط المقدر المفهوم من الآيه السابقه أى إن تؤمنوا بالله و رسوله و تجاهدوا فى سبيله يغفر لكم، إلخ.

وقد أطلقت الذنوب المتعلقة بها المغفره فالمغفور جميع الذنوب و الاعتبار يساعده إذ هذه المغفره مقدمه الدخول فى جنه الخلد و لا معنى لدخولها مع بقاء بعض الذنوب على حاله، و لعله للإشاره إلى هذه النكته عقبها بقوله: «وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ» أى جنات ثبات و استقرار فكونها محل ثبات و موضع قرار يلوح أن المغفره تتعلق بجميع الذنوب.

مضافا إلى ما فيه من مقابله النفس المبذوله و هى متاع قليل معجل بجنات عدن التى هى خالده فتطيب بذلك نفس المؤمن و تقوى إرادته لبذل النفس و توضيحها و اختيار البقاء على الفناء.

ثم زاد فى تأكيد ذلك بقوله: «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

قوله تعالى: «وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» إلخ، عطف على قوله:

«يَغْفِرْ لَكُمْ» إلخ، و «أُخْرَى» وصف قائم مقام الموصوف و هو خبر لمبتدئه محذوف، و قوله: «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» بيان لأخرى، و التقدير و لكم نعمه أو خصله أخرى تحبونها و هى نصر من الله و فتح قريب عاجل.

و قوله: « وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » معطوف على الأمر المفهوم من سابق الكلام كأنه قيل:

«قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم» الخ، و بشر المؤمنين.

و تحاذى هذه البشرى ما فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ X- إلى أن قال- X فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ»: التوبة: ١١١، و به يظهر أن الذى أمر أن يبشروا به مجموع ما يؤتيهم الله من الأجر فى الآخرة و الدنيا لا خصوص النصر و الفتح.

هذا كله ما يعطيه السياق فى معنى الآيه و إعراب أجزائها، و قد ذكر فيها أمور أخرى لا يساعد عليها السياق تلك المساعدة أغمضنا عن ذكرها، و احتمال أن يكون قوله: « وَ بَشِّرِ » الخ استثناءفا.

قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ » الخ، أى اتسموا بهذه السمة و دوموا و اثبتوا عليها فالآيه فى معنى الترقى بالنسبة إلى قوله السابق: « هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » و مآل المعنى: اتجروا بأنفسكم و أموالكم فانصروا الله بالإيمان و الجهاد فى سبيله و دوموا و اثبتوا على نصره.

و المراد بنصرتهم لله أن ينصروا نبيه فى سلوك السبيل الذى يسلكه إلى الله على بصيره كما قال: « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي »: يوسف: ١٠٨.

و الدليل على هذا المعنى تنظيره تعالى قوله: « كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ » بقوله بعده: « كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ » فكون الحواريين أنصار الله معناه كونهم أنصارا لعيسى بن مريم (ع) فى سلوكه سبيل الله و توجهه إلى الله و هو التوحيد و إخلاص العبادة لله سبحانه فمحاذاه قولهم: « نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ » لقوله: « مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ » و مطابقته له تقتضى اتحاد معنى الكلمتين بحسب المراد فكون هؤلاء المخاطبين بقوله: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ » أنصارا لله معناه كونهم أنصارا للنبي ص فى نشر الدعوه و إعلاء كلمه الحق بالجهاد، و هو الإيمان بالنبي ص و طاعته فيما يأمر و ينهى عن قول جازم و عمل صادق- كما هو مؤدى سياق آيات السوره.

و قوله: « فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ » إشاره إلى ما جرى عليه و انتهى إليه أمر استنصار عيسى



و تلبسه الحواريين حيث تفرق الناس إلى طائفه مؤمنه و أخرى كافره فأيد الله المؤمنين على عدوهم و هم الكفار فأصبحوا ظاهرين بعد ما كانوا مستخفين مضطهدين.

و فيه تلويح إلى أن أمه النبي ص يجرى فيهم ما جرى في أمه عيسى(ع) تؤمن منهم طائفه و تكفر طائفه فإن أجاب المؤمنون استنصاره-و قد قام هو تعالى مقامه في الاستنصار إعظاما لأمره و إعزازا له-أيدهم الله على عدوهم فيصبحون ظاهرين كما ظهر أنصار عيسى و المؤمنون به.

و قد أشار تعالى إلى هذه القصة في آخر قصص عيسى(ع) من سوره آل عمران حيث قال: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» آل عمران: ٥٢، إلى تمام ست آيات، و بالتدبر فيها يتضح معنى الآية المبحوث عنها.

### (بحث روائي)

في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر(ع): في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» فقالوا: لو نعلم ما هي لنبدلن فيه- الأموال و الأنفس و الأولاد، فقال الله: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ- إلى قوله- ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

أقول: و هذا المعنى مروى من طرق أهل السنه أيضا.

و فيه، "في قوله تعالى: «وَ أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» يعني في الدنيا بفتح القائم(ع)، و أيضا قال: فتح مكه.

في الاحتجاج، عن أمير المؤمنين(ع) في حديث: و لم يخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليفه إليه-و متعلم على سبيل نجاه- أولئك هم الأقلون عددا، و قد بين الله ذلك من أمم الأنبياء، و جعلهم مثلا لمن تأخر مثل قوله في حوارى عيسى- حيث قال لسائر بنى إسرائيل:

« مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ- قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ- وَ اشْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» يعني مسلمون لأهل الفضل فضلهم- و لا يستكبرون عن أمر ربهم- فما أجابه منهم إلا الحواريون.

أقول: الروايه و إن وردت في تفسير آيه آل عمران لكنها مفيدة فيما نحن فيه.

و في الدر المنثور، أخرج ابن إسحاق و ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال رسول الله ص للنفر الذين لاقوه بالعقبه: أخرجوا إلى اثني عشر رجلا منكم - يكونوا كفلاء على قومهم - كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم.

## (٦٢) (سوره الجمعه مدنيه و هي إحدى عشره آيه) (١١)

[سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

ص: ٢٦٢

غرض السوره هو الحث البالغ على الاهتمام بأمر صلاه الجمعه و القيام بواجب أمرها فهي من شعائر الله المعظمه التي في تعظيمها و الاهتمام بأمرها صلاح أخراهم و دنياهم، وقد سلك تعالى إلى بيان أمره بافتتاح الكلام بتسبيحه و الثناء عليه بما من على قوم أميين برسول منهم أمى يتلو عليهم آياته و يزيكهم بصالحات الأعمال و الزاكيات من الأخلاق و يعلمهم الكتاب و الحكمة فيحملهم كتاب الله و معارف دينه أحسن التحميل هم و من يلحق بهم أو يخلفهم من بعدهم من المؤمنين فليحملوا ذلك أحسن الحمل، و ليحذروا أن يكونوا كاليهود حملوا التوراه ثم لم يحملوا معارفها و أحكامها فكانوا مثل الحمار يحمل أسفارا.

ثم تخلص إلى الأمر بترك البيع و السعى إلى ذكر الله إذا نودي للصلاه من يوم الجمعه، و قرعهم على ترك النبي ص قائما يخطب و الانفضاض و الانسلال إلى التجاره و اللهو، و ذلك آيه عدم تحملهم ما حملوا من معارف كتاب الله و أحكام، و السوره مدنيه.

قوله تعالى: «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» التسبيح تنزيه الشيء و نسبته إلى الطهاره و النزاهه من العيوب و النقائص، و التعبير بالمضارع للدلاله على الاستمرار، و الملك هو الاختصاص بالحكم في نظام المجتمع، و القدوس مبالغه في القدس و هو النزاهه و الطهاره، و العزيز هو الذى لا يغلبه غالب، و الحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف.

و فى الآيه توطئه و تمهيد برهاني لما يتضمنه قوله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ» إلخ، من بعثه الرسول لتكميل الناس و إسعادهم و هدايتهم بعد إذ كانوا فى ضلال مبين.

و ذلك أنه تعالى يسبحه و ينزهه الموجودات السماويه و الأرضيه بما عندهم من النقص الذى هو متممه و الحاجه التي هو قاضياها فما من نقيصه أو حاجه إلا و هو المرجو فى تمامها و قضائها فهو المسبح المنزه عن كل نقص و حاجه فله أن يحكم فى نظام التكوين بين خلقه بما شاء، و فى نظام التشريع فى عبادته بما أراد، كيف لا؟ و هو ملك له أن يحكم فى أهل مملكته و عليهم أن يطيعوه.

و إذا حكم و شرع بينهم دينا لم يكن ذلك منه لحاجه إلى تعبيدهم و نقص فيه يتممه بعبادتهم لأنه قدوس منزه عن كل نقص و حاجه.

ثم إذا حكم و شرع و بلغه إياهم عن غنى منه و دعاهم إليه بوساطه رسله فلم يستجيبوا دعوته و تمردوا عن طاعته لم يكن ذلك تعجيزا منهم له تعالى لأنه العزيز لا يغلبه فيما يريد غالب.

ثم إن الذى حكم و شرعه من الدين بما أنه الملك القدوس العزيز ليس يذهب لغى لا أثر له لأنه حكيم على الإطلاق لا يفعل ما يفعل إلا لمصلحه و لا يريد منهم ما يريد إلا لنفع يعود إليهم و خير ينالونه فيستقيم به حالهم فى دنياهم و أخراهم.

و بالجمله فتشريع الدين و إنزاله الكتاب ببعث رسول يبلغهم ذلك بتلاوه آياته، و يزكيهم و يعلمهم من منه تعالى و فضل كما قال: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ» إلخ.

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» إلخ، الأميون جمع أمى و هو الذى لا- يقرأ و لا يكتب، و المراد بهم- كما قيل- العرب لقله من كان منهم يقرأ و يكتب و قد كان الرسول ص منهم أى من جنسهم و هو غير كونه مرسلًا إليهم فقد كان منهم و كان مرسلًا إلى الناس كافة.

و احتمال أن يكون المراد بالأميين غير أهل الكتاب كما قال اليهود- على ما حكى الله عنهم-: «لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ»: آل عمران: ٧٥.

و فيه أنه لا يناسب قوله فى ذيل الآية: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» إلخ، فإنه (ص) لم يخص غير العرب و غير أهل الكتاب بشيء من الدعوه لم يلقه إليهم.

و احتمال أن يكون المراد بالأميين أهل مكة لكونهم يسمونها أم القرى.

و فيه أنه لا- يناسب كون السوره مدنيه لإبهامه كون ضمير «يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ» راجعا إلى المهاجرين و من أسلم من أهل مكة بعد الفتح و أخلافهم و هو بعيد من مذاق القرآن.

و لا- منافاه بين كونه (ص) من الأميين مبعوثا فيهم و بين كونه مبعوثا إليهم و إلى غيرهم و هو ظاهر، و تلاوته عليهم آياته و تزكيته و تعليمه لهم الكتاب و الحكمه لنزوله بلغتهم و هو أول مراحل دعوته و لذا لما استقرت الدعوه بعض الاستقرار أخذ (ص) يدعو اليهود و النصرارى و المجوس و كاتب العظماء و الملوكة.

و كذا دعوه إبراهيم و إسماعيل (ع) على ما حكى الله تعالى: «رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» -X إلى أن قال -X- رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ»: البقره: ١٢٩، تشمل جميع آل

إسماعيل من عرب مضر أعم من أهل مكة وغيرهم، ولا ينافى كونه (ص) مبعوثا إليهم وإلى غيرهم.

وقوله: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» أي آيات كتابه مع كونه أميا. صفة للرسول.

وقوله: «وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» التزكية تفعيل من الزكاه بمعنى النمو الصالح الذي يلازم الخير والبركة فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضله والأعمال الصالحة فيكملون بذلك في إنسانيتهم فيستقيم حالهم في دنياهم و آخرتهم يعيشون سعداء ويموتون سعداء.

وتعليم الكتاب بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أشكل من ذلك، ويقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقيه التي يتضمنها القرآن، والتعبير عن القرآن تارة بالآيات وتارة بالكتاب للدلاله على أنه بكل من هذه العناوين نعمه يمتن بها- كما قيل -.

وقد قدم التزكية هاهنا على تعليم الكتاب والحكمة بخلاف ما في دعوه إبراهيم (ع) لأن هذه الآيه تصف تربيته (ص) لمؤمني أمته، والتزكية مقدمه في مقام التربيه على تعليم العلوم الحقه والمعارف الحقيقيه وأما ما في دعوه إبراهيم (ع) فإنها دعاء وسؤال أن يتحقق في ذريته هذه الزكاه والعلم بالكتاب والحكمه، و العلوم والمعارف أقدم مرتبه وأرفع درجه في مرحله التحقق والاتصاف من الزكاه الراجعه إلى الأعمال والأخلاق.

وقوله: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» «إِنْ» مخففه من الثقيله والمراد أنهم كانوا من قبل بعثه الرسول ص في ضلال مبين، والآيه تحميد بعد تسييح ومسوقه للامتنان كما سيأتي.

قوله تعالى: «وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» عطف على الأمين و ضمير «مِنْهُمْ» راجع إليهم و«من» للتبعيض والمعنى: بعث في الأمين وفي آخريين منهم لم يلحقوا بهم بعد وهو العزيز الذي لا يغلب في إرادته الحكيم الذي لا يلغو ولا يجازف في فعله.

قوله تعالى: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» الإشاره بذلك إلى بعث الرسول ص -وقد فخم أمره بالإشاره البعيده- فهو (ص) المخصوص بالفضل، والمعنى: ذلك البعث و كونه يتلو آيات الله و يزكى الناس و يعلمهم الكتاب و الحكمة من فضل الله و عطائه يعطيه من تعلقته به مشيئته و قد شاء أن يعطيه محمد ص و الله ذو

و من الممكن أن تكون الإشارة بذلك إلى البعث بما له من النسبه إلى أطرافه من المرسل و المرسل إليهم، و المعنى: ذلك البعث من فضل الله يؤتیه من يشاء و قد شاء أن يخص بهذا الفضل محمدا ص فاختره رسولا، و أمته فاخترهم لذلك فجعله منهم و أرسله إليهم.

و الآيه و الآيتان قبلها أعنى قوله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ -إلى قوله- الْعَظِيمِ» مسوقه سوق الامتنان.

قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» إلخ، قال الراغب: السفر -بالفتح فالسكون- كشف الغطاء و يختص ذلك بالأعيان نحو سفر العمامه عن الرأس و الخمار عن الوجه-إلى أن قال-و السفر-بالكسر فالسكون- الكتاب الذى يسفر عن الحقائق قال تعالى: «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» انتهى.

و المراد بتحميل التوراه تعليمها، و المراد بحملها العمل بها على ما يؤيده السياق و يشهد به ما فى ذيل الآيه من قوله: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»، و المراد بالذين حملوا التوراه ثم لم يحملوها اليهود الذين أنزل الله التوراه على رسولهم موسى (ع) فعلمهم ما فيها من المعارف و الشرائع فتركوها و لم يعملوا بها فحملوها و لم يحملوها فضرب الله لهم مثل الحمار يحمل أسفارا و هو لا يعرف ما فيها من المعارف و الحقائق فلا يبقى له من حملها إلا التعب بتحمل ثقلها.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه تعالى لما افتتح الكلام بما من به على المسلمين من بعث نبي أمى من بين الأميين يتلو عليهم آيات كتابه و يزيكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة فيخرجهم من ظلمات الضلال إلى نور الهدى و من حضيض الجهل إلى أوج العلم و الحكمة و سيشير تعالى فى آخر السوره إشارة عتاب و توبيخ إلى ما صنعوه من الانفضاض و الانسلال إلى اللهو و التجاره و النبى ص قائم يخطبهم يوم الجمعة و هو من الاستهانه بما هو من أعظم المناسك الدينيه و يكشف أنهم لم يقدروها حق قدرها و لا نزلوها منزلتها.

فاعترض الله سبحانه بهذا المثل و ذكرهم بحال اليهود حيث حملوا التوراه ثم لم يحملوها فكانوا كالحمار يحمل أسفارا و لا ينتفع بما فيها من المعرفه و الحكمة، فعليهم أن يهتموا بأمر الدين و يراقبوا الله فى حركاتهم و سكناتهم و يعظموا رسوله ص و يوقروه و لا يستهينوا

بما جاء به، وليحذروا أن يحل بهم من سخطه تعالى ما حل باليهود حيث لم يعملوا بما علموا فعدهم الله جهله ظالمين و شبههم بالحمار يحمل أسفارا.

و فى روح المعانى: وجه ارتباط الآيه بما قبلها تضمنها الإشاره إلى أن ذلك الرسول المبعوث قد بعثه الله تعالى بما نعته به فى التوراه و على السنه أنبياء بنى إسرائيل كأنه قيل:

هو الذى بعث المبشر به فى التوراه المنعوت فيها بالنبي الأسمى المبعوث إلى أمه أميين، مثل من جاءه نعته فيها و علمه ثم لم يؤمن به مثل الحمار. انتهى.

و أنت خبير بأنه تحكم لا دليل عليه من جهه السياق.

قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ» احتجاج على اليهود يظهر به كذبهم فى دعواهم أنهم أولياء الله و أحبائه، و قد حكى الله تعالى ما يدل على ذلك عنهم بقوله: «و قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْدَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» المائده: ١٨، و قوله: «قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ» البقره: ٩٤، و قوله: «و قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا» البقره: ١١١.

و محصل المعنى: قل لليهود مخاطبا لهم يا أيها الذين تهودوا إن كنتم اعتقدتم أنكم أولياء الله من دون الناس إن كنتم صادقين فى دعواكم فتمنوا الموت لأن الولي يحب لقاء وليه و من أيقن أنه ولي الله وجبت له الجنة و لا- حاجب بينه و بينها إلا- الموت أحب الموت و تمنى أن يحل به فيدخل دار الكرامه و يتخلص من هذه الحياه الدنيه التى ما فيها إلا- الهم و الغم و المحنه و المصيبه.

قيل: و فى قوله: «أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ» من غير إضافه إشاره إلى أنه دعوى منهم من غير حقيقه.

قوله تعالى: «و لَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» أخبر تعالى نبيه ص أنهم لا يتمنونه أبدا بعد ما أمره أن يعرض عليهم تمنى الموت.

و قد علل عدم تمنيه الموت بما قدمت أيديهم و هو كناية عن الظلم و الفسوق، فمعنى الآية: و لا يتمنون الموت أبدا بسبب ما قدمته أيديهم من الظلم فكانوا ظالمين و الله عليم بالظالمين يعلم أنهم لا- يحبون لقاءه لأنهم أعداؤه لا ولايه بينه و بينهم و لا محبه.

و الآيتان فى معنى قوله تعالى: «قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيَسْئَلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» الفاء فى قوله: «فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» فى معنى جواب الشرط، و فيه وعيد لهم بأن الموت الذى يكرهونه كراهه أن يؤاخذوا بوبال أعمالهم فإنه سيلاقيهم لا- محاله ثم يردون إلى ربهم الذى خرجوا من زى عبوديته بمظالمهم و عادوه بأعمالهم و هو عالم بحقيقه أعمالهم ظاهرها و باطنها فإنه عالم الغيب و الشهاده فينبؤهم بحقيقه أعمالهم و تبعاتها السيئه و هى أنواع العذاب.

ففى الآيه إيدانهم أولا: أن فرارهم من الموت خطأ منهم فإنه سيدركهم و يلاقيهم، و ثانيا: أن كراهم لقاء الله خطأ آخر فإنهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيئه، و ثالثا: أنه تعالى لا- يخفى عليه شىء من أعمالهم ظاهرها و باطنها و لا يحيق به مكرهم فإنه عالم الغيب و الشهاده.

ففى الآيه إشاره أولا: إلى أن الموت حق مقضى كما قال: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» :الأنبياء: ٣٥، و قال: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» :الواقعه: ٦٠.

و ثانيا: أن الرجوع إلى الله لحساب الأعمال حق لا ريب فيه.

و ثالثا: أنهم سيوقفون على حقيقه أعمالهم فيوفونها.

و رابعا: أنه تعالى لا يخفى عليه شىء من أعمالهم و للإشاره إلى ذلك بدل اسم الجلاله من قوله: «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ».

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ»:

عن أبيه عن ابن أبى عمير عن معاويه بن عمار عن أبى عبد الله(ع): فى الآيه قال: كانوا يكتبون-و لكن لم يكن معهم كتاب من عند الله-و لا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين.

و فيه، "فى قوله تعالى: «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» قال: دخلوا الإسلام بعدهم.

و فى المجمع، و روى: أن النبى ص قرأ هذه الآيه-فقليل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان و قال: لو كان الإيمان بالثريا لئالته رجال من هؤلاء.

أقول: و رواه فى الدر المنثور، عن عدة من جوامع الحديث منها صحيح البخارى



و مسلم و الترمذى و النسائى عن أبى هريره عن النبى ص، و فيه: فوضع يده على رأس سلمان الفارسى و قال: و الذى نفسى بيده لو كان العلم بالثريا-لنالته رجال من هؤلاء.

و روى أيضا عن سعيد بن منصور و ابن مردويه عن قيس بن سعد بن عبادته: أن رسول الله ص قال: لو أن الإيمان بالثريا-لنالته رجال من أهل فارس.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ- ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ» قال: الحمار يحمل الكتب و لا يعلم ما فيها- و لا يعمل به- كذلك بنو إسرائيل قد حملوا مثل الحمار- لا يعلمون ما فيه و لا يعملون.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه و الطبرانى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص: من تكلم يوم الجمعة و الإمام يخطب- فهو كالحمار يحمل أسفارا- و الذى يقول له: أنصت ليس له جمعه.

أقول: و فيه تأييد لما قدمناه فى وجه اتصال الآية بما قبلها.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا» الآية، قال: إن فى التوراه مكتوب: أولياء الله يتمنون الموت.

و فى الكافى، بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (ع) قال: \* جاء رجل إلى أبى ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا و خربتم الآخرة- فتكروهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب

### كلام فى معنى تعليم الحكمة

لا محيص للإنسان فى حياته المحدوده التى يعمرها فى هذه النشأه من سنه يستن بها فيما يريد و يكره، و يجرى عليها فى حركاته و سكناته و بالجمله جميع مساعيه فى الحياه.

و تتبع هذه السنه فى نوعها ما عند الإنسان من الرأى فى حقيقه الكون العام و حقيقه نفسه و ما بينهما من الربط، و يدل على ذلك ما نجد من اختلاف السنن و الطرائق فى الأمم باختلاف آرائهم فى حقيقه نشأه الوجود و الإنسان الذى هو جزء منها.

فمن لا- يرى لما وراء الماده وجودا، و يقصر الوجود فى المادى، و ينهى الوجود إلى الاتفاق، و يرى الإنسان مركبا ماديا محدود الحياه بين التولد و الموت لا يرى لنفسه من

السعادة إلا سعادة المادة ولا غاية له في أعماله إلا المزايا المادية من مال و ولد و جاه و غير ذلك، ولا بغية له إلا التمتع بأمته الدنيا و الظفر بلذائذها المادية أو ما يرجع إليها و تنتهي جميعا إلى الموت الذى هو عنده انحلال للتركيب و بطلان.

و من يرى كينونه العالم عن سبب فوqe منزه عن المادة، و أن وراء الدار دارا و بعد الدنيا آخره نجده يخالف فى سنته و طريقته الطائفة المتقدم ذكرها فيتوخى فى أعماله وراء سعادة الدنيا سعادة الأخرى و يختلف صور أعمالهم و غاياتهم و آراؤهم مع الطائفة الأولى.

و يختلف سنن هؤلاء باختلافهم أنفسهم فيما بينهم كاختلاف سنن الوثنيين من البرهمنيين و البوذيين و غيرهم و المليين من المجوسيه و الكليميه و المسيحيه و المسلمين فلكل وجهه هو مولياها.

و بالجمله الملى يراعى فى مساعيه جانب ما يراه لنفسه من الحياه الخالده المؤبده و يدعن من الآراء بما يناسب ذلك كادعائه أنه يجب على الإنسان أن يمهد لعالم البقاء و أن يتوجه إلى ربه، و أن لا يفرط فى الاشتغال بعرض الحياه الدنيا الفانيه و غير الملى الخاضع للماده يلوى إلى خلاف ذلك، هذا كله مما لا ريب فيه.

غير أن الإنسان لما كان بحسب طبعه المادى رهينا للماده مترددا بين الأسباب الظاهريه فاعلا بها منفعلا عنها لا يزال يدفعه سبب إلى سبب لا فراغ له من ذلك، يرى-بحسب ما يخيل إليه- أن الأصاله لحياته الدنيويه المنقطعه، و أنها و ما تنتهى إليه من المقاصد و المزايا هى الغايه الأخيره و الغرض الأقصى من وجوده الذى يجب عليه أن يسعى لتحصيل سعاده.

فالحياه الدنيا هى الحياه و ما عند أهلها من القنيه و النعمه و المنيه و القوه و العزه هى هى بحقيقه معنى الكلمه، و ما يعدونه فقرا و نقمه و حرمانا و ضعفا و ذله و رزيه و مصيبه و خسارانا هى هى و بالجمله كل ما تهواه النفس من خير معجل أو نفع مقطوع فهو عندهم خير مطلق و نفع مطلق، و كل ما لا تهواه فهو شر أو ضرر.

فمن كان منهم من غير أهل المله جرى على هذه الآراء و لا خبر عنده عما وراء ذلك، و من كان منهم من أهل المله جرى عليها عملا- و هو معترف بخلافها قولا فلا يزال فى تدافع بين قوله و فعله قال تعالى: «كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» البقره: ٢٠.

و الذى تندب إليه الدعوه الإسلاميه من الاعتقاد و العمل هو ما يطابق مقتضى الفطره

الإنسانية التي فطر عليها الإنسان و تثبت عليه خلقته كما قال: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» :الروم: ٣٠.

و من المعلوم أن الفطره لا- تهتدى علما و لا- تميل عملا- إلا إلى ما فيه كمالها الواقعي و سعادتها الحقيقيه فما تهتدى إليه من الاعتقادات الأصليه في المبدأ و المعاد و ما يتفرع عليها من الآراء و العقائد الفرعيه علوم و آراء حقه لا تتعدى سعادته الإنسان و كذا ما تميل إليه من الأعمال.

و لذا سمى الله تعالى هذا الدين المبني على الفطره بدين الحق في مواضع من كلامه كقوله: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ» :الصف: ٩. و قال في القرآن المتضمن لدعوته: «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» :الأحقاف: ٣٠.

و ليس الحق إلا- الرأي و الاعتقاد الذي يطابقه الواقع و يلانزه الرشد من غير غي، و هذا هو الحكمه-الرأي الذي أحكم في صدقه فلا يتخلله كذب، و في نفعه فلا يعقبه ضرر- و قد أشار تعالى إلى اشتمال الدعوه على الحكمه بقوله: «وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» :النساء: ١١٣، و وصف كلامه المنزل بها فقال: «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» :يس: ٢، و عد رسوله ص معلما للحكمه في مواضع من كلامه كقوله: «وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» :الجمعه: ٢.

فالتعليم القرآني الذي تصداه الرسول ص المبين لما نزل من عند الله من تعليم الحكمه و شأنه بيان ما هو الحق في أصول الاعتقادات الباطله الخرافيه التي دبت في أفهام الناس من تصور عالم الوجود و حقيقه الإنسان الذي هو جزء منه- كما تقدمت الإشارة إليه- و ما هو الحق في الاعتقادات الفرعيه المترتبه على تلك الأصول مما كان مبدأ للأعمال الإنسانيه و عناوين لغاياتها و مقاصدها.

فالناس-مثلا- يرون أن الأصله لحياتهم الماديه حتى قال قائلهم: «مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» :الجاثيه: ٢٤، و القرآن ينبههم بقوله: «وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْيٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» :العنكبوت: ٦٤، و يرون أن العلل و الأسباب هي المولده للحوادث الحاكمه فيها من حياه و موت و صحه و مرض و غنى و فقر و نعمه و نقمه و رزق و حرمان «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» :سبأ: ٣٣، و القرآن يذكرهم بقوله:

«أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» :الأعراف: ٥٤، و قوله: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» :يوسف: ٦٧،

وغير ذلك من آيات الحكمة، و يرون أن لهم الاستقلال في المشيه يفعلون ما يشاءون و القرآن يخطئهم بقوله: «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»: الإنسان: ٣٠، و يرون أن لهم أن يطيعوا و يعصوا و يهدوا و يهتدوا و القرآن ينبئهم بقوله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»: القصص: ٥٦.

و يرون أن لهم قوه و القرآن ينكر ذلك بقوله: «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»: البقره: ١٦٥.

و يرون أن لهم عزه بمال و بنين و أنصار و القرآن يحكم بخلافه بقوله: «أَيَّبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»: النساء: ١٣٩. و قوله: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»: المنافقون: ٨.

و يرون أن القتل في سبيل الله موت و انعدام و القرآن يعده حياه إذ يقول: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَ لَكِنَّ لَكُمْ لَا تَشْعُرُونَ»: البقره: ١٥٤، إلى غير ذلك من التعاليم القرآنيه التي أمر النبي ص أن يدعو بها الناس قال: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ»: النحل: ١٢٥.

و هي علوم و آراء جمه صورت الحياه الدنيا خلافها في نفوس الناس و زينه فنبه تعالى لها في كتابه و أمر بتعليمها رسوله و ندب المؤمنين أن يتواصوا بها كما قال: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ»: العصر: ٣، و قال: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»: البقره: ٢٦٩.

فالقرآن بالحقيقه يقلب قلب الإنسان في قالب من حيث العلم و العمل حديث و يصوغه صوغا جديدا فيحيي حياه لا يتعقبها موت أبدا، و إليه الإشاره بقوله تعالى: «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»: الأنفال: ٢٤، و قوله: «أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»: الأنعام: ١٢٢.

و قد بينا وجه الحكمة في كل من آياتها عند التعرض لتفسيرها على قدر مجال البحث في الكتاب.

و مما تقدم يتبين فساد قول من قال: إن تفسير القرآن تلاوته، و إن التعمق في مداليل آيات القرآن من التأويل الممنوع فما أبعد من قول.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَ بِتِ الصَّلَاةِ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

بيان

تأكيد إيجاب صلاة الجمعة و تحريم البيع عند حضورها و فيها عتاب لمن انفض إلى اللهو و التجاره عند ذلك و استهجان لفعالهم.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ» الخ، المراد بالنداء للصلاة من يوم الجمعة الأذان كما في قوله: «وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا»: المائدة: ٥٨.

و الجمعة بضمين أو بالضم فالسكون أحد أيام الأسبوع و كان يسمى أولا- يوم العروبه ثم غلب عليه اسم الجمعة، و المراد بالصلاة من يوم الجمعة صلاة الجمعة المشرعه يومها، و السعى هو المشى بالإسراع، و المراد بذكر الله الصلاة كما في قوله: «وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ»: العنكبوت: ٤٥، على ما قيل و قيل: المراد به الخطبه قبل الصلاة و قوله: «وَ ذَرُوا الْبَيْعَ» أمر بتركه، و المراد به على ما يفيد السياق النهى عن الاشتغال بكل عمل يشغل عن صلاة الجمعة سواء كان بيعا أو غيره و إنما علق النهى بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاة.

و المعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا أذن لصلاه الجمعة يومها فجدوا فى المشى إلى الصلاه و اتركوا البيع و كل ما يشغلكم عنها.

و قوله: «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» حث و تحريض لهم لما أمر به من الصلاه و ترك البيع.

قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» إلخ، المراد بقضاء الصلاه إقامه صلاه الجمعة، و الانتشار فى الأرض التفرق فيها، و ابتغاء فضل الله طلب الرزق نظرا إلى مقابلته ترك البيع فى الآيه السابقه لكن تقدم أن المراد ترك كل ما يشغل عن صلاه الجمعة، و على هذا فابتغاء فضل الله طلب مطلق عطيته فى التفرق لطلب رزقه بالبيع و الشرى، و طلب ثوابه بعياده مريض و السعى فى حاجه مسلم و زياره أخ فى الله، و حضور مجلس علم و نحو ذلك.

و قوله: «فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» أمر واقع بعد الحظر فيفيد الجواز و الإباحه دون الوجوب و كذا قوله: «وَابْتَغُوا، وَادْكُرُوا».

و قوله: «وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» المراد بالذكر أعم من الذكر اللفظى فيشمل ذكره تعالى قلبا بالتوجه إليه باطنا، و الفلاح النجاه من كل شقاء، و هو فى المورد بالنظر إلى ما تقدم من حديث التركيه و التعليم و ما فى الآيه التاليه من التوبيخ و العتاب الشديد، الزكاه و العلم و ذلك أن كثره الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور فى النفس و انتقاشه فى الذهن فتقطع به منابت الغفله و يورث التقوى الدينى الذى هو مظنه الفلاح قال تعالى:

«وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» آل عمران: ٢٠٠.

قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا» إلخ، الانفضااض -على ما ذكره الراغب- استعاره عن الانفضااض بمعنى انكسار الشىء و تفرق بعضه من بعض.

و قد اتفقت روايات الشيعة و أهل السنه على أنه ورد المدينه غير معها تجاره و ذلك يوم الجمعة و النبى ص قائم يخطب فضربوا بالطبل و الدف لإعلام الناس فانفض أهل المسجد إليهم و تركوا النبى ص قائما يخطب فنزلت الآيه. فالمراد باللهو استعمال المعازف و آلات الطرب ليجتمع الناس للتجاره، و ضمير «إِلَيْهَا» راجع إلى التجاره لأنها كانت المقصوده فى نفسها و اللهو مقصود لأجلها، و قيل: الضمير لأحدهما كأنه قيل: انفضوا

إليه و انفضوا إليها و ذلك أن كلا منهما سبب لانفضاض الناس إليه و تجمعهم عليه، و لذا ردد بينهما و قال: «تَجَارَةٌ أَوْ لَهْوًا» و لم يقل: تجاره و لهوا و الضمير يصلح للرجوع إلى كل منهما لأن اللهو في الأصل مصدر يجوز فيه الوجهان التذكير و التأنيث.

و لذا أيضا عد «مَا عِنْدَ اللَّهِ» خيرا من كل منهما بحياله فقال: «مِنَ اللَّهِ وَ مِنَ التَّجَارَةِ» و لم يقل: من الله و التجاره.

و قوله: «قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ مِنَ التَّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أمر للنبي أن ينبههم على خطئهم فيما فعلوا-و ما أفضعه-و المراد بما عند الله الثواب الذى يستعقبه سماع الخطبه و الموعظه.

و المعنى قل لهم: ما عند الله من الثواب خير من اللهو و من التجاره لأن ثوابه تعالى خير حقيقى دائم غير منقطع، و ما فى اللهو و التجاره من الخير أمر خيالى زائل باطل و ربما استتبع سخطه تعالى كما فى اللهو.

و قيل: خير مستعمل فى الآيه مجردا عن معنى التفضيل كما فى قوله تعالى: «أَأَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» يوسف: ٣٩، و هو شائع فى الاستعمال.

و فى الآيه أعنى قوله: «وَ إِذَا رَأَوْا» التفات من الخطاب إلى الغيبه، و النكته فيه تأكيد ما يفيدته السياق من العتاب و استهجان الفعل بالإعراض عن تشریفهم بالخطاب و تركهم فى مقام الغيبه لا يواجههم ربهم بوجهه الكريم.

و يلوح إلى هذا الإعراض قوله: «قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» حيث لم يشر إلى من يقول له، و لم يقل: قل لهم كما ذكرهم بضميرهم أولا من غير سبق مرجعه فقال: «وَ إِذَا رَأَوْا» و اكتفى بدلاله السياق.

و خير الرازقين من أسمائه تعالى الحسنى كالرزاق و قد تقدم الكلام فى معنى الرزق فيما تقدم.

## بحث روائى

فى الفقيه، روى: أنه كان بالمدينه إذا أذن المؤذن يوم الجمعة-نادى مناد: حرم البيع لقول الله عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ».

أقول: ورواه في الدر المنثور، عن ابن أبي شيبه و عبد بن حميد و ابن المنذر عن ميمون بن مهران و لفظه \* كان بالمدينة إذا أذن المؤذن من يوم الجمعة-ينادون في الأسواق: حرم البيع حرم البيع.

و تفسير القمي، "و قوله: «فَاسْعُوا إِلَيَّ ذِكْرَ اللَّهِ» قال: الإسراع في المشى،

و في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر(ع): في الآية يقال: فاسعوا أى امضوا، و يقال: اسعوا اعملوا لها و هو قص الشارب- و نتف الإبط و تقليد الأظفار و الغسل- و لبس أنظف الثياب و التطيب للجمعه فهو السعى- يقول الله: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

أقول: يريد أن السعى ليس هو الإسراع في المشى فحسب.

و في المجمع، و روى أنس عن النبي ص قال: في قوله: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» الآية- ليس بطلب الدنيا و لكن عياده مريض- و حضور جنازه و زياره أخ في الله:.

أقول: ورواه في الدر المنثور، عن ابن جرير عن أنس عن النبي ص و عن ابن مردويه عن ابن عباس عنه(ص).

و فيه، و روى عن أبي عبد الله(ع) أنه قال: الصلاة يوم الجمعة و الانتشار يوم السبت.

أقول: و في هذا المعنى روايات أخر.

و فيه، و روى عمر بن يزيد عن أبي عبد الله(ع) قال: إني لأركب في الحاجة التي كفاها الله- ما أركب فيها إلا التماس أن يراني الله- أضحى في طلب الحلال- أما تسمع قول الله عز اسمه: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ- وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»؟! أ رأيت لو أن رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه- ثم قال: رزقي ينزل على أ كان يكون هذا؟ أما أنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم.

قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: رجل يكون عنده المرأه فيدعو عليها فلا يستجاب له- لأن عصمتها في يده لو شاء أن يخلي سبيلها، و الرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه- فيجحد حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له- لأنه ترك ما أمر به، و الرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته- و لا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس حتى يأكله- ثم يدعو فلا يستجاب له.

و فيه، قال جابر بن عبد الله: "أقبل غير و نحن نصلى مع رسول الله ص- فانفض الناس إليها- فما بقى غير اثني عشر رجلا أنا فيهم- فنزلت الآية «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا».



و عن عوالى اللئالى، روى مقاتل بن سليمان قال: بينا رسول الله ص يخطب يوم الجمعة- إذ قدم دحيه الكلبى من الشام بتجاره، و كان إذا قدم لم يبق فى المدينه عاتق (١) إلا- أته، و كان يقدم- إذا قدم- بكل ما يحتاج إليه الناس- من دقيق و بر و غيره- ثم ضرب الطبل ليؤذن الناس بقدمه- فيخرج الناس فيبتاعون منه.

فقدم ذات جمعه، و كان قبل أن يسلم، و رسول الله ص يخطب على المنبر فخرج الناس- فلم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر- فقال النبى ص: لو لا هؤلاء لسومت عليهم الحجاره من السماء- و أنزل الله الآيه فى سوره الجمعة.

أقول: و القصة مرويه بطرق كثيره من طرق الشيعة و أهل السنه و اختلفت الأخبار فى عدد من بقى منهم فى المسجد بين سبعة إلى أربعين.

و فيه «أَنْفُضُوا» أى تفرقوا،

و روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: انصرفوا إليها و تركوك قائما تخطب على المنبر.

قال جابر بن سمره: " ما رأيت رسول الله ص يخطب إلا و هو قائم- فمن حدثك أنه خطب و هو جالس فكذبه.

أقول: و هو مروى أيضا فى روايات أخرى.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه عن طاووس قال: \* خطب رسول الله ص قائما و أبو بكر و عمر و عثمان، و إن أول من جلس على المنبر معاويه بن أبى سفيان.

## (٦٣) سوره المنافقون مدينه، و هى إحدى عشره آيه (١١)

[سوره المنافقون (٦٣): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ دُهْنٍ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفُضُوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)

---

١-١) العاتق: الجاربه أوائل ما أدركت.

تصف السوره المنافقين و تسمهم بشده العداوه و تأمر النبي ص أن يحذرهم و تعظ المؤمنين أن يتحرزوا من خصائص النفاق فلا يقعوا في مهلكته و لا يجرهم إلى النار، و السوره مدنيه.

قوله تعالى: « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ »  
المنافق اسم فاعل من النفاق و هو في عرف القرآن إظهار الإيمان و إبطان الكفر.

و الكذب خلاف الصدق و هو عدم مطابقه الخبر للخارج فهو وصف الخبر كالصدق و ربما اعتبرت مطابقه الخبر و لا مطابقته بالنسبه إلى اعتقاد المخبر فيكون مطابقته لاعتقاد المخبر صدقا منه و عدم مطابقته له كذبا فيقال: فلان كاذب إذا لم يطابق خبره الخارج و فلان كاذب إذا أخبر بما يخالف اعتقاده و يسمى النوع الأول صدقا و كذبا خبريين، و الثانى صدقا و كذبا مخبريين.

فقوله: «إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ» حكاية لإظهارهم بالإيمان بالشهادة على الرساله فإن فى الشهاده على الرساله إيمانا بما جاء به الرسول ص و يتضمن الإيمان بوحديته تعالى و بالمعاد، و هو الإيمان الكامل.

و قوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» تثبت منه تعالى لرسالته (ص)، و إنما أورده مع أن وحى القرآن و مخاطبته (ص) كان كافيا فى تثبيت رسالته، ليكون قرينه مصرحه بأنهم كاذبون من حيث عدم اعتقادهم بما يقولون و إن كان قولهم فى نفسه صادقا فهم كاذبون فى قولهم كذبا مخبريا لا خبريا فقوله: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَأَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ» أريد به الكذب المخبرى لا الخبرى.

قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» إلخ، الأيمان جمع يمين بمعنى القسم، و الجنه الترس و المراد بها ما يتقى به من باب الاستعاره، و الصد يجىء بمعنى الإعراض و عليه فالمراد إعراضهم أنفسهم عن سبيل الله و هو الدين و بمعنى الصرف و عليه فالمراد صرفهم العامه من الناس عن الدين و هم فى وقايه من إيمانهم الكاذبه.

و المعنى: اتخذوا أيمانهم الكاذبه التى يحلفون وقايه لأنفسهم فأعرضوا عن سبيل الله و دينه- أو فصرفوا العامه من الناس عن دين الله بما يستطيعونه من الصرف بتقليب الأمور و إفساد العزائم.

و قوله: «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تقيح لأعمالهم التى استمروا عليها منذ نافقوا إلى حين نزول السوره.

قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» الظاهر أن الإشاره بذلك إلى سوء ما عملوا كما قيل، و قيل: الإشاره إلى جميع ما تقدم من كذبهم و استجنانهم بالأيمان الفاجره و صدهم عن سبيل الله و مساءه أعمالهم.

و المراد بإيمانهم-على ما قيل-إيمانهم بألستهم ظاهرا بشهاده أن لا إله إلا الله و أن

محمدًا رسوله ثم كفرهم بخلو باطنهم عن الإيمان كما قال تعالى فيهم: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَؤُونَ» البقره: ١٤.

و لا يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقه ثم ارتد و كتم ارتداده فلحق بالمنافقين يترصص بالنبى ص و بالمؤمنين الدوائر كما يظهر من بعض آيات سوره التوبه كقوله: «فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ» التوبه: ٧٧، و قد عبر تعالى عن لم يدخل الإيمان فى قلبه منهم بمثل قوله: «وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ» التوبه: ٧٤.

فالظاهر أن المراد بقوله: «آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا» إظهارهم للشهادتين أعم من أن يكون عن ظهر القلب أو بظاهر من القول ثم كفرهم بإتيان أعمال تستصحب الكفر كالاستهزاء بالدين و رد بعض الأحكام.

و قوله: «فَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» تفریع عدم الفقه على طبع القلوب دليل على أن الطبع ختم على القلب يستتبع عدم قبوله لورود كلمه الحق فيه فهو آيس من الإيمان محروم من الحق.

و الطبع على القلب جعله بحيث لا- يقبل الحق و لا- يتبعه فلا- محاله يتبع الهوى كما قال تعالى: «طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» سوره محمد: ١٦، فلا يفقه و لا يسمع و لا يعلم كما قال تعالى: «وَ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» التوبه: ٨٧، و قال: «وَ نَطَّبَعْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» الأعراف: ١٠٠، و قال: «وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» التوبه: ٩٣، و الطبع على أى حال لا- يكون منه تعالى إلا- مجازاه لأنه إضلال و الذى ينسب إليه تعالى من الإضلال إنما هو الإضلال على سبيل المجازاه دون الإضلال الابتدائى و قد مر مرارا.

قوله تعالى: «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» إلخ، الظاهر أن الخطاب فى «رَأَيْتَهُمْ» و «تَسْمَعُ» خطاب عام يشمل كل من رآهم و سمع كلامهم لكونهم فى أزياء حسنه و بلاغه من الكلام، و ليس خطابا خاصا بالنبى ص، و المراد أنهم على صباحه من المنظر و تناسب من الأعضاء إذا رآهم الرأى أعجبتهم أجسامهم، و فصاحه و بلاغه من القول إذا سمع السامع كلامهم مال إلى الإصغاء إلى قولهم لحلاوه ظاهره و حسن نظمه.

و قوله: «كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ» اذم لهم بحسب باطنهم و الخشب بضمين جمع خشبه،

والتسديد نصب الشيء معتمدا على شيء آخر كحائط ونحوه.

و الجمله مسوقه لذمهم و هى متممه لسابقتها،و المراد أن لهم أجساما حسنه معجبه و قولاً- رائعا ذا حلاوه لكنهم كالخشب المسندة أشباح بلا أرواح لا خير فيها و لا فائده تعترها لكونهم لا يفقهون.

و قوله: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» ذم آخر لهم أى إنهم لإبطانهم الكفر و كتمانهم ذلك من المؤمنين يعيشون على خوف و وجل و وحشه يخافون ظهور أمرهم و اطلاع الناس على باطنهم و يظنون أن كل صيحه سمعوها فهى كائنه عليهم و أنهم المقصودون بها.

و قوله: «هُمُ الْعَدُوُّ فَآخَذَرُهُمْ» أى هم كاملون فى العداوه بالغون فيها فإن أعدى أعدائك من يعاديك و أنت تحسبه صديقك.

و قوله: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ» دعاء عليهم بالقتل و هو أشد شدائد الدنيا و كان استعمال المقاتله دون القتل للدلاله على الشده.

و قيل: المراد به الطرد و الإبعاد من الرحمه، و قيل: المراد به الإخبار دون الدعاء، و المعنى: أن شمول اللعن و الطرد لهم مقرر ثابت، و قيل: الكلمه مفيده للتعجب كما يقال:

قاتله الله ما أشعره، و الظاهر من السياق ما تقدم من الوجه.

و قوله: «أَنْى يُؤْفَكُونَ» مسوق للتعجب أى كيف يصرفون عن الحق؟ و قيل: هو توبيخ و تفرير و ليس باستفهام.

قوله تعالى: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُؤُسَهُمْ» إلخ، التلويه تفعيل من لوى يلوى ليا بمعنى مال.

و المعنى: و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله- ذلك عند ما ظهر منهم بعض خياناتهم و فسوقهم- أمالوا رءوسهم إعراضا و استكبارا و رآهم الرأى يعرضون عن القائل و هم مستكبرون عن إجابته قوله.

قوله تعالى: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» إلخ، أى يتساوى الاستغفار و عدمه فى حقهم و تساوى الشيء و عدمه كناية عن أنه لا يفيد الفائده المطلوبه منه، فالمعنى: لا يفيدهم استغفارك و لا ينفعهم.

و قوله: «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» دفع دخل كان سائلا يسأل: لما ذا يتساوى الاستغفار لهم و عدمه؟ فأجيب: لن يغفر الله لهم.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» تعليل لقوله: «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»، والمعنى: لن يغفر الله لهم لأن مغفرته لهم هدايه لهم إلى السعادة والجنه وهم فاسقون خارجون عن زى العبوديه لإبطانهم الكفر والطبع على قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين.

قوله تعالى: «هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا» إلخ، الانفضاض التفرق، والمعنى: المنافقون هم الذين يقولون: لا- تنفقوا أموالكم على المؤمنين الفقراء الذين لازموا رسول الله واجتمعوا عنده لنصرته وإنفاذ أمره وإجراء مقاصده حتى يتفرقوا عنه فلا يتحكم علينا.

وقوله: «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» جواب عن قولهم: لا- تُنْفِقُوا إلخ، أى إن الدين دين الله ولا حاجه له إلى إنفاقهم فله خزائن السماوات والأرض ينفق منها ويرزق من يشاء كيف يشاء فلو شاء لأغنى الفقراء من المؤمنين لكنه تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليوجرهم أجرا كريما ويهديهم صراطا مستقيما والمنافقون فى جهل من ذلك.

وهذا معنى قوله: «وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» أى لا يفقهون وجه الحكمة فى ذلك واحتمل أن يكون المعنى أن المنافقين لا يفقهون أن خزائن العالم بيد الله وهو الرازق لا رازق غيره فلو شاء لأغناهم لكنهم يحسبون أن الغنى والفقر بيد الأسباب فلو لم ينفقوا على أولئك الفقراء من المؤمنين لم يجدوا رازقا يرزقهم.

قوله تعالى: «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» القائل هو عبد الله بن أبى بن سلول، وكذا قائل الجملة السابقه: لا تنفقوا إلخ، وإنما عبر بصيغه الجمع تشريكا لأصحابه الراضين بقوله معه.

و مراده بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ص ويريد بهذا القول تهديد النبى ص بإخراجه من المدينة بعد مراجعه إليها وقد رد الله عليه وعلى من يشاركه فى نفاقه بقوله:

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» فقصر العزه فى نفسه و رسوله و المؤمنين فلا يبقى لغيرهم إلا الذله ونفى عن المنافقين العلم فلم يبق لهم إلا الذله والجهاله.

فى المجمع،": نزلت الآيات فى عبد الله بن أبى المنافق و أصحابه-و ذلك أن رسول الله ص بلغه-أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه-و قائدهم الحارث بن أبى ضرار-أبو جويريه زوج النبى ص.

فلما سمع بهم رسول الله ص خرج إليهم-حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيق-من ناحيه قديد إلى الساحل-فتزاحف الناس و اقتتلوا-فهزم الله بنى المصطلق و قتل منهم من قتل-و نفل رسول الله ص أبناءهم و نساءهم و أموالهم.

فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت وارده الناس-و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار-يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه-فازدحم جهجاه و سنان الجهنى-من بنى عوف بن خزرج على الماء-فاقتتلا-فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار-و صرخ الغفارى يا معشر المهاجرين-فأعان الغفارى رجل من المهاجرين-يقال له:جعال و كان فقيرا-فقال عبد الله بن أبى لجعال:إنك لهتاك-فقال:و ما يمنعنى أن أفعل ذلك؟و اشتد لسان جعال على عبد الله.فقال عبد الله:و الذى يحلف به لأزرنك و يهملك غير هذا.

و غضب ابن أبى و عنده رهط من قومه-فيهم زيد بن أرقم حديث السن-فقال ابن أبى قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا،و الله ما مثلنا و مثلهم إلا- كما قال القائل:سمن كلبك يأكلك- أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة-ليخرجن الأعرز منها الأذل يعنى بالأعرز نفسه-و بالأذل رسول الله ص-ثم أقبل على من حضره من قومه فقال:هذا ما جعلتم بأنفسكم-أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم أموالكم-أما و الله لو أمسكتهم عن جعال و ذويه فضل الطعام-لم يركبوا رقابكم و لأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم-و يلحقوا بعشائهم و مواليهم.

فقال زيد بن أرقم:أنت و الله الذليل-القليل المبغض فى قومك-و محمد ص فى عز من الرحمن و موده من المسلمين-و الله لا أحبك بعد كلامك هذا-فقال عبد الله:اسكت فإنما كنت ألعب.

فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ص-و ذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر- فأمر رسول الله ص بالرحيل-و أرسل إلى عبد الله فأتاه فقال:ما هذا الذى بلغت عنك؟فقال عبد الله و الذى أنزل عليك الكتاب-ما قلت شيئا من ذلك قط-و إن زيدا



لكاذب، و قال من حضر من الأنصار: يا رسول الله-شيخنا و كبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار-عسى أن يكون هذا الغلام وهم فى حديثه.

فعدره رسول الله ص و فشت الملامه من الأنصار لزيد.

و لما استقل رسول الله ص-فسار لقيه أسيد بن الحضير فحياه بتحيه النبوه-ثم قال:

يا رسول الله لقد رحى فى ساعه منكروه-ما كنت تروح فيها،فقال رسول الله ص:

أ و ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينه-أخرج الأعرز منها الأذل.فقال أسيد:فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت.هو و الله الدليل و أنت العزيز.ثم قال:

يا رسول الله ارفق به-فو الله لقد جاء الله بك-و إن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه-و إنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ما كان من أمر أبيه-فأتى رسول الله ص فقال:

يا رسول الله إنه قد بلغنى أنك تريد قتل أبى-فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه-فو الله لقد علمت الخرج- ما كان بها رجل أبر بوالديه منى-و إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله-فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى-أن يمشى فى الناس فأقتله- فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار،فقال(ص):بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقى معنا.

قالوا:و سار رسول الله ص بالناس يومهم ذلك-حتى أمسى و ليلتهم حتى أصبح- و صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس-ثم نزل بالناس-فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما،إنما فعل ذلك ليشغل الناس-عن الحديث الذى خرج من عبد الله بن أبى.

ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز-فويق البقيع يقال له:بقعاء-فهاجت ريح شديده آذتهم و تخوفوها-و ضلت ناقه رسول الله ص و ذلك ليلا-فقال:مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينه-قيل:من هو؟قال:رفاعة.فقال رجل من المنافقين:كيف يزعم أنه يعلم الغيب-ولا يعلم مكان ناقته؟أ لا يخبره الذى يأتيه بالوحي؟فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق و بمكان الناقه،و أخبر رسول الله ص بذلك أصحابه و قال:ما أزعم أنى أعلم الغيب و ما أعلمه-و لكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى.هى فى الشعب فإذا هى كما قال-فجاءوا بها و آمن ذلك المنافق.

فلما قدموا المدينه وجدوا رفاعه بن زيد-فى التابوت أحد بنى قينقاع-و كان من عظماء اليهود مات ذلك اليوم.

قال زيد بن أرقم: فلما وافى رسول الله ص المدينة-جلست فى البيت لما بى من الهم و الحياء- فنزلت سورة المنافقون فى تصديق زيد- و تكذيب عبد الله بن أبى. ثم أخذ رسول الله ص بأذن زيد- فرفعه عن الرجل ثم قال: يا غلام صدق فوك، و وعت أذناك، و وعى قلبك، و قد أنزل الله فيما قلت قرآنا.

و كان عبد الله بن أبى بقرب المدينة- فلما أراد أن يدخلها- جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى- حتى أناخ على مجامع طرق المدينة- فقال: ما لك و يلك؟ فقال: و الله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله- و لتعلمن اليوم من الأعز؟ و من الأذل؟ فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ص- فأرسل إليه أن خل عنه يدخل فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله ص فنعم فدخل- فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى و مات.

فلما نزلت هذه الآيات و بان كذب عبد الله- قيل له: نزل فيك آى شداد- فاذهب إلى رسول الله ص يستغفر لك- فلوى رأسه ثم قال: أمرتمونى أن أو من فقد آمنت- و أمرتمونى أن أعطى زكاه مالى فقد أعطيت- فما بقى إلا أن أسجد لمحمد- فنزل: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - لَا يَعْلَمُونَ.»

أقول: ما أورده من القصة مأخوذ من روايات مختلفه مرويه عن زيد بن أرقم و ابن عباس و عكرمه و محمد بن سيرين و ابن إسحاق و غيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ» الآية- قال: نزلت فى غزوه المريسيع- و هى غزوه بنى المصطلق فى سنه خمس من الهجره، و كان رسول الله ص خرج إليها- فلما رجع منها نزل على بئر و كان الماء قليلا فيها.

و كان أنس بن سيار حليف الأنصار، و كان جهجاه بن سعيد الغفارى أجيرا لعمر بن الخطاب- فاجتمعوا على البئر فتعلق دلو سيار بدلو جهجاه- فقال سيار: دلوى و قال جهجاه:

دلوى- فضرب جهجاه على وجه سيار فسال منه الدم- فنادى سيار بالخزرج و نادى جهجاه بقريش- و أخذ الناس السلاح و كاد أن تقع الفتنة.

فسمع عبد الله بن أبى النداء فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالخبر فغضب غضبا شديدا- ثم قال: قد كنت كارها لهذا المسير إنى لأذل العرب- ما ظننت أنى أبقى إلى أن أسمع مثل هذا- فلا يكن عندى تغيير.

ثم أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم- أنزلتموهم منازلكم و واسيتموهم بأموالكم-

و وقتموهم بأنفسكم و أبرزتم نحوركم للقتل- فأرمل نساؤكم و أيتم صبيانكم- و لو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

و كان فى القوم زيد بن أرقم و كان غلاما قد راهق، و كان رسول الله ص فى ظل شجره فى وقت الهجره- و عنده قوم من أصحابه من المهاجرين و الأنصار- فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله بن أبى- فقال رسول الله ص: لعلك وهمت يا غلام، قال: لا و الله ما وهمت. قال: فلعلك غضبت عليه؟ قال: لا و الله ما غضبت عليه، قال: فلعله سفه عليك، فقال: لا و الله.

فقال رسول الله لشقران مولاه: أحدج فأحدج راحلته و ركب و تسامع الناس بذلك- فقالوا: ما كان رسول الله ص ليرحل فى مثل هذا الوقت، فرحل الناس و لحقه سعد بن عباده فقال: السلام عليك يا رسول الله و رحمه الله و بركاته، فقال: و عليك السلام، فقال: ما كنت لترحل فى مثل هذا الوقت، فقال: أ و ما سمعت قولاً قال صاحبكم؟ قال:

و أى صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبى زعم أنه إن رجع إلى المدينة- ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال: يا رسول الله فإنك و أصحابك الأعز- و هو و أصحابه الأذل.

فسار رسول الله ص يومه كله لا يكلمه أحد- فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أبى يعذلون- فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئا من ذلك- فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله- حتى نعتذر إليه فلوى عنقه.

فلما جن الليل سار رسول الله ص ليله كله- فلم ينزلوا إلا- للصلاه- فلما كان من الغد نزل رسول الله ص و نزل أصحابه- و قد أمهدهم (١) الأرض من السفر الذى أصابهم- فجاء عبد الله بن أبى إلى رسول الله ص- فحلف عبد الله له أنه لم يقل ذلك، و أنه يشهد أن لا إله إلا الله و أنك لرسول الله- و إن زيدا قد كذب على، فقبل رسول الله ص منه- و أقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه- و يقولون له: كذبت على عبد الله سيدنا.

فلما رحل رسول الله ص كان زيد معه- يقول: اللهم إنك لتعلم- أنى لم أكذب على عبد الله بن أبى- فما سار إلا قليلا حتى أخذ رسول الله ص- ما كان يأخذه من البرحاء (٢)

ص: ٢٨٦

١- (١) أمهدهم الأرض: أى صارت لهم مهادا فناموا.

٢- (٢) البرحاء: حاله شبه الإغماء كانت تأخذ النبى ص عند نزول الوحى.

عند نزول الوحي -فثقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي-فسرى عن رسول الله ص و هو يسكب العرق عن جبهته-ثم أخذ بأذن زيد بن أرقم فرفعه من الرحل-ثم قال:

يا غلام صدق قولك و وعى قلبك-و أنزل الله فيما قلت قرآنا.

فلما نزل جمع أصحابه و قرأ عليهم سورة المنافقين: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ -إلى قوله- وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» ففصح الله عبد الله بن أبي.

و فى تفسير القمى أيضا، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) \*فى قوله: «كَأَنَّهُمْ خُشِبَ مُسَدِّدَةٌ» يقول: لا- يسمعون و لا يعقلون «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» يعنى كل صوت- «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

فلما أنبأ الله رسوله خبرهم مشى إليهم عشائرهم-و قالوا افتضحتم و يلکم-فأتوا رسول الله يستغفر لکم-فلووا رءوسهم و زهدوا فى الاستغفار، يقول الله: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ-لَوْوَا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ».

و فى الكافى، بإسناده إلى سماعه عن أبى عبد الله (ع) قال: إن الله تبارك و تعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها، و لم يفوض إليه أن يذل نفسه-ألم تر قول الله سبحانه و تعالى ها هنا- «لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» و المؤمن ينبغى أن يكون عزيزا و لا يكون ذليلا:.

أقول: و روى هذا المعنى بإسناده عن داود الرقى و الحسن الأحمسى و بطريق آخر عن سماعه .

و فيه، بإسناده عن مفضل بن عمر قال: \*قال أبو عبد الله (ع): لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه. قلت: بما يذل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه.

### كلام حول النفاق فى صدر الإسلام

يهتم القرآن بأمر المنافقين اهتماما بالغا و يكر عليهم كره عنيفه بذكر مساوى أخلاقهم و أكاذيبهم و خدائهم و دسائسهم و الفتن التى أقاموها على النبى ص و على المسلمين، و قد تكرر ذكرهم فى السور القرآنية كسوره البقره و آل عمران و النساء و المائده و الأنفال و التوبه و العنكبوت و الأحزاب و الفتح و الحديد و الحشر و المنافقون و التحريم.

و قد أوعدهم الله فى كلامه أشد الوعيد فى الدنيا بالطبع على قلوبهم و جعل الغشاوه

على سمعهم و على أبصارهم و إذهاب نورهم و تركهم فى ظلمات لا يبصرون و فى الآخرة يجعلهم فى الدرك الأسفل من النار.

و ليس ذلك إلا لشده المصائب التى أصابت الإسلام و المسلمين من كيدهم و مكرهم و أنواع دسائسهم فلم ينل المشركون و اليهود و النصارى من دين الله ما نالوه، و ناهيك فيهم قوله تعالى لنبيه (ص) يشير إليهم: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ»: المنافقون: ٤.

و قد ظهر آثار دسائسهم و مكائدهم أوائل ما هاجر النبى ص إلى المدينة فورد ذكرهم فى سورة البقره و قد نزلت على ما قيل - على رأس ستة أشهر من الهجره ثم فى السور الأخرى النازله بعد بالإشاره إلى أمور من دسائسهم و فنون من مكائدهم كانسلالهم من الجند الإسلامى يوم أحد و هم ثلثهم تقريباً، و عقدهم الحلف مع اليهود و استنهاضهم على المسلمين و بنائهم مسجد الضرار و إشاعتهم حديث الإفك، و إثارتهم الفتنة فى قصه السقايه و قصه العقبه إلى غير ذلك مما تشير إليه الآيات حتى بلغ أمرهم فى الإفساد و تقلاب الأمور على النبى ص إلى حيث هددهم الله بمثل قوله: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُزْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا شَاءُوا مُتَقِنُوا أَلْحِدُوا وَ قَتَلُوا تَقْتِيلًا»: الأحزاب: ٦١.

و قد استفاضت الأخبار و تكاثرت فى أن عبد الله بن أبى بن سلول و أصحابه من المنافقين و هم الذين كانوا يقبلون الأمور على النبى ص و يتربصون به الدوائر و كانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم و هم الذين خذلوا المؤمنين يوم أحد فانمازوا منهم و رجعوا إلى المدينة قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم و هم عبد الله بن أبى و أصحابه.

و من هنا ذكر بعضهم أن حركه النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة و استمرت إلى قرب وفاه النبى ص.

هذا ما ذكره جمع منهم لكن التدبير فى حوادث زمن النبى ص و الإمعان فى الفتن الواقعه بعد الرحله و الاعتناء بطبيعته الاجتماع الفعاله يقضى عليه بالنظر:

أما أولاً: فلا دليل مقنعا على عدم تسرب النفاق فى متبعى النبى ص المؤمنين بمكه قبل الهجره، و قول القائل: إن النبى ص و المسلمين بمكه قبل الهجره لم يكونوا من القوه و نفوذ الأمر و سعه الطول بحيث يهابهم الناس و يتقوهم أو يرجوا منهم خيرا حتى يظهروا لهم الإيمان ظاهرا و يتقربوا منهم بالإسلام، و هم مضطهدون مفتنون معذبون

بأيدى صناديد قريش و مشركى مكه المعادين لهم المعاندين للحق بخلاف حال النبى ص بالمدينه بعد الهجره فإنه(ص)هاجر إليها و قد كسب أنصارا من الأوس و الخزرج و استوثق من أقوياء رجالهم أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن أنفسهم و أهليهم، و قد دخل الإسلام فى بيوت عامتهم فكان مستظها بهم على العده القليله الذين لم يؤمنوا به و بقوا على شركهم و لم يكن يسعهم أن يعلنوا مخالفتهم و يظهروا شركهم فتوقوا الشر بإظهار الإسلام فأمنوا به ظاهرا و هم على كفرهم باطنا فسدوا الدسائس و مكروا ما مكروا.

غير تام، فما قدره و القوه المخالفه المهيبه و رجاء الخير بالفعل و الاستدرار المعجل عله منحصره للنفاق حتى يحكم بانتفاء النفاق لانتفائها فكثيرا ما نجد فى المجتمعات رجالا- يتبعون كل داع و يتجمعون إلى كل ناعق و لا- يعبئون بمخالفه القوى المخالفه القاهره الطاحنه، و يعيشون على خطر مصرين على ذلك رجاء أن يوفقوا يوما لإجراء مرامهم و يتحكموا على الناس باستقلالهم بإداره رحى المجتمع و العلو فى الأرض و قد كان النبى ص يذكر فى دعوته لقومه أن لو آمنوا به و اتبعوه كانوا ملوك الأرض.

فمن الجائر عقلا- أن يكون بعض من آمن به يتبعه فى ظاهر دينه طمعا فى البلوغ بذلك إلى أمنيته و هى التقدم و الرئاسة و الاستعلاء، و الأثر المترتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقلب الأمور و تربص الدوائر على الإسلام و المسلمين و إفساد المجتمع الدينى بل تقويته بما أمكن و تفديته بالمال و الجاه لينتظم بذلك الأمور و يتهيأ لاستفادته منه و استدراجه لضعفه. نعم يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفه و المضاده فيما إذا لاح من الدين مثلا ما يخالف أمنيته تقدمه و تسلطه إرجاعا للأمر إلى سبيل ينتهى إلى غرضه الفاسد.

و أيضا من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتاب فى دينه فيرتد و يكتم ارتداده كما مرت الإشاره إليه فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآية، و كما يظهر من لحن مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾: المائده: ٥٤.

و أيضا الذين آمنوا من مشركى مكه يوم الفتح لا يؤمن أكثرهم أن لا يؤمنوا إيمان صدق و إخلاص و من البديهي عند من تدبر فى حوادث سنى الدعوه أن كفار مكه و ما والاها و خاصه صناديد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبى ص لو لا سواد جنود غشيتهم و بريق

سيوف مسلطه فوق رؤوسهم يوم الفتح و كيف يمكن مع ذلك القضاء بأنه حدث في قلوبهم و الظرف هذا الظرف نور الإيمان و في نفوسهم الإخلاص و اليقين فأمنوا بالله طوعا عن آخرهم و لم يدب فيهم ديب النفاق أصلا.

و أما ثانيا: فلأن استمرار النفاق إلى قرب رحله النبي ص و انقطاعه عند ذلك ممنوع نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحله و انعقاد الخلافه و انمحي أثرهم فلم يظهر منهم ما كان يظهر من الآثار المضاده و المكائد و الدسائس المشؤمه.

فهل كان ذلك لأن المنافقين وفقوا للإسلام و أخلصوا الإيمان عن آخرهم برحله النبي ص و تأثرت قلوبهم من موته ما لم يتأثر بحياته؟ أو أنهم صالحوا أولياء الحكومه الإسلاميه على ترك المزاحمه بأن يسمح لهم ما فيه أمنيتهم مصالحه سريه بعد الرحله أو قبلها؟ أو أنه وقع هناك تصالح اتفاقي بينهم و بين المسلمين فوردوا جميعا في مشرعه سواء فارتفع التصاك و التصادم؟ و لعل التدبر الكافي في حوادث آخر عهد النبي ص و الفتن الواقعه بعد رحلته يهدى إلى الحصول على جواب شاف لهذه الأسئلة.

و الذي أوردناه في هذا الفصل إشاره إجماليه إلى سبيل البحث.

## [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ٩ الى ١١]

### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَ أَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

تنبيه للمؤمنين أن يتجنبوا عن بعض الصفات التي تورث النفاق و هو التلهى بالمال و الأولاد و البخل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الخ، الإلهاء الإشغال، و المراد بالهاء الأموال و الأولاد عن ذكر الله إشغالها القلب بالتعلق بها بحيث يوجب الإعراض عن التوجه إلى الله بما أنها زينه الحياه الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الكهف: ٤٦، و الاشتغال بها يوجب خلو القلب عن ذكر الله و نسيانه تعالى فلا يبقى له إلا القول من غير عمل و تصديق قلبى و نسيان العبد لربه يستعقب نسيانه تعالى له، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: التوبه: ٦٧، و هو الخسران المبين، قال تعالى فى صفه المنافقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾: البقره: ١٦.

و إليه الإشاره بما فى ذيل الآيه من قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

و الأصل هو نهى المؤمنين عن التلهى بالأموال و الأولاد و تبديله من نهى الأموال و الأولاد عن إلهائهم للتلويح إلى أن من طبعها الإلهاء فلا ينبغى لهم أن يتعلقوا بها فتلهيهم عن ذكر الله سبحانه فهو نهى كنائى أكد من التصريح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الخ، أمر بالإنفاق فى البر أعم من الإنفاق الواجب كالزكاه و الكفارات أو المندوب، و تقييده بقوله: ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ للإشعار بأن أمره هذا ليس سؤالاً لما يملكونه دونه، و إنما هو شىء هو معطيه لهم و رزق هو رازقه و ملك هو ملكهم إياه من غير أن يخرج عن ملكه يأمرهم بإنفاق شىء منه فيما يريد فله المنه عليهم فى كل حال.

و قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أى فينقطع أمد استطاعته من التصرف فى ماله بالإنفاق فى سبيل الله.

و قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾ الخ، و تقييد الأجل بالقرب للإشعار بأنه قانع بقليل من التمديد- و هو مقدار ما يسع



الإِنْفَاقُ مِنَ الْعَمْرِ - لَيْسَ يَسْهُلُ إِجَابَتُهُ، وَ لِأَنَّ الْأَجَلَ أَيَا مَا كَانَ فَهُوَ قَرِيبٌ، وَ مِنْ كَلَامِهِ (ص): كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

وَ قَوْلُهُ: «فَأَصَدَّقْ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» نَصَبٌ «فَأَصَدَّقْ» لِكَوْنِهِ فِي جَوَابِ التَّمَنَى، وَ جَزْمٌ «أَكُنْ» لِكَوْنِهِ فِي مَعْنَى جِزَاءِ الشَّرْطِ، وَ التَّقْدِيرُ إِنْ أَتَصَدَّقَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا» إِيَّاسَ لَهُمْ مِنْ اسْتِجَابَةِ دَعَاءٍ مِنْ يَسْأَلُ تَأْخِيرَ الْأَجْلِ بَعْدَ حُلُولِهِ وَ الْمَوْتَ بَعْدَ نَزْوِلِهِ وَ ظُهُورِ آيَاتِ الْآخِرَةِ، وَ قَدْ تَكَرَّرَ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى أَنَّ الْأَجَلَ الْمَسْمُومَ مِنْ مَصَادِقِ الْقَضَاءِ الْمَحْتَمِومِ كَقَوْلِهِ: «إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» يُونُسَ: ٤٩.

وَ قَوْلُهُ: «وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ «أَخَذَكُمْ» أَوْ عَطْفٌ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ وَ يَفِيدُ فَائِدَةَ التَّعْلِيلِ، وَ الْمَعْنَى: لَا تَتْلَهُوا وَ أَنْفِقُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ يَجَازِيكُمْ بِهَا.

### بَحْثُ رَوَائِي

فِي الْفَقِيهِ: وَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «فَأَصَدَّقْ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» قَالَ: «فَأَصَدَّقْ» مِنَ الصَّدَقَةِ، وَ «أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أَحْجَجٌ.

أَقُولُ: الظَّاهِرُ أَنَّ ذِيْلَ الْحَدِيثِ مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِ الْمَصَادِقِ.

وَ فِي الْمَجْمَعِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ وَ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ - وَ أَطَاقَ الْحَجَّ فَلَمْ يَحْجِ إِلَّا سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ.

قَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ اتَّقِ اللَّهَ - فَإِنَّمَا نَرَى هَذَا الْكَافِرَ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ - فَقَالَ: أَنَا أَقْرَأُ بِهِ عَلَيْكُمْ قِرْآنًا ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ - يَعْنِي قَوْلَهُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمُ إِلَى قَوْلِهِ - مِنَ الصَّالِحِينَ» قَالَ: الصَّلَاحُ هُنَا الْحَجُّ، وَ رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع). أَقُولُ: وَ رَوَاهُ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ، عَنْ عَدِهِ مِنْ أَرْبَابِ الْجَوَامِعِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَ فِي تَفْسِيرِ الْقَمِيِّ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) \* فِي قَوْلِ اللَّهِ: «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا» قَالَ: إِنْ عِنْدَ اللَّهِ كِتَابًا مَوْقُوفَةً يَقْدَمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ - وَ يُؤَخَّرُ مَا يَشَاءُ - فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا - كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى مِثْلِهَا - فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا» إِذَا نَزَلَهُ اللَّهُ وَ كَتَبَهُ كِتَابَ السَّمَاوَاتِ - وَ هُوَ الَّذِي لَا يُؤَخَّرُ.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذُوقُوا وَعَذَابَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

السوره شبيهه بسوره الحديد فى سياق كسياقها و نظم كنظمها كأنها ملخصه منها و غرضها تحريض المؤمنين و ترغيبهم فى الإنفاق فى سبيل الله و رفع ما يهيجس فى قلوبهم و يدب فى نفوسهم من الأسى و الأسف على المصائب التى تهجم عليهم فى تحمل مشاق الإيمان بالله و الجهاد فى سبيل الله و الإنفاق فيها بأن ذلك كله بإذن الله.

و الآيات التى أوردناها من صدر السوره تقدمه و تمهيد لبيان الغرض المذكور تبين أن أسماءه تعالى الحسنى و صفاته العليا تقضى بالبعث و رجوع الكل إليه تعالى رجوعا يساق فيه أهل الإيمان و العمل الصالح إلى جنه خالده، و أهل الكفر و التكذيب إلى نار مؤبده فهى تمهيد للأمر بطاعه الله و رسوله و الصبر على المصائب و الإنفاق فى سبيل الله من غير تأثر من منع مانع و لا خوف من لومه لائم.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» تقدم الكلام فى معنى التسبيح و الملك و الحمد و القدره، و أن المراد بما فى السماوات و الأرض يشمل نفس السماوات و الأرض و من فيها و ما فيها.

و قوله: «لَهُ الْمُلْكُ» مطلق يفيد إطلاق الملك و عدم محدوديته بحد و لا تقيده بقيد أو شرط فلا حكم نافذا إلا حكمه، و لا حكم له إلا نافذا على ما أراد.

و كذا قوله: «وَ لَهُ الْحَمْدُ» مطلق يفيد رجوع كل حمد من كل حامد-و الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى-إليه تعالى لأن الخلق و الأمر إليه فلا ذات و لا صفه و لا فعل جميلا محمودا إلا منه و إليه.

و كذا قوله: «وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» بما يدل عليه من عموم متعلق القدره غير محدوده و لا مقيده بقيد أو شرط.

و إذ كانت الآيات- كما تقدمت الإشارة إليه- مسوقة لإثبات المعاد كانت الآيه كالمقدمه الأولى لإثباته، و تفيد أن الله منزه عن كل نقص و شين في ذاته و صفاته و أفعاله يملك الحكم على كل شىء و التصرف فيه كيفما شاء و أراد،- و لا يتصرف إلا جميلا- و قدرته تسع كل شىء فله أن يتصرف في خلقه بالإعاده كما تصرف فيهم بالإيداء- الإحداث و الإبقاء- فله أن يعيهم إن تعلقت به إرادته و لا تتعلق إلا بحكمه.

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» الفاء في «فَمِنْكُمْ» تدل على مجرد ترتب الكفر و الإيمان على الخلق فلا- دلالة في التفرع على كون الكفر و الإيمان مخلوقين لله تعالى أو غير مخلوقين، و إنما المراد انشعابهم فرقتين:

بعضهم كافر و بعضهم مؤمن، و قدم ذكر الكافر لكثرة الكفار و غلبتهم.

و«من» في قوله: «فَمِنْكُمْ» و«فَمِنْكُمْ» للتبويض أى فبعضكم كافر و بعضكم مؤمن.

و قد نبه بقوله: «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» على أن انقسامهم قسمين و تفرقهم فرقتين حق كما ذكر، و هم متميزون عنده لأن الملاك في ذلك أعمالهم ظاهرها و باطنها و الله بما يعملون بصير لا تخفى عليه و لا تشبهه.

و تتضمن الآيه مقدمه أخرى لإثبات المعاد و تنجزه و هى أن الناس مخلوقون له تعالى متميزون عنده بالكفر و الإيمان و صالح العمل و طالحه.

قوله تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» المراد بالحق خلاف الباطل و هو خلقها من غير غايه ثابتة و غرض ثابت كما قال: «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَاتَّخِذْنَا مِنْ لَدُنَّا»: الأنبياء: ١٧، و قال: «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعِينٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»: الدخان: ٣٩.

و قوله: «وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» المراد بالتصوير إعطاء الصورة و صورته الشىء قوامه و نحو وجوده كما قال: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»: التين: ٤، و حسن الصورة تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض و المجموع لغايه وجودها، و ليس هو الحسن بمعنى صباحه المنظر و ملاحظته بل الحسن العام السارى فى الأشياء كما قال تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»: الم السجده: ٧.

و لعل اختصاص حسن صورهم بالذكر للتنبيه على أنها ملائمه للغايه التى هى الرجوع إلى الله فتكون الجملة من جملة المقدمات المسوقة لإثبات المعاد على ما تقدمت الإشارة إليه.

و بهذه الآيه تتم المقدمات المنتجه للزوم البعث و رجوع الخلق إليه تعالى فإنه تعالى لما كان ملكا قادرا على الإطلاق له أن يحكم بما شاء و يتصرف كيف أراد و هو منزه عن كل نقص و شين محمود في أفعاله، و كان الناس مختلفين بالكفر و الإيمان و هو بصير بأعمالهم، و كانت الخلقه لغايه من غير لغو و جزاف كان من الواجب أن يعيشوا بعد نشأتهم الدنيا لنشأه أخرى دائمه خالده فيعيشوا فيها عيشه باقيه على ما يقتضيه اختلافهم بالكفر و الإيمان و هو الجزاء الذي يسعد به مؤمنهم و يشقى به كافرهم.

و إلى هذه النتيجة يشير بقوله: «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

قوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسْتَرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» دفع شبهه لمنكري المعاد مبنيه على الاستبعاد و هي أنه كيف يمكن إعادة الموجودات و هي فانيه بئده و حوادث العالم لا تحصى و الأعمال و الصفات لا تعد، منها ظاهره علنيه و منها باطنه سريره و منها مشهوده و منها مغيبه، فأجيب بأن الله يعلم ما في السماوات و الأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون.

و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» قيل: إنه اعتراض تذييلي مقرر لشمول علمه تعالى بما يسرون و ما يعلنون و المعنى: أنه تعالى محيط علما بالمضرات المستكنه في صدور الناس مما لا يفارقها أصلا فكيف يخفى عليه شيء مما تسرونه و ما تعلنونه.

و في قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» إلخ، وضع الظاهر موضع الضمير و الأصل «و هو عليم» إلخ و النكته فيه الإشارة إلى عله الحكم، و ليكون ضابطا يجرى مجرى المثل.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وبال الأمر تبعته السيئه و المراد بأمرهم كفرهم و ما تفرع عليه من فسوقهم.

لما كان مقتضى أسمائه الحسنی و صفاته العليا المعدوده في الآيات السابقه و جوب معاد الناس و مصيرهم إلى ربهم للحساب و الجزاء فمن الواجب إعلامهم بما يجب عليهم أن يأتوا به أو يجتنبوا عنه و هو الشرع، و الطريق إلى ذلك الرسالة فمن الواجب إرسال رسول على أساس الإنذار و التبشير بعقاب الآخرة و ثوابها و سخطه تعالى و رضاه.

ساق تعالى الكلام بالإنذار بالإشارة إلى نبا الذين كفروا من قبل و أنهم ذاقوا وبال أمرهم و لهم في الآخرة عذاب أليم ثم انتقل إلى بيان سبب كفرهم و هو تكذيب الرسالة ثم إلى سبب ذلك و هو إنكار البعث و المعاد.

ثم استنتج من ذلك كله وجوب إيمانهم بالله ورسوله والدين الذي أنزله عليه و ختم التمهيد المذكور بالتبشير والإنذار بالإشارة إلى ما هيئ للمؤمنين الصالحين من جنه خالده و لغيرهم من الكفار المكذبين من نار مؤبده.

فقوله: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» الخطاب للمشركين و فيه إشاره إلى قصص الأمم السالفه الهالكه كقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم، ممن أهلكهم الله بذنوبهم، و قوله: «فَذاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» إشاره إلى ما نزل عليهم من عذاب الاستئصال و قوله:

«وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» إشاره إلى عذابهم الأخرى.

قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُدُونَنَا» إلخ، بيان لسبب ما ذكر من تعذيبهم بعذاب الاستئصال و عذاب الآخرة، و لذلك جىء بالفصل دون العطف كأنه جواب لسؤال مقدر كان سائلا يسأل فيقول: لم أصابهم ما أصابهم من العذاب؟ فقيل: «ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ» إلخ، و الإشاره بذلك إلى ما ذكر من العذاب.

و فى التعبير عن إتيان الرسل و دعوتهم بقوله: «كَانَتْ تَأْتِيهِمْ» الدال على الاستمرار، و عن كفرهم و قولهم بقوله: «فَقَالُوا وَفَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا» الدال بالمقابلة على المره دلالة على أنهم قالوا ما قالوا كلمه واحده قاطعه لا- معدل عنها و ثبتوا عليها و هو العناد و اللجاج فتكون الآية فى معنى قوله تعالى: «تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَائِهَا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ» :الأعراف: ١٠١، و قوله: «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ (أى بعد نوح) X رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» :يونس: ٧٤.

و قوله: «فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُدُونَنَا» يطلق البشر على الواحد و الجمع و المراد به الثانى بدليل قوله: «يَهْدُونَنَا» و التنكير للتحقير، و الاستفهام للإنكار أى قالوا على سبيل الإنكار:

أ أحاد من البشر لا- فضل لهم علينا يهدوننا.؟ و هذا القول منهم مبنى على الاستكبار، على أن أكثر هؤلاء الأمم الهالكه كانوا وثنيين و هم منكرون للنبوه و هو أساس تكذيبهم لدعوه الأنبياء، و لذلك فرع تعالى على قولهم:

«أَبَشِّرْ يَهُدُونَنَا» قوله: «فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا» أى بنوا عليه كفرهم و إعراضهم.

و قوله: «وَاسْتَغْنَى اللَّهُ» الاستغناء طلب الغنى و هو من الله سبحانه- و هو غنى بالذات- إظهار الغنى و ذلك أنهم كانوا يرون أن لهم من العلم و القوه و الاستطاعه ما يدفع عن جمعهم

الفناء و يضمن لهم البقاء كأنه لا غنى للوجود عنهم كما حكى الله سبحانه عن قائلهم:

«قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا» :الكهف: ٣٥، وقال: «وَلَيْنُ أَذْفَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعِيدٍ ضَرَاءَ مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» :حم السجده: ٥٠.

و مآل هذا الظن بالحقيقه إلى أن الله سبحانه حاجه إليهم و فيهم -و هو الغنى بالذات- فإهلاكه تعالى لهم و إفناؤهم إظهار منه لغناه عن وجودهم، و على هذا فالمراد بقوله:

« وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ » استئصالهم المدلول عليه بقوله: « فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ».

على أن الإنسان معجب بنفسه بالطبع يرى أن له على الله كرامه كان من الواجب عليه أن يحسن إليه أينما كان كان الله سبحانه حاجه إلى إسعاده و الإحسان إليه كما يشير إليه قوله تعالى: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْفَى» :حم السجده:

٥٠، و قوله: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَيْنَ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» :الكهف: ٣٦.

و مآل هذا الزعم بالحقيقه إلى أن من الواجب على الله سبحانه أن يسعدهم كيفما كان كأن له إليهم حاجه فإذاقته لهم وبال أمرهم و تعذيبهم فى الآخره إظهار منه تعالى لغناه عنهم، فالمراد باستغنائه تعالى عنهم مجموع ما أفيد بقوله: « فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».

فهذان وجهان فى معنى قوله تعالى: « وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ » و الثانى منهما أشمل، و فى الكلمه على أى حال من سطوع العظمه و القدره ما لا يخفى، و هو فى معنى قوله: « ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّهَ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » :المؤمنون: ٤٤.

وقيل: المراد و استغنى الله بإقامه البرهان و إتمام الحجج عليهم عن الزيادة على ذلك بإرشادهم و هدايتهم إلى الإيمان.

وقيل: المراد و استغنى الله عن طاعتهم و عبادتهم أزلا و أبدا لأنه غنى بالذات، و الوجهان كما ترى.

وقوله: « وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » فى محل التعليل لمضمون الآيه، و المعنى: و الله غنى فى ذاته محمود فيما فعل، فما فعل بهم من إذقتهم وبال أمرهم و تعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم و توليهم من غناه و عدله لأنه مقتضى عملهم المردود إليهم.

قوله تعالى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» ذكر ركن آخر من أركان كفر الوثنيين و هو إنكارهم الدين السماوي بإنكار المعاد إذ لا يبقى مع انتفاء المعاد أثر للدين المبني على الأمر و النهي و الحساب و الجزاء و يصلح تعليلا لإنكار الرسالة إذ لا معنى حينئذ للتبليغ و الوعيد.

و المراد بالذين كفروا عامه الوثنيين و منهم من عاصر النبي ص منهم كأهل مكة و ما والاها، و قيل: المراد أهل مكة خاصة.

و قوله: «قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ» أمر النبي ص أن يجيب عن زعمهم أن لن يبعثوا، بإثبات ما نفوه بما فى الكلام من أصناف التأكيد بالقسم و اللام و النون.

و «ثُمَّ» فى «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ» للتراخى بحسب رتبة الكلام، و فى الجملة إشارة إلى غايه البعث و هو الحساب و قوله: «وَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى ما ذكر من البعث و الإنباء بالأعمال يسير عليه تعالى غير عسير، و فيه رد لإحالتهم أمر البعث على الله سبحانه استبعادا، و قد عبر عنه فى موضع آخر من كلامه بمثل قوله: «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ»: الروم: ٢٧.

و الدليل عليه ما عده فى صدر الآيات من أسمائه تعالى و صفاته من الخلق و الملك و العلم و أنه مسبح محمود، و يجمع الجميع أنه الله المستجمع لجميع صفات الكمال.

و يظهر من هنا أن التصريح باسم الجلاله فى الجملة أعنى قوله: «وَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» للإيماء إلى التعليل، و المفاد أن ذلك يسير عليه تعالى لأنه الله، و الكلام حجه برهانية لا دعوى مجردة.

و ذكروا أن الآيه ثالثة الآيات التى أمر الله نبيه ص أن يقسم بربه على وقوع المعاد و هى ثلاث: إحداها قوله: «وَ يَسِّرُ تَبْيُؤَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي»: يونس: ٥٣، و الثانية قوله: «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا- تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ»: سبأ: ٣، و الثالثة الآيه التى نحن فيها.

قوله تعالى: «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» تفريع على مضمون الآيه السابقه أى إذا كنتم مبعوثين لا محاله منبئين بما عملتم و جب عليكم أن تؤمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزله على رسوله و هو القرآن الذى يهدى بنوره الساطع إلى مستقيم الصراط، و يبين شرائع الدين.



و فى قوله: «وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا» التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير و لعل النكته فيه تتميم الحجة بالسلوك من طريق الشهادة و هى أقطع للعدر فكم فرق بين قولنا:

و النور الذى أنزل و هو إخبار، و قوله: «وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا» فيه شهادة منه تعالى على أن القرآن كتاب سماوى نازل من عنده تعالى، و الشهادة آكد من الإخبار المجرد.

لا يقال: ما ذا ينفع ذلك و هم ينكرون كون القرآن كلامه تعالى النازل من عنده و لو صدقوا ذلك كفاهم ما مر من الحجة على المعاد و أغنى عن التمسك بذيل الالتفات المذكور.

لأنه يقال: كفى فى إبطال إنكارهم كونه كلام الله ما فى القرآن من آيات التحدى المثبتة لكونه كلام الله، و الشهادة على أى حال آكد و أقوى من الإخبار و إن كان مدللاً.

و قوله: «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» تذكره بعلمه تعالى بدقائق أعمالهم ليتأكد به الأمر فى قوله: «فَأْمِنُوا» و المعنى: آمنوا و جدوا فى إيمانكم فإنه عليم بدقائق أعمالكم لا يغفل عن شىء منها و هو مجازيكم بها لا محاله.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» إلخ، «يَوْمَ» ظرف لقوله السابق: «لَتَبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتَكْتَبُنَّ» إلخ، و المراد بيوم الجمع يوم القيامة الذى يجمع فيه الناس لفصل القضاء بينهم قال تعالى: «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا» الكهف: ٩٩، و قد تكرر فى القرآن الكريم حديث الجمع ليوم القيامة، و يفسره أمثال قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» الجاثية: ١٧، و قوله: «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» البقرة: ١١٣، و قوله: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» السجده: ٢٥، فالآيات تشير إلى أن جمعهم للقضاء بينهم.

و قوله: «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» قال الراغب: الغبن أن تبخس صاحبك فى معاملته بينك و بينه بضرب من الإخفاء. قال: و يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن فى المعاملة المشار إليها بقوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» و بقوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الآية، و بقوله: «الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا» فعلموا أنهم غبنوا فيما تركوا من المبايعه و فيما تعاطوه من ذلك جميعاً.

و سئل بعضهم عن يوم التغابن فقال: تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم فى الدنيا.

انتهى موضع الحاجة.

و ما ذكره أولاً مبنى على تفسير التغابن بسريان المغبونيه بين الكفار بأخذهم لمعامله

خاسره و تركهم معامله رابعه، و هو معنى حسن غير أنه لا يلائم معنى باب التفاعل الظاهر فى فعل البعض فى البعض.

و ما نقله عن بعضهم وجه ثان لا- يخلو من دقه، و يؤيده مثل قوله تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» :الم السجده: ١٧، و قوله: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ» :ق: ٣٥، و قوله: «وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» :الزمر: ٤٧.

و مقتضى هذا الوجه عموم التغابن لجميع أهل الجمع من مؤمن و كافر أما المؤمن فلما أنه لم يعمل لآخرته أكثر مما عمل، و أما الكافر فلأنه لم يعمل أصلاً، و الوجه المشترك بينهما أنهما لم يقدرنا اليوم حق قدره.

و يرد على هذا الوجه ما يرد على سابقه.

و هناك وجه ثالث و هو أن يعتبر التغابن بين أهل الضلال متبوعيهم و تابعيهم فالمتبوعون و هم المستكبرون يغبنون تابعيهم و هم الضعفاء حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا و ترك الآخرة فيضلون، و التابعون يغبنون المتبوعين حيث يعينونهم فى استكبارهم باتباعهم فيضلون، فكل من الفريقين غابن لغيره و مغبون من غيره.

و هناك وجه رابع وردت به الروايه و هو أن لكل عبد منزلاً فى الجنة لو أطاع الله لدخله، و منزلاً فى النار لو عصى الله لدخله و يوم القيامة يعطى منازل أهل النار فى الجنة لأهل الجنة، و يعطى منازل أهل الجنة فى النار لأهل النار فيكون أهل الجنة و هم المؤمنون غابنين لأهل النار و هم الكفار و الكفار هم المغبونون.

و قال بعض المفسرين بعد إيراد هذا الوجه: و قد فسر التغابن قوله ذيلًا: «وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - إلى قوله - وَ بَسَّ الْمَصِيرُ» انتهى. و ليس بظاهر ذاك الظهور.

و قوله: «وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا - إلى قوله - وَ بَسَّ الْمَصِيرُ» تقدم تفسيره مرارًا.

## بحث روائى

فى صحيح البخارى، عن أبى هريره عن النبى ص قال: \* ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار- لو أساء ليزداد شكرًا. و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة- لو أحسن ليزداد حسره.

أقول: وفي هذا المعنى روايات كثيرة من طرق العامه و الخاصه و قد تقدم بعضها في تفسير أول سورة المؤمنون.

و في تفسير البرهان، عن ابن بابويه بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله (ع) قال: ﴿يوم التلاق يوم يلتقى أهل السماء و الأرض، و يوم التناد يوم ينادى أهل النار أهل الجنة﴾ «أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» و يوم التغابن يوم يغبن أهل الجنة أهل النار، و يوم الحسره يوم يؤتى بالموت فيذبح.

أقول: و في ذيل آيات صدر السوره المبحوث عنها عدّه من الروايات توجه الآيات بشئون الولايات كالذي ورد أن الإيمان و الكفر هما الإيمان و الكفر بالولاية يوم أخذ الميثاق، و ما ورد أن المراد بالبينات الأئمه، و ما ورد أن المراد بالنور الإمام و هي جميعا ناظره إلى بطن الآيات و ليست بمفسره البتّه.

### [سوره التغابن (٦٤): الآيات ١١ إلى ١٨]

#### اشاره

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعَفَوْا وَ تَصَدَّقُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفَقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم وَ يغفر لكم وَ اللَّهُ شكورٌ حلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

شروع فيما هو الغرض من السوره بعد ما مر من التمهيد و التوطئه و هو الندب إلى الإنفاق في سبيل الله و الصبر على ما يصيبهم من المصائب في خلال المجاهده في الله سبحانه.

و قدم ذكر المصيبه و الإشاره إلى الصبر عليها ليصفو المقام لما سيندب إليه من الإنفاق و ينقطع العذر.

قوله تعالى: « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » المصيبه صفة شاع استعمالها في الحوادث السوء التي تصحب الضر، و الإذن الاعلام بالرخصه و عدم المانع و يلزم علم الإذن بما أذن فيه، و ليس هو العلم كما قيل.

فظهر بما تقدم أولاً- أن إذنه تعالى في عمل سبب من الأسباب هو التخليه بينه و بين مسببه برفع الموانع التي تتخلل بينه و بين مسببه فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببته كالنار تقتضى إحراق القطن مثلاً لو لا الفصل بينهما و الرطوبه فرفع الفصل بينهما و الرطوبه من القطن مع العلم بذلك إذن في عمل النار في القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الإحراق.

و قد كان استعمال الإذن في العرف العام مختصاً بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الاعلام في مفهومه فيقال: أذنت لفلان أن يفعل كذا و لا يقال: أذنت للنار أن تحرق، و لا أذنت للفرس أن يعدو، لكن القرآن الكريم يستعمله فيما يعم العقلاء و غيرهم بالتحليل كقوله: « وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ »: النساء: ٦٤، و قوله: « وَ الْبَلَدَ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ لِبَاتِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ »: الأعراف: ٥٨، و لا- يبعد أن يكون هذا التعميم مبني على ما يفيدته القرآن من سرعان العلم و الإدراك في الموجودات كما قدمناه في تفسير قوله: « قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ »: حم السجده: ٢١.

و كيف كان فلا يتم عمل من عامل و لا تأثير من مؤثر إلا بإذن من الله سبحانه فما كان من الأسباب غير تام له موانع لو تحققت منعت من تأثيره فإذنه تعالى له في أن يؤثر رفعه

الموانع، و ما كان منها تاما لا مانع له يمنعه فإذنه له عدم جعله له شيئا من الموانع فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك.

و ثانيا: أن المصائب و هي الحوادث التي تصيب الإنسان فتؤثر فيه آثارا سيئه مكروهه إنما تقع بإذن من الله سبحانه كما أن الحسنات كذلك لاستيعاب إذنه تعالى صدور كل أثر من كل مؤثر.

و ثالثا: أن هذا الإذن إذن تكويني غير الإذن التشريعي الذي هو رفع الحظر عن الفعل فأصابه المصيبة تصاحب إذنا من الله في وقوعها و إن كانت من الظلم الممنوع فإن كون الظلم ممنوعا غير مأذون فيه إنما هو من جهة التشريع دون التكوين.

و لذا كانت بعض المصائب غير جائزه الصبر عليها و لا مأذونا في تحملها و يجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع كالمظالم المتعلقة بالأعراض و النفوس.

و من هنا يظهر أن المصائب التي ندب إلى الصبر عندها هي التي لم يؤمر المصاب عندها بالذنب و الامتناع عن تحملها كالمصائب العامه الكونيه من موت و مرض مما لا شأن لاختيار الإنسان فيها، و أما ما للاختيار فيها دخل كالمظالم المتعلقة نوع تعلق بالاختيار من المظالم المتوجهه إلى الأعراض فلاإنسان أن يتوقاها ما استطاع.

و قوله: «وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» كان ظاهر سياق قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يفيد أن الله سبحانه في الحوادث التي تسوء الإنسان علما و مشيه فليست تصيبه مصيبه إلا بعد علمه تعالى و مشيته فليس لسبب من الأسباب الكونيه أن يستقل بنفسه فيما يؤثره فإنما هو نظام الخلقه لا رب يملكه إلا خالقه فلا تحدث حادثه و لا تقع واقعه إلا بعلم منه و مشيه فلم يكن ليخطئه ما أصابه و لم يكن ليصيبه ما أخطأه.

و هذه هي الحقيقه التي بينها بلسان آخر في قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»: الحديد: ٢٢.

فالله سبحانه رب العالمين و لازم ربوبيته العامه أنه وحده يملك كل شيء لا مالك بالحقيقه سواه، و النظام الجارى في الوجود مجموع من أنحاء تصرفاته في خلقه فلا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا عن إذن منه، و لا يفعل فاعل و لا يقبل قابل إلا عن علم سابق منه و مشيه لا يخطئ علمه و مشيته و لا يرد قضاؤه.

فالإذعان بكونه تعالى هو الله يستعقب اهتداء النفس إلى هذه الحقائق و اطمئنان

القلب و سكونه و عدم اضطرابه و قلقه من جهة تعلقه بالأسباب الظاهرية و إسناده المصائب و النوائب المره إليها دون الله سبحانه.

□  
و هذا معنى قوله تعالى: «وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ».

و قيل: معنى الجملة: و من يؤمن بتوحيد الله و يصبر لأمر الله يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون، و فيه إدخال الصبر فى معنى الإيمان.

و قيل: المعنى: و من يؤمن بالله يهد قلبه إلى ما عليه أن يفعل فإن ابتلى صبر و إن أعطى شكر و إن ظلم غفر، و هذا الوجه قريب مما قدمناه.

□  
و قوله: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تأكيد للاستثناء المتقدم، و يمكن أن يكون إشاره إلى ما يفيدته قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»: الحديد: ٢٢.

□  
قوله تعالى: «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» ظاهر تكرر «أَطِيعُوا» دون أن يقال: أطيعوا الله و الرسول اختلاف المراد بالإطاعة، فالمراد بإطاعة الله تعالى الانقياد له فيما شرعه لهم من شرائع الدين و المراد بإطاعة الرسول الانقياد له و امتثال ما يأمر به بحسب ولايته للأمة على ما جعلها الله له.

و قوله: «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» التولى الإعراض، و البلاغ التبليغ، و المعنى: فإن أعرضتم عن إطاعة الله فيما شرع من الدين أو عن إطاعة الرسول فيما أمركم به بما أنه ولى أمركم، فلم يكرهكم رسولنا على الطاعة فإنه لم يؤمر بذلك، و إنما أمر بالتبليغ و قد بلغ.

و من هنا يظهر أن أمر النبي ص فيما وراء الأحكام و الشرائع من تبليغ رساله الله فأمره □ و نهيه فيما توليه من أمر الله و نهيه، و طاعته فيهما من طاعة الله تعالى كما يدل عليه إطلاق قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ»: النساء: ٦٤. الظاهر فى أن طاعة الرسول فيما يأمر و ينهى مطلقا مأذون فيه بإذن الله، و إذنه فى طاعته يستلزم علمه و مشيئته لطاعته، و إرادته طاعته الأمر و النهى إرادته لنفس الأمر و النهى فأمر النبي ص و نهيه من أمر الله و نهيه و إن كان فيما وراء الأحكام و الشرائع المجعوله له تعالى.

و لما تقدم من رجوع طاعة الرسول إلى طاعة الله التفت من الغيبة إلى الخطاب فى قوله:

«رَسُولِنَا» وفيه مع ذلك شيء من شائبته التهديد.

قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» في مقام التعليل لوجوب إطاعه الله على ما تقدم أن طاعه الرسول من طاعه الله، توضيح ذلك أن الطاعة بمعنى الانقياد والالتزام للأمر والانتهاض عن النهي من شئون العبودية حيث لا أثر لمملك المولى رقبه عبده إلا مالكيته لإرادته وعمله فلا يريد إلا ما يريد المولى أن يريده ولا يعمل إلا ما يريد المولى أن يعمل فإطاعه نحو من العبودية كما يشير إليه قوله: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» يس: ٦٠، يعاتبهم بعباده الشيطان وإنما أطاعوه.

فطاعه المطيع بالنسبة إلى المطاع نوع عباده له، وإذ لا معبود إلا الله فلا طاعه إلا الله عز اسمه أو من أمر بطاعته فالمعنى: أطيعوا الله سبحانه إذ لا طاعه إلا لمعبود ولا معبود بالحق إلا الله فيجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به بطاعه غيره وعبادته كالشيطان وهوى النفس وهذا معنى كون الجملة في مقام التعليل.

وبما مر يظهر وجه تخصيص صفه الألوهية التي تفيد معنى المعبودية، بالذکر دون صفه الربوبية فلم يقل: الله لا رب غيره.

وقوله: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» تأكيد لمعنى الجملة السابقة أعنى قوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

توضيحه: أن التوكيل إقامه الإنسان غيره مقام نفسه في إداره أموره و لازم ذلك قيام إرادته مقام إرادته موكله و فعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعه فإن المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادته المطاع فتقوم إرادته المطاع مقام إرادته و يعود عمله متعلقاً لإرادته المطاع صادراً منها اعتباراً فترجع الإطاعه توكيلاً بوجه كما أن التوكيل إطاعه بوجه.

فإطاعه العبد لربه اتباع إرادته لإرادته ربه و الإتيان بالفعل على هذا النمط و بعبارة أخرى إثارة إرادته و ما يتعلق بها من العمل على إرادته نفسه و ما يتعلق بها من العمل.

فطاعته تعالى فيما شرع لعباده و ما يتعلق بها نوع تعلق من التوكل عليه، و طاعته واجبه لمن عرفه و آمن به فعلى الله فليتوكل المؤمنون و إياه فليطيعوا، و أما من لم يعرفه و لم يؤمن به فلا تتحقق منه طاعه.

وقد بان بما تقدم أن الإيمان والعمل الصالح نوع من التوكل على الله تعالى.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» الخ

« مِنْ » في « أَرْوَأَجِكُمْ » للتبعيض، و سياق الخطاب بلفظ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » و تعليق العداوة بهم يفيد التعليل أى إنهم يعادونهم بما أنهم مؤمنون، و العداوة من جهة الإيمان لا- تتحقق إلا- باهتمامهم أن يصرفوهم عن أصل الإيمان أو عن الأعمال الصالحة كالإنفاق فى سبيل الله و الهجره من دار الكفر أو أن يحملوهم على الكفر أو المعاصى الموبقه كالبخل عن الإنفاق فى سبيل الله شفقته على الأولاد و الأزواج و الغصب و اكتساب المال من غير طريق حله.

فالله سبحانه يعد بعض الأولاد و الأزواج عدوا للمؤمنين فى إيمانهم حيث يحملونهم على ترك الإيمان بالله أو ترك بعض الأعمال الصالحة أو اقرار بعض الكبائر الموبقه و ربما أطاعوهم فى بعض ذلك شفقته عليهم و جبالهم فأمرهم الله بالحنز منهم.

و قوله: « وَ إِنْ تَعَفُّوا وَ تَصِفُّوا فَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » قال الراغب: العفو القصد لتناول الشىء يقال: عفاه و اعتفاه أى قصده متناولاً ما عنده- إلى أن قال- و عفوت عنه قصدت إزاله ذنبه صارفا عنه، و قال: الصفح ترك التثريب و هو أبلغ من العفو، و لذلك قال تعالى: « فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ » و قد يعفو الإنسان و لا- يصفح، و قال: الغفر البأس ما يصونه عن الدنس، و منه قيل: اغفر ثوبك فى الوعاء و اصبح ثوبك فإنه اغفر للوسخ، و الغفران و المغفره من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب قال: « غُفْرَانُكَ رَبَّنَا » و « مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ » « وَ مَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ » انتهى.

ففى قوله: « فاعفوا و اصفحوا و اغفروا » ندب إلى كمال الإغماض عن الأولاد و الأزواج.

إذا ظهر منهم شىء من آثار المعاداه المذكوره- مع الحذر من أن يفتتن بهم.

و فى قوله: « فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » إن كان المراد خصوص مغفرتة و رحمته للمخاطبين أن يعفوا و يصفحوا و يغفروا كان وعدا جميلا لهم تجاه عملهم الصالح كما فى قوله تعالى:

« وَ لِيَعْفُوا وَ لِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ »: النور: ٢٢.

و إن أريد مغفرتة و رحمته العامتان من غير تقييد بمورد الخطاب أفاد أن المغفره و الرحمه من صفات الله سبحانه فإن عفوا و صفحوا و غفروا فقد اتصفوا بصفات الله و تخلقوا بأخلاقه.

قوله تعالى: « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » الفتنة ما يبتلى و يمتحن



به، وكون الأموال و البنين فتنه إنما هو لكونهما زينه الحياه تنجذب إليهما النفس انجذابا فتفتتن و تلهو بهما عما يههما من أمر آخرته و طاعه ربه، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الكهف: ٤٦.

و الجملة كناية عن النهى عن التلهى بهما و التفريط فى جنب الله باللى إليهما و يؤكد قوله:

﴿ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ إلخ، أى مبلغ استطاعتكم-على ما يفيد السيق فإن السيق سياق الدعوه و الندب إلى السمع و الطاعه و الإنفاق و المجاهده فى الله- و الجملة تفريع على قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ إلخ، فالمعنى: اتقوه مبلغ استطاعتكم و لا تدعوا من الالتقاء شيئا تسعه طاقتكم و جهدكم فتجرى الآيه مجرى قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: آل عمران: ١٠٢، و ليست الآيه ناظره إلى نفى التكليف بالالتقاء فيما وراء الاستطاعه و فوق الطاقه كما فى قوله: ﴿وَ لَا تُحْمَلُوا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: البقره: ٢٨٦.

و قد بان مما مر:

أولا- أن لا- منافاه بين الآيتين أعني قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ و قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ و أن الاختلاف بينهما كالاختلاف بالكيميه و الكيفيه، فقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أمر باستيعاب جميع الموارد التى تسعها الاستطاعه بالتقوى، و قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أمر بالتلبس فى كل من موارد التقوى بحق التقوى دون شبحها و صورتها.

و ثانيا: فساد قول بعضهم: إن قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ و هو ظاهر.

و قوله: ﴿وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ توضيح و تأكيد لقوله:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ و السمع الاستجابه و القبول و هو فى مقام الالتزام القلبي، و الطاعه الانقياد و هو فى مقام العمل، و الإنفاق المراد به بذل المال فى سبيل الله.

و ﴿خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ منصوب بمحذوف-على ما فى الكشاف،-و التقدير آمنوا خيرا لأنفسكم، و يحتمل أن يكون «أَنْفِقُوا» مضمنا معنى قدموا أو ما يقرب منه بقريته المقام، و فى قوله: ﴿لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ دون أن يقال: خيرا لكم زياده تطيب لنفوسهم أى إن الإنفاق خير لكم لا ينتفع به إلا أنفسكم لما فيه من بسط أيديكم و سعه قدرتكم على رفع حوائج مجتمعكم.

وقوله: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» تقدم تفسيره في تفسير سورة الحشر.

قوله تعالى: «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ» المراد بإقراض الله الإنفاق في سبيله سماه الله إقراضا لله و سمي المال المنفق قرضا حسنا حثا و ترغيبا لهم فيه.

وقوله: «يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ» إشاره إلى حسن جزائه في الدنيا و الآخرة.

و الشكور و الحلیم و عالم الغیب و الشهاده و العزیز و الحكيم خمسة من أسماء الله الحسنی تقدم شرحها، و وجه مناسبتها لما أمر به في الآيه من السمع و الطاعة و الإنفاق ظاهر.

### بحث روائی

في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله تعالى: «إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» و ذلك أن الرجل إذا أراد الهجره-تعلق به ابنه و امرأته-و قالوا: نشدك الله أن تذهب عنا فنضيع بعدك-فمنهم من يطيع أهله فيقيم- فحذرهم الله أبناءهم و نساءهم و نهاهم عن طاعتهم، و منهم من يمضى و يذرهم و يقول:

أما و الله لئن لم تهاجروا معي-ثم جمع الله بيني و بينكم في دار الهجره-لا أنفعكم بشيء أبدا.

فلما جمع الله بينه و بينهم-أمر الله أن يتوق بحسن وصله-فقال: «و إِنْ تَغْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

أقول: و روى هذا المعنى في الدر المنثور، عن عده من أصحاب الجوامع عن ابن عباس .

و في الدر المنثور، في قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» عن ابن مردويه عن عباده بن الصامت و عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ص\*: لكل أمه فتنه و فتنه أمتي المال:.

أقول: و روى مثله أيضا عنه عن كعب بن عياض عنه (ص) .

و فيه، أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و أبو داود و الترمذی و النسائي و ابن ماجه و الحاكم و ابن مردويه عن بريده قال\*: كان النبي ص يخطب فأقبل الحسن و الحسين-عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران-فتزل رسول الله ص من المنبر فحملهما-واحدا من ذا الشق

و واحدا من ذا الشق-ثم صعد المنبر فقال: صدق الله-قال: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»، إني لما نظرت إلى هذين الغلامين  
يمشيان و يعثران-لم أصبر إن قطعت كلامي و نزلت إليهما.

أقول: و الروايه لا تخلو من شيء و أنى تنال الفتنة من النبي ص و هو سيد الأنبياء المخلصين معصوم مؤيد بروح القدس.

و أقطع لحنا من هذا الحديث

ما رواه عن ابن مردويه عن عبد الله بن عمر \* أن رسول الله ص بينما هو يخطب الناس على المنبر-خرج الحسين بن علي فوطأ في  
ثوب كان عليه-فسقط فبكى فنزل رسول الله ص عن المنبر.

فلما رأى الناس أسرعوا إلى الحسين يتعاطونه-يعطيه بعضهم بعضا حتى وقع في يد رسول الله ص-فقال: قاتل الله الشيطان إن  
الولد لفتنه، و الذي نفسى بيده ما دريت أنى نزلت عن منبري.

و مثله ما عن ابن المنذر عن يحيى بن أبي كثير قال\*: سمع النبي ص بكاء حسن أو حسين-فقال النبي ص الولد فتنه-لقد قمت  
إليه و ما أعقل.

فالوجه طرح الروايات إلا أن تؤول.

و في تفسير البرهان، عن ابن شهر آشوب عن تفسير و كيع حدثنا سفيان بن مره الهمداني عن عبد خير \* سألت علي بن أبي طالب  
عن قوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» قال: و الله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله ص. نحن ذكرنا الله فلا ننساه و نحن شكرناه  
فلن نكفره، و نحن أطعناه فلم نعصه.

فلما نزلت هذه قالت الصحابه: لا نطيق ذلك-فأنزل الله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

الحديث.

و في تفسير القمي، حدثني أبي عن الفضل بن أبي مره قال\*: رأيت أبا عبد الله (ع) يطوف من أول الليل إلى الصباح-و هو  
يقول: اللهم و قنى شح نفسي-فقلت: جعلت فداك ما رأيتك تدعو بغير هذا الدعاء-فقال: و أى شيء أشد من شح النفس؟ إن الله  
يقول:

« وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسِيكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَيَكُنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمَرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رِزْقُكُمْ فَسْتَرْضِعُوا لَهُنَّ أُجُورًا (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)

تتضمن السوره بيان كليات من أحكام الطلاق تعقبه عظه و إنذار و تبشير، و السوره مدنيه بشهاده سياقها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ إلى آخر الآيه، بدئ الخطاب بنداء النبي ص لأنه الرسول إلى الأمة و إمامهم فيصلح لخطابه أن يشملهم و أتباعه من أمته و هذا شائع في الاستعمال يخص مقدم القوم و سيدهم بالنداء و يخاطب بما يعمه و قومه فلا موجب لقول بعضهم: إن التقدير يا أيها النبي قل لأمتك: إذا طلقتم النساء إلخ.

و قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أى إذا أردتم أن تطلقوا النساء و أشرفتم على ذلك إذ لا معنى لتحقق الطلاق بعد وقوع الطلاق فهو كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ X الآيه X المائدة: ٦.

و العده قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضى المده المرتبه شرعا، و المراد بتطليقهن لعدتهن تطليقهن لزمان عدتهن بحيث يأخذ زمان العده من يوم تحقق التطليقه و ذلك بأن تكون التطليقه فى طهر لا مواقعه فيه حتى تنقضى أقرأؤها.

و قوله: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أى عدوا الأقرء التى تعتد بها، و هو الاحتفاظ عليها لأن للمرأة فيها حق النفقه و السكنى على زوجها و للزوج فيها حق الرجوع.

و قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ ظاهر السياق كون «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» إلخ، بدلا من «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» و يفيد ذلك تأكيد النهى فى «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» و المراد

بيوتهن البيوت التي كن يسكنه قبل الطلاق أضيفت إليهن بعنايه السكنى.

و قوله: «و لَا يَخْرُجَنَّ» نهى عن خروجهن أنفسهن كما كان سابقه نهيا عن إخراجهن.

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» أى ظاهره كالزنا و البذاء و إيذاء أهلها كما فى الروايات المأثوره عن أئمه أهل البيت(ع).

و قوله: «و تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» أى الأحكام المذكوره للطلاق حدود الله حد بها أعمالكم و من يتعد و يتجاوز حدود الله بأن لم يراعها و خالفها فقد ظلم نفسه أى عصى ربه.

و قوله: «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أى أمرا يقضى بتغير الحال و تبدل رأى الزوج فى طلاقها بأن يميل إلا الائتيم و يظهر فى قلبه محبه حب الرجوع إلى سابق الحال.

قوله تعالى: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ - إِلَى قَوْلِهِ - وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» المراد من بلوغهن أجلهن اقتربهن من آخر زمان العده و إشرافهن عليه، و المراد بإمساكن الرجوع على سبيل الاستعاره، و بمفارقتهن تركهن ليخرجن من العده و يبين.

و المراد بكون الإمساك بمعروف حسن الصحبه و رعايه ما جعل الله لهن من الحقوق، و بكون فراقهن بمعروف أيضا استرام الحقوق الشرعيه فالتقدير بمعروف من الشرع.

و قوله: «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ» أى أشهدوا على الطلاق رجلين منكم صاحبى عدل، و قد مر توضيح معنى العدل فى تفسير سورة البقره.

و قوله: «وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» تقدم توضيحه فى تفسير سورة البقره.

و قوله: «ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى ما مر من الأمر بتقوى الله و إقامة الشهاده لله و النهى عن تعدى حدود الله أو مجموع ما مر من الأحكام و البعث إلى التقوى و الإخلاص فى الشهاده و الزجر عن تعدى حدود الله يوعظ به المؤمنون ليركنوا إلى الحق و ينقلعوا عن الباطل، و فيه إيهام أن فى الإعراض عن هذه الأحكام أو تغييرها خروجا من الإيمان.

قوله تعالى: «وَ مَنِ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» - إلى قوله - قَدْرًا» أى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» و يتورع عن محارمه و لم يتعد حدوده و احترم

لشرائعه فعمل بها «يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا» من مضائق مشكلات الحياه فإن شريعته فطريه يهدى بها الله الإنسان إلى ما تستدعيه فطرتة و تقضى به حاجته و تضمن سعادته فى الدنيا و الآخرة «وَيَرْزُقُهُ» من الزوج و المال و كل ما يفتقر إليه فى طيب عيشه و زكاه حياته «مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» و لا- يتوقع فلا يخف المؤمن أنه إن اتقى الله و احترم حدوده حرم طيب الحياه و ابتلى بضنك المعيشه فإن الرزق مضمون و الله على ما ضمنه قادر.

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» باعتزاله عن نفسه فيما تهواه و تأمر به و إثارة إرادته الله سبحانه على إرادته نفسه و العمل الذى يريد الله على العمل الذى تهواه و تريده نفسه و بعبارة أخرى تدين بدين الله و عمل بأحكامه «فَهُوَ حَسْبُهُ» أى كافيته فيما يريد من طيب العيش و يتمناه من السعادة بفطرتة لا بواهمته الكاذبه.

و ذلك أنه تعالى هو السبب الأعلى الذى تنتهى إليه الأسباب فإذا أراد شيئاً فعلة و بلغ ما أراد من غير أن تتغير إرادته فهو القائل: «مَا يُدِلُّ الْقَوْلُ لَدَيْ» ق: ٢٩، أو يحول بينه و بين ما أراد من مانع فهو القائل: «وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» الرعد: ٤١، و أما الأسباب الآخر التى يتشبه بها الإنسان فى رفع حوائجه فإنما تملك من السبب ما ملكها الله سبحانه و هو المالك لما ملكها و القادر على ما عليه أقدرها و لها من الفعل مقدار ما أذن الله فيه.

فالله كاف لمن توكل عليه لا غيره «إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ» يبلغ حيث أراد، و هو القائل:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» فما من شىء إلا له قدر مقدور و حد محدود و الله سبحانه لا يحده حد و لا يحيط به شىء و هو المحيط بكل شىء.

هذا هو معنى الآيه بالنظر إلى وقوعها فى سياق آيات الطلاق و انطباقها على المورد.

و أما بالنظر إلى إطلاقها فى نفسها مع الغض عن السياق الذى وقعت فيه فقوله: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» مفاده أن من اتقى الله بحقيقته معنى تقواه و لا- يتم ذلك إلا- بمعرفته تعالى بأسمائه و صفاته ثم تورعه و اتقائه بالاجتناب عن المحرمات و تحرز ترك الواجبات خالصاً لوجهه الكريم، و لازمه أن لا يريد إلا ما يريد الله من فعل أو ترك، و لازمه أن يستهلك إرادته فى إرادته الله فلا يصدر عنه فعل إلا عن إرادته من الله.

و لازم ذلك أن يرى نفسه و ما يترتب عليها من سمه أو فعل ملكا طلقا لله سبحانه يتصرف فيها بما يشاء و هو ولايه الله يتولى أمر عبده فلا يبقى له من الملك بحقيقه معناه شيء إلا ما ملكه الله سبحانه و هو المالك لما ملكه و الملك لله عز اسمه.

و عند ذلك ينجيه الله من مضيق الوهم و سجن الشرك بالتعلق بالأسباب الظاهريه و «يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أما الرزق المادى فإنه كان يرى ذلك من عطايا سعيه و الأسباب الظاهريه التى كان يطمئن إليها و ما كان يعلم من الأسباب إلا قليلا من كثير كقبس من نار يضىء للإنسان فى الليله الظلماء موضع قدمه و هو غافل عما وراءه، لكن الله سبحانه محيط بالأسباب و هو الناظم لها ينظمها كيف يشاء و يأذن فى تأثير ما لا علم له به من خباياها.

و أما الرزق المعنوى الذى هو حقيقه الرزق الذى يعيش به النفس الإنسانيه و تبقى فهو مما لم يكن يحتسبه و لا يحتسب طريق وروده عليه.

و بالجمله هو سبحانه يتولى أمره و يخرجهم من مهبط الهلاك و يرزقهم من حيث لا يحتسب، و لا يفقد من كماله و النعم التى كان يرجو نيلها بسعيه شيئا لأنه توكل على الله و فوض إلى ربه ما كان لنفسه «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» دون سائر الأسباب الظاهريه التى تخطئ تاره و تصيب أخرى «إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِهِ لَآتَى الْأُمُورَ مَحْدُودَهُ مَحَاطَهُ لَهُ تَعَالَى وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» فهو غير خارج عن قدره الذى قدره به.

و هذا نصيب الصالحين من الأولياء من هذه الآيه.

و أما من هو دونهم من المؤمنين المتوسطين من أهل التقوى النازله درجاتهم من حيث المعرفه و العمل فلهم من ولايه الله ما يلائم حالهم فى إخلاص الإيمان و العمل الصالح و قد قال تعالى و أطلق: «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»: آل عمران: ٦٨، و قال و أطلق: «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ»: الجاثيه: ١٩.

و تدنيهم بدين الحق و هى سنه الحياه و ورودهم و صدورهم فى الأمور عن إرادته تعالى هو تقوى الله و التوكل عليه بوضع إرادته تعالى موضع إرادته أنفسهم فينالون من سعادته الحياه بحسبه و يجعل الله لهم مخرجا و يرزقهم من حيث لا يحتسبون، و حسبهم ربهم فهو بالغ أمره و قد جعل لكل شيء قدرا.

و عليهم من حرمان السعاده قدر ما دب من الشرك فى إيمانهم و عملهم و قد قال تعالى:



«وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» :يوسف: ١٠٦، وقال و أطلق: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» :النساء: ٤٨.

وقال: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» :طه: ٨٢، أى لمن تاب من الشرك وقال و أطلق: «وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» :المزمل: ٢٠.

فلا يرقى المؤمن إلى درجه من درجات ولايه الله إلا بالتوبه من خفى الشرك الذى دونها.

و الآيه من غرر الآيات القرآنيه و للمفسرين فى جملها كلمات متشتمه أضربنا عنها.

قوله تعالى: «وَ اللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ» المراد بالارتياب الشك فى ياسهن من المحيض أ هو لكبر أم لعارض، فالمعنى: و اللائى ينسن من المحيض من نسائكم و شككتكم فى أمر ياسهن أ هو لبلوغ سنهن سن اليأس أم لعارض فعدتهن ثلاثه أشهر.

و قوله: «وَ اللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ» عطف على قوله: «وَ اللَّائِي يَنْسَنَ» إلخ، و المعنى:

و اللائى لم يحضن و هو فى سن من تحيض فعدتهن ثلاثه أشهر.

و قوله: «وَ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» أى منتهى زمان عدتهن وضع الحمل.

و قوله: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» أى يسهل عليه ما يستقبله من الشدائد و المشاق، و قيل: المراد أنه يسهل عليه أمور الدنيا و الآخره إما بفرج عاجل أو عوض آجل.

قوله تعالى: «ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ» أى ما بينه فى الآيات المتقدمه حكم الله أنزله إليكم، و فى قوله: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» دلالة على أن اتباع الأوامر من التقوى كاجتناب المحرمات و لعله باعتبار أن امتثال الأمر يلازم اجتناب تركه.

و تكفير السيئات سترها بالمغفره، و المراد بالسيئات المعاصى الصغيره فيبقى للتقوى كبائر المعاصى، و يكون مجموع قوله: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» فى معنى قوله: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا

كَرِيماً» :النساء: ٣١، و من الآيتين يظهر أن المراد بالمحارم في قوله (ع) في تعريف التقوى: أنها الورع عن محارم الله المعاصي الكبيره.

و يظهر أيضا أن مخالفه ما أنزله الله من الأمر في الطلاق و العده من الكبائر إذ التقوى المذكوره في الآيه تشمل ما ذكر من أمر الطلاق و العده لا محاله فهو غير السيئات المكفره و إلا اختل معنى الآيه.

قوله تعالى: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ» إلى آخر الآيه، قال في المفردات،: و قوله تعالى: «مِنْ وَجْدِكُمْ» أى تمكنكم و قدر غناكم، و يعبر عن الغنى بالوجدان و الجده، و قد حكى فيه الوجد و الوجد و الوجد- بالحركات الثلاث فى الواو- انتهى.

و ضمير «أَسْكِنُوهُنَّ» للمطلقات على ما يؤيده السياق، و المعنى: اسكنوا المطلقات من حيث سكنتم من المساكن على قدر تمكنكم و غناكم على الموسر قدره و على المعسر قدره.

و قوله: «وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ» أى لا- توجهوا إليهن ضررا يشق عليهن تحمله من حيث السكنى و الكسوه و النفقه لتوردوا الضيق و الحرج عليهن.

و قوله: «وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» معناه ظاهر.

و قوله: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» فلهن عليكم أجر الرضاعه و هو من نفقه الولد التى على الوالد.

و قوله: «وَآتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ» الائتمار بشىء تشاور القوم فيه بحيث يأمر بعضهم فيه بعضا، و هو خطاب للرجل و المرأة أى تشاوروا فى أمر الولد و توافقوا فى معروف من العاده بحيث لا يتضرر الرجل بزياده الأجر الذى ينفقه و لا المرأة بنقيصته و لا الولد بنقص مده الرضاع إلى غير ذلك.

و قوله: «وَإِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى» أى و إن أراد كل منكم من الآخر ما فيه عسر و اختلفتم فسترضع الولد امرأه أخرى أجنبيه غير والدته أى فليسترضع الوالد غير والده الصبى.

قوله تعالى: «لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ» الإنفاق من سعه هو التوسعه فى الإنفاق و هو أمر لأهل السعه بأن يوسعوا على نسائهم المطلقات المرضعات أولادهم.

و قوله: «وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» قدر الرزق ضيقه، و الإيتاء

الإعطاء، والمعنى: و من ضاق عليه رزقه و كان فقيراً لا يتمكن من التوسع في الإنفاق فلينفق على قدر ما أعطاه الله من المال أى فلينفق على قدر تمكنه.

و قوله: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا» أى لا يكلف الله نفساً إلا بقدر ما أعطاه من قدره فالجمله تنفى الحرج من التكليف الإلهيه و منها إنفاق المطلقه.

و قوله: «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» فيه بشرى و تسليه.

## بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال "نزلت سورة النساء القصرى-بعد التى فى البقره بسبع سنين.

أقول:سوره النساء القصرى هى سوره الطلاق.

وفيه،أخرج مالك و الشافعى و عبد الرزاق فى المصنف و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابن جرير و ابن المنذر و أبو يعلى و ابن مردويه و البيهقى فى سننه عن ابن عمر \*أنه طلق امرأته و هى حائض-فذكر ذلك لرسول الله ص-فتغيظ فيه رسول الله ص ثم قال:ليراجعها ثم يمسه حتى تطهر ثم تحيض فتطهر-فإن بدا له أن يطلقها-فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه-فتلك العده التى أمر الله أن يطلق لها النساء،و قرأ النبى ص:«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ-فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قَبْلِ عَدَّتِهِنَّ».

أقول:قوله:«فى قبل عدتهن»قراه ابن عمر و ما فى المصحف «لِعَدَّتِهِنَّ».

وفيه،أخرج ابن المنذر عن ابن سيرين \*فى قوله:«لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» قال:فى حفصه بنت عمر طلقها النبى ص واحده-فنزلت«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ - إلى قوله- يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا»قال:فراجعها.

و فى الكافى، بإسناده عن زراره عن أبى جعفر(ع)أنه قال\*: كل طلاق لا يكون على السنه أو على العده فليس بشىء.قال زراره فقلت لأبى جعفر(ع):فسر لى طلاق السنه و طلاق العده-فقال:أما طلاق السنه-فإذا أراد الرجل أن يطلق امرأته- فينتظر بها حتى تطمئ و تطهر-فإذا خرجت من طمئتها طلقها تطليقه من غير جماع-

و يشهد شاهدين على ذلك ثم يدعها حتى تطمئط طمئين-فتنقضى عدتها بثلاث حيض و قد بانث منه-و يكون خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته-و إن شاءت لم تزوجه،و عليه نفقتها و السكنى ما دامت في مدتها،و هما يتوارثان حتى تنقضى العده.

قال:و أما طلاق العده الذى قال الله تعالى: « فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ » فإذا أراد الرجل منكم أن يطلق امرأته طلاق العده-فليتظر بها حتى تحيض و تخرج من حيضتها-ثم يطلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين-و يراجعها من يومه ذلك إن أحب-أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض-و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض-فإذا حاضت و خرجت من حيضها-طلقها تطليقه أخرى من غير جماع و يشهد على ذلك-ثم يراجعها أيضا متى شاء قبل أن تحيض-و يشهد على رجعتها و يواقعها-و تكون معه إلى أن تحيض الحيضه الثالثه-فإذا خرجت من حيضتها الثالثه-طلقها التطليقه الثالثه بغير جماع-و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانث منه-و لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره.

قيل له:فإن كانت ممن لا تحيض؟قال:مثل هذه تطلق طلاق السنه.

و فى قرب الإسناد، بإسناده عن صفوان قال:سمعت يعنى أبا عبد الله: و جاء رجل فسأله فقال:إني طلقت امرأتى ثلاثا فى مجلس- فقال:ليس بشىء.ثم قال:أ ما تقرأ كتاب الله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ-لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ-إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ».

ثم قال:أ لا تدري «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» ثم قال:كلما خالف كتاب الله و السنه-فهو يرد إلى كتاب الله و السنه.

و فى تفسير القمى،"فى معنى قوله:«لَا- تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا- يَخْرُجْنَ-إِلَّا- أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» قال:لا يحل لرجل أن يخرج امرأته إذا طلقها-و كان له عليها رجعه- من بيته و هى لا تحل لها أن تخرج من بيته-إلا أن يأتين بفاحشه مبينه.

و معنى الفاحشه أن تزنى أو تسرق على الرجل،و من الفاحشه أيضا السلاطه على زوجها-فإن فعلت شيئا من ذلك حل له أن يخرجها.

و فى الكافى، بإسناده عن وهب بن حفص عن أحدهما(ع) \*فى المطلقه تعتد فى بيتها،و تظهر له زينتها-لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

أقول: وفي هذه المعاني ومعاني جمل الآيتين روايات أخرى عن أئمة أهل البيت (ع).

وفيه، بإسناده عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (ع) قال\*: من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطى الدعاء أعطى الإجابة، ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة، ومن أعطى التوكل أعطى الكفاية.

قال: أتوت كتاب الله عز وجل؟ «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» وقال: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» وقال: «أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ».

وفيه، بإسناده عن محمد بن مسلم قال\*: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» قال: في دنياه.

وفي الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن سالم بن أبي الجعد قال\*: نزلت هذه الآية: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» في رجل من أشجع أصابه جهد و بلاء- وكان العدو أسروا ابنه فأتى النبي ص فقال: اتق الله واصبر، فرجع ابن له كان أسيراً قد فكاه الله- فأتاهم وقد أصاب أعزراً فجاء فذكر ذلك للنبي ص فنزلت فقال النبي ص: هي لك.

وفيه، أخرج أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي من طريق عطاء بن يسار عن ابن عباس قال\*:

قال رسول الله ص: في قوله: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» قال: من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت- ومن شدائد يوم القيامة.

وفيه، أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر قال\*: جعل رسول الله يتلو هذه الآية «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» فجعل يرددها حتى نعست. ثم قال: يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتمهم.

وفيه، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والخطيب عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ص\*: من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنه- و رزقه من حيث لا يحتسب- و من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها.

وفيه، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رفع الحديث إلى رسول الله ص قال\*: من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، و من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، و من أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله.

أقول: وقد تقدم في ذيل الكلام على الآيات معنى هذه الروايات.

و في الكافي، بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال\*: «عده المرأة التي لا تحيض - والمستحاضه التي لا تطهر ثلاثة أشهر، وعده التي تحيض ويستقيم حيضها ثلاثة قروء، وسألته عن قول الله عز وجل: «إِنْ ارْتَبْتُمْ» ما الريبه؟ فقال: ما زاد على شهر فهو ريبه - فلتعتد ثلاثة أشهر وليترك الحيض الحديث.

و فيه، بإسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (ع) قال\*: «عده الحامل أن تضع حملها - و عليه نفقتها بالمعروف حتى تضع حملها.

و فيه، بإسناده عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله (ع) قال\*: «إذا طلق الرجل المرأة و هي حبل - أنفق عليها حتى تضع حملها - فإذا وضعته أعطاها أجرها و لا تضارها - إلا أن يجد من هي أرخص أجرا منها - فإن رضيت بذلك الأجر فهي أحق بابنها حتى تفضمه.

و في الفقيه، بإسناده عن ربي بن عبد الله و الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله (ع) \* في قوله عز وجل: «وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» قال: إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع الكسوه - و إلا فرق بينهما:.

أقول: و رواه في الكافي بإسناده عن أبي بصير عنه (ع).

و في تفسير القمي، "في قوله: «وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» قال: المطلقة الحامل أجلها أن تضع ما في بطنها - إن وضعت يوم طلقها زوجها - فلها أن تتزوج إذا طهرت، و أن تضع ما في بطنها إلى تسعة أشهر لم تتزوج إلا أن تضع.

و في الكافي، بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن (ع) قال\*: «سألته عن الحلبي إذا طلقها زوجها فوضعت سقطا - تم أو لم يتم أو وضعته مضغه؟ قال: كل شيء وضعته يستبين أنه حمل تم أو لم يتم - فقد انقضت عدتها.

و في الدر المشور، أخرج ابن المنذر عن مغیره قال\*: «قلت للشعبي: ما أصدق إن علي بن أبي طالب كان يقول: عده المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين.

قال: بلى فصدق به كأشد ما صدقت بشيء - كان علي يقول: إنما قوله: «وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» في المطلقة.

وفيه، أخرج عبد الرزاق عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة \* أن أبا عمرو بن حفص بن المغيرة - خرج مع علي إلى اليمن - فأرسل إلى امرأته فاطمه بنت قيس - بتطبيقه كانت بقيت من طلاقها، وأمر لها الحارث بن هشام وعباس بن أبي ربيعة بنفقة - فاستقلتها فقلا لها والله ما لك نفقه - إلا أن تكوني حاملا - فأتت النبي ص فذكرت له أمرها - فقال لها النبي ص: لا نفقه لك - فاستأذنته في الانتقال فأذن لها.

فأرسل إليها مروان يسألها عن ذلك فحدثته - فقال مروان: لم أسمع بهذا الحديث إلا من امرأه - سنأخذ بالعصمه التي وجدنا الناس عليها - فقالت فاطمه: بيني وبينكم كتاب الله - قال الله عز وجل: «وَلَا يَخْرُجَنَّ - إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» حتى بلغ «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» قالت: هذا لمن كانت له مراجعته - فأى أمر يحدث بعد الثلاث؟ فكيف تقولون: لا نفقه إذا لم تكن حاملا؟ - فعلا - م تحبسونها؟ و لكن يتركها حتى إذا حاضت - وطهرت طلقها تطبيقه - فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها - وأن أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها - أشهد على ذلك رجلين كما قال الله: «وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ» عند الطلاق وعند المراجعة.

فإن راجعها فهي عنده على طلقين - وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها - فقد بانت عدتها منه بواحد و هي أملك لنفسها - ثم تزوج من شاءت هو أو غيره.

## [سورة الطلاق (٦٥): الآيات ٨ الى ١٢]

### إشارة

وَكَأَيُّنْ مِنْ قَوْمِهِ عَتَتْ عَنْهُ أُمْرٌ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَا بِهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَا عَذَابًا نُّكَرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسِيرًا (٩) أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

موعظه و إنذار و تبشير تؤكد التوصيه بالتمسك بما شرع الله لهم من الأحكام و من جملتها ما شرعه من أحكام الطلاق و العده و لم يوص القرآن الكريم و لا أكد في التوصيه في شيء من الأحكام المشرعه كما وصى و أكد في أحكام النساء، و ليس إلا لأن لها نبأ.

قوله تعالى: «وَ كَآئِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسِبْنَا بِمَا حَسَبُوا شَدِيداً وَ عَذَابُنَا عَذَاباً نُكَراً» قال الراغب: العتو النبوء عن الطاعه انتهى. فهو قريب المعنى من الاستكبار، و قال: النكر الدهاء و الأمر الصعب الذى لا يعرف انتهى. و المراد بالنكر فى الآيه المعنى الثانى، و فى المجمع، النكر المنكر الفظيع الذى لم ير مثله انتهى.

و المراد بالقريه أهلها على سبيل التجوز كقوله: «وَ سَيِّئِلِ الْقَرْيَةِ»: يوسف: ٨٢، و فى قوله: «عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ» إشاره إلى أنهم كفروا بالله سبحانه بالشرك و كفروا كفرا آخر برسله بتكذيبهم فى دعوتهم. على أنهم كفروا بالله تعالى فى ترك شرائعه المشرعه و كفروا برسله فيما أمروا به بولايتهم لهم كما مر نظيره فى قوله: «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبُلَاغُ الْمُبِينُ»: التغابن: ١٢.

و شده الحساب المناقشه فيه و الاستقصاء لتوفيه الأجر كما هو عليه، و المراد به حساب الدنيا غير حساب الآخره و الدليل على كونه حساب الدنيا قوله تعالى: «وَ مَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»: الشورى: ٣٠، و قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى



آمَنُوا وَ اتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ: الأعراف: ٩٦.

فما يصيب الإنسان من مصيبه-و هى المصيبة فى نظر الدين-هو حاصل محاسبه أعماله و الله يعفو عن كثير منها بالمسامحه و المساهله فى المحاسبه غير أنه تعالى يحاسب العاتين المستكبرين عن أمره و رسله حسابا شديدا بالمناقشه و الاستقصاء و التثريب فيعذبهم عذابا نكرا.

و المعنى:و كم من أهل قريه عتوا و استكبروا عن أمر ربهم و رسله فلم يطيعوا الله و رسله فحاسبنا حسابا شديدا ناقشنا فيه و استقصيناها،و عذبناهم عذابا صعبا غير معهود و هو عذاب الاستئصال فى الدنيا.

و ما قيل:إن المراد به عذاب الآخره،و التعبير بالفعل الماضى للدلاله على تحقق الوقوع غير سديد.

و فى قوله:«فَحَاسِبْنَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَا»التفات من الغيبه إلى التكلم مع الغير،و نكتته الدلاله على العظمه.

قوله تعالى:«فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا»المراد بأمرها عتوها و استكبارها،و المعنى:فأصابتهم عقوبه عتوهم و كان عاقبه عتوهم خسارا كأنهم اشتروا العتو بالطاعه فانتهى إلى أن خسروا.

قوله تعالى:«أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا»هذا جزاؤهم فى الأخرى كما كان ما فى قوله:«فَحَاسِبْنَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا»جزاؤهم فى الدنيا.

و الفضل فى قوله:«أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ»إلخ،لكونه فى مقام دفع الدخل كأنه لما قيل:

«وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا»،قيل:ما المراد بخسرهم؟فقيل:«أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا».

قوله تعالى:«فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا»استنتاج مما تقدم خوطب به المؤمنون ليأخذوا حذرهم و يقوا أنفسهم أن يعتوا عن أمر ربهم و يطغوا عن طاعته فيبتلوا بوبال عتوهم و خسران عاقبتهم كما ابتليت بذلك القرى الهالكه.

و قد وصف المؤمنين بأولى الألباب فقال:«فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا»

استمدادا من عقولهم على ما يريد من التقوى فإنهم لما سمعوا أن قوما عتوا عن أمر ربهم فحوسبوا حسابا شديدا و عذبوا عذابا نكرا و كان عاقبه أمرهم خسرا ثم سمعوا أن ذلك تكرر مره بعد مره و أباد قوما بعد قوم، قضت عقولهم بأن العتو و الاستكبار عن أمر الله تعرض لشديد حساب الله و منكر عذابه فتنبهم و تبعثهم إلى التقوى و قد أنزل الله إليهم ذكرا يذكرهم به ما لهم و ما عليهم و يهديهم إلى الحق و إلى طريق مستقيم.

قوله تعالى: «رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» إلخ، عطف بيان أو بدل من «ذِكْرًا» فالمراد بالذكر الذى أنزله هو الرسول سمي به لأنه وسيله التذكرة بالله و آياته و سبيل الدعوة إلى دين الحق، و المراد بالرسول محمد ص على ما يؤيده ظاهر قوله:

«يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» إلخ.

و على هذا فالمراد بإنزال الرسول بعثه من عالم الغيب و إظهاره لهم رسولا من عنده بعد ما لم يكونوا يحتسبون كما فى قوله: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»: الحديد: ٢٥.

و قد دعى ظهور الإنزال فى كونه من السماء بعضهم كصاحب الكشاف إلى أن فسر «رَسُولًا» بجبريل و يكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم تلاوته على النبى ص بما أنه متبوع لقومه و وسيله الإبلاغ لهم لكن ظاهر قوله: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ» إلخ، خلاف ذلك.

و يحتمل أن يكون «رَسُولًا» منصوبا بفعل محذوف و التقدير أرسل رسولا يتلو عليكم آيات الله، و يكون المراد بالذكر المنزل إليهم القرآن أو ما بين فيه من الأحكام و المعارف.

و قوله: «لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» تقدم تفسيره فى نظائره.

و قوله: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» وعد جميل و تبشير.

و قوله: «قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا» وصف لإحسانه تعالى إليهم فيما رزقهم به من الرزق و المراد بالرزق ما رزقهم من الإيمان و العمل الصالح فى الدنيا و الجنة فى الآخرة، و قيل المراد به الجنة.

قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» إلخ، بيان يتأكد به ما تقدم فى الآيات من حديث ربوبيته تعالى و بعثه الرسول و إنزاله

الذكر لطيعوه فيه و أن فى تمرده و مخالفته الحساب الشديد و العذاب الأليم و فى طاعته الجنه الخالده كل ذلك لأنه قدير  
عليه.

فقوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» تقدم بعض الكلام فيه فى تفسير سوره حم السجده.

وقوله: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» ظاهره المثلثه فى العدد، و عليه فالمعنى: و خلق من الأرض سبعا كما خلق من السماء سبعا فهل  
الأرضون السبع سبع كرات من نوع الأرض التى نحن عليها و التى نحن عليها إحداها؟ أو الأرض التى نحن عليها سبع طبقات  
محيطه بعضها ببعض و الطبقة العليا بسيطها الذى نحن عليه؟ أو المراد الأقاليم السبعه التى قسموا إليها المعمور من سطح  
الكرة؟ ووجه ذهب إلى كل منها جمع و ربما لاح بالرجوع إلى ما تقدم فى تفسير سوره حم السجده محتمل آخر غيرها.

و ربما قيل: إن المراد بقوله: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» أنه خلق من الأرض شيئا هو مثل السماوات السبع و هو الإنسان المركب من  
الماده الأرضيه و الروح السماويه التى فيها نماذج سماويه ملكوتيه.

وقوله: «يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» الظاهر أن الضمير للسماوات و الأرض جميعا و الأمر هو الأمر الإلهى الذى فسر به بقوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا  
أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ» :يس: ٨٣، و هو كلمه الإيجاد، و تنزله هو أخذه بالنزول من مصدر الأمر إلى سماء بعد سماء حتى  
ينتهى إلى العالم الأرضى فيتكون ما قصد بالأمر من عين أو أثر أو رزق أو موت أو حياه أو عزه أو ذله أو غير ذلك قال تعالى:  
«وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا» :حم السجده: ١٢، و قال: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ  
سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» :الم السجده: ٥.

وقيل: المراد بالأمر الأمر التشريعى ينزل ملائكه الوحي به من السماء إلى النبى و هو بالأرض. و هو تخصيص من غير مخصص و  
ذيل الآيه «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ» إلخ، لا يلائمه.

وقوله: «أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» من الغايات المترتبة على خلقه السماوات السبع و من  
الأرض مثلهن و تنزله الأمر بينهن، و فى ذلك انتساب الخلق و الأمر إليه و اختصاصهما به فإن المتفكر فى ذلك لا يرتاب فى  
قدرته على كل

شئ و علمه بكل شئ فليتق مخالفه أمره أولوا الألباب من المؤمنين فإن سنه هذا القدير العليم تجرى على إثابه المطيعين لأوامره، ومجازاه العاتين المستكبرين و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى و هى ظالمه إن أخذه أليم شديد.

## بحث روائى

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ» قال: أهل القرية.

و فى تفسير البرهان، عن ابن بابويه بإسناده عن الريان بن الصلت عن الرضا(ع) فى حديث المأمون قال\*: الذكر رسول الله ص و نحن أهله-و ذلك بين فى كتاب الله حيث يقول فى سورة الطلاق: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا- رَسُولًا يَنْتَظِرُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» قال: فالذكر رسول الله و نحن أهله.

و فى تفسير القمى، حدثنى أبى عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن الرضا(ع) قال\*:

قلت له: أخبرنى عن قول الله عز و جل: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ» فقال: هى مجبوكة إلى الأرض و شبك بين أصابعه-فقلت: كيف تكون مجبوكة إلى الأرض و الله يقول:

رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا؟ فقال: سبحان الله أ ليس الله يقول: بغير عمد ترونها؟ قلت: بلى. قال: فثم عمد و لكن لا ترونها.

قلت: فكيف ذلك جعلنى الله فداك؟ قال: فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها-فقال: هذه أرض الدنيا و السماء الدنيا فوقها قبه، و الأرض الثانية فوق السماء الدنيا- و السماء الثانية فوقها قبه، و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية- و السماء الثالثة فوقها قبه، و الأرض الرابعة فوق السماء الثالثة- و السماء الرابعة فوقها قبه، و الأرض الخامسة فوق السماء الرابعة- و السماء الخامسة فوقها قبه، و الأرض السادسة فوق السماء الخامسة- و السماء السادسة فوقها قبه، و الأرض السابعة فوق السماء السادسة- و السماء السابعة فوقها قبه- و عرش الرحمن تبارك و تعالى فوق السماء السابعة- و هو قول الله عز و جل: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ- وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ .

فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ص- و الوصى بعد رسول الله قائم على وجه الأرض-فإنما ينتزل الأمر إليه من فوق السماء-من بين السماوات و الأرضين.

قلت: فما تحتنا إلا أرض واحده؟ فقال: ما تحتنا إلا أرض واحده- وإن الست لهن فوقنا:.

أقول: و عن الطبرسي عن العياشي عن الحسين بن خالد عن الرضا(ع): مثله .

و الحديث نادر في بابهِ، و هو و خاصه ما في ذيله من تنزل الأمر أقرب إلى الحمل على المعنى منه إلى الحمل على الصورة و الله أعلم.

## (٦٦) سورة التحريم مدنيه و هي اثنا عشره آيه (١٢)

[سورة التحريم (٦٦): الآيات ١ الى ٩]

أشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَ أظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنِ بَعْضِ فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَ قُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيَمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُتَافِقِينَ وَ اُعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ نِسْ الْمَصِيرُ (٩)

ص: ٣٢٨

تبدأ السوره بالإشاره إلى ما جرى بين النبي ص و بين بعض أزواجه من قصه التحريم فيعاتب النبي ص بتحريمه ما أحل الله له ابتغاء لمرضاه بعض أزواجه و مرجعه إلى عتاب تلك البعض و الانتصار له(ص) كما يدل عليه سياق الآيات.

ثم تخاطب المؤمنين أن يقوا أنفسهم من عذاب الله النار التي وقودها الناس و الحجاره و ليسوا يجزون إلا بأعمالهم و لا مخلص منها إلا للنبي و الذين آمنوا معه ثم تخاطب النبي بجهاد الكفار و المنافقين.

و تختتم السوره بضربه تعالى مثلاً من النساء للكفار و مثلاً منهن للمؤمنين.

و ظهور السياق في كون السوره مدنيه لا ريب فيه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِسْمُ تَحْرِيمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتُّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ خطاب مشوب بعتاب لتحريمه(ص) لنفسه بعض ما أحل الله له، و لم يصرح تعالى به و لم يبين أنه ما هو؟ و ما ذا كان؟ غير أن قوله: ﴿تَبَتُّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ يومئ

أنه كان عملاً من الأعمال المحللة التي يقترفها النبي ص لا ترتضيه أزواجه فضيقن عليه و آذينه حتى أرضاهن بالحلف على أن يتركه و لا يأتي به بعد.

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ علق الخطاب و النداء بوصف النبي دون الرسول لاختصاصه به في نفسه دون غيره حتى يلائم وصف الرساله.

و قوله: ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ المراد بالتحريم التسبب إلى الحرمة بالحلف على ما تدل عليه الآية التالیه فإن ظاهر قوله: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» إلخ، إنه (ص) حلف على ذلك و من شأن اليمين أن يوجب عروض الوجوب إن كان الحلف على الفعل و الحرمة إن كان الحلف على الترك، و إذ كان (ص) حلف على ترك ما أحل الله له فقد حرم ما أحل الله له بالحلف.

و ليس المراد بالتحريم تشريعه (ص) على نفسه الحرمة فيما شرع الله له فيه الحليه فليس له ذلك.

و قوله: «تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ» أى تطلب بالتحريم رضاهن بدل من تَحَرُّمِ إِيَّاهُ، أو حال من فاعله، و الجملة قرينه على أن العتاب بالحقيقه متوجه إليهن، و يؤيده قوله خطاباً لهما: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» إلخ، مع قوله فيه: «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

قوله تعالى: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» قال الراغب: كل موضع ورد فرض الله عليه ففي الإيجاب الذى أدخله الله فيه، و ما ورد من فرض الله له فهو فى أن لا يحظره على نفسه نحو «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» و قوله: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» انتهى. و التحله أصلها تحلله على وزن تذكره و تكرمه مصدر كالتحليل، قال الراغب: و قوله عز و جل: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» أى بين ما تحل به عقده أيمانكم من الكفاره.

فالمعنى: قد قدر الله لكم - كأنه قدره نصيباً لهم حيث لم يمنعهم عن حل عقده اليمين - تحليل أيمانكم بالكفاره و الله وليكم الذى يتولى تدبير أموركم بالتشريع و الهدايه و هو العليم الحكيم.

و فى الآية دلالة على أن النبي ص كان قد حلف على الترك، و أمر له بتحله يمينه.

قوله تعالى: «وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ لِهَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ

« السر هو الحديث الذى تكتمه فى نفسك و تخفيه، و الإسرار إفضاؤك الحديث إلى غيرك مع إيصائك بإخفائه، و ضمير « تَبَّأَتْ » لبعض أزواجه، و ضمير « بِهِ » للحديث الذى أسره النبى ص إليها، و ضمير « أَظْهَرَهُ » للنبى ص، و ضمير « عَلَيْهِ » لإنبائها به غيرها و إفشائها السر، و ضمير « عَرَّفَ » و « أَعْرَضَ » للنبى ص، و ضمير « بَعْضَهُ » للحديث، و الإشارة بقوله: « هَذَا » لإنبائها غيره و إفشائها السر.

و محصل المعنى: و إذ أفضى النبى إلى بعض أزواجه- و هى حفصه بنت عمر بن الخطاب- حديثا و أوصاها بكتمانه فلما أخبرت به غيرها و أفشت السر خلافا لما أوصاها به، و أعلم الله النبى ص أنها نبأت به غيرها و أفشت السر عرف و أعلم بعضه و أعرض عن بعض آخر، فلما خبرها النبى ص بالحديث قالت للنبى ص: من أنبأك و أخبرك أنى نبأت به غيرى و أفشيت السر؟ قال النبى ص: نبأنى و خبرنى العليم الخبير و هو الله العليم بالسر و العلانية الخبير بالسرائر.

قوله تعالى: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» أى إن توبا إلى الله فقد تحقق منكما ما يستوجب عليكم التوبه و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه، إلخ.

و قد اتفق النقل على أنهما عاتشه و حفصه زوجا رسول الله ص.

و الصغو الميل و المراد به الميل إلى الباطل و الخروج عن الاستقامه و قد كان ما كان منهما من إيذائه و التظاهر عليه (ص) من الكبائر و قد قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا»: الأحزاب: ٥٧، و قال: «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: التوبه: ٦١.

و التعبير بقلوبكما و إرادته معنى التثنيه من الجمع كثير النظير فى الاستعمال.

و قوله: «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ» إلخ، التظاهر التعاون، و أصل «وَ إِنْ تَظَاهَرَا» و إن تظاهرا، و ضمير الفصل فى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ» للدلاله على أن الله سبحانه عنايه خاصه به (ص) ينصره و يتولى أمره من غير واسطه من خلقه، و المولى الولى الذى يتولى أمره و ينصره على من يريد بسوء.

و «جِبْرِيلُ» عطف على لفظ الجلاله، و «صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» عطف كجبريل، و المراد



بصالح المؤمنين على ما قيل الصلحاء من المؤمنين فصالح المؤمنين واحد أريد به الجمع كقولك:

لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد به الجنس كقولك لا يفعله من صلح منه و مثله قولك:

كنت في السامر و الحاضر.

و فيه قياس المضاف إلى الجمع إلى مدخول اللام فظاهر **صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ** غير ظاهر «الصالح من المؤمنين».

و وردت الرواية من طرق أهل السنه عن النبي ص و من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت (ع) أن المراد بصالح المؤمنين على عليه أفضل السلام، و ستوافيك إن شاء الله.

و في المراد منه أقوال أخر أغمضنا عنها لعدم دليل عليها.

و قوله: «**وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**» أفراد الخبر للدلاله على أنهم متفقون في نصره متحدون صفا واحدا، و في جعلهم بعد ذلك أى بعد ولايه الله و جبريل و صالح المؤمنين تعظيم و تفخيم.

و لحن الآيات في إظهار النبي ص على من يؤذيه و يريده بسوء و تشديد العتاب على من يتظاهر عليه عجيب، و قد خوطب فيها النبي ص أولا- و عوتب على تحريمه ما أحل الله له و أشير عليه بتحلله يمينه و هو إظهار و تأييد و انتصار له و إن كان في صورته العتاب.

ثم التفت من خطابه إلى خطاب المؤمنين في قوله: «**وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلِيَّ بِعُصِّ أَرْوَاجِهِ**» يشير إلى القصة و قد أبهما إبهاما و قد كان أيد النبي و أظهره قبل الإشاره إلى القصة و إفشائها مختوما عليها، و فيه مزيد إظهاره.

ثم التفت من خطاب المؤمنين إلى خطابهما و قرر أن قلوبهما قد صغت بما فعلتا و لم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما بل بين لهما أنهما واقعتان بين أمرين إما أن تتوبا و إما أن تظاهرا على من الله هو مولاة و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك أجمع ثم أظهر الرجاء إن طلقهن أن يرزقه الله نساء خيرا منهن. ثم أمر النبي ص أن يجاهد الكفار و المنافقين و يغلظ عليهم.

و انتهى الكلام إلى ضربه تعالى مثلين مثلا للذين كفروا و مثلا للذين آمنوا.

و قد أدار تعالى الكلام في السوره بعد التعرض لحالهما بقوله: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** وَ **إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ** «إلخ، بين التعرض لحال المؤمنين و التعرض لحال الكفار

فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ» إلخ، و«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا» إلخ، وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا توبوا  
إلخ، و«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ» إلخ، وقال:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا»، «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا».

قوله تعالى: «عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ» إلخ آخر الآيه استغناء إلهي فإنهن وإن كن مشرفات بشرف  
زوجيه النبي ص لكن الكرامه عند الله بالتقوى كما قال تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا»: الأحزاب:

٢٩، انظر إلى مكان «مِنْكُنَّ» وقال: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعِذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِنَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا»: الأحزاب: ٣١.

ولذا ساق الاستغناء بترجي إبداله إن طلقهن أزواجا خيرا منهن، وعلق الخبر بما ذكر لأزواجه الجديده من صفات الكرامه و هي  
أن يكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات-أى صائحات-ثيبات و أبكارا.

فمن تزوج بها النبي ص و كانت متصفه بمجموع هذه الصفات كانت خيرا منهن و ليس إلا- لأجل اختصاص منها بالقنوت و  
التوبه أو القنوت فقط مع مشاركتها لهن في باقى الصفات، و القنوت هو لزوم الطاعه مع الخضوع.

و يتأيد هذا المعنى بما فى مثل مريم الآتى فى آخر السوره من ذكر القنوت «وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» فالقنوت هو الذى يفقدنه و هو  
لزومهن طاعه النبي ص التى فيها طاعه الله و اتقاؤهن أن يعصين النبي ص و يؤذينه.

و بما مر يظهر فساد قول من قال إن وجه خيريه أزواجه اللاحقه من أزواجه السابقه إن طلقهن، هو تزوج النبي ص بهن و انفصال  
الأزواج السابقه و زوجيته(ص)شرف لا يقدر قدره.

و ذلك أنه لو كان ملاك ما ذكر فى الآيه من الخير هو الزوجيه كان كل من تزوج(ص) من النساء أفضل و أشرف منهن إن  
طلقهن و إن لم تتلبس بشيء مما ذكر من صفات الكرامه فلم يكن مورد لعد ما عد من الصفات.

قال فى الكشاف:، فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها عن العاطف و وسط بين الثيبات و الأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا  
يجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات. انتهى.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ إلخ، «قوا» أمر من الوقايه بمعنى حفظ الشىء مما يؤذيه و يضره، و الوقود بفتح الواو اسم لما توقد به النار من حطب و نحوه. و المراد بالنار نار جهنم و كون الناس المعذبين فيها وقودا لها معناه اشتعال الناس فيها بأنفسهم كما فى قوله تعالى: «ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ»: المؤمن: ٧٢. فيناسب تجسم الأعمال كما هو ظاهر الآيه التاليه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا» إلخ، و فسرت الحجاره بالأصنام.

و قوله: «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» أى و كل عليها لإجراء أنواع العذاب على أهلها ملائكه غلاظ شداد.

و الغلاظ جمع غليظ ضد الرقيق و الأنسب للمقام كون المراد بالغلاظه خشونه العمل كما فى قوله الآتى: «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» الآيه ٩ من السوره، و الشداد جمع شديد بمعنى القوى فى عزمه و فعله.

و قوله: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» كالمفسر لقوله: «غُلَاظٌ شِدَادٌ أَى هُم ملتزمون بما أمرهم الله من أنواع العذاب لا- يعصونه بالمخالفه و الرد و يفعلون ما يؤمرون به على ما أمروا به من غير أن يفوت منهم فائت أو ينقص منه شىء لضعف فيهم أو فتور فهم غلاظ شداد.

و بهذا يظهر أن قوله: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» ناظر إلى التزامهم بالتكليف، و قوله: «و يَفْعَلُونَ» إلخ، ناظر إلى العمل على طبقه فلا تكرر كما قيل.

قال فى التفسير الكبير، فى ذيل الآيه: و فيه إشاره إلى أن الملائكه مكلفون فى الآخره بما أمرهم الله تعالى به و بما ينهاهم عنه، و العصيان منهم مخالفه للأمر و النهى.

و فيه أن الآيه و غيرها مما تصف الملائكه بمحض الطاعه من غير معصيه مطلقه تشمل الدنيا و الآخره فلا- وجه لتخصيص تكليفهم بالآخره.

ثم إن تكليفهم غير سنخ التكليف المعهود فى المجتمع الإنسانى بمعنى تعليق المكلف -بالكسر- إرادته بفعل المكلف -بالفتح- تعليقا اعتباريا يستتبع الثواب و العقاب فى ظرف الاختيار و إمكان الطاعه و المعصيه بل هم خلق من خلق الله لهم ذوات طاهره نوريه لا- يريدون إلا- ما أراد الله و لا يفعلون إلا ما يؤمرون، قال تعالى: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْتَبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» الأنبياء، ٢٧ و لذلك لا جزاء لهم

على أعمالهم من ثواب أو عقاب فهم مكلفون بتكليف تكويني غير تشريعي مختلف باختلاف درجاتهم، قال تعالى: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» :الصفات: ١٦٤، و قال عنهم:

«وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا» :مریم: ٦٤.

و الآيه الكريمة بعد الآيات السابقة كالتعميم بعد التخصيص فإنه تعالى لما أدب نساء النبي ص ببيان ما لا يذاتهم النبي ص من الأثر السيئ عمم الخطاب فخطب المؤمنين عامه أن يؤدبوا أنفسهم و أهليهم و يقوهم من النار التي وقودها نفس الداخلين فيها أى إن أعمالهم السيئه تلزمهم و تعود نارا تعذبهم و لا مخلص لهم منها و لا مناص عنها.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» خطاب عام للكفار بعد ما جوزوا بالنار فإنهم يعتذرون عن كفرهم و معاصيهم فيخطبون أن لا- تعتذروا اليوم- و هو يوم الجزاء إنما تجزون نفس ما كنتم تعملون أى إن العذاب الذى تعذبون بها هو عملكم السيئ الذى عملتموه و قد برز لكم اليوم حقيقته و إذ عملتموه فقد لزمكم أنكم عملتموه و الواقع لا يتغير و ما حق عليكم من كلمه العذاب لا يعود باطلا فهذا ظاهر الخطاب.

و قيل: المعنى: لا- تعتذروا- اليوم- بعد دخول النار فإن الاعتذار توبه و التوبه غير مقبوله بعد دخول النار إنما تجزون ما لزم فى مقابل عملكم من الجزاء فى الحكمة.

و فى اتباع الآيات السابقة بما فى هذه الآيه من خطاب القهر تهديد ضمنى و إشعار بأن معصيه الله و رسوله ربما أدى إلى الكفر.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» إلخ، النصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، و يأتى بمعنى الإخلاص نحو نصحت له الود أى أخلصته-على ما ذكره الراغب-فالتوبه النصوح ما يصرف صاحبه عن العود إلى المعصيه أو ما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منه.

لما أمر المؤمنين بوقايه أنفسهم و أهليهم من النار أمرهم جميعا ثانيا بالتوبه و فرع عليه رجاء أن يستر الله سيئاتهم و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

و قوله: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» قال الراغب: يقال: خزى الرجل يخزى من باب علم يعلم إذا لحقه انكسار إما من نفسه و إما من غيره فالذى يلحقه

من نفسه و هو الحياء المفرط مصدره الخزايه، و الذى يلحقه من غيره و يعد ضربا من الاستخفاف مصدره الخزى و الإخزاء من الخزايه و الخزى جميعا قال: و على نحو ما قلنا فى خزى ذل و هان فإن ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له الهون-بفتح الهاء- و الذل و يكون محمودا، و متى كان من غيره يقال له: الهون -بضم الهاء- و الهوان و الذل و يكون مذموما. انتهى ملخصا.

«فقوله:» «يَوْمَ» ظرف لما تقدمه، و المعنى: توبوا إلى الله عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم الجنة فى يوم لا- يخزى و لا يكسر الله النبى ص بجعلهم محرومين من الكرامه و خلفه ما وعدهم من الوعد الجميل.

و فى قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» اعتبار المعية فى الإيمان فى الدنيا و لازمه ملازمتهم النبى ص و طاعتهم له من غير مخالفه و مشاقه.

و من المحتمل أن يكون قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا» مبتدأ خبره «مَعَهُ» و قوله: «نُورُهُمْ يَسْعَى» إلخ، خبرا ثانيا، و قوله: «يَقُولُونَ» إلخ، خبرا ثالثا فيفيد أنهم لا يفارقون النبى و لا يفارقهم يوم القيامة، و هذا وجه جيد لازمه كون عدم الخزى خاصا بالنبى ص و سعى النور و سؤال إتمامه خاصا بالذين معه من المؤمنين و تؤيده آيه الحديد الآتية.

و من الممكن أن يكون «مَعَهُ» متعلقا بقوله: «آمَنُوا» و قوله: «نُورُهُمْ يَسْعَى» إلخ، خبرا أولا و ثانيا للموصول.

و قوله: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ» تقدم بعض الكلام فى معناه فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ»: الحديد: ١٢، و لا يبعد أن يكون ما بين أيديهم من النور نور الإيمان و ما بأيمانهم نور العمل.

و قوله: «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يفيد السياق أن المغفره المسئوله سبب لتمام النور أو هو ملازم لتمام النور فيفيد أن فى نورهم نقصا و النور نور الإيمان و العمل فلهم نقائص بحسب درجات الإيمان أو آثار السيئات التى خلت محالها فى صحائفهم من العبوديه فى العمل فيسألون ربهم أن يتم لهم نورهم و يغفر لهم، و إليه الإشاره بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ»: الحديد: ١٩.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُتَافِقِينَ وَ اعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا أُوهُمْ جَهَنَّمَ

«المراد بالجهاد بذل الجهد فى إصلاح الأمر من جهتهم و دفع شرهم فى الكفار ببيان الحق و تبليغه فإن آمنوا و إلا فالحرب و فى المنافقين باستمالتهم و تأليف قلوبهم حتى تطمئن قلوبهم إلى الإيمان و إلا فلم يقاتل النبى ص منافقا قط.

و قيل: المراد اشدد عليهم فى إقامة الحدود لأن أكثر من يصيب الحد فى ذلك الزمان المنافقون. و هما كما ترى.

### بحث روائى

فى تفسير القمى، بإسناده عن ابن سيار عن أبى عبد الله (ع) \* فى قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ - تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» قال: اطلعت عائشه و حفصه على النبى ص و هو مع ماريه - فقال النبى ص: و الله لا - أقربها - فأمر الله أن يكفر بها عن يمينه.

و فى الكافى، بإسناده عن زراره عن أبى جعفر (ع) قال\*: سألته عن رجل قال لامرأته:

أنت على حرام - فقال: لو كان لى عليه سلطان لأوجعت رأسه - و قلت: الله أحلها لك فما حرمها عليك؟ أنه لم يزد على أن كذب - فزعم أن ما أحل الله له حرام - و لا يدخل عليه طلاق و لا كفاره.

فقلت: قول الله عز و جل: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» فجعل فيه كفاره؟ فقال: إنما حرم عليه جاريتته ماريه القبطيه - و حلف أن لا يقربها، و إنما جعل على النبى ص الكفاره فى الحلف - و لم يجعل عليه فى التحريم.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال\*: كان رسول الله ص يشرب من شراب - عند سوده من العسل - فدخل على عائشه فقالت: إنى أجد منك ريحا، فدخل على حفصه فقالت: إنى أجد منك ريحا - فقال: أراه من شراب شربته عند سوده - و الله لا أشربه، فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» الآية.

أقول: و الحديث مروى بطرق متشعبة و ألفاظ مختلفه، و فى انطباقها على الآيات - و هى ذات سياق واحد - خفاء.

وفيه، أخرج ابن سعد و ابن مردويه عن ابن عباس قال\*: كانت عائشه و حفصه متحابتين - فذهبت حفصه إلى بيت أبيها تحدث عنده- فأرسل النبي ص إلى جاريتها فطلت معه في بيت حفصه-و كان اليوم الذى يأتى فيه عائشه فوجدتهما فى بيتها-فجعلت تنتظر خروجها و غارت غيره شديده-فأخرج النبي ص جاريتها و دخلت حفصه-فقالت:قد رأيت من كان عندك و الله لقد سواتنى، فقال النبي ص:و الله لأرضينك و إنى مسر إليك سرا فاحفظيه، قالت:ما هو؟قال:إنى أشهدك-أن سريتى هذه على حرام رضا لك.

فانطلقت حفصه إلى عائشه-فأسرت إليها أن أبشري-أن النبي ص قد حرم عليه فتاته-فلما أخبرت بسر النبي ص أظهر الله النبي ص عليه-فأنزل الله:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾.

أقول:انطبق ما فى الحديث على الآيات و خاصه قوله:«عرف بعضه و أعرض عن بعض»فيه خفاء.

وفيه، أخرج الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عباس \*فى قوله:«وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا»قال:دخلت حفصه على النبي ص فى بيتها و هو يظأ ماريه،فقال لها رسول الله ص:لا تخبرى عائشه حتى أبشرك بشاره-فإن أباك يلى الأمر بعد أبى بكر إذا أنا مت.

فذهبت حفصه فأخبرت عائشه-فقالت عائشه للنبي ص:من أبأك هذا؟قال:

نبأنى العليم الخبير،فقالت عائشه:لا أنظر إليك حتى تحرم ماريه فحرمها-فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

أقول:و الآثار فى هذا الباب كثيره على اختلاف فيها،و فى أكثرها أنه(ص)حرم ماريه على نفسه لقول حفصه لا لقول عائشه،و أن التى قالت للنبي ص:«مَنْ أَبْأَكَ هَذَا»هى حفصه تريد من أخبرك أنى أفشيت السر دون عائشه.

و هى مع ذلك لا تزال إبهام قوله تعالى:«عَرَفَ بَعْضُهُ وَ أَعْرَضَ عَن بَعْضٍ».نعم فيما

رواه ابن مردويه عن على قال: ما استقصى كريم قط لأن الله يقول:«عَرَفَ بَعْضُهُ وَ أَعْرَضَ عَن بَعْضٍ»، و روى عن أبى حاتم عن مجاهد،و ابن مردويه عن ابن عباس\*\*:"أن الذى عرف أمر ماريه-و الذى أعرض عنه قوله:إن أباك و أباه يلىان الناس بعدى مخافه أن يفشو.

و يتوجه عليه أنه ما وجه الكرم في أن يعرف(ص) ما قاله من تحريم ماريه و يعرض عما أخبرها من ولايتهما مع أن العكس أولى و أقرب.

و قد روى بعده طرق عن عمر بن الخطاب سبب نزول الآيات و لم يذكر ذلك

ففي عده من جوامع الحديث منها البخارى و مسلم و الترمذى عن ابن عباس قال: "لم أزل حريصاً أن أسأل عمر-عن المرأتين من أزواج النبي اللتين قال الله: «إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» حتى حج عمر و حججت معه-فلما كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالإداوه- فتبرز ثم أتى فصبيت على يديه فتوضأ.

فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان-من أزواج النبي ص اللتان قال الله: «إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس-هما عائشه و حفصه ثم أنشأ يحدثنى.

فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء-فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم- فطلق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم-فغضبت على امرأتى يوماً فإذا هى تراجعنى-فأنكرت أن تراجعنى فقالت: ما تنكر من ذلك؟ فو الله إن أزواج النبي ص ليراجعنه-و تهجره إحداهن اليوم إلى الليل.قلت: قد خابت من فعلت ذلك منهن و خسرت.

قال: و كان منزلى بالعوالي-و كان لى جار من الأنصار-كنا نتناوب النزول إلى رسول الله ص-فيتزل يوماً فيأتينى بخبر الوحي و غيره-و أنزل يوماً فآتية بمثل ذلك.

قال: و كنا نحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا-فجاء يوماً فضرب على الباب فخرجت إليه-فقال: حدث أمر عظيم.فقلت: أ جئت غسان؟قال: أعظم من ذلك طلق رسول الله ص نساءه.قلت فى نفسى: قد خابت حفصه و خسرت-قد كنت أرى ذلك كائناً- فلما صلينا الصبح شددت على ثيابى-ثم انطلقت حتى دخلت على حفصه-فإذا هى تبكى فقلت: أ طلقكن رسول الله ص؟قالت: لا أدرى هو ذا معتزل فى المشربه-فانطلقت فأتيت غلاماً أسود-فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى-فقال: قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً-فانطلقت إلى المسجد-فإذا حول المسجد نفر يبكون فجلست إليهم.

ثم غلبنى ما أجد فانطلقت فأتيت الغلام-فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج-فقال:

قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً-فوليت منطلقاً فإذا الغلام يدعونى-فقال: ادخل فقد أذن لك- فدخلت فإذا النبي ص متكئ على حصير-قد رأيت أثره فى جنبه-فقلت: يا رسول الله



أطلقت نساءك؟ قال: لا. قلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله - وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم - فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم - فغضبت يوما على امرأتي - فإذا هي تراجعني فأنكرت ذلك - فقالت: ما تنكر؟ فوالله إن أزواج النبي ص ليراجعنه - وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل - فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن، فدخلت على حفصه - فقلت: أراجع إحداهن رسول الله - وتهجره اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. فقلت: قد خابت من فعلت ذلك منكن وخسرت - تأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ص - فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله ص.

فقلت لحفصه: لا - تراجعى رسول الله ص - ولا - تسأليه شيئا وسلينى ما بدا لك - ولا يغرنك إن كانت جارتك أوسم منك - وأحب إلى رسول الله ص فتبسم أخرى.

فقلت: يا رسول الله أستأنس قال: نعم. فرفعت رأسى فما رأيت فى البيت إلا أهبه ثلاثة - فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك - فقد وسع على فارس و الروم و هم لا يعبدون الله - فاستوى جالسا و قال: أ و فى شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم قد عجلت لهم طبيائهم فى الحياه الدنيا، و كان قد أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا - فعاتبه الله فى ذلك و جعل له كفاره اليمين.

أقول: و هذا المعنى مروى عنه مفصلا و مختصرا بطرق مختلفه، و الروايه - كما ترى - لا - تذكر ما أسره النبى ص إلى بعض أزواجه؟ و ما هو بعض النبى الذى عرفه و ما هو الذى أعرض عنه و له شأن من الشأن.

و هى مع ذلك ظاهره فى أن المراد بالتحريم فى الآيه تحريم عامه أزواجه و ذلك لا ينطبق عليها و فيها قوله تعالى: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» مضافا إلى أنه لا تبيين به وجه التخصيص فى قوله: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» إلخ.

و فى تفسير القمى، بإسناده عن أبى بصير قال: \*سمعت أبا جعفر (ع) يقول: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا - وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ - وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» قال: صالح المؤمنين على (ع).

و فى الدر المشهور، أخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس: \*سمعت رسول الله ص

يقول: « وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ » قال: على بن أبي طالب.

أقول: ذكر صاحب البرهان بعد إيراد روايه أبي بصير السابقه أن محمد بن العباس أورد في هذا المعنى اثنين و خمسين حديثا من طرق الخاصه و العامه ثم أورد نبذه منها.

و في الكافي، بإسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله (ع) قال\*: لما نزلت هذه الآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً » جلس رجل من المؤمنين يبكي و قال: أنا عجزت عن نفسي و كلفت أهلي. فقال رسول الله ص: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، و تنهاهم عما تنهى عنه نفسك.

و فيه، بإسناده عن سماعه عن أبي بصير\* في قوله: « قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً » قلت:

كيف أقيهم؟ قال: تأمرهم بما أمر الله- و تنهاهم عما نهى الله فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم- و إن عصوك كنت قد قضيت ما عليك:.

أقول: و رواه بطريق آخر عن زرعه عن أبي بصير عنه (ع).

و في الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و الفاريابي و سعيد بن منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و البيهقي في المدخل عن علي بن أبي طالب: في قوله:

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً » قال: علموا أنفسكم و أهليكم الخير و أدبواهم.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم قال\*: تلا رسول الله ص هذه الآية « قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً » فقالوا: يا رسول الله كيف نقى أهلنا نارا؟ قال: تأمروهم بما يحبه الله و تنهونهم عما يكره الله.

و في الكافي، بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال\*: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً » قال: يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه.

قال محمد بن الفضيل: سألت عنها أبا الحسن (ع)- فقال: يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه، الحديث.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال\*: قال معاذ بن جبل: يا رسول الله ما التوبه النصوح؟ قال: أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب- فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه- كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

أقول: و الروايات في هذا المعنى كثيره من الفريقين.

و في الكافي، بإسناده عن صالح بن سهل الهمداني قال: \*قال أبو عبد الله (ع): في قوله:

« يَشِيْعِي نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ » أئمة المؤمنين يوم القيامة يسعى (١) بين أيدي المؤمنين - و بأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة.

و في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) \* في الآية: من كان له نور يومئذ نجاء، و كل مؤمن له نور.

## [سوره التحريم (٦٦): الآيات ١٠ الى ١٢]

### أشاره

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغَيِّبَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ إِثْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا وَ كَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ (١٢)

### بيان

تتضمن الآيات الكريمة مثلين يمثل بهما الله سبحانه حال الكفار و المؤمنين في أن شقاء الكفار و هلاكهم إنما كان بخيانتهم لله و رسوله و كفرهم و لم ينفعهم اتصال بسبب إلى الأنبياء المكرمين، و أن سعادة المؤمنين و فلاحهم إنما كان بإخلاصهم الإيمان بالله و رسوله و القنوت و حسن الطاعة و لم يضرهم اتصال بأعداء الله بسبب فإنما ملاك الكرامة عند الله التقوى.

ص: ٣٤٢

يمثل الحال أولاً: بحال امرأتين كانتا زوجين لنبين كريمين عدهما الله سبحانه عبيدين صالحين -و يا له من كرامه- فخانتاهما فأمرتا بدخول النار مع الداخلين فلم ينفعهما زوجيتهما للنبين الكريمين شيئاً فهلكتا في ضمن الهالكين من غير أدنى تميز و كرامه.

و ثانياً: بحال امرأتين إحداهما امرأه فرعون الذى كانت منزلته فى الكفر بالله أن نادى فى الناس فقال: أنا ربكم الأعلى، فأمنت بالله وأخلصت الإيمان فأنجاها الله و أدخلها الجنة و لم يضرها زوجه مثل فرعون شيئاً، و ثانيتهما مريم ابنة عمران الصديقه القانته أكرمها الله بكرامته و نفخ فيها من روحه.

و فى التمثيل تعريض ظاهر شديد لزوجى النبى ص حيث خانتاه فى إفشاء سره و تظاهرتا عليه و آذتاه بذلك، و خاصه من حيث التعبير بلفظ الكفر و الخيانه و ذكر الأمر بدخول النار.

قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَيْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا» الخ، قال الراغب: الخيانه و النفاق واحد إلا- أن الخيانه تقال اعتباراً بالعهد و الأمانه، و النفاق يقال اعتباراً بالدين ثم يتداخلان فالخيانه مخالفه الحق بنقض العهد فى السر و نقيض الخيانه الأمانه، يقال: خنت فلانا و خنت أمانه فلان. انتهى.

و قوله: «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» إن كان متعلقاً بالمثل كان المعنى: ضرب الله مثلاً يمثل به حال الذين كفروا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالعباد الصالحين، و إن كان متعلقاً بضرب كان المعنى: ضرب الله الامراتين و ما انتهت إليه حالهما مثلاً للذين كفروا ليعتبروا به و يعلموا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده و أنهم بخيانتهم النبى ص من أهل النار لا محاله.

و قوله: «امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ» مفعول «ضَرَبَ» و المراد بكونهما تحتها زوجيتهما لهما.

و قوله: «فَلَمْ يُعْطِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» ضمير التشبيه الأولى للعبدين، و الثانيه للامراتين، و المراد أنه لم ينفع المرأتين زوجيتهما للعبدين الصالحين.

و قوله: «و قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ» أى مع الداخلين فيها من قوميهما كما يلوح من قوله فى امرأه نوح: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التُّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ»

اثنین و أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» هود: ٤٠، و قوله فى امرأه لوط: «فَأَسِيرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ» هود: ٨١، أو المعنى مع الداخلين فيها من الكفار.

و فى التعبير بقيل بالبناء للمفعول، و إطلاق الداخلين إشاره إلى هوان أمرهما و عدم كرامه لهما أصلا فلم يبال بهما أين هلكتا.

قوله تعالى: «وَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» الخ، الكلام فى قوله: «لِلَّذِينَ آمَنُوا» كالكلام فى قوله: «لِلَّذِينَ كَفَرُوا».

و قوله: «إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه فى حياتها و ترومه فى مسير عبوديتها فى مسأله سألت ربها و ذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر و الباطن و توافق القلب و اللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل و لا يفعل إلا ما يقول فىكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذى يريده كذلك بعمله.

و إذ حكى الله فيما يمثل به حالها و يشير إلى منزلتها الخاصه فى العبوديه دعاء دعت به دل ذلك على أنه عنوان جامع لعبوديتها و على ذلك كانت تسير مدى حياتها، و الذى تتضمنه مسألتها أن يبنى الله لها عنده بيتا فى الجنه و ينجىها من فرعون و عمله و ينجىها من القوم الظالمين فقد اختارت جوار ربه و القرب منه على أن تكون أنيسه فرعون و عشيقته و هى ملكه مصر و آثرت بيتا بينه لها ربها على بيت فرعون الذى فيه مما تشتهيه الأنفس و تتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال فقد كانت عزفت نفسها ما هى فيه من زينه الحياه الدنيا و هى لها خاضعه و تعلقت بما عند ربه من الكرامه و الزلفى فأمنت بالغيب و استقامت على إيمانها حتى قضت.

و هذه القدم هى التى قدمتها إلى أن جعلها الله مثلا للذين آمنوا و لخص حالها و ما كانت تبتغيه و تعمل له مدى حياتها فى مسير العبوديه فى مسأله حكى عنها و ما معناها إلا- أنها انتزعت من كل ما يلهوها عن ربها و لاذت بربها تريد القرب منه تعالى و الإقامة فى دار كرامته.

فقوله: «امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» اسمها على ما فى الروايه آسيه، و قوله: «إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» الجمع بين كون البيت المبنى لها عند الله و فى الجنه لكون الجنه

دار القرب من الله و جوار رب العالمين كما قال تعالى: «بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»: آل عمران: ١٦٩.

على أن الحضور عنده تعالى و القرب منه كرامه معنويه و الاستقرار في الجنه كرامه صوريه، و سؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين.

و قوله: «و نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ» تبر منها و سؤال أن ينجيها الله من شخص فرعون و من عمله الذي تدعو ضروره المصاحبه و المعاشره إلى الشركه فيه و التلبس به، و قيل:

المراد بالعمل الجماع.

و قوله: «و نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» و هم قوم فرعون و هو تبر آخر و سؤال أن ينجيها الله من المجتمع العام كما أن الجملة السابقه كانت سؤال أن ينجيها من المجتمع الخاص.

قوله تعالى: «و مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» إلخ، عطف على امرأه فرعون و التقدير و ضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم إلخ.

ضربها الله مثلا- باسمها و أثنى عليها و لم يذكر في كلامه تعالى امرأه باسمها غيرها ذكر اسمها في القرآن في بضع و ثلاثين موضعا في نيف و عشرين سوره.

و قوله: «الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» ثناء عليها على عفتها، و قد تكرر في القرآن ذكر ذلك و لعل ذلك بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها كما قال تعالى: «و قَوْلِهِمْ عَلِيٌّ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا»: النساء: ١٥٦، و في سوره الأنبياء في مثل القصه: «و الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا»: الأنبياء: ٩١.

و قوله: «و صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» أي بما تكلم به الله سبحانه من الوحي إلى أنبيائه كما قيل، و قيل: المراد بها وعده تعالى و وعيده و أمره و نهيته، و فيه أنه يستلزم كون ذكر الكتب مستدركا.

و قوله: «و كُتِبَ» و هي المشتمله على شرائع الله المنزله من السماء كالنوراه و الإنجيل كما هو مصطلح القرآن و لعل المراد من تصديقها كلمات ربها و كتبه كونها صديقه كما في قوله تعالى: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ»: المائدة: ٧٥.

و قوله: «و كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» أي من القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه غلب فيه المذكر على المؤنث.

و يؤيد هذا المعنى كون القنوت بهذا المعنى واقعا فيما حكى الله من نداء الملائكة لها ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: آل عمران: ٤٣، وقيل: يجوز أن يراد بالقانتين رهطها و عشيرتها الذين كانت مريم منهم و كانوا أهل بيت صلاح و طاعه، و هو بعيد لما تقدم.

على أن المناسب لكون المثل تعريضا لزوجي النبي ص أن يراد بالقانتين مطلق أهل الطاعه و الخضوع لله تعالى.

## بحث روائى

في تفسير البرهان، عن شرف الدين النجفى رفعه عن أبى عبد الله (ع) أنه قال \* قوله تعالى: ﴿صَدْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا-إِمْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ الآية-مثل ضربه الله لعائشه و حفصه-أن تظاهرتا على رسول الله ص و أفشتا سره.

و فى المجمع،: عن أبى موسى عن النبي ص قال\*: كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا أربع: آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون، و مريم بنت عمران، و خديجه بنت خويلد، و فاطمه بنت محمد ص.

و فى الدر المشهور، أخرج أحمد و الطبرانى و الحاكم و صححه عن ابن عباس قال\*: قال رسول الله: أفضل نساء أهل الجنة خديجه بنت خويلد-و فاطمه بنت محمد ص و مريم بنت عمران-و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون-مع ما قص الله علينا من خبرهما فى القرآن- ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.

و فيه، أخرج الطبرانى عن سعد بن جناده قال\*: قال رسول الله ص: إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران-و امرأه فرعون و أخت موسى.

أقول: و امرأه فرعون على ما وردت به الروايات مقتوله قتلها زوجها فرعون لما اطلع أنها آمنت بالله و حده، و قد اختلفت الروايات فى كيفية قتلها.

ففى بعضها أنه لما اطلع على إيمانها كلفها الرجوع إلى الكفر فأبت إلا-الإيمان فأمر بها أن ترمى عليها بصخره عظيمه حتى ترضح تحتها ففعل بها ذلك.

و فى بعضها لما أحضرت للعذاب دعت بما حكى الله عنها فى كلامه من قولها: ﴿رَبِّ

«الخ، فاستجاب الله لها و رأت بيتها فى الجنة و انتزعت منها الروح و ألقيت الصخره على جسد ليس فيه روح.

و فى بعضها أن فرعون وتد لها أربعة أوتاد و أضجعها على صدرها و جعل على صدرها رحي و استقبل بها عين الشمس. و الله أعلم.

## (٦٧) سورة الملك مكيه و هى ثلاثون آيه (٣٠)

[سورة الملك (٦٧): الآيات ١ الى ١٤]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَبَّارِكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٤) وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَ هِيَ تَفُوقُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُمْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَ أَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ إِجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)



غرض السوره بيان عموم ربوبيته تعالى للعالمين تجاه قول الوثنيه إن لكل شطر من العالم ربا من الملائكه و غيرهم و إنه تعالى رب الأرباب فقط.

و لذا يعد سبحانه كثيرا من نعمه فى الخلق و التدبير- و هو فى معنى الاحتجاج على ربوبيته- و يفتح الكلام بباركه و هو كثره صدور البركات عنه، و يكرر توصيفه بالرحمن و هو مبالغه فى الرحمه التى هى العطيه قبال الاستدعاء فقرا و فيها إنذار ينتهى إلى ذكر الحشر و البعث.

و تتلخص مضامين آياتها فى الدعوه إلى توحيد الربوبيه و القول بالمعاد.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» تبارك الشىء كثره صدور الخيرات و البركات عنه.

و قوله: «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» يشمل بإطلاقه كل ملك، و جعل الملك فى يده استعاره بالكنايه عن كمال تسلطه عليه و كونه متصرفا فيه كيف يشاء كما يتصرف ذو اليد فيما بيده و يقلبه كيف يشاء فهو تعالى يملك بنفسه كل شىء من جميع جهاته، و يملك ما يملكه كل شىء.

فتوصيفه تعالى بالذى بيده الملك أوسع من توصيفه بالمليك فى قوله: «عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ»: القمر: ٥٥، و أصرح و أكد من توصيفه فى قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: التغابن: ١.

و قوله: «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» إشاره إلى كون قدرته غير محدوده بحد و لا منتهيه

إلى نهايه و هو لازم إطلاق الملك بحسب السياق،و إن كان إطلاق الملك و هو من صفات الفعل من لوازم إطلاق القدره و هى من صفات الذات.

و فى الآيه مع ذلك إيماء إلى الحجه على إمكان ما سيأتى من أمر المعاد.

قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» الحياه كون الشىء بحيث يشعر و يريد،و الموت عدم ذلك لكن الموت على ما يظهر من تعليم القرآن انتقال من نشأه من نشآت الحياه إلى نشأه أخرى كما تقدم استفاده ذلك من قوله تعالى: «نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْرِئَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ X-إلى قوله-X فى ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: الواقعة: ٦١، فلا- مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياه.

على أنه لو أخذ عدميا كما عند العرف فهو عدم ملكه الحياه و له حظ من الوجود يصحح تعلق الخلق به كالعَمى من البصر و الظلمه من النور.

و قوله: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» غايه خلقه تعالى الموت و الحياه،و البلاء الامتحان و المراد أن خلقكم هذا النوع من الخلق و هو أنكم تحيون ثم تموتون خلق مقدمى امتحانى يمتاز به منكم من هو أحسن عملا من غيره و من المعلوم أن الامتحان و التمييز لا يكون إلا لأمر ما يستقبلكم بعد ذلك و هو جزاء كل بحسب عمله.

و فى الكلام مع ذلك إشاره إلى أن المقصود بالذات من الخلقه هو إيصال الخير من الجزاء حيث ذكر حسن العمل و امتياز من جاء بأحسنه فالمحسنون عملا هم المقصودون بالخلقه و غيرهم مقصودون لأجلهم.

و قد ذيل الكلام بقوله: « وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» فهو العزيز لأن الملك و القدره المطلقين له وحده فلا يغلبه غالب و ما أقدر أحدا على مخالفته إلا بلاء و امتحانا و سينتقم منهم و هو الغفور لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم فى الدنيا و سيغفر كثيرا منها فى الآخرة كما وعد.

و فى التذييل بالاسمين مع ذلك تخويف و تطميع على ما يدعو إلى ذلك سياق الدعوه.

و اعلم أن مضمون الآيه ليس مجرد دعوى خاليه عن الحجه يراد به التلقين كما ربما يتوهم بل هى مقدمه قريبه من الضروره-أو هى ضروريه-تستدعى الحكم بضروره البعث للجزاء فإن الإنسان المتلبس بهذه الحياه الدنيويه الملحوقه للموت لا يخلو من أن يحصل له وصف حسن العمل أو خلافه و هو مجهز بحسب الفطره بما لو لا عروض عارض السوء لساقه

إلى حسن العمل، وقلما يخلو إنسان من حصول أحد الوصفين كالأطفال و من فى حكمهم.

و الوصف الحاصل المترتب على وجود الشيء السارى فى أغلب أفراده غايه فى وجوده مقصوده فى إيجاده فكما أن الحياه النباتيه لشجره كذا إذ كانت تؤدى فى الغالب إلى أثمارها ثمره كذا يعد ذلك غايه لوجودها مقصوده منها كذلك حسن العمل و الصلاح غايه لخلق الإنسان، و من المعلوم أيضا أن الصلاح و حسن العمل لو كان مطلوباً لكان مطلوباً لغيره لا- لنفسه، و المطلوب بالذات الحياه الطيبه التى لا- يشوبها نقص و لا يعرضها لغو و لا تأثيم فالآيه فى معنى قوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْحَيْرِ فَتْنَةً»: الأنبياء: ٣٥.

قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا» إلخ، أى مطابقه بعضها فوق بعض أو بعضها يشبه البعض-على ما احتمال-و قد مر فى تفسير حم السجده بعض ما يمكننا من القول فيها.

و قوله: «مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ» قال الراغب: الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه، قال تعالى: «وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ».

قال: و التفاوت الاختلاف فى الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر، قال تعالى: «مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ» أى ليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمة. انتهى.

فالمراد بنفى التفاوت اتصال التدبير و ارتباط الأشياء بعضها ببعض من حيث الغايات و المنافع المترتبه على تفاعل بعضها فى بعض، فاصطكاك الأسباب المختلفه فى الخلقه و تنازعها كتشاجر كفتى الميزان و تصارعهما بالثقل و الخفه و الارتفاع و الانخفاض فإنهما فى عين أنهما تختلفان تنفقان فى إعانه من بيده الميزان فيما يريد من تشخيص وزن السلعه الموزونه.

فقد رتب الله أجزاء الخلقه بحيث تؤدى إلى مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغايه المطلوبه.

و الخطاب فى «مَا تَرَىٰ» خطاب عام لكل من يمكنه الرؤيه و فى إضافه الخلق إلى الرحمن إشاره إلى أن الغايه منه هى الرحمه العامه، و تنكير «تَفَاوُتٍ» و هو فى سياق النفى و إدخال «الرَّحْمَنِ» عليه لإفاده العموم.

و قوله: «فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ» الفطور الاختلال و الوهى، و المراد بإرجاع البصر النظر ثانياً و هو كناية عن المداقه فى النظر و الإمعان فيه.

قوله تعالى: «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ» الخاسئ من خسأ البصر إذا انقبض عن مهانه كما قال الراغب، وقال أيضا: الخاسر المعيا لانكشاف قواه، ويقال للمعيا: حاسر و محسور: أما الحاسر فتصور أنه بنفسه قد حسر قوته، و أما المحسور فتصور أن التعب قد حسره، وقوله عز وجل: «يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ» يصح أن يكون بمعنى حاسر و أن يكون بمعنى محسور. انتهى.

وقوله: «كَرَّتَيْنِ» الكره الرجعه و المراد بالتثنيه التكثير و التكرير، و المعنى: ثم ارجع البصر رجعه بعد رجعه أى رجعات كثيره ينقلب إليك البصر منقبضه مهينه و الحال أنه كليل معيا لم يجد فطورا.

فقد أشير فى الآيتين إلى أن النظام الجارى فى الكون نظام واحد متصل الأجزاء مرتبط الأبعاض.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» إلى آخر الآية، المصابيح جمع مصباح و هو السراج سمي الكواكب مصابيح لإنارتها و إضاءتها و قد تقدم كلام فى ذلك فى تفسير سوره حم السجده.

وقوله: «وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» أى و جعلنا الكواكب التى زينا بها السماء رجوما يرم بها من استرق السمع من الشياطين كما قال تعالى: «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَآتَبَعُهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ» الحجر: ١٨، و قال: «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَآتَبَعُهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ» الصافات: ١٠.

قيل: إن الجملة دليل أن المراد بالكواكب المزينه بها السماء مجموع الكواكب الأصلية و الشهب السماويه فإن الكواكب الأصلية لا تزول عن مستقرها و الكواكب و النجم يطلقان على الشهب كما يطلقان على الأجرام الأصلية.

وقيل: تنفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين أما الكواكب أنفسها فليست تزول إلا أن يريد الله إفناءها.

و هذا الوجه أوفق للأنظار العلميه الحاضره، و قد تقدم بعض الكلام فى معنى رمى الشياطين بالشهب.

وقوله: «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» أى و هيأنا للشياطين و هم أشرار الجن عذاب النار المسعره المشتعله.



قوله تعالى: «قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا» إلى آخر الآيه حكاية جوابهم لسؤال الخزنه، وفيه تصديق أنهم قد جاءهم نذير فنسبوه إلى الكذب و اعتراف.

وقوله: «مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» بيان لتكذيبهم، وكذا قوله: «إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» وقيل: قوله: «إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» الخ، كلام الملائكه يخاطبون به الكفار بعد جوابهم عن سؤالهم بما أجابوا، وهو بعيد من السياق، وكذا احتمال كونه من كلام الرسل الذين كذبوهم تحكيه الملائكه لأولئك الكفار.

قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» يطلق السمع ويراد به إدراك الصوت و القول بالجارحه و ربما يراد به ما هو الغايه منه عند العقلاء و هو الالتزام بمقتضاه من الفعل و الترك، و يطلق العقل على تمييز الخير من الشر و النافع من الضار، و ربما يراد به ما هو الغايه منه و هو الالتزام بمقتضاه من طلب الخير و النفع و اجتناب الشر و الضر، قال تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ» الأعراف: ١٧٩.

و أكثر ما ينتفع بالسمع عامه الناس لقصورهم عن تعقل دقائق الأمور و إدراك حقيقتها و الاهتداء إلى مصالحها و مفسدها و إنما ينتفع بالعقل الخاصه.

فقوله: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ» أريد بالسمع استجابته دعوه الرسل و الالتزام بمقتضى قولهم و هم النصحاء الأمناء، و بالعقل الالتزام بمقتضى ما يدعون إليه من الحق بتعقله و الاهتداء العقلي إلى أنه حق و من الواجب أن يخضع الإنسان للحق.

و إنما قدم السمع على العقل لأن استعماله من شأن عامه الناس و هم الأكثرون و العقل شأن الخاصه و هم آحاد قليلون.

و المعنى: لو كنا فى الدنيا نطيع الرسل فى نصائحهم و مواعظهم أو عقلنا حجه الحق ما كنا اليوم فى أصحاب السعير و هم مصاحبو النار المخلدون فيها.

وقيل: إنما جمع بين السمع و العقل لأن مدار التكليف على أدله السمع و العقل.

قوله تعالى: «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» كانوا إنما قالوا: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» ندامه على ما فرطوا فى جنب الله و فوتوا على

أنفسهم من الخير فاعترفوا بأن ما أتوا به كان تبعته دخول النار و كان عليهم أن لا يأتوا به، وهذا هو الذنب فقد اعترفوا بذنبيهم.

و إنما أفرد الذنب بناء على إرادته معنى المصدر منه و هو فى الأصل مصدر.

و قوله: «فَسُحِقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ» السحق تفتيت الشيء كما ذكره الراغب و هو دعاء عليهم.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» لما ذكر حال الكفار و ما يجازون به على كفرهم قابله بحال المؤمنين بالغيب لتمام التقسيم و ذكر من وصفهم خشية لأن المقام مقام الإنذار و الوعيد.

و عد خشيتهم خشية بالغيب لكون ما آمنوا به محجوبا عنهم تحت حجب الغيب.

قوله تعالى: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» رفع شبهه يمكن أن تختلج فى قلوبهم مبنية على الاستبعاد و ذلك أنه تعالى ساق الكلام فى بيان ربوبيته لكل شىء المستتبعه للبعث و الجزاء و ذكر ملكه و قدرته المطلقين و خلقه و تدبيره و لم يذكر علمه المحيط بهم و بأحوالهم و أعمالهم و هو مما لا يتم البعث و الجزاء بدونه.

و كان من الممكن أن يتوهموا أن الأعمال على كثرتها الخارجة عن الإحصاء لا يتأتى ضبطها و خاصة ما تكنه الصدور منها فإن الإنسان يقيس الأشياء بنفسه و يزنها بزنه نفسه و هو غير قادر على إحصاء جزئيات الأعمال التى هى حركات مختلفه متقضيه و خاصة أعمال القلوب المستكنه فى زواياها.

فدفعه بأن إظهار القول و إخفائه سواء بالنسبه إليه تعالى فإنه عليم بذات الصدور، و السياق يشهد أن المراد استواء خفيا الأعمال و جلاياها بالنسبه إليه، و إنما ذكر أسرار القول و جهره من حيث ظهور معنى الخفاء و الظهور فيه بالجهر و الأسرار.

قوله تعالى: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» استفهام إنكارى مأخوذ حجه على علمه تعالى بأعمال الخلق ظاهرها و باطنها و سرها و جهرها و ذلك أن أعمال الخلق -و من جملتها أعمال الإنسان الاختياريه- و إن نسبت إلى فواعلها لكن الله سبحانه هو الذى يريدها و يوجدتها من طريق اختيار الإنسان و اقتضاء سائر الأسباب فهى الخالق لأعيان الأشياء و المقدر لها آثارها كيفما كانت و الرابط بينها و بين آثارها الموصل لها إلى آثارها، قال تعالى: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» الزمر: ٦٢، و قال:

«الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ» :الأعلى: ٣،فهو سبحانه محيط بعين من خلقه و أثره و من أثره أعماله الظاهره و الباطنه و ما أسره و ما جهر به و كيف يحيط به و لا يعلمه.

و فى الآيه إشاره إلى أن أحوال الأشياء و أعمالها غير خارجه عن خلقها لأنه تعالى استدل بعلمه بمن خلق على علمه بخصوصيات أحواله و أعماله و لو لا كون الأحوال و الأعمال غير خارجه عن وجود موضوعاتها لم يتم الاستدلال.

على أن الأحوال و الأعمال من مقتضيات موضوعاتها و الذى ينتسب إليه وجود الشيء ينتسب إليه آثار وجوده.

و قوله: « وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » أى النافذ فى بواطن الأشياء المطلع على جزئيات وجودها و آثارها، و الجملة حاله تعلل ما قبلها و الاسمان الكريمان من الأسماء الحسنى ذيلت بهما الآيه لتأكيد مضمونها.

### بحث روائى

فى الكافى، بإسناده عن سفيان بن عيينه عن أبى عبد الله (ع) \* فى قول الله عز و جل:

« لِيُنَبِّئُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » قال: ليس يعنى أكثركم عملاً- و لكن أصوبكم عملاً- و إنما الإصابه خشيه الله و النيه الصادقه و الخشيه.

ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل.

ألا و العمل الخالص- الذى لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله، و النيه أفضل من العمل ألا و إن النيه هى العمل. ثم تلا قوله: « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ » يعنى على نيته.

و فى المجمع، قال أبو قتاده: سألت النبى ص عن قوله تعالى: « أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ما عنى به؟ فقال: يقول: أيكم أحسن عقلاً. ثم قال: أتمكم عقلاً و أشدكم لله خوفاً، و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه نظراً- و إن كان أقلكم تطوعاً.

و فيه، عن ابن عمر عن النبى ص \* أنه تلا- قوله تعالى: « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ »- إلى قوله- « أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ثم قال: أيكم أحسن عقلاً، و أروع عن محارم الله و أسرع فى طاعه الله.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا » قال: بعضها طبق لبعض.



و فيه، "في قوله تعالى: «مَنْ تَفَاوَتْ» قال: من فساد.

و فيه، "في قوله تعالى: «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ» قال: انظر في ملكوت السماوات و الأرض.

و فيه، "في قوله تعالى: «بِمَصَابِيحٍ» قال: بالنجوم.

و فيه، "في قوله تعالى: «سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا» قال: وقعا.

و فيه، "في قوله تعالى: «تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ» قال: على أعداء الله.

و فيه، "في قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» قال:

قد سمعوا و عقلوا و لكنهم لم يطيعوا و لم يقبلوا، و الدليل على أنهم قد سمعوا و عقلوا و لم يقبلوا، قوله: «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ».

أقول: يعنى (ع) أنه يدل على أن المراد من عدم السمع و العقل عدم الإطاعة و القبول بعد السمع و العقل أنه تعالى سمى قولهم ذلك اعترافا بالذنب، و لا يعد فعل ذنبا من فاعله إلا بعد العلم بجهه مساءته بسمع أو عقل.

## [سوره الملك (٦٧): الآيات ١٥ الى ٢٢]

### اشاره

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَمْنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَيَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي عُزُورٍ (٢٠) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (٢١) أَمْ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢)

فى الآيات كره بعد كره بآيات التدبير الداله على ربوبيته تعالى مقرونه بالإنذار و التخويف أعنى قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا» الآية، وقوله: «أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ» الآية بعد قوله: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ» الآية، وقوله: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» الآية، وقوله: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا» الآية.

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» الذلول من المراكب ما يسهل ركوبه من غير أن يضطرب و يجمع و المناكب جمع منكب و هو مجتمع ما بين العضد و الكتف و أستعير لسطح الأرض، قال الراغب:

و استعارته للأرض كاستعاره الظهر لها فى قوله: «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ» و تسميه الأرض ذلولاً و جعل ظهورها مناكب لها يستقر عليها و يمشى فيها باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، و قد وجه كونها ذلولاً ذا مناكب بوجه مختلفه تؤول جميعها إلى ما ذكرنا.

و الأمر فى قوله: «وَ كَلُّوا مِنْ رِزْقِهِ» للإباحه و النشور و النشر إحياء الميت بعد موته و أصله من نشر الصحيفة و الثوب إذا بسطهما بعد طيهما.

و المعنى: هو الذى جعل الأرض مطاوعه منقادها لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها و تمشوا فيها تأكلون من رزقه الذى قدره لكم بأنواع الطلب و التصرف فيها.

و قوله: «وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ» أى و يرجع إليه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض و إحيائهم للحساب و الجزاء، و اختصاص رجوع النشر به كناية عن اختصاص الحكم بالنشور به و الإحياء يوم القيامة فهو ربكم المدبر لأمر حياتكم الدنيا بالإقرار على الأرض و الهداياه إلى مآرب الحياه، و له الحكم بالنشور للحساب و الجزاء.

و فى عد الأرض ذلولاً و البشر على مناكبها تلويح ظاهر إلى ما أدت إليه الأبحاث العلميه

أخيرا من كون الأرض كره سياره.

قوله تعالى: «أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ» إنذار و تخويف بعد إقامه الحجه و توبيخ على مساهلتهم فى أمر الربوبيه و إهمالهم أمر الشكر على نعم ربهم بالخضوع لربوبيته و رفض ما اختلقوه من الأنداد.

و المراد بمن فى السماء الملائكه المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون و إرجاع ضمير الأفراد إلى «مَنْ» باعتبار لفظه و خسف الأرض بقوم كذا شقها و تغييبهم فى بطنها و المور على ما فى المجمع التردد فى الذهاب و المجىء مثل الموج.

و المعنى:ء أمنتهم فى كفركم بربوبيته تعالى الملائكه المقيمين فى السماء الموكلين بأمر العالم أن يشقوا الأرض و يغيبوكم فيها بأمر الله فإذا الأرض تضطرب ذهابا و مجيئا بزلها.

و قيل:المراد بمن فى السماء هو الله سبحانه و المراد بكونه فى السماء كون سلطانه و تدبيره و أمره فيها لاستحاله أن يكون تعالى فى مكان أو جهه أو محاطا بعالم من العوالم، و هذا المعنى و إن كان لا بأس به لكنه خلاف الظاهر.

قوله تعالى: «أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَيَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ» الحاصب الريح التى تأتى بالحصاه و الحجاره،و المعنى:أ أمنتهم من فى السماء أن يرسل عليكم ريحا ذات حصاه و حجاره كما أرسلها على قوم لوط قال تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ»: القمر: ٣٤.

و قوله: «فَسَيَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ» النذير مصدر بمعنى الإنذار و الجملة متفرعه على ما يفهم من سابق الكلام من كفرهم بربوبيته تعالى و أمنهم من عذابه و المعنى ظاهر.

و قيل:النذير صفه بمعنى المنذر و المراد به النبى ص و هو سخيـف.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» المراد بالنكير العقوبه و تغيير النعمه أو الإنكار،و الآيه كالشاهد يستشهد به على صدق ما فى قوله: «فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ» من الوعيد و التهديد.

و المعنى:و لقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الهالكة رسلى و جحدوا بربوبيتى فكيف كان عقوبتى و تغييرى النعمه عليهم أو كيف كان إنكارى ذلك عليهم حيث أهلكتهم و استأصلتهم.

و فى الآيه التفات من الخطاب إلى الغيبه فى قوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» إشعارا بسقوطهم

-لجهالتهم وإهمالهم في التدبر في آيات الربوبية و عدم مخافتهم من سخط ربهم-عن تشریف الخطاب فأعرض عن مخاطبتهم فيما يلقي إليهم من المعارف إلى خطاب النبي ص.

قوله تعالى: «أَو لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» المراد بكون الطير فوقهم طيرانه في الهواء، و صفيف الطير بسطه جناحه حال الطيران و قبضه قبض جناحه حاله، و الجمع في «صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ» لكون المراد بالطير استغراق الجنس.

و قوله: «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ» كالجواب لسؤال مقدر كان سائلا يسأل فيقول:

ما هو المراد بإلغات نظرهم إلى صفيف الطير و قبضه فوقهم؟ فأجيب بقوله: «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ».

و قرار الطير حال الطيران في الهواء من غير سقوط و إن كان مستندا إلى أسباب طبيعیه كقرار الإنسان على بسيط الأرض و السمك في الماء و سائر الأمور الطبيعيه المستنده إلى علل طبيعیه تنتهي إليه تعالى لكن لما كان بعض الحوادث غير ظاهر السبب للإنسان في بادی النظر سهل له إذا نظر إليه أن ينتقل إلى أن الله سبحانه هو السبب الأعلى الذي ينتهي إليه حدوثه و وجوده، و لذا نبههم الله سبحانه في كلامه بإرجاع نظرهم إليها و دلالتهم على وحدانيته في الربوبية.

و قد ورد في كلامه تعالى شيء كثير من هذا القبيل كإمساک السماوات بغير عمد و إمساك الأرض و حفظ السفن على الماء و اختلاف الأثمار و الألوان و الألسنه و غيرها مما كان سببه الطبيعي القريب خفيا في الجملة يسهل للذهن الساذج الانتقال إلى استناده إليه تعالى ثم إذا تنبه لوجود أسبابه القريبه بنوع من المجاهده الفكرية وجد الحاجه بعينها في أسبابه حتى تنتهي إليه تعالى و أن إلى ربك المنتهى.

قال في الكشاف: فإن قلت: لم قيل: و يقبضن و لم يقل: و قابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحه لأن الطيران في الهواء كالسباحه في الماء و الأصل في السباحه هو مد الأطراف و بسطها و أما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات و يكون منهن القبض تاره كما يكون من السابح. انتهى.

و هو مبني على أن تكون الآية هي مجموع قوله: «صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ» و هو الطيران،

و يمكن أن يستفاد أن الآيه عدم سقوطهن و هن صافات، و آيه أخرى أنهن ربما يقبضن و لا يسقطن حينما يقبضن.

و لا يخفى ما فى ذكر طيران الطير فى الهواء بعد ذكر جعل الأرض ذلولاً و الإنسان على مناكبها من اللطف.

قوله تعالى: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» توبيخ و تقريع لهم فى اتخاذهم آلهه من دون الله لينصروهم و لذا التفت عن الغيبه إلى الخطاب فخطبهم ليشدد عليهم التقريع.

و قوله: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي» إلخ، معناه بل من الذى يشار إليه فيقال: هذا جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن أرادكم بسوء أو عذاب؟ فليس دون الله من ينصركم عليه، و فيه إشارة إلى خطئهم فى اتخاذ بعض خلق الله آلهه لينصروهم فى النوائب و هم مملوكون لله لا يملكون لأنفسهم نفعا و ضرا و لا لغيرهم.

و إذ لم يكن لهم جواب أجاب تعالى بقوله: «إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» أى أحاط بهم الغرور و غشيتهم فخيّل إليهم ما يدعون من ألوهيه آلهتهم.

قوله تعالى: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَيْكُمْ إِنْ أَمْسَيْكُمْ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أى بل من الذى يشار إليه بأن هذا هو الذى يرزقكم إن أمسك الله رزقه فينوب مقامه فيرزقكم؟ ثم أجاب سبحانه بقوله: «بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أى إن الحق قد تبين لهم لكنهم لا يخضعون للحق بتصديقه ثم اتباعه بل تمادوا فى ابتعادهم من الحق و نفورهم منه، و لجوا فى ذلك.

قوله تعالى: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّئًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» إكباب الشىء على وجهه إسقاطه عليه، و قال فى الكشاف: معنى أكب دخل فى الكب و صار ذا كب.

استفهام إنكارى عن استواء الحالين تعريضا لهم بعد ضرب حجاب الغيبه عليهم و تحريمهم من تشریف الحضور و الخطاب بعد استقرار اللجاج فيهم، و المراد أنهم بلجاجهم فى عتو عجيب و نفور من الحق كمن يسلك سبيلا و هو مكب على وجه لا يرى ما فى الطريق من ارتفاع و انخفاض و مزالق و معاثر فليس هذا السائر كمن يمشى سويا على صراط مستقيم فيرى موضع قدمه و ما يواجهه من الطريق على استقامه، و ما يقصده من الغايه

و هؤلاء الكفار سائرون سبيل الحياه و هم يعاندون الحق على علم به فيغمضون عن معرفه ما عليهم أن يعرفوه و العمل بما عليهم أن يعملوا به و لا- يخضعون للحق حتى يكونوا على بصيره من الأمر و يسلكوا سبيل الحياه و هم مستوون على صراط مستقيم فيأمنوا الهلاك.

و قد ظهر أن ما فى الآيه مثل عام يمثل حال الكافر الجاهل اللجوج المتمادى على جهله و المؤمن المستبصر الباحث عن الحق.

## بحث روائى

فى الكافى، بإسناده عن سعد عن أبى جعفر(ع)قال\*: القلب أربعة: قلب فيه نفاق و إيمان، و قلب منكوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر. فقلت: ما الأزهر، قال:

فيه كهينه السراج.

فأما المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن- إن أعطاه شكر و إن ابتلاه صبر، و أما المنكوس فقلب المشرك ثم قرأ هذه الآيه «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ- أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، فأما القلب الذى فيه إيمان و نفاق فقوم كانوا بالطائف- فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك- و إن أدركه على إيمانه نجى.

أقول: و رواه فى تفسير البرهان، عن ابن بابويه بإسناده عن الفضيل عن سعد الخفاف عن أبى جعفر(ع)قال\*: إن القلوب أربعة، و ساق الحديث إلى آخره إلا أن فيه:

و قلب أزهر أنور.

و قوله: «فهم قوم كانوا بالطائف» المراد به الطائف الشيطانى الذى ربما يمس الإنسان قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ»، الأعراف: ٢٠١، فالمعنى أنهم يعيشون مع طائف شيطانى يمسهم حيناً بعد حين فإن أدركهم الأجل و الطائف معهم هلكوا و إن أدركهم و هم فى حال الإيمان نجوا.

و اعلم أن هناك روايات تطبق قوله: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ» الآيه على من حاد عن ولايه على(ع) و من يتبعه و يواليه، و هى من الجرى و الله أعلم.

إشارة

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمِن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنِي فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَّعَلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)

بيان

آيات آخر يذكرهم الله تعالى بها داله على وحدانيته تعالى في الخلق و التدبير مقرونه بالإنذار و التخويف، جاريه على غرض السوره و هو التذكرة بالوحدانية مع الإنذار غير أنه تعالى لما أشار إلى لجاجهم و عنادهم للحق في قوله السابق: «بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» غير السياق بالإيعراض عن خطابهم و الالتفات إلى خطاب النبي ص بأمره أن يتصدى خطابهم و يقرع أسماعهم آياته في الخلق و التدبير الداله على توحده في الربوبية و إنذارهم بعذاب الله، و ذلك قوله: «قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ» إلخ، «قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ» إلخ، «قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ» إلخ، «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ» إلخ، «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ» إلخ، «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا» إلخ.

قوله تعالى: «قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» الإنشاء إحداث الشيء ابتداء و تربيته.

ما فى ذيل الآيه من لحن العتاب فى قوله: «قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» وقد تكرر نظيره فى غير موضع من كلامه كما فى سورة المؤمنون (١) و الم السجده (٢) يدل على أن إنشاءه تعالى الإنسان و تجهيزه بجهاز الحس و الفكر من أعظم نعمه تعالى التى لا يقدر قدرها.

و ليس المراد بإنشائه مجرد خلقه كيفما كان بل خلقه و إحداثه من دون سابقه فى مادته كما أشار إليه فى قوله يصف خلقه طوراً بعد طور: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً إِلَى أَنْ قَالَ X- ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»: المؤمنون: ١٤، فصيروره المضغه إنساناً سمياً بصيراً متفكراً بتركيب النفس الإنسانية عليها خلق آخر لا يسانخ أنواع الخلقه الماديه الوارده على ماده الإنسان من أخذها من الأرض ثم جعلها نطفه ثم علقه ثم مضغه فإنما هى أطوار ماديه متعاقبه بخلاف صيرورتها إنساناً ذا شعور فلا سابقه لها تماثلها أو تشابهها فهو الإنشاء.

و مثله قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ»: الروم: ٢٠ (انظر إلى موضع إذا الفجائية).

فقوله: «هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ» إشاره إلى خلق الإنسان.

و قوله: «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ» إشاره إلى تجهيزه بجهاز الحس و الفكر، و جعل إنشائي كجعل نفس الإنسان كما يشير إليه قوله: «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»: المؤمنون: ٧٨.

فالإنسان بخصوصيه إنشائه و كونه بحيث يسمع و يبصر يمتاز من الجماد و النبات- و الاقتصار بالسمع و البصر من سائر الحواس كاللمس و الذوق و الشم لكونهما العمده و لا يبعد أن يكون المراد بالسمع و البصر مطلق الحواس الظاهره من باب إطلاق الجزء و إرادته الكل- و بالفؤاد و هو النفس المتفكره يمتاز من سائر الحيوان.

ص: ٣٦٣

١- ١) الآيه ٧٨.

٢- ٢) الآيه ٩



وقوله: «قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» أى تشكرون قليلا على هذه النعمة-أو النعم-العظمى فما زائده و قليلا مفعول مطلق تقديره تشكرون شكرا قليلا، وقيل: ما مصدرية والمعنى: قليلا شكركم.

قوله تعالى: «قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» الذرة الخلق و المراد بذرتهم فى الأرض خلقهم متعلقين بالأرض فلا- يتم لهم كمالهم إلا- بأعمال متعلقه بالماده الأرضيه بما زينها الله تعالى بما تنجذب إليه النفس الإنسانيه فى حياتها المعجله ليمتاز به الصالح من الطالح قال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا»: الكهف: ٨.

وقوله: «وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» إشاره إلى البعث و الجزاء و وعد جازم.

قوله تعالى: «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» المراد بهذا الوعد الحشر الموعود، و هو استعجال منهم استهزاء.

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» جواب عن قولهم: «مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ» إلخ، و محصله أن العلم به عند الله لا يعلم به إلا- هو كما قال: «لَا يُجَلِّئُهَا لُوقْتِهَا إِلَّا هُوَ»: الأعراف: ١٨٧، و ليس لى إلا- أنى نذير مبين أمرت أن أخبركم أنكم إليه تحشرون و أما أنه متى هو فليس لى بذلك علم.

هذا على ما يفيد و وقوع الآيه فى سياق الجواب عن السؤال عن وقت الحشر، على هذا تكون اللام فى العلم للعهد، و المراد العلم بوقت الحشر، و أما لو كانت للجنس على ما تفيده جملة «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» فى نفسها فالمعنى: إنما حقيقه العلم عند الله و لا يحاط بشيء منه إلا- بإذنه كما قال: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»: البقره: ٢٥٥، و لم يشأ أن أعلم من ذلك إلا أنه سيقع و أنذركم به و أما أنه متى يقع فلا علم لى به.

قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلخ، الزلفه القرب و المراد به القريب أو هو من باب زيد عدل، و ضمير «رَأَوْهُ» للوعد و قيل للعذاب و المعنى:

فلما رأوا الوعد المذكور قريبا قد أشرف عليهم ساء ذلك و جوه الذين كفروا به فظهر فى سيماهم أثر الخيبه و الخسران.

وقوله: «وَ قِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» قيل تدعون و تدعون بمعنى واحد

كتدخرون و تدخرون و المعنى: و قيل لهم: هذا هو الوعد الذى كنتم تسألونه و تستعجلون به بقولكم: متى هذا الوعد، و ظاهر السياق أن القائل هم الملائكة بأمر من الله، و قيل القائل من الكفار يقوله بعضهم لبعض.

قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَ مَنْ مَعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» «إِنْ» شرطيه شرطها قوله: «أَهْلَكَنِى اللَّهُ» و جزاؤها قوله: «فَمَنْ يُجِيرُ» إلخ، و المعنى: قل لهم أخبرونى إن أهلكنى الله و من معى من المؤمنين أو رحمتنا فلم يهلكنا فمن الذى يجير و يعيد الكافرين- و هم أنتم كفرتم بالله فاستحققتهم أليم العذاب- من عذاب أليم يهددهم تهديدا قاطعا أى إن هلاكى و من معى و بقاؤنا برحمه ربه لا ينفعكم شيئا فى العذاب الذى سيصيبكم قطعا بكفركم بالله.

قيل: إن كفار مكه كانوا يدعون على رسول الله ص و على المؤمنين بالهلا-ك فأمر (ص) أن يقول لهم إن أهلكنا الله تعالى أو أبقانا فأمرنا إلى الله و نرجو الخير من رحمته و أما أنتم فما تصنعون؟ من يجيركم من أليم العذاب على كفركم بالله؟ قوله تعالى: «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ» الضمير للذى يدعو إلى توحيده و هم يدعونه عليه، و المعنى: قل الذى أدعوكم إلى توحيده و تدعونه على و على من معى هو الرحمن الذى عمت نعمته كل شىء آمنا به و عليه توكلنا من غير أن نميل و نعتمد على شىء دونه فستعلمون أيها الكفار من هو فى ضلال مبين؟ نحن أم أنتم؟ قال فى الكشاف: فإن قيل: لم أخرج مفعول «آمنا» و قدم مفعول «توكلنا»؟ قلت: لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل: آمنا و لم نكفر كما كفرتم، ثم قال: و عليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم و أموالكم.

قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» الغور ذهاب الماء و نضوبه فى الأرض و المراد به الغائر، و المعين الظاهر الجارى من الماء، و المعنى: أخبرونى إن صار ماؤكم غائرا ناضبا فى الأرض فمن يأتىكم بماء ظاهر جار.

و هناك روايات تطبق الآيات على ولاية على (ع) و محادثته، و هى من الجرى و ليست بمفسره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَيَسْطُرُونَ (١) أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)  
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ  
(٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَهِينٍ (١٠) هَمْ آازِ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ  
ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَثَى عَلَيْهِ أَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ (١٥) سَنَسُمُّهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ  
كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩)  
فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ أُغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ  
لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)  
قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْتَجِبُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠)  
قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبَّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجُ أَكْبَرُ لَوْ  
كُنَّا يَعْلَمُونَ (٣٣)

السوره تعزى النبى ص إثر ما رماه المشركون بالجنون و تطيب نفسه بالوعد الجميل و الشكر على خلقه العظيم و تنهاه نهيا بالغا عن طاعتهم و مداهنتهم، و تأمره أمرا أكيدا بالصبر لحكم ربه.

و سياق آياتها على الجملة سياق مكى، و نقل عن ابن عباس و قتاده أن صدرها إلى قوله:

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ

-ست عشره آيه-مكى، و ما بعده إلى قوله: «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» -سبع عشره آيه-مدنى، و ما بعده إلى قوله: «يَكْتُبُونَ» -خمس عشره آيه-مكى، و ما بعده إلى آخر السوره-أربع آيات مدنى.

و لا يخلو من وجه بالنسبه إلى الآيات السبع عشره «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ» -إلى قوله- «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» فإنها أشبه بالمدنيه منها بالمكيه.

قوله تعالى: «ن» تقدم الكلام فى الحروف المقطعه التى فى أوائل السور فى تفسير سوره الشورى.

قوله تعالى: «وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» القلم معروف، و السطر بالفتح فالسكون و ربما يستعمل بفتحيتين-كما فى المفردات-الصف من الكتابه، و من الشجر المغروس و من القوم الوقوف و سطر فلان كذا كتب سطر سطرًا.

أقسم سبحانه بالقلم و ما يسطرون به و ظاهر السياق أن المراد بذلك مطلق القلم

و مطلق ما يسطرون به و هو المكتوب فإن القلم و ما يسطر به من الكتابه من أعظم النعم الإلهيه التي اهتدى إليها الإنسان يتلو الكلام فى ضبط الحوادث الغائبه عن الأنظار و المعانى المستكنه فى الضمائر، و به يتيسر للإنسان أن يستحضر كل ما ضرب مرور الزمان أو بعد المكان دونه حجابا.

و قد امتن الله سبحانه على الإنسان بهدايته إليهما و تعليمهما له فقال فى الكلام «حَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» :الرحمن: ٤ و قال فى القلم: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ:العلق: ٥.

فإقسامه تعالى بالقلم و ما يسطرون إقسام بالنعمه، و قد أقسم تعالى فى كلامه بكثير من خلقه بما أنه رحمه و نعمه كالسما و الأرض و الشمس و القمر و الليل و النهار إلى غير ذلك حتى التين و الزيتون.

و قيل: «ما» فى قوله: «وَمَا يَسْطُرُونَ» مصدرية و المراد به الكتابه.

و قيل: المراد بالقلم القلم الأعلى الذى فى الحديث أنه أول ما خلق الله و بما يسطرون ما يسطره الحفظه و الكرام الكاتبون و احتمال أيضا أن يكون الجمع فى «يَسْطُرُونَ» للتعظيم لا- للتكثير و هو كما ترى، و احتمال أن يكون المراد ما يسطرون فيه و هو اللوح المحفوظ و احتمال أن يكون المراد بالقلم و ما يسطرون أصحاب القلم و مسطوراتهم و هى احتمالات واهيه.

قوله تعالى: «أَنْتَ بِنِعْمِهِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» مقسم عليه و الخطاب للنبي ص، و الباء فى «بِنِعْمِهِ» للسببيه أو المصاحبه أى ما أنت بمجنون بسبب النعمه-أو مع النعمه-التي أنعمها عليك ربك.

و السياق يؤيد أن المراد بهذه النعمه النبوه فإن دليل النبوه يدفع عن النبي كل اختلال عقلى حتى تستقيم الهدايه الإلهيه اللازمه فى نظام الحياه الإنسانيه، و الآيه ترد ما رموه به من الجنون كما يحكى عنهم فى آخر السوره «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ».

و قيل: المراد بالنعمه فصاحته(ص) و عقله الكامل و سيرته المرضيه و براءته من كل عيب و اتصافه بكل مكرمه فظهور هذه الصفات فيه(ص) ينافى حصول الجنون فيه و ما قدمناه أقطع حجه و الآيه و ما يتلوها كما ترى تعزیه للنبي ص و تطيب لنفسه الشريفه و تأييد له كما أن فيها تكذيبا لقولهم.

قوله تعالى: «وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ» الممنون من المن بمعنى القطع يقال: منه لسيير منا إذا قطعه و أضعفه لا من المنه بمعنى تثقيل النعمه قولاً.

و المراد بالأجر أجر الرسالة عند الله سبحانه، وفيه تطيب لنفس النبي ص و أن له على تحمل رساله الله أجرا غير مقطوع و ليس يذهب سدى.

و ربما أخذ المن بمعنى ذكر المنعم إنعامه على المنعم عليه و يكدر عيشه بتقريب أن ما يعطيه الله أجر في مقابل عمله فهو يستحقه عليه تعالى فلا منه عليه و هو غير سديد فإن كل عامل مملوك لله سبحانه بحقيقته معنى الملك بذاته و صفاته و أعماله فما يعطيه العبد من ذلك فهو موهبه و عطيه و ما يملكه العبد من ذلك فإنما يملكه بتمليك الله و هو المالك لما ملكه من قبل و من بعد فهو تفضل منه تعالى و لئن سمي ما يعطيه بإزاء العمل أجرا و سمي ما بينه و بين عبده من مبادله العمل و الأجر معاملة فذلك تفضل آخر فله سبحانه المنه على جميع خلقه و الرسول و من دونه فيه سواء.

قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» الخلق هو الملكة النفسانيه التي تصدر عنها الأفعال بسهولة و ينقسم إلى الفضيله و هي الممدوحه كالعفه و الشجاعه، و الرذيله و هي المذمومه كالشره و الجبن لكنه إذا أطلق فهم منه الخلق الحسن.

قال الراغب: و الخلق -بفتح الخاء- و الخلق -بضم الخاء- في الأصل واحد كالشرب و الشرب و الصرم و الصرم لكن خص الخلق -بالتفتح- بالهيئات و الأشكال و الصور المدركه بالبصر، و خص الخلق -بالضم- بالقوى و السجايا المدركه بالبصيره قال تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» انتهى.

و الآيه و إن كانت في نفسها تمدح حسن خلقه (ص) و تعظمه غير أنها بالنظر إلى خصوص السياق ناظره إلى أخلاقه الجميله الاجتماعيه المتعلقة بالمعاشره كالثبات على الحق و الصبر على أذى الناس و جفاء أجلافهم و العفو و الإغماض و سعه البذل و الرفق و المداراه و التواضع و غير ذلك، و قد أوردنا في آخر الجزء السادس من الكتاب ما روى في جوامع أخلاقه (ص).

و مما تقدم يظهر أن ما قيل: إن المراد بالخلق الدين و هو الإسلام غير مستقيم إلا بالرجوع إلى ما تقدم.

قوله تعالى: «فَسْتَبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ» تفرّيع على محصل ما تقدم أى فإذا لم تكن مجنوناً بل متلبساً بالنبوه و متخلقاً بالخلق و لك عظيم الأجر من ربك فسيظهر أمر دعوتك و ينكشف على الأبصار و البصائر من المفتون بالجنون أنت أو المكذبون الرامون لك بالجنون.

وقيل: المراد ظهور عاقبه أمر الدعوه له و لهم فى الدنيا أو فى الآخرة؟ الآيه تقبل الحمل على كل منها. و لكل قائل، و لا مانع من الجمع فإن الله تعالى أظهر نبيه عليهم و دينه على دينهم، و رفع ذكره (ص) و محاثهم فى الدنيا و سيدوقون وبال أمرهم غدا و يعلمون (١) أن الله هو الحق المبين يوم هم (٢) على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون.

وقوله: «بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ» الباء زائده للصله، و المفتون اسم مفعول من الفتنه بمعنى الابتلاء يريد به المبتلى بالجنون و فقدان العقل، و المعنى: فستبصر و يبصرون أيكم المفتون المبتلى بالجنون؟ أنت أم هم؟ و قيل: المفتون مصدر على زنه مفعول كمعقول و ميسور و معسور فى قولهم: ليس له معقول، و خذ ميسوره، و دع معسوره، و الباء فى «بِأَيِّكُمْ» بمعنى فى و المعنى: فستبصر و يبصرون فى أى الفريقين الفتنه.

قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» لما أفيد بما تقدم من القول إن هناك ضلالاً و اهتداءً، و أشير إلى أن الرامين للنبي ص بالجنون هم المفتونون الضالون و سيظهر أمرهم و أن النبي ص مهتد و كان ذلك بيان من الله سبحانه أكد ذلك بأن الله أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين لأن السبيل سبيله و هو أعلم بمن هو فى سبيله و من ليس فيه و إليه أمر الهدايه.

قوله تعالى: «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» تفرّيع على المحصل من معنى الآيات السابقه و فى المكذبين معنى العهد و المراد بالطاعه مطلق الموافقه عملاً أو قولاً، و المعنى: فإذا كان هؤلاء المكذبون لك مفتونين ضالين فلا تطعهم.

ص: ٣٧٠

١-١ (١) النور: ٣٥.

٢-٢ (٢) الذاريات: ١٤.

قوله تعالى: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» الإدهان من الدهن يراد به التلئين أى ود و أحب هؤلاء المكذبون أن تلينهم بالاقتراب منهم فى دينك فيلبنوك بالاقتراب منك فى دينهم، ومحصله أنهم ودوا أن تصالحهم و يصلحوك على أن يتسامح كل منكم بعض المسامحة فى دين الآخر كما قيل: إنهم عرضوا عليه أن يكف عن ذكر آلهتهم فيكفوا عنه و عن ربه.

و بما تقدم ظهر أن متعلق مودتهم مجموع «لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» و أن الفاء فى «فَيُدْهِنُونَ» للتفريع لا للسببيه.

قوله تعالى: «وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ -إلى قوله- زَنِيمٍ» الحلاف كثير الحلف، و لازم كثره الحلف و الإقسام فى كل يسير و خطير و حق و باطل أن لا- يحترم الحالف شيئاً مما يقسم به، و إذا كان حلفه بالله فهو لا يستشعر عظمه الله عز اسمه و كفى به رذيله.

و المهين من المهانه بمعنى الحقاره و المراد به حقاره الرأى، و قيل: هو المكثار فى الشر، و قيل: هو الكذاب.

و الهماز مبالغه من الهمز و المراد به العياب و الطعان، و قيل: الطعان بالعين و الإشاره و قيل: كثير الاغتيال.

و المشاء بنميم النميم: السعايه و الإفساد، و المشاء به هو نقال الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم.

و المناع للخير كثير المنع لفعل الخير أو للخير الذى ينال أهله.

و المعتدى من الاعتداء و هو المجاوزه للحد ظلما.

و الأثيم هو الذى كثر إثمه حتى استقر فيه من غير زوال و الإثم هو العمل السيئ الذى يبطنه الخير.

و العتل بضم تين هو الفظ الغليظ الطبع، و فسر بالفاحش السيئ الخلق، و بالجافى الشديد الخصومه بالباطل، و بالأكول المنوع للغير، و بالذى يعتل الناس و يجرحهم إلى حبس أو عذاب.

و الزنيم هو الذى لا أصل له، و قيل: هو الدعى الملحق بقوم و ليس منهم، و قيل:

هو المعروف باللؤم، و قيل: هو الذى له علامه فى الشر يعرف بها و إذا ذكر الشر سبق هو إلى الذهن، و المعانى متقاربه.



فهذه صفات تسع رذيله وصف الله بها بعض أعداء الدين ممن كان يدعو النبي ص إلى الطاعة و المداهنه، و هي جماع الرذائل.

و قوله: «عُتِلُّ بَعِيدٌ ذِكْرُكَ زَنِيمٌ» معناه أنه بعد ما ذكر من مثالبه و رذائله عتل زنيم قيل: و فيه دلالة على أن هاتين الرذيلتين أشد معايبه.

و الظاهر أن فيه إشارة إلى أن له خبائث من الصفات لا ينبغي معها أن يطاع في أمر الحق و لو أغمض عن تلك الصفات فإنه فظ خشن الطبع لا أصل له لا ينبغي أن يعبأ بمثله في مجتمع بشرى فليطرد و لا يطع في قول و لا يتبع في فعل.

قوله تعالى: «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ» الظاهر أنه بتقدير لام التعليل و هو متعلق بفعل محصل من مجموع الصفات الرذيله المذكوره أى هو يفعل كذا و كذا لأن كان ذا مال و بين فبطر بذلك و كفر بنعمه الله و تلبس بكل رذيله خبيثه بدل أن يشكر الله على نعمته و يصلح نفسه، فالآيه في إفاده الذم و التهكم تجرى مجرى قوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ».

و قيل: إنه متعلق بقوله السابق «لَا تُطِغْ»، و المعنى: لا- تطعه لكونه ذا مال و بين أى لا يحملك كونه ذا مال و بين على طاعته، و المعنى المتقدم أقرب و أوسع.

قيل: و لا يجوز تعلقه بقوله: «قَالَ» في الشرطيه التاليه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله عند النحاء.

قوله تعالى: «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» الأساطير جمع أسطوره و هي القصه الخرافيه، و الآيه تجرى مجرى التعليل لقوله السابق: «لَا تُطِغْ».

قوله تعالى: «سَنَسِيْبُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» الوسم و السمه وضع العلامه، و الخرطوم الأنف، و قيل: إن في إطلاق الخرطوم على أنفه و إنما يطلق في الفيل و الخنزير تهكما، و في الآيه و عيد على عداوته الشديده لله و رسوله و ما نزله على رسوله.

و الظاهر أن الوسم على الأنف أريد به نهايه إذلاله بذله ظاهره يعرفه بها كل من رآه فإن الأنف مما يظهر فيه العزه و الذله كما يقال: شمش فلان بأنفه و حمى فلان أنفه و أرغمت أنفه و جدع أنفه.

و الظاهر أن الوسم على الخرطوم مما سيقع يوم القيامة لا في الدنيا و إن تكلف بعضهم في توجيه حمله على فضاحته في الدنيا.

قوله تعالى: «إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» - إلى قوله - كَالصَّرِيمِ البلاء الاختبار و إصابه المصيبة، و الصرم قطع الثمار من الأشجار، و الاستثناء عزل البعض من حكم الكل و أيضا الاستثناء قول إن شاء الله عند القطع بقول و ذلك أن الأصل فيه الاستثناء فالأصل في قولك: أخرج غدا إن شاء الله هو أخرج غدا إلا- أن يشاء الله أن لا- أخرج، و الطائف العذاب الذى يأتى بالليل، و الصريم الشجر المقطوع ثمره، و قيل: الليل الأسود، و قيل: الرمل المقطوع من سائر الرمل و هو لا ينبت شيئا و لا يفيد فائده.

الآيات أعنى قوله: «إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» إلى تمام سبع عشره آيه و عید لمكذبي النبى ص الرامين له بالجنون، و فى التشبيه و التنظير دلالة على أن هؤلاء المكذبين معذبون لا محاله و العذاب الواقع عليهم قائم على ساقه، غير أنهم غافلون و سيعلمون، فهم مولعون اليوم بجمع المال و تكثير البنين مستكبرون بها معتمدون عليها و على سائر الأسباب الظاهرية التى توافقهم و تشايع أهواءهم من غير أن يشكروا ربهم على هذه النعم و يسلكوا سبيل الحق و يعبدوا ربهم حتى يأتهم الأجل و يفاجئهم عذاب الآخرة أو عذاب دنيوى من عنده كما فاجأهم يوم بدر فيروا انقطاع الأسباب عنهم و أن المال و البنين سدى لا ينفعهم شيئا كما شاهد نظير ذلك أصحاب الجنة من جنتهم و سيندمون على صنيعهم و يرغبون إلى ربهم و لا يرد ذلك عذاب الله كما ندم أصحاب الجنة و تلاوموا و رغبوا إلى ربهم فلم ينفعهم ذلك شيئا كذلك العذاب و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون، هذا على تقدير اتصال الآيات بما قبلها و نزولها معها.

و أما على ما رووا أن الآيات نزلت فى القحط و السنه الذى أصاب أهل مكه و قريشا إثر دعاء النبى ص عليهم بقوله: اللهم اشدد و طأتك على مضر و اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف، فالمراد بالبلاء إصابتهم بالقحط و تناظر قصتهم قصة أصحاب الجنة غير أن فى انطباق ما فى آخر قصتهم من قوله: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» الخ، على قصة أهل مكه خفاء.

و كيف كان فالمعنى: «إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ» أصبناهم بالبليه «كَمَا بَلَوْنَا» و أصبنا بالبليه «أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» و كانوا قوما من اليمن و جنتهم فيها و سيأتى إن شاء الله قصتهم فى البحث الروائى الآتى «إِذْ ظُرِفَ لِبَلُونَا» أفسموا «و حلفوا» لِيَصْرُمْنَهَا» أى ليقطعن و يقطعن ثمار جنتهم «مُصْبِحِينَ» داخلين فى الصباح و كأنهم ائتمروا و تشاوروا ليلا فعزموا على

الصرم صبيحه ليلتهم» وَلَا يَسْتَتِنُونَ «لم يقولوا إلا أن يشاء الله اعتمادا على أنفسهم و اتكاء على ظاهر الأسباب. أو المعنى: قالوا و هم لا يعزلون نصيبا من ثمارهم للفقراء و المساكين.

« فَطَائِفٌ عَلَيْهِمْ عَلَى الْجَنَّةِ طَائِفٌ أَى بلاء يطوف عليها و يحيط بها ليلا» مِنْ « ناحيه رَبِّكَ ، فَأَصْبَحَتْ » و صارت الجنة « كَالصَّرِيمِ » و هو الشجر المقطوع ثمره أو المعنى:

فصارت الجنة كالليل الأسود لما اسودت بإحراق النار التى أرسلها الله إليها أو المعنى:

فصارت الجنة كالقطعه من الرمل لا نبات بها و لا فائده.

قوله تعالى: « فَتَنَادُوا مُضِيِّبِينَ -إلى قوله- قَادِرِينَ » التنادى نداء بعض القوم بعضا، و الإصباح الدخول فى الصباح، و صارمين من الصرم بمعنى قطع الثمار من الشجره، و المراد به فى الآيه القاصدون لقطع الثمار، و الحرث الزرع و الشجر، و الخفت الإخفاء و الكتمان، و الحرد المنع و قادرين من القدر بمعنى التقدير.

و المعنى: « فَتَنَادُوا » أى فنادى بعض القوم بعضا « مُضِيِّبِينَ » أى و الحال أنهم داخلون فى الصباح « أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَزْثِكُمْ » تفسير للتنادى أى بكروا مقبلين على جنتكم -فاغدوا أمر بمعنى بكروا مضمن معنى أقبلوا و لذا عدى بعلى و لو كان غير مضمن عدى يالى كما فى الكشاف- « إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ » أى قاصدين عازمين على الصرم و القطع.

« فانطلقوا » و ذهبوا إلى جنتهم « وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ » أى و الحال أنهم يأتمرون فيما بينهم بطريق المخافته و المكاتمه « أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا » أى الجنة « أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ » أى أخفوا و رودكم الجنة للصرم من المساكين حتى لا يدخلوا عليكم فيحملكم ذلك على عزل نصيب من الثمر المصروم لهم « وَ غَدُوا » و بكروا إلى الجنة « عَلَى حَزْدٍ » أى على منع للمساكين « قَادِرِينَ » مقدرين فى أنفسهم أنهم سيصرونها و لا يساهمون المساكين بشىء منها.

قوله تعالى: « فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » أى فلما رأوا الجنة و شاهدوها و قد أصبحت كالصرم بطواف طائف من عند الله قالوا: إنا لضالون عن الصواب فى غدونا إليها بقصد الصرم و منع المساكين.

و قيل: المراد إنا لضالون طريق جنتنا و ما هى بها.

و قوله: « بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » إضراب عن سابقه أى ليس مجرد الضلال عن الصواب بل حرماننا الزرع.

قوله تعالى: « قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ -إلى قوله- رَاعِبُونَ » أى

« قَالَ أَوْسَطُهُمْ » أى أعدلهم طريقا و ذلك أنه ذكرهم بالحق و إن تبعهم فى العمل و قيل:

المراد أوسطهم سنا و ليس بشىء « أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ » و قد كان قال لهم ذلك و إنما لم يذكر قبل فى القصة إيجازا بالتعويل على ذكره هاهنا.

« لَوْلَا تَسْبِيحُونَ » المراد بتسبيحهم له تعالى تنزيههم له من الشركاء حيث اعتمدوا على أنفسهم و على سائر الأسباب الظاهرية فأقسموا ليصرمنها مصبحين و لم يستثنوا الله مشيه فعزله تعالى عن السببيه و التأثير و نسبوا التأثير إلى أنفسهم و سائر الأسباب الظاهرية، و هو إثبات للشريك، و لو قالوا: لنصرمنها مصبحين إلا أن يشاء الله كان معنى ذلك نفى الشركاء و أنهم إن لم يصرموا كان لمشيئه من الله و إن صرموا كان ذلك بإذن من الله فله الأمر وحده لا شريك له.

و قيل: المراد بتسبيحهم لله ذكر الله تعالى و توبتهم إليه حيث نوا أن يصرموها و يحرموا المساكين منها، و له وجه على تقدير أن يراد بالاستثناء عزل نصيب من الثمار للمساكين.

قوله تعالى: « قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ » تسبيح منهم لله سبحانه إثر توبيخ أوسطهم لهم، أى نزهه الله تنزيها من الشركاء الذين أثبتناهم فيما حلفنا عليه فهو ربنا الذى يدبر بمشيئته أمورنا لأننا كنا ظالمين فى إثباتنا الشركاء فهو تسبيح و اعتراف بظلمهم على أنفسهم فى إثبات الشركاء.

و على القول الآخر توبه و اعتراف بظلمهم على أنفسهم و على المساكين.

قوله تعالى: « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ » أى يلوم بعضهم بعضا على ما ارتكبه من الظلم.

قوله تعالى: « قَالُوا يَا وَيْلَنَا - إلى قوله - رَاغِبُونَ » الطغيان تجاوز الحد و ضمير « مِنْهَا » للجنة باعتبار ثمارها و المعنى: قالوا يا ويلنا إنا كنا متجاوزين حد العبودية إذ أثبتنا شركاء لربنا و لم نوحده، و نرجو من ربنا أن يبدلنا خيرا من هذه الجنة التى طاف عليها طائف منه لأننا راغبون إليه معرضون عن غيره.

قوله تعالى: « كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » العذاب مبتدأ مؤخر، و كذلك خبر مقدم أى إنما يكون العذاب على ما وصفناه فى قصة أصحاب الجنة و هو أن الإنسان يمتحن بالمال و البنين فيطغى مغترا بذلك فيستغنى بنفسه و ينسى ربه و يشرك بالأسباب الظاهرية و بنفسه و يجترئ على المعصية و هو غافل عما يحيط به من وبال

عمله و يهيئ له من العذاب كذلك حتى إذا فاجأه العذاب و برز له بأهول وجوهه و أمرها انتبه من نومه الغفله و تذكر ما جاءه من النصح قبلا و ندم على ما فرط بالطغيان و الظلم و سأل الله أن يعيد عليه النعمه فيشكر كما انتهى إليه أمر أصحاب الجنة، ففي ذلك إعطاء الضابط بالمثال.

و قوله: « وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » لأنه ناش عن قهر إلهي لا- يقوم له شيء لا رجاء للتخلص منه و لو بالموت و الفناء كما في شذائد الدنيا، محيط بالإنسان من جميع أقطار وجوده لا كعذاب الدنيا دائم لا انتهاء لأمده كما في الابتلاءات الدنيويه.

## بحث روائي

في المعاني، بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق (ع) \* في تفسير الحروف المقطعه في القرآن قال: و أما ن فهو نهر في الجنة- قال الله عز و جل: احمد فجمد فصار مدادا- ثم قال للقلم: اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ- ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة- فالمداد مداد من نور- و القلم قلم من نور و اللوح لوح من نور.

قال سفيان: فقلت له: يا بن رسول الله- بين أمر اللوح و القلم و المداد فضل بيان- و علمني مما علمك الله- فقال: يا ابن سعيد لو لا أنك أهل للجواب ما أجبتك- فنون ملك يؤدي إلى القلم و هو ملك، و القلم يؤدي إلى اللوح و هو ملك، و اللوح يؤدي إلى إسرافيل- و إسرافيل يؤدي إلى ميكائيل- و ميكائيل يؤدي إلى جبرائيل- و جبرائيل يؤدي إلى الأنبياء و الرسل.

قال: ثم قال: قم يا سفيان فلا آمن عليك.

و فيه، بإسناده عن إبراهيم الكرخي قال: \* سألت جعفر بن محمد (ع) عن اللوح و القلم قال: هما ملكان.

و فيه، بإسناده عن الأصبح بن نباته عن أمير المؤمنين (ع) \* : « ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ » القلم قلم من نور- و كتاب من نور في لوح محفوظ- يشهده المقربون و كفى بالله شهيدا.

أقول: و في المعاني المتقدمه روايات أخرى عن أئمة أهل البيت (ع)، و قد تقدم في ذيل قوله تعالى: « هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ »: الجاثية: ٢٩،

حديث القمي عن عبد الرحيم القصير عن الصادق (ع) \* في اللوح و القلم و فيه: ثم ختم على فم القلم- فلم ينطق بعد ذلك و لا ينطق أبدا- و هو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن معاوية بن قره عن أبيه قال: \*قال رسول الله ص: « ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَشِطُّونَ » قال: لوح من نور و قلم من نور-يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة.

أقول: و فى معناه روايات أخر، و قوله: يجرى بما هو كائن إلخ، أى منطبق على متن الكائنات من دون أن يتخلف شىء منها عما كتب هناك و نظيره ما فى روايه أبى هريره: ثم ختم على فى القلم فلم ينطق و لا ينطق إلى يوم القيامة.

و فى المعانى، بإسناده عن أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) \* فى قول الله عز و جل:

« وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » قال: هو الإسلام.

و فى تفسير القمى، عن أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) \* فى قوله: « وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » قال: على دين عظيم.

أقول: يريد اشتمال الدين و الإسلام على كمال الخلق و استنانه (ص) به،

و فى الروايه المعروفه عنه (ص): بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

و فى المجمع، بإسناده عن الحاكم بإسناده عن الضحاك قال: \* لما رأت قريش تقديم النبى ص عليا و إعظامه له-نالوا من على و قالوا: قد افتتن به محمد-فأنزل الله تعالى: « ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَشِطُّونَ » قسم أقسم الله به « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ - وَ إِنَّ لَكَ لَمَأْجِراً غَيْرَ مَمْنُونٍ - وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ - يعنى القرآن- إلى قوله- بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ » وهم النفر الذين قالوا ما قالوا « وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » يعنى على بن أبى طالب.

أقول: و رواه فى تفسير البرهان، عن محمد بن العباس بإسناده إلى الضحاك \* و ساق نحو ما مر و فى آخره: و سبيله على بن أبى طالب .

و فيه، " فى قوله تعالى: « وَ لَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَاْفٍ » إلخ، قيل: يعنى الوليد بن المغيرة-عرض على النبى ص المال ليرجع عن دينه، و قيل: يعنى الأحنس بن شريق عن عطاء، و قيل:

يعنى الأسود بن عبد يغوث " عن مجاهد.

أقول: و فى ذلك روايات فى الدر المنثور و غيره تركنا إيرادها من أرادها فليراجع جوامع الروايات.

و فيه، عن شداد بن أوس قال: \* قال رسول الله ص: لا يدخل الجنة جواظ و لا جعظرى و لا عتل زنيم. قلت: فما الجواظ؟ قال: كل جماع مناع. قلت: فما الجعظرى؟

قال:الفظ الغليظ.قلت:فما العتل الزنيم؟قال:كل رحيب الجوف-سيء الخلق أكل شروب غشوم ظلوم زنيم.

و فيه، فى معنى الزنيم:قيل "هو الذى لا أصل له.

و فيه، فى تفسير القمى، "فى قوله:«عُتِّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ»قال:العتل العظيم الكفر الزنيم الدعى.

و فيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله:«إِذَا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»إن أهل مكه ابتلوا بالجوع كما ابتلى أصحاب الجنة-و هى كانت فى الدنيا و كانت باليمن-يقال له الرضوان على تسعه أميال من صنعاء.

و فيه، بإسناده إلى ابن عباس "أنه قيل له إن قوما من هذه الأمة-يزعمون أن العبد يذنب فيحرم به الرزق،فقال ابن عباس:فوالله الذى لا إله إلا هو-هذا أنور فى كتاب الله من الشمس الضاحيه-ذكره الله فى سورة ن و القلم.

إنه كان شيخ و كان له جنه-و كان لا يدخل إلى بيته ثمره منها-و لا إلى منزله حتى يعطى كل ذى حق حقه-فلما قبض الشيخ ورثه بنوه-و كان له خمس من البنين-فحملت جنتهم فى تلك السنه التى هلك فيها أبوهم حملا-لم يكن حملته قبل ذلك-فراحوا الفتيه إلى جنتهم بعد صلاه العصر-فأشرفوا على ثمره و رزق فاضل-لم يعاينوا مثله فى حياه أبيهم.

فلما نظروا إلى الفضل طغوا و بغوا-و قال بعضهم لبعض:إن أبانا كان شيخا كبيرا-قد ذهب عقله و خرف-فهلّموا نتعاقد فيما بيننا أن لا نعطى أحدا-من فقراء المسلمين فى عامنا شيئا-حتى نستغنى و يكثر أموالنا-ثم نستأنف الصنيعه فيما استقبل من السنين المقبله-فرضى بذلك منهم أربعة و سخط الخامس-و هو الذى قال الله:«قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ».

فقال الرجل:يا ابن عباس كان أوسطهم فى السن؟فقال:لا بل كان أصغرهم سنا و أكبرهم عقلا-و أوسط القوم خير القوم،و الدليل عليه فى القرآن قوله:إنكم يا أمه محمد أصغر الأمم و خير الأمم-قوله عز و جل:«وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا».

قال لهم أوسطهم:اتقوا و كونوا على منهاج أبيكم-تسلموا و تغنموا فبطشوا به و ضربوه ضربا مبرحا-فلما أيقن الأخ منهم أنهم يريدون قتله-دخل معهم فى مشورتهم كارها لأمرهم غير طائع.

فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله-ليصرمن إذا أصبحوا و لم يقولوا إن شاء الله-فابتلاهم الله بذلك الذنب و حال بينهم-و بين ذلك الرزق الذى كانوا أشرفوا عليه-فأخبر عنهم فى الكتاب فقال: «إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ- إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَ لَا يَسْتَشْنُونَ- فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ- فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ» قال: كالمحترق.

فقال الرجل: يا ابن عباس ما الصريم؟ قال: الليل المظلم، ثم قال: لا ضوء له و لا نور.

فلما أصبح القوم «فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ- أَنْ اَعْدُوا عَلَيَّ حَزَنِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» قال:

« فَأَنْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ » قال الرجل: و ما التخافت يا ابن عباس؟ قال: يتشاورون فيشاور بعضهم بعضا-لكيلا يسمع أحد غيرهم- فقالوا: «لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسِيكِينَ- وَ اَعْدُوا عَلَيَّ حَزَنٌ قَادِرِينَ» فى أنفسهم أن يصرموها-و لا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله و نعمته.

« فَلَمَّا رَأَوْهَا » و ما قد حل بهم « قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم-و لم يظلمهم شيئا.

« قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبُحُونَ- قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ- فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ » قال: يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه « قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ » فقال الله: « كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ- لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ».

أقول: و قد ورد ما يقرب من مضمون هذا الحديث و الذى قبله فى روايات أخر و فى بعض الروايات أن الجنة كانت لرجل من بنى إسرائيل ثم مات و ورثه بنوه فكان من أمرهم ما كان.

## [سورة القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٥٢]

### اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْفِيءِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَ مَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَ اُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا- تَكُنْ كَصَاحِبِ الْاُخُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْ لَا أَنْ تَدَارِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْجِبْأَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)



فيها تذييل لما تقدم من الوعيد لمكذبي النبي ص و تسجيل العذاب عليهم في الآخرة إذ المتقون في جنات النعيم، و تشيت أنهم و المتقون لا يستون بحجه قاطعه فليس لهم أن

ص: ٣٨٠

يرجوا كرامه من الله و هم مجرمون فما يجدونه من نعم الدنيا استدراج و إملاء.

و فيها تأكيد أمر النبي ص بالصبر لحكم ربه.

قوله تعالى: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» بشرى و بيان لحال المتقين فى الآخرة قبال ما بين من حال المكذبين فيها.

و فى قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» دون أن يقال: عند الله إشاره إلى رابطة التدبير و الرحمة بينهم و بينه سبحانه و أن لهم ذلك قبال قصرهم الربوبيه فيه تعالى و إخلاصهم العبوديه له.

و إضافة الجنات إلى النعيم و هو النعمه للإشاره إلى أن ما فيها من شىء نعمه لا تشوبها نقمه و لذه لا يخالطها ألم، و سيجىء إن شاء الله فى تفسير قوله تعالى: «ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»: التكاثر: ٨، أن المراد بالنعيم الولايه.

قوله تعالى: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ» تحتل الآيه فى بادئ النظر أن تكون مسوقه حجه على المعاد كقوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ»: -ص: ٢٨، و قد تقدم تفسيره.

و أن تكون ردا على قول من قال منهم للمؤمنين: لو كان هناك بعث و إعاده لكننا منعمين كما فى الدنيا و قد حكى سبحانه ذلك عن قائلهم: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ»: حم السجده: ٥٠.

ظاهر سياق الآيات التالیه التى ترد عليهم الحكم بالتساوى هو الاحتمال الثانى، و هو الذى رووه أن المشركين لما سمعوا حديث البعث و المعاد قالوا: إن صح ما يقوله محمد و الذين آمنوا معه لم تكن حالنا إلا أفضل من حالهم كما فى الدنيا و لا أقل من أن تتساوى حالنا و حالهم.

غير أنه يرد عليه أن الآيه لو سيقت لرد قولهم، سنساويهم فى الآخرة أو نزيد عليهم كما فى الدنيا، كان مقتضى التطابق بين الرد و المردود أن يقال: أفتجعل المجرمين كالمسلمين و قد عكس.

و التدبر فى السياق يعطى أن الآيه مسوقه لرد دعواهم التساوى لكن لا من جهة نفى مساواتهم على إجرامهم للمسلمين بل تزيد على ذلك بالإشاره إلى أن كرامه المسلمين تأبى أن يساويهم المجرمون كأنه قيل: إن قولكم: سنتساوى نحن و المسلمون باطل فإن الله لا يرضى أن يجعل المسلمين بما لهم من الكرامه عنده كالمجرمين و أنتم مجرمون.

فالآية تقيم الحجج على عدم تساوى الفريقين من جهة منافاته لكرامه المسلمين عليه تعالى لا من جهة منافاه مساواه المجرمين للمسلمين عدله تعالى.

و المراد بالإسلام تسليم الأمر لله فلا يتبع إلا ما أَرادَه سبحانه من فعل أو ترك يقابله الاجرام و هو اكتساب السيئه و عدم التسليم. والآيه و ما بعدها إلى قوله: «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» فى مقام الرد لحكمهم بتساوى المجرمين و المسلمين حالا- يوم القيامة تورد احتمالات هذا الحكم من حيث منشه فى صور استفهامات إنكاريه و تردها.

و تقرير الحجج: أن كون المجرمين كالمسلمين يوم القيامة على ما حكموا به إما أن يكون من الله تعالى موهبه و رحمه و إما أن لا يكون منه.

و الأول إما أن يدل عليه دليل العقل و لا دليل عليه كذلك و ذلك قوله: «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

و إما أن يدل عليه النقل و ليس كذلك و هو قوله: «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ» إلخ، و إما أن يكون لا لدلاله عقل أو نقل بل عن مشافهه بينهم و بين الله سبحانه عاهدوه و واثقوه على أن يسوى بينهما و ليس كذلك فهذه ثلاثه احتمالات.

و إما أن لا يكون من الله فإما أن يكون حكمهم بالتساوى حكما جديا أو لا يكون فإن كان جديا فإما أن يكون التساوى الذى يحكمون به مستندا إلى أنفسهم بأن يكون لهم قدره على أن يصيروا يوم القيامة كالمسلمين حالا و إن لم يشأ الله ذلك و ليس كذلك و هو قوله: «سَلِّطْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ» أو يكون القائم بهذا الأمر المتصدى له شركاؤهم و لا شركاء و هو قوله: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ» إلخ.

و إما أن يكون ذلك لأن الغيب عندهم و الأمور التى ستستقبل الناس قدرها و قضاؤها منوطان بمشيتهم تكون و تقع كيف يكتبون فكتبوا لأنفسهم المساواه مع المسلمين، و ليس كذلك و لا سبيل لهم إلى الغيب و ذلك قوله: «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» و هذه ثلاثه احتمالات.

و إن لم يكن حكمهم بالمساواه حكما جديا بل إنما تفوهوا بهذا القول تخلصا و فرارا من اتباعك على دعوتك لأنك تسألهم أجرا على رسالتك و هدايتك لهم إلى الحق فهم مثقلون من غرامته، و ليس كذلك، و هو قوله: «أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ»

و هذا سابع الاحتمالات.

هذا ما يعطيه التدبر فى الآيات فى وجه ضبط ما فيها من التريديد و قد ذكروا فى وجه الضبط غير ذلك من أراد الوقوف عليه فليراجع المطولات.

فقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ مسوق للتعجب من حكمهم بكون المجرمين يوم القيامة كالمسلمين، و هو إشاره إلى تأبى العقل عن تجويز التساوى، و محصله نفى حكم العقل بذلك إذ معناه: أى شىء حصل لكم من اختلال الفكر و فساد الرأى حتى حكمتم بذلك؟ قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ﴾ إشاره إلى انتفاء الحجة على حكمهم بالتساوى من جهة السمع كما أن الآيه السابقه كانت إشاره إلى انتفائها من جهة العقل.

و المراد بالكتاب الكتاب السماوى النازل من عند الله و هو حجه، و درس الكتاب قراءته، و التخير الاختيار، و قوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ﴾ فى مقام المفعول لتدرسون و الاستفهام إنكارى.

و المعنى: بل أ لكم كتاب سماوى تقرأون فيه أن لكم فى الآخره-أو مطلقا-لما تختارونه فاخترتم السعاده و الجنه.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْبَالِغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ إشاره إلى انتفاء أن يملكو الحكم بعهد و يمين شفاهى لهم على الله سبحانه.

و الأيمان جمع يمين و هو القسم، و البلوغ هو الانتهاء فى الكمال فالأيمان البالغه هى المؤكده نهايه التوكيد، و قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ على هذا ظرف مستقر متعلق بمقدر و التقدير:

أم لكم علينا أيمان كائنه إلى يوم القيامة مؤكده نهايه التوكيد، إلخ.

و يمكن أن يكون ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلقا ببالغه و المراد ببلوغ الأيمان انطباقها على امتداد الزمان حتى ينتهى إلى يوم القيامة.

و قد فسروا الإيمان بالعهود و المواثيق فيكون من باب إطلاق اللازم و إرادته الملزوم كناية، و احتمال أن يكون من باب إطلاق الجزء و إرادته الكل.

و قوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم و هو المعاهد عليه، و الاستفهام للإنكار.

و المعنى: بل أ لكم علينا عهود أقسمنا فيها أقساما مؤكدا إلى يوم القيامة إنا سلمنا

لكم أن لكم لما تحكمون به.

قوله تعالى: «سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِالَّذِي رَزَقْنَاكُمْ» إعراض عن خطابهم و التفات إلى النبي ص بتوجيه الخطاب لسقوطهم عن درجه استحقاق الخطاب و لذلك أورد بقيه السؤالات و هى مسائل أربع فى سياق الغيبه أولها قوله: «سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِالَّذِي رَزَقْنَاكُمْ» و الزعيم القائم بالأمر المتصدى له، و الاستفهام إنكارى.

و المعنى: سل المشركين أيهم قائم بأمر التسويه الذى يدعونه أى إذا ثبت أن الله لا يسوى بين الفريقين لعدم دليل يدل عليه فهل الذى يقوم بهذا الأمر و يتصداه هو منهم؟ فأیهم هو؟ و من الواضح بطلانه لا يتفوه به إلا مصاب فى عقله.

قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» رد لهم على تقدير أن يكون حكمهم بالتساوى مبني على دعواهم أن لهم آلهه يشاركون الله سبحانه فى الربوبيه سيشفعون لهم عند الله فيجعلهم كالمسلمين و الاستفهام إنكارى يفيد نفى الشركاء. و قوله: «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ» إلخ، كناية عن انتفاء الشركاء يفيد تأكيد ما فى قوله:

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» من النفى.

و قيل: المراد بالشركاء شركائهم فى هذا القول، و المعنى: أم لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول و يذهبون مذهبهم فليأتوا بهم إن كانوا صادقين.

و أنت خبير بأن هذا المعنى لا يقطع الخصام.

و قيل: المراد بالشركاء الشهداء و المعنى: أم لهم شهداء على هذا القول فليأتوا بهم إن كانوا صادقين.

و هو تفسير بما لا دليل عليه من جهة اللفظ. على أنه مستدرك لأن هؤلاء الشهداء شهداء على كتاب من عند الله أو وعد بعهد و يمين و قد رد كلا الاحتمالين فيما تقدم.

و قيل: المراد بالشركاء شركاء الألوهيه على ما يزعمون لكن المعنى من إتيانهم بهم إتيانهم بهم يوم القيامة ليشهدوا لهم أو ليشفعوا لهم عند الله سبحانه.

و أنت خبير بأن هذا المعنى أيضا لا يقطع الخصام.

قوله تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ» - إلى قوله - «وَهُمْ سَالِمُونَ» يوم ظرف متعلق بمحذوف كاذكر و نحوه، و الكشف عن الساق تمثيل فى اشتداد الأمر اشتدادا بالغا لما أنهم كانوا يشمرون عن سوقهم إذا اشتد الأمر

للعمل أو للفرار قال في الكشاف: فمعنى «يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» في معنى يوم يشتد الأمر و يتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلوله ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل انتهى.

و الآية و ما بعدها إلى تمام خمس آيات اعتراض وقع في البين بمناسبة ذكر شركائهم الذين يزعمون أنهم سيسعدونهم لو كان هناك بعث و حساب فذكر سبحانه أن لا شركاء لله و لا شفاعه و إنما يحرز الإنسان سعاده الآخره بالسجود أى الخضوع لله سبحانه بتوحيد الربوبية فى الدنيا حتى يحمل معه صفه الخضوع فيسعد بها يوم القيامة.

و هؤلاء المكذبون المجرمون لم يسجدوا لله فى الدنيا فلا يستطيعون السجود فى الآخرة فلا يسعدون و لا تتساوى حالهم و حال المسلمين فيها البتة بل الله سبحانه يعاملهم فى الدنيا لاستكبارهم عن سجوده معامله الاستدراج و الإملاء حتى يتم لهم شقاؤهم فيردوا العذاب الأليم فى الآخرة.

فقوله: «يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ» معناه اذكر يوم يشتد عليهم الأمر و يدعون إلى السجود لله خضوعاً فلا يستطيعون لاستقرار ملكه الاستكبار فى سرائرهم و اليوم تبلى السرائر (١).

و قوله: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» حالان من نائب فاعل يدعون أى حال كون أبصارهم خاشعة و حال كونهم يغشاهم الذلة بقهر، و نسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها.

و قوله: «وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ» المراد بالسلامه سلامتهم من الآفات و العاهات التى لحقت نفوسهم بسبب الاستكبار عن الحق فسلبتها التمكّن من إجابته الحق أو المراد مطلق استطاعتهم منه فى الدنيا.

و المعنى: و قد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود لله و هم سالمون متمكنون منه أقوى تمكن فلا يجيئون إليه.

و قيل: المراد بالسجود الصلاة و هو كما ترى.

ص: ٣٨٥

قوله تعالى: «فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ» المراد بهذا الحديث القرآن الكريم وقوله: «فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ» إلخ، كناية عن أنه يكفيهم وحده وهو غير تاركهم وفيه نوع تسليه للنبي ص وتهديد للمشركين.

قوله تعالى: «سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» استئناف فيه بيان كيفية أخذه تعالى لهم وتعذيبه إياهم المفهوم من قوله: «فَذَرْنِي إلخ».

والاستدراج هو استنزالهم درجة فدرجة حتى يتم لهم الشقاء فيقعوا في ورطه الهلاك وذلك بأن يؤتيهم الله نعمه بعد نعمه و كلما أوتوا نعمه اشتغلوا بها وفرطوا في شكرها وزادوا نسياناً له وابتعدوا عن ذكره.

فالاستدراج إيتاؤهم النعمة بعد النعمة الموجب لنزولهم درجة بعد درجة واقترابهم من ورطه الهلاك، وكونه من حيث لا يعلمون إنما هو لكونه من طريق النعمة التي يحسبونها خيراً وسعاده لا شر فيها ولا شقاء.

قوله تعالى: «وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» الإملاء الإمهال، والكيد ضرب من الاحتيال، والتمتين القوى.

والمعنى: و أمهلهم حتى يتوسعوا في نعمنا بالمعاصي كما يشاءون إن كيدي قوى.

و النكته في الالتفات الذي في «سَسْتَدْرِجُهُمْ» عن التكلم وحده إلى التكلم مع الغير الداله على العظمة و أن هناك موكلين على هذه النعم التي تصب عليهم صباحاً، والالتفات في قوله: «وَأُمْلِي لَهُمْ» عن التكلم مع الغير إلى التكلم وحده لأن الإملاء تأخير في الأجل و لم ينسب أمر الأجل في القرآن إلى غير الله سبحانه قال تعالى: «ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ»: الأنعام: ٢.

قوله تعالى: «أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُّثَقَّلُونَ» المعرم الغرامه، والإثقال تحميل الثقل، والجمله معطوفه على قوله: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» إلخ.

و المعنى: أم تسأل هؤلاء المجرمين-الذين يحكمون بتساوي المجرمين و المسلمين يوم القيامة-أجراً على دعوتك فهم من غرامه تحملها عليهم مثقلون فيواجهونك بمثل هذا القول تخلصاً من الغرامه دون أن يكون ذلك منهم قولاً جدياً.

قوله تعالى: «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» ظاهر السياق أن يكون المراد بالغيب

غيب الأشياء الذى منه تنزل الأمور بقدر محدود فتستقر فى منصفه الظهور، والمراد بالكتابة على هذا هو التقدير و القضاء، والمراد بكون الغيب عندهم تسلطهم عليه و ملكهم له.

فالمعنى: أم بيدهم أمر القدر و القضاء فهم يقضون كما شاءوا فيقضون لأنفسهم أن يساوا المسلمين يوم القيامة.

وقيل: المراد بكون الغيب عندهم علمهم بصحة ما حكموا به و الكتابة على ظاهر معناه و المعنى: أم عندهم علم بصحة ما يدعونه اختصاصاً به و لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه و ينبغى أن يبرزوه.

و هو بعيد بل مستدرك و الاحتمالات الأخر المذكوره مغنيه عنه.

و إنما أخر ذكر هذا الاحتمال عن غيره حتى عن قوله: «أَمْ تَسْتَلْهُمُ أَجْرًا» مع أن مقتضى الظاهر أن يتقدم عليه، لكونه أضعف الاحتمالات و أبعداها.

قوله تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكُنْ كَصَاحِبِ الْهُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ» صاحب الحوت يونس النبى (ع) و المكظوم من كظم الغيظ إذا تجرعه و لذا فسر بالمختنق بالغم حيث لا يجد لغيظه شفاء، و نهيه (ص) عن أن يكون كيونس (ع) و هو فى زمن النداء مملوء بالغم نهى عن السبب المؤدى إلى نظير هذا الابتلاء و هو ضيق الصدر و الاستعجال بالعذاب.

و المعنى: فاصبر لقاء ربك أن يستدرجهم و يملئ لهم و لا تستعجل لهم العذاب لكفرهم و لا تكن كيونس فتكون مثله و هو مملوء غماً أو غيظاً ينادى بالتسبيح و الاعتراف بالظلم أى فاصبر و احذر أن تبلى بما يشبه ابتلاءه، و نداؤه قوله فى بطن الحوت: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» كما فى سورة الأنبياء.

وقيل: اللام فى «لِحُكْمِ رَبِّكَ» بمعنى إلى و فيه تهديد لقومه و وعيد لهم أن سيحكم الله بينه و بينهم، و الوجه المتقدم أنسب لسياق الآيات السابقة.

قوله تعالى: «لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ» فى مقام التعليل للنهى السابق: «لَا تُكُنْ كَصَاحِبِ الْهُوتِ» و التدارك الإدراك و اللحق، و فسرت النعمة بقبول التوبه، و النبذ الطرح، و العراء الأرض غير المستوره بسقف أو نبات، و الظم مقابل المدح.



و المعنى: لو لا أن أدركته و لحقت به نعمه من ربه و هو أن الله قبل توبته ل طرح بالأرض العراء و هو مذموم بما فعل.

لا- يقال: إن الآيه تنافى قوله تعالى: «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيْبِيْنَ لَلَّبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» :الصفات: ١٤٤، فإن مدلوله أن مقتضى عمله أن يلبث في بطنه إلى يوم القيامة و مقتضى هذه الآيه أن مقتضاه أن يطرح في الأرض العراء مذموما و هما تبعتان متنافيتان لا تجتمعان.

فإنه يقال: الآيتان تحكيان عن مقتضيين مختلفين لكل منهما أثر على حده فأيه الصفات تذكر أنه (ع) كان مداوما للتسييح مستمرا عليه طول حياته قبل ابتلائه - و هو قوله: كان من المسبحين - و لو لا ذلك للبث في بطنه إلى يوم القيامة، و الآيه التي نحن فيها تدل على أن النعمه و هو قبول توبته في بطن الحوت شملته فلم ينبذ بالعراء مذموما.

فمجموع الآيتين يدل على أن ذهابه مغاضبا كان يقتضى أن يلبث في بطنه إلى يوم القيامة فمنع عنه دوام تسيحه قبل التقامه و بعده، و قدر أن ينبذ بالعراء و كان مقتضى عمله أن ينبذ مذموما فمنع من ذلك تدارك نعمه ربه له فنبذ غير مذموم بل اجتباه الله و جعله من الصالحين فلا منافاه بين الآيتين.

و قد تكرر في مباحثنا السابقه أن حقيقه النعمه الولايه و على ذلك يتعين لقوله: «لَوْ لَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ» معنى آخر.

قوله تعالى: «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» تقدم توضيح معنى الاجتباء و الصلاح في مباحثنا المتقدمه.

قوله تعالى: «وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ» إن مخففه من الثقيله، و الزلق هو الزلل، و الإزلاق الإزلال و هو الصرع كناية عن القتل و الإهلاك.

و المعنى: أنه قارب الذين كفروا أن يصرعوك بأبصارهم لما سمعوا الذكر.

و المراد بإزلاقه بالأبصار و صرعه بها- على ما عليه عامه المفسرين- الإصابه بالأعين، و هو نوع من التأثير النفساني لا دليل على نفيه عقلا و ربما شوهد من الموارد ما يقبل الانطباق عليه، و قد وردت في الروايات فلا موجب لإنكاره.

و قيل: المعنى أنهم ينظرون إليك إذا سمعوا منك الذكر الذي هو القرآن نظرا مليئا بالعداوه و البغضاء يكادون يقتلونك بحديد نظرهم.

قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» رميهم له بالجنون عند ما سمعوا الذكر دليل على أن مرادهم به رمى القرآن بأنه من إلقاء الشياطين، ولذا رد قولهم بأن القرآن ليس إلا ذكرا للعالمين.

وقد رد قولهم: «إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ» في أول السورة بقوله: «مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» و به ينطبق خاتمه السورة على فاتحتها.

## بحث روائى

فى المعانى، بإسناده عن الحسين بن سعيد عن أبى الحسن (ع) \* فى قوله عز و جل: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ» قال: حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجدا- و تدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود.

وفيه، بإسناده عن عبيد بن زراره عن أبى عبد الله (ع) قال\*: سألته عن قول الله عز و جل: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: كشف إزاره عن ساقه فقال: سبحان ربى الأعلى.

أقول: قال الصدوق بعد نقل الحديث: قوله: سبحان ربى الأعلى تنزيه الله سبحانه أن يكون له ساق. انتهى. و فى هذا المعنى روايه أخرى عن الحلبي عن أبى عبد الله (ع).

وفيه، بإسناده عن معلى بن خنيس قال\*: قلت لأبى عبد الله (ع): ما يعنى بقوله:

«وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» قال: وهم مستطيعون.

وفى الدر المنثور، أخرج البخارى و ابن المنذر و ابن مردويه عن أبى سعيد\*: سمعت النبى ص يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن و مؤمنه، و يبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء و سمعه- فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا.

وفيه، أخرج ابن منده فى الرد على الجهميه عن أبى هريره قال\*: قال رسول الله ص:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: يكشف الله عن ساقه.

وفيه، أخرج إسحاق بن راهويه فى مسنده و عبد بن حميد و ابن أبى الدنيا و الطبرانى و الآجرى فى الشريعة و الدارقطنى فى الرؤيه و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى البعث عن عبد الله بن مسعود عن النبى ص قال\*: يجمع الله الناس يوم القيامة- و ينزل الله فى ظلل من الغمام فينادى مناديا- أيها الناس أ لم ترضوا من ربكم [الذى] خلقكم و صوركم

و رزقكم-أن يولى كل إنسان منكم ما كان يعبد فى الدنيا و يتولى؟ أليس ذلك من ربكم عدلا؟ قالوا: بلى.

قال: فينطلق كل إنسان منكم-إلى ما كان يعبد فى الدنيا-و يتمثل لهم ما كانوا يعبدون فى الدنيا-فيتمثل لمن كان يعبد عيسى  
شيطان عيسى، و يتمثل لمن كان يعبد عزيزا شيطان عزيز-حتى يمثل لهم الشجره و العود و الحجر.

و يبقى أهل الإسلام جثوما-فيتمثل لهم الرب عز و جل فيقول لهم: ما لكم لم تنطلقوا كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا ربا ما  
رأيناه بعد فيقول: فبم تعرفون ربكم إن رأيتموه؟ قالوا: بيننا و بينه علامه إن رأيناه عرفناه؟ قال: و ما هى؟ قالوا: يكشف عن ساق.

فيكشف عند ذلك عن ساق-فيخر كل من كان يسجد طائعا ساجدا-و يبقى قوم ظهورهم كصيصى البقر-يريدون السجود فلا  
يستطيعون. الحديث.

أقول: و الروايات الثلاث مبنيه على التشبيه المخالف للبراهين العقلية و نص الكتاب العزيز فهى مطروحه أو مؤوله.

و فى الكافى، بإسناده عن سفيان بن السمط قال\*: قال أبو عبد الله(ع): إن الله إذا أراد بعبد خيرا فأذنب ذنبا أتبعه بنقمة-و ذكره  
الاستغفار، فإذا أراد بعبد شرا فأذنب ذنبا أتبعه بنعمه-لينسيه الاستغفار و يتمادى بها، و هو قول الله عز و جل: «سَنَسِيءُ تَدْرِيحُهُمْ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» بالنعم و المعاصى.

أقول: و قد تقدم بعض روايات الاستدراج فى ذيل قوله تعالى: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» الآية ١٨٢ من سوره الأعراف.

و فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ»: فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): يقول: مغموم.

و فيه: فى قوله تعالى: «لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ» قال: النعمه الرحمه.

و فيه: "فى قوله تعالى: «لَتَبْدَأَ بِالْعُرَاءِ» قال: الموضع الذى لا سقف له.

و فى الدر المشهور: فى قوله تعالى: «وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا»:

أخرج البخارى عن ابن عباس أن رسول الله ص قال\*: العين حق.

وفيه، أخرج أبو نعيم في الحليه عن جابر أن النبي ص قال\*: العين تدخل الرجل القبر و الجمل القدر.

أقول: و هناك روايات تطبق الآيات السابقه على الولاية و هى من الجرى دون التفسير و لذلك لم نوردها.

## (٦٩) سورة الحاقه مكيه و هى اثنتان و خمسون آيه (٥٢)

[سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١ الى ١٢]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَ أَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَيَّخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَيِّجٌ لَيْلٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرَعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعْيَهَا أُنْذُنًا وَاعِيَةً (١٢)

بيان

السوره تذكر الحاقه و هى القيامة و قد سمتها أيضا بالقارعه و الواقعه.

و قد ساق الكلام فيها فى فصول ثلاثه:فصل تذكر فيه إجمالاً الأمم الذين كذبوا بها

ص: ٣٩١

فأخذهم الله أخذه راييه، و فصل تصف فيه الحاقه و انقسام الناس فيها إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال و اختلاف حالهم بالسعاده و الشقاء، و فصل تؤكد فيه صدق القرآن في إنبائه بها و أنه حق اليقين، و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «الْحَقَّ مَيَّا الْحِقَّاقَهُ وَ مَيَّا أَدْرَاكَ مَيَّا الْحَقَّاقَهُ» المراد بالحاقه القيامه الكبرى سميت بها لثبوتها ثبوتاً لا مرد له و لا ريب فيه، من حق الشىء بمعنى ثبت و تقرر تقرراً واقعياً.

و «مَيَّا» فى «مَيَّا الْحِقَّاقَهُ» استفهاميه تفيد تفخيم أمرها، و لذلك بعينه وضع الظاهر موضع الضمير و لم يقل: ما هى، و الجملة الاستفهاميه خبر الحاقه.

فقوله: «الْحَقَّاقَهُ مَا الْحَقَّاقَهُ» مسوق لتفخيم أمر القيامه يفيد تفخيم أمرها و إعظام حقيقتها إفاده بعد إفاده.

و قوله: «وَ مَيَّا أَدْرَاكَ مَيَّا الْحِقَّاقَهُ» خطاب بنفى العلم بحقيقه اليوم و هذا التعبير كناية عن كمال أهميه الشىء و بلوغه الغايه فى الفخامه و لعل هذا هو المراد مما نقل عن ابن عباس:

أن ما فى القرآن من قوله تعالى: «مَا أَدْرَاكَ» فقد أدراه و ما فيه من قوله: «مَا يُدْرِيكَ» فقد طوى عنه، يعنى أن «مَا أَدْرَاكَ» كنايه و «مَا يُدْرِيكَ» تصريح.

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ» المراد بالقارعه القيامه و سميت بها لأنها تفرع و تدك السماوات و الأرض بتبديلها و الجبال بتسييرها و الشمس بتكويرها و القمر بخسفها و الكواكب بنثرها و الأشياء كلها بقهرها على ما نطقت به الآيات، و كان مقتضى الظاهر أن يقال: كذبت ثمود و عاد بها فوضع القارعه موضع الضمير لتأكيد تفخيم أمرها.

و هذه الآيه و ما يتلوها إلى تمام تسع آيات و إن كانت مسوقه للإشاره إلى إجمال قصص قوم نوح و عاد و ثمود و فرعون و من قبله و المؤتفكات و إهلاكهم لكنها فى الحقيقه بيان للحاقه ببعض أوصافها و هو أن الله أهلك أمما كثيره بالتكذيب بها فهى فى الحقيقه جواب للسؤال بما الاستفهاميه كما أن قوله: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ» إلخ، جواب آخر.

و محصل المعنى: هى القارعه التى كذبت بها ثمود و عاد و فرعون و من قبله و المؤتفكات و قوم نوح فأخذهم الله أخذه راييه و أهلكهم بعذاب الاستئصال.

قوله تعالى: «فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ» بيان تفصيلى لأثر تكذيبهم بالقارعه،

و المراد بالطاغية الصيحه أو الرجفه أو الصاعقه على اختلاف ظاهر تعبير القرآن فى سبب هلاكهم فى قصتهم قال تعالى: «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ»: هود: ٦٧، و قال أيضا:

«فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ»: الأعراف: ٨٧، و قال أيضا: «فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ»: حم السجده: ١٧.

و قيل: الطاغية مصدر كالطغيان و الطغوى و المعنى: فأما ثمود فأهلكوا بسبب طغيانهم، و يؤيده قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا»: الشمس: ١١.

و أول الوجهين أنسب لسياق الآيات التاليه حيث سقت لبيان كيفية إهلاكهم من الإهلاك بالريح أو الأخذ الرابى أو طغيان الماء فليكن هلاك ثمود بالطاغية نظرا إلى كيفية إهلاكهم.

قوله تعالى: «وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» الصرصر الريح الباردة الشديده الهبوب، و عاتيه من العتو بمعنى الطغيان و الابتعاد من الطاعه و الملاءمه.

قوله تعالى: «سَيَخْرُهَا عَلَيْهِمْ سَيْحٌ لَّيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرَعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» تسخيرها عليهم تسليطها عليهم، و الحسوم جمع حاسم كشهود جمع شاهد من الحسم بمعنى تكرار الكى مرات متتاليه، و هى صفة لسبع أى سبع ليال و ثمانيه أيام متتاليه متتابعه و صرعى جمع صريع و أعجاز جمع عجز بالفتح فالضم آخر الشىء، و خاويه الخاليه الجوف الملقاه و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ» أى من نفس باقيه، و الجمله كناية عن استيعاب الهلاك لهم جميعا، و قيل: الباقيه مصدر بمعنى البقاء و قد أريد به البقيه و ما قدمناه من المعنى أقرب.

قوله تعالى: «وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ» المراد بفرعون فرعون موسى، و بمن قبله الأمم المتقدمه عليه زمانا من المكذبين، و بالمؤتفكات قري قوم لوط و الجماعه القاطنه بها، و «خاطئه» مصدر بمعنى الخطاء و المراد بالمجىء بالخطئه إخطاء طريق العبوديه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً» ضمير «فَعَصَوْا» لفرعون

و من قبله و المؤتفكات، و المراد بالرسول جنسه، و الرابيه الزائده من ربا يربو ربوه إذا زاد، و المراد بالأخذ الرابيه العقوبه الشديده و قيل: العقوبه الزائده على سائر العقوبات و قيل: الخارقه للعادة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ إشاره إلى طوفان نوح و الجاربه السفينه، و عد المخاطبين محمولين فى سفينه نوح و المحمول فى الحقيقه أسلافهم لكون الجميع نوعا واحدا ينسب حال البعض منه إلى الكل و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعْيِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ تعليل لحملهم فى السفينه فضمير «لِنَجْعَلَهَا» للحمل باعتبار أنه فعله أى فعلنا بكم تلك الفعله لنجعلها لكم أمرا تتذكرون به و عبره تعتبرون بها و موعظه تتعظون بها.

و قوله: ﴿وَ تَعْيِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ الوعى جعل الشىء فى الوعاء، و المراد بوعى الأذن لها تقريرها فى النفس و حفظها فيها لترتب عليها فائدتها و هى التذكر و الاعتاظ.

و فى الآيه بجمليتها إشاره إلى الهدايه الربويه بكلا- قسميها أعنى الهدايه بمعنى إراءه الطريق و الهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب.

توضيح ذلك أن من السنه الربويه العامه الجاربه فى الكون هدايه كل نوع من أنواع الخليقه إلى كماله اللائق به بحسب وجوده الخاص بتجهيزه بما يسوقه نحو غايته كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، و قوله: ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسْوَى وَّ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾: الأعلى: ٣، و قد تقدم توضيح ذلك فى تفسير سورتى طه و الأعلى و غيرهما.

و الإنسان يشارك سائر الأنواع الماديه فى أن له استكمالا تكوينيا و سلوكا وجوديا نحو كماله الوجودى بالهدايه الربويه التى تسوقه نحو غايته المطلوبه و يختص من بينها بالاستكمال التشريعى فإن للنفس الإنسانيه استكمالا من طريق أفعالها الاختياريه بما يلحقها من الأوصاف و النعوت و تتلبس به من الملكات و الأحوال فى الحياه الدنيا و هى غايه وجود الإنسان التى تعيش بها عيشه سعيده مؤبده.

و هذا هو السبب الداعى إلى تشريع السنه الدينيه بإرسال الرسل و إنزال الكتب و الهدايه إليها ﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: النساء: ١٦٥، و قد تقدم تفصيله فى أبحاث النبوه فى الجزء الثانى من الكتاب و غيره، و هذه هدايه بمعنى إراءه

الطريق و إعلام الصراط المستقيم الذى لا- يسع الإنسان إلا- أن يسلكه، قال تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»  
:الدهر: ٣، فإن لزم الصراط و سلكه حى بحياء طيبه سعيده و إن تركه و أعرض عنه هلك بشقاء دائم و تمت عليه الحجه على أى  
حال، قال تعالى: «لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ» :الأنفال: ٤٢.

إذا تقرر هذا تبين أن من سنه الربويه هدايه الناس إلى سعادته حياتهم بإراءه الطريق الموصل إليها، و إليها الإشاره بقوله: «لِنَجْعَلَهَا  
لَكُمْ تَذَكْرًا» فإن التذكره لا تستوجب التذكر ممن ذكر بها بل ربما أثرت و ربما تخلفت.

و من سنه الربويه هدايه الأشياء إلى كمالاتها بمعنى إنهاؤها و إيصالها إليها بتحريكها و سوقها نحوه، و إليها الإشاره بقوله: «وَ  
تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» فإن الوعى المذكور من مصاديق الاهتداء بالهدايه الربويه و إنما لم ينسب تعالى الوعى إلى نفسه كما نسب  
التذكره إلى نفسه لأن المطلوب بالتذكره إتمام الحجه و هو من الله و أما الوعى فإنه و إن كان منسوباً إليه كما أنه منسوب إلى  
الإنسان لكن السياق سياق الدعوه و بيان الأجر و المثوبه على إجابته الدعوه و الأجر و المثوبه من آثار الوعى بما أنه فعل للإنسان  
منسوب إليه لا بما أنه منسوب إلى الله تعالى.

و يظهر من الآيه الكريمه أن للحوادث الخارجيه تأثيراً فى أعمال الإنسان كما يظهر من مثل قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ  
اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» :الأعراف: ٩٦ أن لأعمال الإنسان تأثيراً فى الحوادث الخارجيه و قد تقدم بعض  
الكلام فيه.

## بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج ابن المنذر عن ابن جريح \* فى قوله: «لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكْرًا» قال:

لأمه محمد ص، و كم من سفينه قد هلكت و أثر قد ذهب- يعنى ما بقى من السفينه حتى أدركته أمه محمد ص- فأرأوه كانت  
ألواحها ترى على الجودى.

أقول: و تقدم ما يؤيد ذلك فى قصه نوح فى تفسير سوره هود.

و فيه، أخرج سعيد بن منصور و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن مكحول قال\*: لما نزلت «وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ  
وَاعِيَةٌ» قال رسول الله ص: سألت ربي أن يجعلها



أذن على. قال مكحول: فكان على يقول: ما سمعت عن رسول الله شيئاً فنيسته.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و الواحدى و ابن مردويه و ابن عساكر و ابن النجارى عن برده قال: \*قال رسول الله ص لعلى: إن الله أمرنى أن أدنیک- و لا أقصیک و أن أعلمک و أن تعى و حق لك أن تعى - فنزلت هذه الآية « وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ».

و فيه، أخرج أبو نعيم فى الحليه عن على قال: \*قال رسول الله ص: يا على إن الله أمرنى أن أدنیک و أعلمک لتعى- فنزلت هذه الآية « وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ » فأنت أذن و اعيه لعلمى:.

أقول: و روى هذا المعنى فى تفسير البرهان، عن سعد بن عبد الله بإسناده عن أبى عبد الله (ع)، و عن الكلينى بإسناده عنه (ع)، و عن ابن بابويه بإسناده عن جابر عن أبى جعفر (ع).

و رواه أيضا عن ابن شهر آشوب عن حليه الأولياء عن عمر بن على، و عن الواحدى فى أسباب النزول عن بريده، و عن أبى القاسم بن حبيب فى تفسيره عن زر بن حبيش عن على (ع).

و قد روى فى غايه المرام، من طرق الفريقين ستة عشر حديثا فى ذلك و قال فى البرهان إن محمد بن العباس روى فيه ثلاثين حديثا من طرق العامه و الخاصه .

## [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١٣ الى ٣٧]

### إشارة

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَهُ وَاحِدَةً (١٣) وَ حَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَةَ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ (٢٥) وَ لَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَةَ (٢٦) يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ (٢٨) هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَ لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ (٣٧)

هذا هو الفصل الثانى من الآيات يعرف الحاقه ببعض أشراتها و نبذه مما يقع فيها.

قوله تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» قد تقدم أن النفخ فى الصور كناية عن البعث و الإحضار لفصل القضاء، و فى توصيف النفخه بالواحده إشاره إلى مضى الأمر و نفوذ القدره فلا و هن فيه حتى يحتاج إلى تكرار النفخه، و الذى يسبق إلى الفهم من سياق الآيات أنها النفخه الثانيه التى تحيى الموتى.

قوله تعالى: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» الدك أشد الدق و هو كسر الشىء و تبديله إلى أجزاء صغار، و حمل الأرض و الجبال إحاطه القدره بها، و توصيف الدكه بالواحده للإشاره إلى سرعه تفتتهما بحيث لا يفتقر إلى دكه ثانيه.

قوله تعالى: «فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» أى قامت القيامة.

قوله تعالى: « وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ » انشقاق الشيء انفصال شطر منه من شطر آخر، وواهيه من الوهى بمعنى الضعف، وقيل: من الوهى بمعنى شق الأديم و الثوب و نحوهما.

و يمكن أن تكون الآية أعنى قوله: « وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا » فى معنى قوله: « وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا »: الفرقان: ٢٥.

قوله تعالى: « وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » قال الراغب: رجا البئر و السماء و غيرها جانبا و الجمع أرجاء قال تعالى: « وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا » انتهى، و الملك - كما قيل - يطلق على الواحد و الجمع و المراد به فى الآية الجمع.

و قوله: « وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » ضمير « فَوْقَهُمْ » على ظاهر ما يقتضيه السياق للملائكة، و قيل: الضمير للخلائق.

و ظاهر كلامه أن للعرش اليوم حمله من الملائكة قال تعالى: « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَتِفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا »: المؤمن: ٧ و قد وردت الروايات أنهم أربعة، و ظاهر الآية أعنى قوله: « وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » أن الحمله يوم القيامة ثمانية و هل هم من الملائكة أو من غيرهم؟ الآية ساكنة عن ذلك و إن كان لا يخلو السياق من إشعار ما بأنهم من الملائكة.

و من الممكن - كما تقدمت الإشارة إليه - أن يكون الغرض من ذكر انشقاق السماء و كون الملائكة على أرجائها و كون حمله العرش يومئذ ثمانية بيان ظهور الملائكة و السماء و العرش للإنسان يومئذ، قال تعالى: « وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »: الزمر: ٧٥.

قوله تعالى: « يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ » الظاهر أن المراد به العرض على الله كما قال تعالى: « وَ عَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا »: الكهف: ٤٨، و العرض إراءه البائع سلعته للمشتري ببسطها بين يديه، فالعرض يومئذ على الله و هو يوم القضاء إبراز ما عند الإنسان من اعتقاد و عمل إبرازا لا يخفى معه عقيدة خافية و لا فعله خافية و ذلك بتبدل الغيب شهادته و السر علنا قال: « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ »: الطارق: ٩، و قال: « يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ »: المؤمن: ١٦.

و قد تقدم فى أبحاثنا السابقة أن ما عد فى كلامه تعالى من خصائص يوم القيامة

كاختصاص الملك بالله، وكون الأمر له، و أن لا عاصم منه، و بروز الخلق له و عدم خفاء شىء منهم عليه و غير ذلك، كل ذلك دائميه الثبوت له تعالى، و إنما المراد ظهور هذه الحقائق يومئذ ظهورا لا ستر عليه و لا مريه فيه.

فالمعنى: يومئذ يظهر أنكم فى معرض على علم الله و يظهر كل فعله خافيه من أفعالكم.

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَرَيْنَ أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَفْرُؤَا كِتَابِيَهُ» قال فى المجمع، هؤوم أمر للجماعه بمنزله هاكم، تقول للواحد: هاء يا رجل، و للثنتين: هؤوما يا رجلان، و للجماعه: هؤوم يا رجال، و للمرأة: هاء يا امرأه بكسر الهمزه و ليس بعدها ياء، و للمرأتين:

هؤوما، و للنساء: هؤون. هذه لغه أهل الحجاز.

و تميم و قيس يقولون: هاء يا رجل مثل قول أهل الحجاز، و للثنتين: هاء، و للجماعه:

هؤوا، و للمرأة: هائى، و للنساء هؤون.

و بعض العرب يجعل مكان الهمزه كافا فيقول: هاك هاكها هاكها هاكها هاكها، و معناه: خذ و تناول، و يؤمر بها و لا ينهى. انتهى.

و الآيه و ما بعدها إلى قوله: «الْحَاطُونَ» بيان تفصيلي لاختلاف حال الناس يومئذ من حيث السعاده و الشقاء، و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ»: إسرء: ٧١ كلام فى معنى إعطاء الكتاب باليمين، و الظاهر أن قوله: «هَؤُومٌ أَفْرُؤَا كِتَابِيَهُ» خطاب للملائكه، و الهاء فى «كِتَابِيَهُ» و كذا فى أواخر الآيات التاليه للوقف و تسمى هاء الاستراحه.

و المعنى: فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول للملائكه: خذوا و اقرءوا كتابيه أى إنها كتاب يقضى بسعادتى.

قوله تعالى: «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ» الظن بمعنى اليقين، و الآيه تعليل لما يتحصل من الآيه السابقه و محصل التعليل إنما كان كتابى كتاب اليمين و قاضيا بسعادتى لأنى أيقنت فى الدنيا أنى سألقى حسابى فأمنت بربى و أصلحت عملى.

قوله تعالى: «فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَهُ» أى يعيش عيشه يرضاها فنسبه الرضا إلى العيشه من المجاز العقلى.

قوله تعالى: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ - إِلَى قَوْلِهِ - الْحَالِيَهُ» أى هو فى جنه عاليه قدرا فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و قوله: «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» القُطُوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو ما يجتنى من الثمر و المعنى: أثمارها قريبه منه يتناوله كيف يشاء.

و قوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» أى يقال لهم: كلوا و اشربوا من جميع ما يؤكل فيها و ما يشرب حال كونه هنيئًا لكم بما قدمتم من الإيمان و العمل الصالح فى الدنيا التى تقضت أيامها.

قوله تعالى: «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَ لَمْ أُدْرِكْ حِسَابِيهِ» و هؤلاء هم الطائفه الثانيه و هم الأشقياء المجرمون يؤتون صحيفه أعمالهم بشمالهم و قد مر الكلام فى معناه فى سوره الإسراء، و هؤلاء يتمنون أن لو لم يكونوا يؤتون كتابهم و يدرون ما حسابهم يتمنون ذلك لما يشاهدون من أليم العذاب المعد لهم.

قوله تعالى: «يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ» ذكروا أن ضمير «لَيْتَهَا» للموته الأولى التى ذاقها الإنسان فى الدنيا.

و المعنى: يا ليت الموته الأولى التى ذقتها كانت قاضيه على تقضى بعدمى فكنت انعدمت و لم أبعث حيا فأقع فى ورطه العذاب الخالد و أشاهد ما أشاهد.

قوله تعالى: «مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ» كلمتا تحسر يقولهما حيث يرى خيبه سعيه فى الدنيا فإنه كان يحسب أن مفتاح سعاده فى الحياه هو المال و السلطان يدفعا عنه كل مكروه و يسلطانه على كل ما يحب و يرضى فبذل كل جهده فى تحصيلهما و أعرض عن ربه و عن كل حق يدعى إليه و كذب داعيه فلما شاهد تقطع الأسباب و أنه فى يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون ذكر عدم نفع ماله و بطلان سلطانه تحسرا و توجعا و ما ذا ينفع التحسر؟ قوله تعالى: «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» -إلى قوله- فَاسْلُكُوهُ «حكايه أمره تعالى الملائكه بأخذه و إدخاله النار، و التقدير يقال للملائكه خذوه إلخ، و «فَغُلُّوهُ» أمر من الغل بالفتح و هو الشد بالغل الذى يجمع بين اليد و الرجل و العنق.

و قوله: «ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ» أى أدخلوه النار العظيمه و ألزموه إياها.

و قوله: «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ» السلسله القيد، و الذرع الطول، و الذراع بعد ما بين المرفق و رأس الأصابع و هو واحد الطول و سلوكه فيه جعله فيه، و المحصل ثم اجعلوه فى قيد طوله سبعون ذراعا.

قوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ» الحض التحريض والترغيب، والآيتان في مقام التعليل للأمر بالأخذ والإدخال في النار أى إن الأخذ ثم التصليه في الجحيم والسلوك في السلسله لأجل أنه كان لا يؤمن بالله العظيم و لا يحض على طعام المسكين أى يساهل فى أمر المساكين و لا يبالي بما يقاسونه.

قوله تعالى: «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» - إلى قوله - «الْخَاطِئُونَ» الحميم الصديق والآيه تفریع على قوله: «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ» إلخ، و المحصل: أنه لما كان لا يؤمن بالله العظيم فليس له اليوم هاهنا صديق ينفعه أى شفيع يشفع له إذ لا مغفره لكافر فلا شفاعه.

و قوله: «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلِينَ» الغسلين الغساله و كان المراد به ما يسيل من أبدان أهل النار من قيح و نحوه و الآيه عطف على قوله فى الآيه السابقه: «حَمِيمٌ» و متفرع على قوله: «وَلَا يَحُضُّ» إلخ، و المحصل: أنه لما كان لا يحرض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا طعام إلا من غسلين أهل النار.

و قوله: «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ» وصف لغسلين و الخاطئون المتلبسون بالخطيئه و الإثم.

## بحث روائى

فى الدر المنثور، فى قوله تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً»

أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: قال رسول الله ص: يحمله اليوم أربعة و يوم القيامة ثمانية.

أقول: و فى تقييد الحاملين فى الآيه بقوله: «يَوْمَئِذٍ» إشعار بل ظهور فى اختصاص العدد بالقيامه.

و فى تفسير القمى، و فى حديث آخر قال: حملة ثمانية أربعة من الأولين و أربعة من الآخريين فأما الأربعة من الأولين فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و أما الأربعة من الآخريين فمحمد و على - و الحسن و الحسين (ع).

أقول: و فى غير واحد من الروايات أن الثمانية مخصوصه بيوم القيامه، و فى بعضها أن حملة العرش - و العرش العلم - أربعة منا و أربعة ممن شاء الله.

و فى تفسير العياشى، عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: \* إنه إذا كان يوم القيامه يدعى كل أناس بإمامه - الذى مات فى عصره - فإن أثبتته أعطى كتابه بيمينه لقوله: «يَوْمَ نَدْعُوا

كُلِّ أُنَاسٍ بِأَمْرِهِمْ» فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم، و اليمين إثبات الإمام لأنه كتابه يقرؤه- إلى أن قال- و من أنكر كان من أصحاب الشمال- الذين قال الله:

« وَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ - فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ » الخ.

أقول: و في عده من الروايات تطبيق قوله: « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » الخ، على (ع)، و في بعضها عليه و على شيعته، و كذا تطبيق قوله: « وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ » الخ، على أعدائه، و هي من الجرى دون التفسير.

و في الدر المنثور، أخرج الحاكم و صححه عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ص قال\*:

لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن بأهل الدنيا.

و فيه، أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن صعصعه بن صوحان قال\* : جاء أعرابي إلى علي بن أبي طالب فقال: كيف هذا الحرف: لا يأكله إلا الخاطون كل و الله يخطو.

فتبسم على و قال: يا أعرابي « لا يأكله إلا الخاطون » قال: صدقت و الله يا أمير المؤمنين - ما كان الله ليسلم عبده.

ثم التفت على إلى أبي الأسود فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كاهه- فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم- فرسم لهم الرفع و النصب و الخفض.

و في تفسير البرهان، عن ابن بابويه في الدرود الواقيه في حديث عن النبي ص\* : و لو أن ذراعا من السلسله التي ذكرها الله في كتابه- وضع على جميع جبال الدنيا لذابت عن حرها.

[سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٣٨ الى ٥٢]

اشاره

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَ إِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

ص: ٤٠٢

هذا هو الفصل الثالث من آيات السوره يؤكد ما تقدم من أمر الحاقه بلسان تصديق القرآن الكريم ليثبت بذلك حقيه ما أنبا به من أمر القيامة.

قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ» ظاهر الآيه أنه إقسام بما هو مشهود لهم و ما لا يشاهدون أى الغيب و الشهاده فهو إقسام بمجموع الخليقه و لا يشمل ذاته المتعالیه فإن من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق و الخلق فى صف واحد و يعظمه تعالى و ما صنع تعظيما مشتركا فى عرض واحد.

و فى الإقسام نوع تعظيم و تجليل للمقسم به و خلقه تعالى بما أنه خلقه جليل جميل لأنه تعالى جميل لا يصدر منه إلا الجميل و قد استحسنتعالى فعل نفسه و أثنى على نفسه بخلقها فى قوله: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» الم السجده: ٧، و قوله: «فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»: المؤمنون: ١٤ فليس للموجودات منه تعالى إلا الحسن و ما دون ذلك من مساءه فمن أنفسها و بقياس بعضها إلى بعض.

و فى اختيار ما يبصرون و ما لا يبصرون للأقسام به على حقيه القرآن ما لا يخفى من المناسبه فإن النظام الواحد المتشابه أجزاءه الجارى فى مجموع العالم يقضى بتوحده تعالى و مصير الكل إليه و ما يترتب عليه من بعث الرسل و إنزال الكتب و القرآن خير كتاب سماوى يهدى إلى الحق فى جميع ذلك و إلى طريق مستقيم.

و مما تقدم يظهر عدم استقامه ما قيل: إن المراد بما تبصرون و ما لا تبصرون الخلق و الخالق فإن السياق لا يساعد عليه، و كذا ما قيل: إن المراد النعم الظاهره و الباطنه، و ما قيل: إن المراد الجن و الإنس و الملائكه أو الأجسام و الأرواح أو الدنيا و الآخره أو ما يشاهد من آثار القدره و ما لا يشاهد من أسرارها فاللفظ أعم مدلولاً من جميع ذلك.



قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» الضمير للقرآن، والمستفاد من السياق أن المراد برسول كريم النبي ص و هو تصديق لرسالته قبال ما كانوا يقولون إنه شاعر أو كاهن.

و لا ضمير فى نسبه القرآن إلى قوله فإنه إنما ينسب إليه بما أنه رسول و الرسول بما أنه رسول لا يأتي إلا بقول مرسله، و قد بين ذلك فضل بيان بقوله بعد: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

و قيل: المراد برسول كريم جبريل، و السياق لا يؤيده إذ لو كان هو المراد لكان الأنسب نفى كونه مما نزلت به الشياطين كما فعل فى سورة الشعراء.

على أن قوله بعد: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» و ما يتلوه إنما يناسب كونه (ص) هو المراد برسول كريم.

قوله تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ» نفى أن يكون القرآن نظماً ألفه شاعر و لم يقل النبي ص شعراً و لم يكن شاعراً.

و قوله: «قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ» توبيخ لمجتمعهم حيث إن الأكثرين منهم لم يؤمنوا و ما آمن به إلا قليل منهم.

قوله تعالى: «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ» نفى أن يكون القرآن كهانه و النبي ص كاهناً يأخذ القرآن من الجن و هم يلقونه إليه.

و قوله: «قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ» توبيخ أيضاً لمجتمعهم.

قوله تعالى: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى منزل من رب العالمين و ليس من صنع الرسول نسبه إلى الله كما تقدمت الإشارة إليه.

قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» - إلى قوله - «حَاجِزِينَ» يقال: تقول على فلان أى اختلق قولاً من نفسه و نسبه إليه، و الوتين - على ما ذكره الراغب - عرق يسقى الكبد و إذا انقطع مات صاحبه، و قيل: هو رباط القلب.

و المعنى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا» هذا الرسول الكريم الذى حملناه رسالتنا و أرسلناه إليكم بقرآن نزلناه عليه و اختلق «بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» و نسبه إلينا «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» كما يقبض على المجرم فيؤخذ بيده أو المراد قطعنا منه يده اليمنى أو المراد لانتقمنا منه بالقوه كما فى روايه القمى «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» و قتلناه لتقوله علينا «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

«تحجبونه عنا و تنجونه من عقوبتنا و إهلاكنا.

و هذا تهديد للنبي ص على تقدير أن يفترى على الله كذبا و ينسب إليه شيئا لم يقله و هو رسول من عنده أكرمه بنبوته و اختاره لرسالته.

فآيات في معنى قوله: «لَوْ لَا أَنْ بَبْتَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذْفَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا» :إسراء: ٧٥، و كذا قوله في الأنبياء بعد ذكر نعمه العظمى عليهم: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» :الأنعام: ٨٨.

فلا يرد أن مقتضى الآيات أن كل من ادعى النبوه و افترى على الله الكذب أهلكه الله و عاقبه في الدنيا أشد العقاب و هو منقوض ببعض مدعى النبوه من الكذابين.

و ذلك أن التهديد في الآيه متوجهه إلى الرسول الصادق في رسالته لو تقول على الله و نسب إليه بعض ما ليس منه لا- مطلق مدعى النبوه المفترى على الله في دعواه النبوه و إخباره عن الله تعالى.

قوله تعالى: «وَ إِنَّهُ لَتَيْذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ» يذكرهم كرامه تقواهم و معارف المبدأ و المعاد بحقائقها، و يعرفهم درجاتهم عند الله و مقاماتهم في الآخرة و الجنة و ما هذا شأنه لا يكون تقولا و افتراء فالآيه مسوقه حجه على كون القرآن منزها عن القول و الفريه. قوله تعالى: «وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» ستظهر لهم يوم الحسره.

قوله تعالى: «وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» قد تقدم كلام في نظيرتى الآيتين في آخر سوره الواقعه، و السورتان متحدتان في الغرض و هو وصف يوم القيامة و متحدتان في سياق خاتمتهما و هى الإقسام على حقيقه القرآن المنبئ عن يوم القيامة، و قد ختمت السورتان بكون القرآن و ما أنبأ به عن وقوع الواقعه حق اليقين ثم الأمر بتسييح اسم الرب العظيم المنزه عن خلق العالم باطلا لا معاد فيه و عن أن يبطل المعارف الحقه التى يعطيها القرآن في أمر المبدأ و المعاد.

تم و الحمد لله.







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

